

المجلد الثاني عشر

في تفسير القرآن الكريم

المجلد الثاني عشر

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ طنطاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجلالة آمين

المجلد الثاني عشر

طبع بطبعة

مطبعة السباني الخيرية واولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

بمباشرة - محمد امين محمد

جاء في الثانية - ١٣٤٧ هـ

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَفْعَعُ الْمُؤْمِنِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة النور مدنية وهي أربع وستون آية ﴾

(وهي ثلاثة أقسام)

﴿ القسم الأول ﴾ في أحكام القذف والزنا وبراءة أم المؤمنين وما يتبع ذلك من المواظ من أول السورة الى قوله - لهم مغفرة ورزق كريم -

﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا - الى قوله - وموعظة للمتقين - وذلك في آداب للمعاشرة وآداب الرجال والنساء

﴿ القسم الثالث ﴾ في محائب السموات والأرض وأحوال الكفار والمؤمنين وما يتبع ذلك من الآداب الواجبة العامة من قوله - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَانِ * وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عِدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَالزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ * وَالَّذِينَ يُزْمَنُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *
وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَذَرُوا
عَنْهَا الْمَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ
عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ * وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ *
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْثَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ
بِأَرْبَعَةِ شَهَادَةٍ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ
بِالنِّسْتِكَمِ وَقُولُونَ بِالْفُؤَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ *
لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ *
يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاسِقَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ
فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا
وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ
يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفَّىهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ *

الْطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ
مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ *

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هذه (سورة أنزلناها وفرضناها) وأوجبنا ما فيها من الأحكام وألزمناكم العمل بها وكذلك من بعدكم
اليوم القيامة (وأنزلنا فيها آيات بينات) واضحات (لعلكم تذكرون) لكي تتعلموا بالأمر والنهي فلا تعطلوا
الحدود

حكم الزنا

(الزانية والزاني) فيما فرضنا أو فيما أنزلنا حكم الزانية والزاني ويصح جعل الزانية والزاني مبتدأ خبره (فاجلدوا
كل واحد منهما مئة جلدة) الجلد ضرب الجلد فلا ينبغي أن يصل إلى اللحم وهذا فرض على الأمة كلها يقوم
مقامهم الإمام لتعذر اجتماعهم وهذا الحكم لمن استوفى الشروط وجوب الحد وهي البلوغ والعقل ويجب أن
يفرغ عما عند الشافعي لشوته في السنة . وكل أبو حنيفة أمر التفرغ لرأي الإمام ويجب على العبد والأمة
نصف الحد ولا رجم عليهما وهذا حكم غير المحصن . أما المحصن فيزيد على ما تقدم أن يكون حرا مسلما متزوجا
بنكاح صحيح وقد دخل بها والاسلام ليس بشرط عند الشافعي محتجا برجه عليه الصلاة والسلام يهوديين وحكم
المحصن الرجم . ويرى مالك في غير المحصن كما يرى الشافعي والسكن المرأة لا تغرب . ويرى الحنفية أن التفرغ
المروى في الحديث منسوخ كما نسخ الحبس والأذى في قوله - فامسكوهن في البيوت - وقوله - فأتوهما -
بهذه الآية (ولا تأخذكم بهما رأفة) رجة ورقة فتعطوا الحدود أو تخففوا الضرب بل يكون في الزنا أشد من
الغربة وفي الغربة أشد من حد الشرب أو تخفف في الأخير ويشدد في الأولين على الخلاف في المذاهب وقوله
(في دين الله) أي في حكم الله * روى أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ﴾
* وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله فقال يا بني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت ، ومعنى قوله (إن كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر) أن المؤمن لا تأخذ الرأفة إذا جاء أمر الله أي إذا كنتم تؤمنون فلا تتركوا إقامة
الحدود (وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) وذلك ليزيد التشكيل والطائفة أقلها ثلاثة وقيل رجل أو اثنان
والمراد حصول التشهير فقد يكون التفضيح أكثر تعذيبا من التعذيب . ولما كانت الأشكال تحث إلى أشكائها
وكان ضعفة المهاجرين قد هموا أن يتزوجوا بغايا يكرهن أنفسهن لينفقن عليهن من أكسابهن على عادة
الجاهلية نزل قوله تعالى (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة) لتقارب الأشكال واتلاف الأخلاق (والزانية
لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) فهو مكروه كراهة تنزيه لما يلزم فيه من التشبه بالفاسق
والتعرض للتهمة والنسب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك ويجوز أن يراد بالتحريم انصراف النفس
عن ذلك فإن الزناة يأتلفون والصلحاء كذلك . فهذا تحريم يرجع للطبع والعادة والشرع لا يمنع زواجهن
* وقيل إن نكاحهن كان محرما ثم نسخ بقوله تعالى - وأنكحوا الأيتام منكم - ولذلك قال ﷺ لما
سئل في نكاح المسافات ﴿ أوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال ﴾

فصل في حكم القذف العام وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعة

اعلم أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أو زنت فعليه جلد ثمانين جلدة إن كان
القاذف حرا وكان المقذوف محصنا أي مسلما بالغيا عاقلا حرا عفيفا من الزنا ولا فرق بين الذكر والأنثى ويكون
الضرب هنا أخف من ضرب الزنا ولا تعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لأبي حنيفة ثم إذا كان القاذف عبدا

يُجلد أربعين، وإن كان القذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وهو يكون برأى القاضي . ومن زنى وتاب وحسنت نوبته وقذف لا يجب في قذفه إلا التعزير وهكذا القذف بغير الزنا مثل بافاسق وياشارب الخ وهذا قوله تعالى (والذين يرمون المحصنات) اللاتي استوفين الشروط الخمسة المتقدمة وكذلك الرجال بهذه الشروط وخمس النساء بالذكر لشناعة أمرهن إذا قذفن وقوله (ثم يأتوا بأربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) أخف من جلد الزاني (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) المحكوم بفسقهم فالقذف إذن من الكبائر فلذلك سعى مرتكبه فاسقا (إلا الذين تابوا من بعد ذلك) من بعد القذف (وأصلحو) أحوالهم وهذا استثناء من الفاسقين وسيأتي إيضاحه والخلاف فيه (فإن الله غفور رحيم) يغفر ذنوبهم ويرحمهم (والذين يرمون أزواجهن) يقذفون زوجاتهم بالزنا (ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم) أي لم يكن لهم على تصديق قولهم من يشهد لهم به الخ (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (و) الشهادة (الخامسة) أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (ويدروا عنها العذاب) ويدفع عنها الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه) أن الزوج (لمن الكاذبين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) بالرفع والنصب (أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) في ذلك (ولو لا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم) لفضحك وعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ودفع عنكم الحد بالأمان

﴿ فصل في قصة الإفك ﴾

ولما ذكر حكم القذف العام وقذف الرجل زوجته أتبعه سبحانه بالكلام على الإفك في أمر عائشة أم المؤمنين والافك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء ﴿ومحصل القصة﴾ ما ذكرته رضى الله عنها قالت ﴿فقدت عقدا في غزوة بني المصطلق فتخلفت ولم يعرف خولاهودج نخفتي فلما ارتحوا أناخ لي صفوان بن المعطل بعيره وسافه حتى أتاهم بعد ما نزلوا فهلك في من هلك فاعتلت شهرا وكان عليه الصلاة والسلام يسأل كيف أنت ولا أرى منه لطفا كنت أراه حتى عثرت خالة أبي أم مسطح فقالت تعس مسطح فأنتكرت عليها فأخبرتني بالإفك فلما سمعت ازدددت مرضا وبت عند أبيي لأبرقا لي دمع وما أكتحل بنوم وهما يظنان أن السمع قال كبدى حتى قال عليه الصلاة والسلام أبشرى يا جبرام فقد أنزل الله براءتك فقلت بحمد الله لا بحمدك﴾ اه وهذا قوله تعالى (إن الذين جاؤا بالإفك) وهو الصرف لأنه قول مافوك مصروف عن وجهه (عصبة منكم) جماعة منكم وهي من العشرة إلى الأربعين وكذلك العصبة منهم عبد الله بن أبي وزيد بن رفاعه وحسان ابن ثابت ومسطح بن أثانة وحة بنت جحش . ثم استأنف سبحانه الكلام مخاطبا رسول الله ﷺ وأبا بكر وعائشة وصفوان رضى الله عنهم قائلا (لا تحسبوه) أي الإفك (شرا لكم بل هو خير لكم) لكم فيه ثواب وارتقاء الأنفس وظهور الكرامة بإزالة ثمان عشرة آية في براءتكم وتعظيم شأنكم وفيه أيضا تهويل وتشديد على من تكلم فيكم وثناء على من ظن خيرا (الكل أصري منهم ما اكتسب من الإثم) أي جزاء ما اكتسب بقصر ما خاض فيه مختصا به (والنبي تولى كبره) معظمه (منهم) من الخائضين وهو عبد الله بن أبي فانه هو الذي بدأ به لأنه يحكى أن صفوان مرّ بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عائشة فقال والله ما نجت منه ولا نجا منها (له عذاب عظيم) أي جهنم . ثم أخذ يوضح العصبة فقال سبحانه (ولولا) هلا (إذ سمعتموه) أي الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) أي هلا ظن المؤمنون والمؤمنات الذين سمعوا الإفك خيرا بعائشة وصفوان اللذين هما من المؤمنين الذين هم جميعا كنفس واحدة فاذا ظنوا بهما خيرا فقد ظنوا بأنفسهم وهذا من أبلغ ما يكون في التلطف من حيث اتحاد المؤمنين (وقالوا هذا إفك مبين) كذب بين لاحقيقة له (ولولا) هلا (جاؤا عليه) على ما زعموا (بأربعة شهداء) يشهدون بذلك (فألم يأتوا

بالشهداء فأولئك عند الله في حكمة وشريعة (هم الكاذبون) القاذفون لأنهم ليس عندهم أربعة شهود (ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) فضله في الدنيا بالنعم الكثيرة ومنها إلهامكم للتوبة ورحمته في الآخرة بنعم كثيرة منها العفو والمغفرة (اسمكم) عاجلا (فما أفضتم فيه) خضتم فيه (عذاب عظيم) فالجلد واللوم مستصفران بالنسبة له (إذ) متساق بمسكم (تلقونه بالسنتكم) يأخذ به بعضكم من بعض بالسؤال (وتقولون بأنواهم ما ليس لكم به علم) أي يقولون بأنسنتهم من الأفك ما ليس في قلوبهم (وتحسبونهم هينا) سهلا لا تبعه له (وهو عند الله عظيم) في الوزر - فهذه (ثلاث خصال) التلق والتحدث والاستصغار للذنب مع عظامته (ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا) ما يصح لنا (أن نتكلم بهذا) في أمثال هذه الأمور لاسيما ما يخص بآية الصديق (سبحانك) تنزيها لله من أن تكون حرم نبيه ﷺ فاجرة فإن جفورها يحل بمقصود الزواج (هذا بهتان عظيم) لأن المبهوت عليه عظيم (يعظمكم الله) كراهته (أن تعودوا لآله أبدا) مادمتهم أحياء مكافين (إن كنتم مؤمنين) وهذا تقرير وتوبيخ فإن الإيمان يمنع من القبائح (ويبين الله لكم الآيات) الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب تعالما لكم (والله عليم) بصفوان وعائشة وبكل الأحوال (حكيم) في تدبيره هذا العالم ومن حكمته أن يجعل زوجته ﷺ طاهرات لأنه يكرم أوليائه . ومن حكمته أنه برأ عائشة وحكم على القاذفين بالحد (إن الذين يحبون) كعبد الله بن أبي وأصحابه (أن تشيع الفاحشة) أي يظهر الزنا (في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) فيصتوبون في الدنيا ويدخلون جهنم في الآخرة (والله يعلم) ما في الضمائر (وأنتم لا تعلمون) فليكن عقابكم لهم على ما تعلمون من الظواهر في الدنيا وهو يعاقب على ما يعلم من حب الإشاعة وعقابه في الآخرة (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم) بكم لعاجلكم بالعقوبة والخطاب لسطح وحسان بن ثابت وكرره لأنه يترك المعاجلة بالعقوبة (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) بإشاعة الفاحشة (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) الفحشاء ما أفرط قبحه والمنكر ما أنكره الشرع (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن شرع التوبة ووفقكم لها فتمحى ذنوبكم وأنزل الحدود وهي كفارات لذنوبكم (ما زكي منكم من أحد أبدا) أي ما طهر ولا صاب فله بفضل الله ورحمته شرع التوبة وقبلها وأنزل الزواجر وحكم بها ووفقكم لما يحجوا الذنوب إما بأعمالكم الصالحة وأما بما تصابون به من الرزايا فإنها مكفرات (ولكن الله يزكي من يشاء) بتوفيقه للتوبة وجلده عليها وقبولها منه وبإقامة الحدود وإنزال ما يخفف من الحوادث المؤلمة (والله سميع عليم) بنياتهم . ولما حلف أبو بكر رضي الله عنه أن لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خاتمه وكان من فقراء المهاجرين نزل قوله تعالى (ولا تأتوا) أي لا تحلف (أولو الفضل منكم) في الدين (والسعة) في المال (أن يؤتوا) على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان الموصوفين بأنهم من (أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وإن كانت بينهم وبينهم شحنة لجناية اقترفوها . ويصح أن يقال « ولا يقصر أولوا الفضل الخ » ثم قال (وليعفوا) أي وليستروا (وليعفوا) يعرضوا وليتجاوزوا عن الجفاء ويعرضوا عن العقوبة (الأتعبون أن يغفر الله لكم) فليعفوا بهم ما يرجون أن يفعل الله بهم مع كثرة ذنوبهم (والله غفور رحيم) فتخلقوا بأخلاق الله وتأدبوا بأدابه . ولما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقة (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (الافلات) عما قدفن به (المؤمنات) بالله ورسوله كعائشة رضي الله عنها وغيرها من كل سائمة الصدر نقية القلب لادهاء عندها ولا مكر لأنها لم تجرب الأمور (اعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) فهؤلاء القذفة ملعونون في الدارين ولهم عذاب عظيم في الآخرة إن لم يتوبوا فيعذبون (يوم تشهد عليهم أنسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) بما أفكوا أو بهتوا إذ تظهر آثار الأعمال على تلك الأعضاء وهو أبلغ من نطق اللسان فالمتأبون والقاذفون وأمثالهم تظهر صور أعمالهم بحسنة براها المذنب وتساوها

وأشاهدنا الناس حولها والملائكة بصورة قبيحة بشعة تشعير بالمهانة والدلالة ولا مانع من النفاق الأفطس وهو معنى قوله تعالى - ورجسوا ما عملوا حاضرا - وقوله - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - وذلك حاصل بعد الموت بلا توان فيظهر الانسان بظهوره الحقيقي وهذا قد أظهره الكشف الحديث فان علماء الأرواح لما استحضروها أخبرت بما يفيد أن أخلاق الانسان وصوره الباطنة تلازمه ولا تفرقه ويؤدّ لو يتخلص منها وتستقيم حاله فلا يقدر بل تكون له كالمهواه يحيط به أينما حلّ . ويقولون إن جسم الانسان بعد الموت عبارة عن صورة طبق الأصل أي مطابقة لهذا الجسم المادّي ويسمى ذلك الجسم ﴿الجسم الأثيري﴾ أي المنسوب للأثير وهي المادة اللطيفة التي هي أخف وألطف من الهواء والعالم كله منه ورفيها وهذه الصورة تمثل الأخلاق الباطنية للانسان ويؤدّ لو ينخزع منها اذا كانت قبيحة قال تعالى (يومئذ يوفيه الله دينهم الحق) جزاءهم المستحق (ويصلحون) علم مسانية (أن الله هو الخالق المبین) العادل الظاهر عدله ولذلك ينتقم من المظالم لظلمه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء أمثال عبد الله بن أبي والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والعكس يعني عائشة ورسول الله ﷺ وهذا عام فان الطيور على أشكالها تقع واذا كانت عائشة زوج رسول الله ﷺ فهي مبرأة لأنها مع الطيب وهذا قوله تعالى (أولئك مبرؤن مما يقولون) أي أصحاب الآفة (لمهم مغفرة) عفو لدنوبهم (ورزق كريم) أي الجنة وقد خصت عائشة بأن جبريل نزل بصورتها في راحته وقال هي زوجتك ولم يتزوج ﷺ بكرا غيرها وقبض ﷺ في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في اللحاف ونزلت برأيتها من السماء وهي ابنة الصديق وخلقت طيبة ووعدت المغفرة والرزق الكريم . انتهى التفسير اللفظي وهنا ﴿أربع لطائف﴾

- (١) في قوله تعالى - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -
 - (٢) وفي قوله تعالى - أن تشهد أربع شهادات بالله - الخ
 - (٣) وفي قوله - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما ركني منكم من أحد أبدا - الى قوله - سميع عليم -
 - (٤) وفي قوله - الخبيثات للخبيثين - الخ
- ﴿اللطيفة الأولى في قوله تعالى - ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم -﴾
- (١) ومقتضى هذه الآية أن القاذف اذا تاب تقبل شهادته ويزول عنه اسم الفسق سواء أ كان قبل إقامة الحد أو بعده لأن الاستثناء راجع الى ردّ الشهادة الى الفسق وهذا قول عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاووس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهرى ومالك والشافعي

(٢) لا تقبل شهادته أبدا بعد التوبة ولكن يزول عنه اسم الفسق وهذا لأن الاستثناء راجع الى الفسق عند النجوى وشرح

- (٣) لا ترد شهادته بنفس القذف مالم يحدّ عند أصحاب الرأي
- (٤) هو قبل الحد شر منه - حين يحدّ لأن الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله وتقبلونها في شرّ حاله وهذا هو اعتراض الشافعي على أصحاب الرأي بل قال ان حدّ القذف يسقط بالتوبة وأن الاستثناء يرجع للكل كما تقدّم

(٥) لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المذنب فيسقط كالمقصر يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة وهذا مذهب عامة العلماء وقوله - أبدا - أي مادام مصرا على القذف وذلك على مذهب من يقول بقبول شهادته بعد التوبة وتكون الأدبية في كل شيء بحسبه فالقاذف أبديته حتى يتوب وأبدية الكافر حتى يؤمن

أى لا تقبل مادام على كفره

﴿ اللطيفة الثانية - فشهدادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات ﴾

فقلوه - انه من الصادقين - معناه على انه من الصادقين - قذف الجار وكسرت ان وعلق العامل باللام تأكيذا * روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر البجلافي جاء الى عاصم بن عدي فقال لعاصم أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتقتارنه أم كيف يفعل سل لي عن ذلك رسول الله ﷺ فسأل عاصم رسول الله ﷺ عن ذلك فذكره رسول الله ﷺ المسألة وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلما رجع عاصم الى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله ﷺ فقال عاصم لعويمر لم يأتي بخبر فذكره رسول الله ﷺ المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أتتبع حتى أسأله عنها فجاء عويمر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرايت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله الى آخر ما تقدم فأخبره رسول الله ﷺ بالعنان فتلاصقا فلما فرغا من التلاصق طلقها عويمر فلما قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال مالك قال شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين . هذا ملخص ما جاء في الصحيحين ومثله ما جاء في البخاري في مسألة هلال بن أمية لما قذف امرأته بشريك بن سمحاء وذكر أن جبريل نزل بالآية بعد أن قال هلال ولينزلن الله ما يبئري ظهري من الحقد فقام هلال بن أمية فشتمه والي ﷺ يقول الله يعلم أن أحدا كاذب فهل منك من نابت ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفها وقال انها موجهة قال ابن عباس فتلك كانت ونكصت حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به أحكل العينين سايع الاليتين خدج الساقين فهو وشريك بن سمحاء فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن : وخدج الساقين ممتلى الساقين غليظهما

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكاكم من أحد أبدا - ﴾

يقول علماؤنا رحمه الله تعالى في هذا المقام انه شرع الحدود وشرع التوبة والتوبة من نوع التهذيب والعقوبة من نوع التعذيب . فانظر كيف كان التهذيب مع التعذيب سببين لزكاة الناس وطهارتهم . ومعنى هذا أن الله فضله عم الناس ولولا فضله ورحمته لم يظهروا وعليه أصبح كل هم وغم ومصائب وأمراض كل ذلك مما يزكي ويظهر وأيضا كل علم وكل حكمة وكل خلق شريف كل ذلك مطهر . فالطهارات التي أنزلها الله في الأرض نوعان التهذيب والتعذيب فأوضحت المدارس التي في الأرض للتطهير ﴿ قسمين ﴾ قسم الحوادث التي تصيب الناس وقسم المرقبات للعقول الانسانية وقد شريحت هذا في أماكن كثيرة في هذا التفسير

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ ﴾

اعلم أن هذه الآية تشرح الغرائز والأخلاق والطباع وبهجتها وعجائبتها وتبين أن هذا الانسان بل هذا الوجود لا تلازم فيه إلا بالتناسب ولا اتحاد إلا بصفات متناسبة فكرة الأرض متجاذبة الأجزاء هكذا كرة الهواء وكرة النسيم فكل جزء من أجزاء هذه المواد لاحقة بأصلها مطيعة لمجموعها ذلك للتناسب والتشابه في الصفات هكذا أخلاق الناس انهم اذا تشاكلت صفاتهم اتفقوا واذا اختلفت تفرقوا وهكذا يوم القيامة فالناس لا يجتمعون إلا حيث يتفقون ولذلك تفرق المسجون اليوم للجهل الذي فشا بينهم ولو تناسبوا في العلوم والمعارف لجمعتهم ووجدتهم وليكنهم جهالوا فالجهل فرقتهم والله هو الولي الحميد

ثم اعلم أن هذه الحكمة ألهمها الله للأمم وثبتها في العقول فنطقت بها الألسنة وكتبت في الكتب وذاعت في الأمم وانتشرت في الأقطار قدما كما ترى في كتاب ﴿ كليله ودمته ﴾ فقد جاء فيه ما نصه

﴿ حكاية العابد والفارة ﴾

حكى أن عبدا قتل فأرة ثم ندم على ما فعل وحزن حزنا شديدا على هذا الذنب ولم يجد سبيلا الى التوبة

في نظره إلا أنه يملق الفأرة في عنقه مدة ثم دعا الله أن يحبسها فتصير بذنا فأجاب الله دعاه فسارت بنتا ورباها
وترعرعت وأن زمن الزواج فسألها أي الأزواج تختار فقالت أختار أقوى الأزواج فقال لها إذن تختارين
الشمس قالت . كلا . فالسحاب أقوى من الشمس لأنه يحجبها قال إذن أزواجك للسحاب قالت . كلا .
فالريح أقوى منها لأنها ترفعه وتحميه إلى الجهات قال فلا أزواجك للريح قالت . كلا . فالجبل أقوى منه لأنه
يصده ويمنعه قال فلا أزواجك بالجبل قالت . كلا . فالقار أقوى من الجبل لأنه ينفذه ويفتح فيه حجرا فعرف
عند ذلك أنها لا ترغب إلا فيمن هو على شاكلتها فدعا الله فرجعت فأرة وتم الأمر وهذا قول الشاعر
* إن الطيور على أشكلها تقع * وقوله تعالى - الخبيثات للخبيثين - الخ . انتهى الكلام
على القسم الأول من السورة

(التَّسْمِ الثَّانِي)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا
ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ
لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * لَيْسَ
عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ * قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنْ اللَّهُ
خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَفْعَلْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ أَرْوَاجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ
أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْاِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ
أَوِ الطُّغْلَى الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ
زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ
وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ *
وَلَيْسَ لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ
بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ
وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّبَتِّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنْ

الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ *

(التفسير المفصل)

قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم) اني تسكنونها فليس مؤجر الدار ولا الذي أعارها لها حق الدخول إلا باذن فالمدار على السكاني لا على المالك (حتى تستأذنوا) تستأذنوا أي تستعاضوا . يقال آنس الشيء أبصره و بصح أن يكون من الأنس على وزن قفل فان المستأذن مستوحش قبل الاذن مستأنس بعده وأن يكون من الانس على وزن تبراى تتعرفوا هل ثمة انسان (وتسموا على أهلها) فتقولوا لهم « السلام عليكم أ أدخل ثلاث مرات » فان أذن له دخل والا رجع (ذلكم) أي ما ذكره من الاستئذان والتسليم (خير لكم) من أن تدخلوا بغتة وتحبوا تحية اهلها فتهلكوا « حينئذ صباحا . حينئذ مساء » وربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف لعدم الاستئذان وانما أنزل عليكم هذا ارادة أن تذكروا وتعلموا بما هو أصلح لكم وهذا قوله (لعلكم تذكرون) * فان لم تجدوا فيها أحدا) يأذن لكم (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) حتى يأتي من يأذن لكم (وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا) ولا تلجؤا (هو زكى لكم) أي الرجوع أظهر لكم من الالماع والوقوف على الباب فذلك مناف للرؤية (والله بما تعملون عليم) فيعلم ما تأتون وما تنفرون فيجازيكم عليه (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) كالربط والحانات والحوانيت (فيها متاع) منفعة (لكم) كابواء الأمتعة بالحوانيت وكافتاء الحر والبرد في المنازل المبنية للمسائلة وكالدخول في بيوت التجار والحوانيت في الأسواق يدخلها الناس للبيع والشراء . فهذه كلها ليس فيها استئذان (والله يعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) * قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) عما لا يحل النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) - إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم - (ذلك أذكى لهم) أنفع لهم وأظهر لما فيه من البعد عن الريبة (إن الله خير بما يصنعون) لا يخفى عليه ما يقصدون من استعمال الابصار وكل جارحة من جوارحهم فليحذروه (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) عما لا يحل لهن * روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد أمرنا باحجاب فقال رسول الله ﷺ احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله ﷺ أفعميا وان أتيا ألبسا تبصرانه . رواه الترمذي وأبو داود ثم قال تعالى (ولا يبدين زينتهن) أي ولا يظهرن لغير المحرم الزينة الخفية مثل الخلل والخصاب في الرجل والسوار في المعصم وانقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها كسائر الخلق والياب والأصباغ فضلا عن مواضعها فلا يبدى منها شيئا (إلا ما ظهر منها) عند مزاوله الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخصاب في الكف وكالوجه والقدمين ففي ستر هذه الأشياء حرج عظيم فان المرأة لا تجد بدا من مزاوله الأشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها لاسيما في مثل تحمل الشهادة والمساولة والمتاجرة وما أشبه ذلك وهذا كله اذا لم يخف الرجل فتنة فان خافها غض بصره أيضا (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) الخمر جمع خمار أي ليضعنها وذلك كما تقول ضربت يدي على الحائط اذا وضعتها عليه أي ليلقين بمقانهن على مواضع الجيب وهو النحر والصدر يسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن . ولقد كانت جيوبهن واسعة تبدو منها صدورهن وما حواليتها وكن يسدن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فأمرن أن يسدننها من قدامهن حتى تعطين (ولا يبدين زينتهن) هذا بيان لمن يحل لهم الابداء فيرون الزينة الخفية منها ومواضعها كالصدر والساق والرأس ونحو ذلك (إلا لبعولتهن) لأنهم المنصودون بالزينة فيجوز لهم النظر الى جميع البدن ويكره النظر للفرج (أو آبائهن أو آباهن أو أخواتهن أو أبناءهن أو بعاتهن أو بناتهن أو بنى أخواتهن أو بنى أخواتهن) لأن الطباع تنفر من محاسن القرائب فلمن أن

ينظروا منهم إلى ما عدا ما بين السرة والركبة . ومثل المذكورين الآباء والأبناء والأخوة وبنو الأخوة وبنو الأخوات من الرضاع . ثم قال تعالى (أولئك هم الذين آمنوا) أي المؤمنات من أهل دينهن فيجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجسس من ثيابها عند النكحة أو الكافة (أو ما ملكت أيمانهم) من الإماء والعبيد فينظر العبد من سيده ما عدا ما بين السرة والركبة كالأمه فهو كالمحرم وكذلك النساء المسلمات وهذا ظاهر القرآن وحديث أنس رضي الله عنه إذ ذهب النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة عبدا وكان عليها ثوب إذا قمعت به رأسها لم يبلغ رجلها وإذا غطت به رجلها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك أو غلامك . وقال سعيد بن المسيب هو كالأجنبي معها وتحمل الآية على الإماء دون العبيد ثم قال تعالى (أولئك الذين آمنوا من الرجال) أي الذين يتبعونكم ليصيروا من فضل طعامكم ولا حاجة لهم إلى النساء كالبهائم الذين لا يعرفون شيئا من أمر النساء والشيوخ والصلحاء وكالغنيين والخصى والخنثى والمجنون . وفي حديث مسلم أنه كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فحدث وكانوا يعتونه من غير أولى الإربة فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امرأة قال إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان فأمر صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل عليهن وأخرجوه إلى البهائم يدخل كل جعة ليطلع . وأراد بالأربع أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن ثم قال تعالى (أولئك الذين لم يظفروا على عورات النساء) أي لم يعرفوا العورة من غيرها لصغرهم وعدم بلوغهم حد الشهوة والظهور والاطلاع والطفل جنس وضع موضع الجمع والوصف يدل عليه (ولا يضرين بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) ليتحقق خلخالها فيعلم أنها ذات خلخال وهذا أبغ من النهي عن اظهار الزينة وأدل على المنع من رفع الصوت . وقد كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها لسمع صوت خلخالها فنهين عن ذلك . ثم قال تعالى (وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون) وإنما نهى على التوبة هنا لأن آداب هذه السورة لا يتخلو أحد من التفريط فيها (لعلكم تفلحون) بسعادة الدارين لأن النفس الانسانية أشبه بماء نهر النيل مثلا والقوى الانسانية من الشهوة والغضب والعقل أشبه بمجادول تجري من ذلك النهر والشهوة والغضب أشبه بالبحر الأبيض المتوسط يصب ماء النهر فيه سهلا بلا فائدة والكف عن الشهوات كنقص البصر وتجنب النساء وقلة الإفراط في الشهوات حلالا أو حراما وما أشبه ذلك أشبه بالسرد والجوس والقناطر الموضوعة في مجرى النيل وسقي الأرض من الجدول النيلية في الوجهين القبلي والبحري وخروج النبات والأشجار والحدائق الغناء والأشجار والأزهار والبهجة والنساء أشبه بتصرف عقولنا في أنواع العاوم والحكم وازدهار الآراء وجمال النفوس واشراق القلوب فكل ما حفظناه من قوانا رجع إلى قوة العقل وكل ما أضعناه من قوى النفس في البصرات والمذوقات والمموسات وجميع اللذات نقص من قوة العقل والفلاح يكون بالقوة العقلية والخيبة بالتفادي في القوة الشهوية . وبهذا عرفت الحكمة في غض البصر والكف عن المحرمات . فأنه تعالى وضع هذه القوى أمانة عندنا فإذا صرفناها في أسفل الأمور سفلنا وإذا صرفناها في أعلاها علونا . وهذه اللذات المذكورة ونحوها لم تخلق إلا لبقاء النسل فهي مقدمات والمقدمات نتائج إذ لا عقول إلا لمولود ولا ولادة إلا بهذه الشهوات . فإذا جعل الإنسان حياته مقصورة على المقدمات صار آلة ضائعة كما يضيع ماء النيل في البحر الأبيض وإذا حفظها سقى بها حقول العلوم وبساتين المعارف وجنى ثمار اللذات العقلية والثناء العاجل والثواب الآجل بل الأمر فوق ذلك فإن أعلى الجنة لأولى الألباب والعلم أعلى لذة في الجنة كما هو أعلى لذة للأنبياء والحكماء في الدنيا . فتعجب كيف كان هذا التحريم مقصودا به رقى عقولنا والعامة لا يفهمون مثل هذه الأمور وما يعقلها إلا الحكماء الذين فسكروا في الدنيا وخلقها . فالعامة يخافون من عذاب يوم القيامة وحده والخاصة يخافون منها ومن عذاب الدنيا بالجهالة ونقص القوى العقلية

ويرون الثواب والعقاب أمامهما في هذه الحياة مقدمة لما سيرونه بعد الموت فيكون قوله - لعلمكم تفعلون - معروفا لهم في هذه الحياة يقرؤنه في نفوسهم ويؤمن حلوهم ويرون الزناة والمسرفين وأمثالهم قد طوّحت بهم طوائع الدهر وقلب الدهر لم يظهر المحن وأنزل بهم العذاب المون كما أضل عقولهم فعدابهم مجمل في هذه الحياة وإن كانوا لا يعقلون أنهم معذبون ويسجنون وهم لا يعلمون أنهم مسجونون . ولما فرغ من الكلام على النهي عما يفضي إلى السفاح المخل بالنسب المؤدى إلى انقطاع الألفة وذهاب الأسرات أعقبه بما يكون سببا في بقاء النسل وهو المقصود فقال (وأذكركموا الأباي) «قارب أياكم كيتامي جمع أيم وهو العزب ذكر اكان أوأئي بكرة كان أوئيا» قال الشاعر

فإن تنكحني أنكح وإن تنأمني * وإن كنت أنفي منك أنأمني

أي زوجوا من كان أعزب من الرجال والنساء البنات والاخوات والبنين والاخوان (منكم والصالحين) للنكاح (من عبادكم) عبيدكم (وامائكم) وهذا الخطاب للأولياء والسادة وهذا الأمر للنسب

- (١) فيستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد أهمة أن يتزوج
 - (٢) ومن لا تنوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي
 - (٣) والنكاح أفضل له عند أصحاب الرأي
 - (٤) تزويج الأباي خاص بالأولياء وتزويج العبيد والاماء خاص بالسادات عند أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم كعمر بن عبد الله بن مسعود وابن عباس وأبي هريرة وعائشة وسعيد بن المسيب والحسن وشرح والنخعي وعمر بن عبد العزيز والثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد واسحق
 - (٥) يجوز للمرأة أن تزوج نفسها عند أصحاب الرأي
 - (٦) إن كانت دنيئة جاز لها أن تزوج نفسها وإن كانت شريفة لم يجز عند مالك
- ولما كان الناس عادة يتركون الزواج ويتعاشرون خيفة الفقر إذا كان الخاطب أو المخطوبة في فقر أردفه بما يفيد أنه سبحانه وتعالى يغنيهما عند الزواج إما بالقناعة والرضا وإما بالمال وإما بهما معا فقال (إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) بفضل الله يسعهما والمال غاد ورأى

وكم يسر آتى من بعد عسر * وفرج كربه القلب الشجي

وورد في حديث ﴿ اطلبوا الغنى من هذه الآية ﴾ ثم قال تعالى (والله واسع) ذو سعة إذ لا انتهاء لفضله ولا حد لقدرته فهو يسع الزوجين وجميع الناس (عليم) ييسر الرزق ويقدر على ما تقتضيه الحكمة (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا) ليجهتد في العفة وقمع الشهوة من لا يجدون ما ينكحون به من المصداق والنفقة مثل أن يصوم الشاب إذا لم يجد المال الحديث ﴿ يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء ﴾ ومعنى الباءة النكاح أى أسباب النكاح والوجاء رض الانثيين فليستعفف هؤلاء (حتى يغنيهم الله من فضله) فيجدون ما يتزوجون به

﴿ فصل في المسكينة ﴾

المسكينة أن يقول الرجل لمأوكة كاتبتك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما تؤدى ذلك في نجمين أى موعدين أو نجوم في كل نجم كذا فإذا أدت ذلك فأنت حرة ويقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة . ومتى عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق . وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده وهذا قوله تعالى (والذين يتبعون الكتاب) المسكينة (عما ملكتم أيمانكم) عبدا كان أو أمة (فكانبوهم)

(١) والأمر للوجوب عند عطاء وعهروين دينار * وقد روى أن سيرين أبا شحيد بن سيرين سأل أنس ابن مالك أن يكتبه وكان كثير المال فأبى فانطلق سيرين إلى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كتابه فأبى فضربه بالدرّة وتلا قوله تعالى - فسكانوهم - الخ

(٢) أول النذب وهو قول أكثر أهل العلم

(٣) والكتابة يجوز إلى من نجح واحد وحالة واحدة عند أبي حنيفة ولا تقل عن نجحين عند الشافعي وقوله تعالى (إن علمتهم فيهم خيرا) أي مالا أو قوة على الكسب أو صدقا وأمانة أو ألا كسب مع الأمانة وهذا رأى الشافعي . وأن يكون بالغاً عاقلاً . وجوز أبو حنيفة مكاتبه الصبي المراهق . وقوله (وأتوهم من مال الله الذي آتاكم) يقول الله آتوا أيها السادة المكاتبين شيئاً من مال الله الذي آتاكم فليس لكم فيه فضل فإن الله ربكم ورب عبديكم وأموا لكم ملكه وكذلك اعتوا أيها الحكام المكاتبين سهمهم من الصدقات العامة المذكورة في قوله تعالى - إنما الصدقات للفقراء - فإن عتق الرقاب داخل في الصدقات وهذا الأمر عام لكل امرئ فهو يحض جميع المؤمنين على عتق الرقاب . واعلم أن السيد لأحد للقدار الذي يحضه ولخط واجب وقطره بعضهم بالرّبع وهو قول علي وقال ابن عباس يحط الثلث وأنت خير أنه لأحد للخط

﴿ فصل في عدم إكراه الاماء على الزنا ﴾

روى انه كان لعبد الله بن أبي ابن سبائل النفاق جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان يكرههما على الزنا لضرية يأخذها منهما . وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إماءهم فلما جاء الاسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخاو من وجهين فإن يك خيراً فقد استكثرنا منه وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه ويقال إن إحدى الجاريتين جاءت بيرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما أرجعا فإنيأ فقلنا والله لا نفعل قد جاء الاسلام وحرم الزنا فأتنا رسول الله ﷺ وشكنا إليه فأنزل الله قوله (ولا تذكروها فتيانكم على البغاء) الزنا (إن أردن تحصناً) وذكر هذا الشرط لأنه على مقتضى السبب الذي نزلت لأجله الآية والا فلا إكراه محظور سواء أردن التحصن والعفة أم لم يردن ذلك على أن الإكراه لا يمكن إلا إذا أردن العفة فأما التي لا تريد العفة فليست بمكرهة على الزنا بل هي راغبة فيه . يقول الله - لا تذكروها فتيانكم على البغاء - (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) أي لتطلبوا كسبهم وبيع أولادهم (ومن يكرهن) على الزنا (فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم) يعني بالمكرهات والوزير على المكره . وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية يقول ﴿ هُنَّ وَاللَّهُ هُنَّ وَاللَّهُ ﴾ (ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) من الحلال والحرام (ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم) أي مثلاً من أمثال من قبلكم أي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم وهي قصة عائشة رضي الله عنها (ومودعة للفتين) ما وعظبه من الآيات والمثل . ولقد جاء هناك من العظات البالغات ما فيه - مزدجر لذكر كقوله تعالى - ولولا إذ سمعتموه قلتم - الخ وقوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم - الخ وقوله - ولا يأتل أولوا الفضل منكم - الخ انتهى التفسير المألف في القسم الثاني . وهذا لطائف

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم - الخ ﴾

عن قتادة أن الاستئذان ﴿ ثلاثة ﴾ الأول ﴿ بسمع الحى ﴾ والثاني ﴿ ليتأهبوا ﴾ والثالث ﴿ إن شاءوا أدنوا وإن شاءوا ردوا فانهم في أول مرة بما منهم بعض الأشغال من الأذن وفي المرة الثانية ربما كان هناك ما يمنع أو يقتضي المنع أو يقتضي التساوى فإذا لم يجب في الثالثة يستدل بعدم الأذن على مانع فيسأل له الرجوع ويجب أن لا يكون الاستئذان متصلاً بل يكون بين كل واحدة والأخرى وقت فامارح الباب بعنف والصباح بصاحب النار فذلك حرام لأنه يتضمن الإيذاء وكفى بقصة بني أسد زاجرة ومازل فيهم من قوله تعالى - إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون - وقد كان ﷺ لا يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن

من ركنه الأيمن أو الأيسر فيقول السلام عليكم مرتين ومن جاء مع الرسول لا يحتاج إلى استئذان وكذلك من جرت العادة له بإباحة الدخول فهو غير محتاج إلى الاستئذان ويستأذن الإنسان على أخيه وأمه لقوله ﷺ لرجل وقد سأله في ذلك « أتعجب أن تراها عريانة »

واعلم أن الاستئذان مشروع ﴿ ثلاثة أمور ﴾ الدخول في منزل الغير والنظر إلى الممرم مرعا والاطلاع على ما يكره الإنسان الاطلاع عليه . فحين دخول ذلك الغير بغير إذنه يحظر والاطلاع على المحرمات يحظر شرعا هكذا فليكن محذورا على الإنسان الدخول على أمه وأخته وزوجته وأمه للخصلة الثالثة فانهم ربما كن في حال لا يحبين اطلاع أحد عليهما فحين نجا من الحزمة مع هؤلاء بالنسبة لتحريم النظر وحظر الدخول في ملك الغير فليكن ذلك للأمر الثالث وعليه صار الاستئذان على جميع الناس قريبا وبعيدا ومحارم وزوجات وهذا هو المعنى بقوله ﷺ « أتعجب أن تراها عريانة »

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال ﷺ ﴿ تزوجوا الولود الودود فإني مباه بكم الأثم يوم القيامة ﴾ وقوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وأمائكم - قد أخذ منه بعض العلماء كما في تفسير البيضاوي « أنه يجب تزويج المولية والمملوك وذلك عند طلبها » ويقول عامة السلف ﴿ إن النكاح مستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد أهبتها ﴾ كما تقدم . فعلمت من هذا أنه قد أوجب بعض العلماء على السيد تزويج عبده وأمه في حال خاصة . ومن المعلوم أن الإنسان إذا خاف الفتنة ولم يجد سبيلا لعرثها وجب عليه النكاح . واعلم أن هذا الزمان الذي نكتب فيه هذا التفسير قد تغيرت فيه طباع أهل المدن فترى الشبان المتعلمين يفتنون ويروحون وقد أسكرهم الصبا وخامرهم الجهل وأحاط بهم الشيطان فأسدل عليهم حجابا من الخزي والعار فتترك بعضهم الزواج اكتفاء بالزنا واستخفافا بالدين فأصبح المسامون المتعلمون في الأمصار أشبه بأهل باريس الذين يفضلون الخلعة على الزواج . ولما رأيت هكذا حكومة الترك سنت قانونا تجبر فيه الشاب الذي لم يتزوج بعد السنة الثامنة عشرة أن يدفع مالا للحكومة لتنفقه على أبناء المازوجين . ولقد بلغنا أن الأمة الروسية التي أصبحت اليوم (بلشفية) أي أنها تجرى على حكم الأقلية تأمر الفتيان والفتيات بالتزويج بعد الثامنة عشرة فان لم تتزوج الفتاة قبل هذا السن زوجها لمن يريدون هم . واعلم أن هذا الأمر يجب على علماء الاسلام أن يفكروا فيه فإذا رأوا خلعة منتشرة وفسوقا واضحا فلاحج عليهم إذا أفتوا بما يحفظ الأعراض ويشغل الأرحام بالأجنة والدكور بالعفة والنساء بتربية الأولاد وليكون ذلك بحكمة وتفكير . ولقد نرى أئمتنا المتقدمين رضوان الله عليهم قد نظروا في ذلك من عدة وجوه نارة من حيث التخلي للعبادة وترك النكاح ونارة بغير ذلك كما تقدم فليفتقر اليوم علماء الاسلام إلى الخطر المحدق بالمسلمين وليعلموا أن الله خلق الذكور بقدر الاناث تقريرا ودليل ذلك تعداد المواليد فانك تراه متعادلا تقريبا في جميع الكرة الأرضية . وإذا كان التعداد جائزا ليكون الموالى لاعتل لمن يجد من يعولهم . فإذا تزوج جميع الصالحين للنكاح لم يبق هناك نساء لاعتل لمن فإذا نفذ قانون على هذا الوضع وحتم على كل صالح للنكاح أن يتزوج صالحة للنكاح فذلك لا يمنع منه ديننا فان قوله تعالى - وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين - إلخ قد قال بعض العلماء بجعله للوجوب في مسألة الاماء والعبيد ولم يبق إلا أن نعمه فيكون للجميع . وإذا صح ذلك أصبح الزواج فرضا لازما للصالحين له كفرض الصلاة والصيام . وإذا قلنا ينعى الفقر والحكومات اليوم أصبحت تساعد الذي لازوجة له فتدزل هذا المانع وإذا كانت فيه عاهة فينظر في أمره . وإنى لست أقطع في هذه المسألة . وإنما أقول إن المجال فيها متسع وديننا صالح له . فهنا أمر بقوله - وأنكحوا الأيامى - وفي الحديث . والترغيب في النكاح كثير في الشرع وإذا كانت ألمانيا وتركيا والروسيا يحرم من على أكثر نوع الإنسان . ويفرض الزواج عند البعض على كل

صالح له وصاحبه . فهل هذه الأمم تكون أسروس على اكثار النسل من الاسلام . كلا . فليكن الله يقول
 ﴿ تَزَوَّجُوا الْوُلُودَ الْوَدُودَ فَاتَى مَبَاهِ بَكْمِ الْأُمَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ولعل في قوله تعالى - ان يَتَزَوَّجُوا فُقَرَاءَ يَتَنَهَمُ اللَّهُ
 مِنْ فَضْلِهِ - رمز الى ما فعله دولة تركيا اليوم من تقسيم الأعزب واعانة المتزوج والنظر الى امبراطور ألمانيا
 (غليوم) الذى كان السبب فى الحرب كيف كان يحرص قومه على اكثار النسل وكيف أمر العلماء فاختاروا
 صورا للمتزوج وصورا للأعزب فجعل الناس يدخلون فيرون رجلا أشمط واسراة شمطاء منزوين فى ركن
 المنزل قد آذاهما البرد وهما متكعشان وآخرين معهما أولادهما هذا يعمل وذلك يلعب وهذه تلبخ وهذه
 يصنع الخبز وهذه ترتب البيت وهكذا والأبوان مستبشران فرحان فيرغب الناس فى النكاح ولذلك صارت
 ألمانيا نحو (٧٠) مليوناً . أما فرنسا فانها صارت أقل من أربعين مليوناً . فالمسلمون أولى باكثار
 النسل . واعلم أن التعدد المذكور فى الآية لا يكون إلا حيث يتخلى قوم عن الزواج هوا ولها أوفقرا .
 فأما اذا أمر الناس جميعا بالزواج فلا تعدد إلا نادرا جدا . واعلم أن التعدد اليوم فى الاسلام لا يزيد على ثلاثة
 أو خمسة فى المائة فإذا تم ما ذكرته نقص التعدد بل ينعدم وأمة الاسلام قابلة لذلك لأنه اذا كان كل امرأة
 لرجل والله قد جعل العدد على هذا المنوال ولم يخلق إلا بقدر خلق الذكور على عدد الاناث كما تقدم فيكون
 التعدد إذن نادرا جدا بل يكون خارجا عن العدل لأنه اذا كانت امرأة واحدة للنكاح فكيف تحجبها
 عن رجل صالح للنكاح ويكون قوله تعالى - فان خفتهم ألا تعزلوا فواحدة - الخ مقربا لذلك لأنه اذا كان
 خوف عدم العدل بين الزوجتين يمنع التعدد فليكن خوف حرمان الأعزب من امرأة واحدة للنكاح غير
 عدل . واعلم أن هذه المباحث أوردتها ولم أعط فيها رأيا . ولكن عرضتها لبحث العلماء وتفكير الحكماء
 ومراعاة مقتضيات الأحوال وتكون الفتيا على حسب الأحوال وهذا يحتاج الى اجماع أهل الحل والعقد فى
 الممالك الاسلامية فما أجمعوا عليه بعد البحث والتروى يصبح ديننا ومباحثى هذه مقدمات لمباحثهم المستقبلية
 إن شاء الله تعالى وسيكون فى الأمة الاسلامية من قراء هذا التفسير من ينشرون هذه المباحث . وستكون
 مباحثهم اجماعه فما استقر رأى عليه فلا خلاف فيه . اللهم اهد أممتنا الاسلامية الى سواء السراط . انتهى
 الكلام على القسم الثانى من السورة

(الْقِسْمُ الثَّالِثُ)

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَشَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاةٍ
 الرُّجَاةُ كَانَتْهَا كَوَكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ
 زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي يُثُوتِ أذنَ اللَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ
 يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ
 وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا
 وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ
 بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ

مَرِيحُ الْحِسَابِ * أَوْ كَذَلِكُمْ فِي بَحْرِ بَلْعَى يَمْشَى مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ قَوْفِهِ سَحَابٌ
 مُلَمَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَحْمِلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا
 لَهُ مِنْ نُورٍ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَمِّعُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْقَالِينَ مَا قَالَتْ كُلُّ قَدْرٍ
 عِلْمٌ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ * وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
 * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَنَّفُ بِهِهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
 خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ
 يَشَاءُ يَكَادُ مَنَ بَرْقُهُ بَالًا بَصَارٍ * يُمَلِّبُ اللَّهُ الْيَلَّ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي
 الْأَبْصَارِ * وَاللَّهُ خَاقُ كُلِّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى
 رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَفَدَّ
 أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ
 وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُ قَرِيبٌ مِنْهُمْ مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا
 إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ اسْتِشْقَى يَأْتُوا
 إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ أَلَّا
 أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
 يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * وَأَفْسَهُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَدُنْ أَمْرِهِمْ لِيَخْرُجَنَّ قُلٌ لَا تُسْمِعُوا طَاعَةً
 مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ
 مَا مُهِلَّ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَعَدَ اللَّهُ
 الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا
 يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ
 وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَهُمْ

النَّارِ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنُوا لَكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ بَنَاتِكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُجِزِبُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (الله نور السموات والأرض) مزين السموات بالنجوم والأرض بالنبات والمياه ومنور قلوب أهل السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين (مثل نوره) نور الله في قلب المؤمن (كشكاة) كصفة مشكاة وهي السكوة غير النافذة . ويقال أيضا الأنوبة في وسط القنديل (فيها مصباح) سراج صغرم ناغب (المصباح في زجاجة) في قنديل من زجاج (الزجاجة كأنها كوكب دري) نجم مضىء من هذه الأنجم الخمسة

زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد وهذه هي الأنجم الدرية منسوبة للدري في ارتفاع (برقد) المصباح
أو توقد الزجاجة أي مصباحها (من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية) أي أخذ دهن هذا للتنديل
من شجرة الزيتون بقلاة لا يصيبها ظل الشرق إذا غربت الشمس ولا ظل الغرب إذا طلعت الشمس بل هي
مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وغروبها فتكون شرقية غربية تأخذ من
الأمسين فيكون زيتها أضوأ وأصفى أو لا تأت في شرق الماء ولا غربها بل هي في الشام وزيتونه كإشراق
أجود الزيتون (يكاد زيتها يضيء) من وراء قشرها (ولولم يمسسه نار) فالزيت احسانه ونالؤه يكاد يضيء
من غير نار واجتماع المشكاة الطامة للنور والزجاجة المقوية له والمصباح المتقد والزيت الصافي يكون النور أقوى
فلولا المشكاة لفرق في الجهات الست ولولا صفاء الزيت لم يكن الضوء باهرا ولولا الزجاجة لم يكن متضاعفا
وهذا معنى قوله تعالى (نور على نور) وقوله تعالى (يهدى الله لنوره من يشاء) لنور المعرفة ودين الاسلام
ونور البصيرة وهذا النور الثاقب (ويضرب الله الأمثال للناس) تقريرا لأفهامهم ليعتبروا (والله بكل شيء عليم)
فبين كل شيء بالطرق التي يعلم أنها توصل إليه - وقوله (في بيوت) أي تلك التناديل المداول عليها بالمشكاة
والمصباح والزجاجة والزيت معلقة في مساجد (أذن الله أن ترفع) أمر الله أن تعظم فلا يذكر فيها الخنى من
القول وتطهر من الأنجاس والأقذار (وبذكر فيها اسمه) يتلى فيها كتابه ويبحث في أحكامه وأفعاله (يسبح
له فيها بالغدو والآصال) يصلح له بالعبادة صلاة الفجر والآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين ووحد الغدو
لأن صلاته واحدة وفي الآصال صلوات وهي جمع أصل ككتبت جمع أصيل وهو العشي وقوله (رجل) فاعل
يسبح ومن قرأ - يسبح - بالبناء للمجهول فيكون مستندا لقوله - له - ورجل فاعل لما دل عليه يسبح
أي يسبح له رجال (لأنهم تجارة) لا تشغلهم تجارة في السفر (ولا بيع) في الحضر (عن ذكر الله) باللسان
والقلب (واقام الصلاة) أي وعن إقامة الصلاة وحضور المساجد لذلك (وإيتاء الزكاة) المفروضة (يتخافون
يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أي هؤلاء الرجال وإن بالغوا في الطاعات من الصلاة والزكاة وذكر الله
وجاؤن خائفون لأنهم يعلمون أنهم ماعبدوا الله حق عبادته وما قدره حق قدره ويخشون يوما تضرب فيه
وتتغير القلوب فتفقه ما لم تكن تفقه وتبصر الأبصار ما لم تكن تبصر وتخشى الهلاك وتطمع في النجاة (ليجزئهم
الله أحسن ما عملوا) يقول اشتغلوا بذكر الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزئهم الله أحسن ما عملوا وهي
الحسنات كلها وهي الطاعات فرضها ونفلها . وأما غير الأحسن وهي المساوي فهو يفرها لهم أو يجازيهم جزاء
أحسن من أعمالهم من عشرة إلى سبعائة ضعف (ويزيدهم من فضله) فهو لا يقتصر على مكافأتهم على أعمالهم
(والله يرزق من يشاء بغير حساب) لكمال قدرته وسعة احسانه وفضله (والذين كفروا أعمالهم كسراب) وهو
ما يرى في القلاة من ضوء الشمس وقت الظهر يسرب أي يجري على وجه الأرض كأنه ماء يجري (بقيعة) جمع
قاع وهو الأرض المستوية (يحسبه الظلمات ماء) يظنه العطشان ذلك (حتى إذا جاءه) أي جاء إلى ما توهم
أنه ماء (لم يجده شيئا) كما ظنه (ورجدا الله) أي جزاء الله (عنده) عند الكافر (فوفاه) أعطاه (حسابه)
جزاء عمله وأفيا كاملا (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب غيره روى أنها نزلت في عتبة بن ربيعة
ابن أمية تعبد في الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر . وقوله (أو كظلمات) عطف على - كسراب -
يقول الله أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب الخ وإن كانت سيئة فهي كظلمات (في بحر لحي)
ذي لحي أي عميق والليح معظم الماء (يعشاه) يعشى البحر (موج من فوقه موج) أي أمواج مترادفة متراكبة
(من فوقه) من فوق الموج الثاني (سحاب) غطي النجوم وحجب أنوارها هذه (ظلمات بعضها فوق بعض)
أي أن البحر يكون قعره مظلم جدا بسبب غمورة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق
الأمواج سحاب بلغت الظلمة حدا لا يطاق (إذا أخرج يدك) وهي أقرب ما يرى إليه (لم يكديراها) لم يقرب أن يراها

فنبهنا عن رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نورا) ومن لم يوفقه لأسباب الهداية (فقاله من نور) وأما الموفق
فله نور على نور كما تقسم في مثل المشكاة . واعلم أن الآيات المتقدمة قد اشتملت على ﴿نحطين﴾ ﴿الخط الأول﴾
تسبيح الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله في مثل المشكاة ﴿والخط الثاني﴾ السحاب المندرج
في مثل أعمال الذين كفروا إذا كان فوق لأسواج الهاشمية في البحر المالح لذلك أخذ يذكر ما يناسب الأول
قائلا سبحانه إن كل من في السموات والأرض يسبحون له . وخصص نوعا منها بدين الصنيع عجيب الوضع
والإحكام وهي الطير حال كونها صافات باسقاط أجنحتها في الهواء مع ثقل أجسامها . فبالحكمة ارتفعها
وبالنظم البديع طيراتها مخالفة لسائر اللواب الأرضية إذ قويت على مخالفتها ومخالفة القوة الجاذبة الأرضية فعلت
إلى الجوّ وعاشت في الهواء الطلق فدلائها على المبدع الحكيم أقرب وابداعها أحكم كل واحد مما ذكر (قد
علم) الله (صلاته وتسبيحه) دعاءه وتزنيه وذلك إما باختياره كالإنسان وأما بطبعه كسائر الحيوان والطير
فإنها وإن لم تصل كصلة الإنسان فإن غرائزها المستمدة من النور الأعلى تستمد الرزق والأحوال من المبدع
وهذا الاستمداد والطلب في معنى الدعاء بالفرية والطبع وهي بما ركب فيها من دقائق الصنعة وبدائع الحكمة
وما حلت به من الريش الناعم البهيج المخوف الخفيف والمناكير المحمّدة المساعدة على النهوض في الهواء . بذلك
كأنه تدل على حكمة نظمها وحكيم أبداعها . ألم تر إليها كيف كتب الجبل والارضاع على ذوات الأربع ولم تحمل
في مالا طاقة لها به بل حكم عليها أن تبيض ولم تحمل أذى الحمل والارضاع خيفة أن يعيقها عن الطيران
وخف ريشها وكان محوفا ولم يكن لها كرش ولا أمعاء واستغنى عن ذلك كله بغيره من الخصولة والقانصة . كل
ذلك ابداع واتقان لئتم أمر الطيران بحقة الأجسام . فتبارك الله أحسن الخالقين . (والله عليم بما يفعلون) *
ولله ملك السموات والأرض) فهو يشعلهما بعلمه ويمسكهما بقوته . فبالعلم يقدر المصنوع وبالتدرة يفعل ما
يقتضيه العلم من الحكمة فلذلك كان تدبيرها محكما بحيث خصص كلا بخاصة لا يشركه فيها سواه (والى الله
المصير) المرجع . ثم أخذ سبحانه يذكر ما يلائم ﴿الخط الثاني﴾ فقال (ألم تر أن الله يري سحابا) يقول
الله بعد أن ذكر في المثل الثاني أن السحاب فوق الأمواج المتراكمة يزيد الجوّ ظلمات ويوقع الراكب في حيرة
ألم تر أن الله يسوق سحابا (ثم يؤلف بينه) أى يضم بعضه إلى بعض (ثم يجعله ركاما) متراكما بعضه فوق
بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل (وينزل من السماء)
من الغمام وكل ما غلاك فهو سماء (من جبال فيها) من قطع عظام أشبه الجبال في عظمها وألوانها (من برد)
من التبويض واللان قبلها للابتداء أى أنه ينزل البرد من السماء من جبال فيها . وذلك أن الأبخرة إذا
تصاعدت فبالت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمعت وصارت سحابا فإن لم يشتد البرد تقاطر
مطر وان اشتد فإن وصل إلى الأجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والآنزل بردا وقد يبرد الهواء بمافيها
من البخار بردا مفرطا فينبض وينعقد بخاره سحابا وينزل منه المطر أو الثلج . وهذا المقام قد أوضحته فيما تقدم
في ﴿سورة الرعد﴾ وستوضح قريبا (فيصيب به) بالبرد (من يشاء وبصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه)
ضوء برقه (يذهب بالأبصار) بأبصار الناظرين إليه من فرط الاضاءة وذلك من انجذاب أن السحاب الذي
ضرب به المثل في تقوية الظلمة يكون منه نور يكاد يذهب بالأبصار فهذا قد اشتق النور من الظلام والهداية
من الضلال . فالسحاب الذي ذكر مثلا لظلمة أعمال الكافرين أضاء الجوّ بنور وأشرق في سائر الأقطار
وكاد يخطف الأبصار ولذلك أعقبه بما هو من قبيله فقال (يقرب الله الليل والنهار) بالمعاقبة بينهما وبأن
ينقص من أحدهما ما زاد في الآخر بتغيير أحوالهما نورا وظلمة وحرا وبردا وغير ذلك كما كان السحاب
ظلمة واشتق منه نور البرق الذي يبهز الأبصار (إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار) لدلالة لأهل العقول والبصائر
على قدرة الله وحكمته

﴿ فصل في علم الحيوان ﴾

اعلم أن الله تعالى لما ذكر مثل المؤمنين بالمشكاة ومثل أعمال الكافر بالسراب وبالظلمات وذكر منها السحاب ثم جعل ذلك السحاب موضوع نظر وبحث وبين نظامه وعجائبه وأن الماء ينزل منه أنبوه سبحانه بذكر الحيوانات لأنها من الماء النازل من السحاب . وذلك أنه مامن حيوان إلا وهو مركب من مواد أشهرها الماء قلنا نزل من السحاب وجرى في النهر وتفرقت منه أجزاء فدخلت في جسم كل حيوان (١) فمن الحيوان ما يتكاثر بالانقسام بمعنى أنه إذا بلغ أشده انقسم إلى اثنين كل منهما إلى اثنين وهكذا على التعاقب

(٢) ومنه ما ينقسم الحيوان منه إلى عدة حيوانات

(٣) ومنه ما إذا بلغ أشده انفجر فخرج منه حيوانات صغيرة تموت وتناسل ويموت هو

(٤) ومنها ما ينقسم بالتبرعم وذلك أنه ينبت على جسم الحيوان تنوء كالبرعم ثم يبلغ فينفضل ويصير

حيوانا مستقلا

(٥) ومنها ما ينقسم بالبيض إذ يتكوّن الجنين في البيضة كما يحدث في ذوات الفقرات . فنه ما يخرج فيه البيضة من الأتق قبل باوغ الجنين وتم حضانتها في الخارج كالطيور وبعض السمك . ومنها ما تبقى البيضة في الرحم ويتكوّن الجنين فيه ثم يولد كاملا كالإنسان وذوات الأربع من البهائم والوحوش والسيّاح وما أشبه ذلك . فكل هذه تلد الجنين بعد أن يتر في بطنها وهذه الحيوانات على اختلاف أنواعها مكوّنة من الماء مختلطا بغيره فمزجابه متوحدا معه وهي

(١) إما حيوانات فقريّة ذات عظام ودم وهي (أ) الإنسان (ب) وذوات الأربع (ج) والطيور (د)

والسمك (هـ) والزواحف كالحيات

(٢) وأما حيوانات حلقيّة قد تركب جسمها من حلقات (١) وهي الحشرات كالذباب وأبى دقيق من

كل ماله ستة أرجل (٢) والعناكب وهي ذوات ثمانية أرجل (٣) وماله أكثر من ٤ أرجل (٤) وقارض

الخشب (٥) والود

(٣) وأما حيوانات قشريّة ليس لها عظام ولا دم ولا حلقات تركب منها جلدها وإنما جسمها هلامي قد

يحفظ في قشر يحيط به وذلك كالقوقعة وغيرها مما تقدّم شرحه في هذا التفسير

(٤) وأما حيوانات شعاعية تظهر على شواطئ البحار كالحيوان المسمى ﴿سمك النجم﴾ وغيره مما

تقدّم شرحه موضعا ولعلها تتضح بأوسع من هذا قريبا

هذه هي أقسام الحيوانات وقد علمت أنها كلها خلقت من ماء أي أن الماء داخل في تركيبها فتعجب كيف

ذكر الله السحاب في مثل أعمال الكفار ثم شرح السحاب وعجائبه ثم ذكر الحيوان المخلوق من الماء من

حيث تركيبه منه وكذلك أكثر الحيوان يتولد من نقطة وإنما قلنا أكثر لأن بعضه قد رأيت أنه يتولد من

تنوء في الجسم أو بالانقسام . فهذا ليس تولده من نقطة بل ذلك بالانقسام . وربك يخلق ما يشاء ويختار

ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون . وإذا فهمت هذه المقدمة عرفت أيها الذكي قوله تعالى

(والله خلق كل دابة) حيوان يدب على الأرض (من ماء) وهو جزء مادته أوماء مخصوص وهو النطفة وقد

علمت شرحه وأفيا كاملا (فمنهم من يمشي على بطنه) إشارة إلى الزواحف التي هي من ذوات الفقرات كالحيات

(ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) وذلك كالطيور وكذوات الأربع كما تقدّم (يخلق

الله ما يشاء) بما ذكر وما لم يذكر ومنه ذوات الخلق وذوات القشر والحيوانات الشعاعية وما يمشي على ستة

أرجل وعلى ثمانية أرجل وعلى أربعين رجلا . وهذه تقدم أنها من ذوات الخلق (إن الله على كل شيء قدير)

وهو بقدرته نوع الحياة فلم يخص بها ذوات الفقرات ولا ذوات الملققات ولا الملققات ذوات القشر التي جسمها رخو فتراه جعل الحياة سارية عاتة فلا ينجبها فقد العظم ولا فقد السم ولا فقد الملققات ولا فقد القشر . وترى السوداء السارية التي لا عظم لها ولا جلد عاتشة فرحة . وترى نوع الحشرات وحده كالغمل والذباب والبعوض والناموس والجنادب والخنافس والنحل والحيلان ودود القز وشعورها أصنافا كثيرة ربما زاد عددها على مجموع سائر أصناف الحيوانات من الدود إلى الانسان . واقتدروا أن الخنافس وحدها نحو (٨٠٠٠) صنف ولتلك يقتدرون الحشرات المعروفة بنحو (٧٠٠٠٠) ويتوقعون أن تبلغ بما يكشفونه من أنواعها الصغيرة مليون صنف . وهذه الحشرات كلها ما علم منها وما لم يعلم عر في دور التكوين على ثلاث درجات فهو يكون دودة لدنة الملمس تنسل بين التراب والأعشاب ثم تصير جنديا صلب القشر يثب وثبا ثم تصير فراشة ذات أجنحة تتألا بالألوان الزاهية . وقد تأكل في دورها الأول التراب فتعضه وتصبح في دورها الثاني لانهمض إلا أوراق العشب السدية . ومنها دود الحرير فهو يكون دودا قشريقة ففراشة ثم تبيض الفراشة بزورا والبرور تصير دودا والدود يفرز لعابا واللعب يصير خيوطا وهو الحرير يصنع به غلافا يكمن فيه وهي الشريقة ثم يخرج من الشريقة فراشا بأجنحة يتراوح ويبيض . ومنها الذباب الاعتمادي فهو يلق بزورا صغيرة بيضاء تصير دودا أبيض وهو السود المعروف الذي يساعد في اللحم المتفنن والجبن والمش القديم ثم يتحول ذلك الدود إلى جنادب تدب لا أجنحة لها ثم يتحول إلى فراش يطير ومنه الذباب الفارسي فانه يكون في الدور الأول دودا ثم يتخلع ثوبه ويصير جنديا يدب تحت الماء يتسلق الأعشاب المائية وله قوائم قصيرة بالأجنحة ولا يمش إلا في المياه والأوحال فاذا جاء أجل انتقاله إلى فراش تساق أوراق العشب وتخلع ثوب (الجندية) فاذا هو خارج من تحتها ذا أجنحة صغيرة جيلة وبعد قليل تصير كبيرة يطير بها إلى حيث يشاء . وكان الناس قبلا يظنون أن كل دور من هذه الأدوار حيوانا مستقلا فالدودة غير الجندب والجندي غير الحشرة الطائرة وهكذا . واعلم أن الناس يأكلون الجبن واللحم ويرون فيهما السود ولا يخطر ببالهم أن هذا الدود هو عين الذباب الذي يطير على وجوههم وطعامهم أنه هو وهذا الدود هو الذي يصير جنديا أو شريقة ثم يصير حشرة طائرة وهي التي تبيض وبيضا يصير دودا . ومن ذلك الناموس فانه يضع بزورا في الماء تصير دودا فيه وذلك الدود يصير شريقة وهي تصير ناموسة وهكذا . والطريقة لآبادة الناموس ردم المستنقعات والأجام أو غطية سطوحها بالسائل المسمى بتول . وهذه الأدوار الثلاثة لهذه الحشرات مختلفة . فالدودة لا تعمل لها إلا الاغتذاء كالأطفال في بني آدم فهي تموت وتزيد ثم تنكس كما نرى دودة الحرير وقد تنكس ثوبا تنسجه على نفسها من خيوط فهي حينئذ الشريقة وهي كجثة مخنطة ملفوفة بالأكفان ثم لانبت أن نرى الحياة أخذت تدب في تلك الجثة رويدا رويدا حتى تبث من مرقدتها وتخلع أكفانها وقد لبست ثوبا جديدا زاهي اللون من أزرق أو أخضر أو أحر أو ذهبي أو عقيق أو بنفسجي . فتعجب من حشرة بهجة اللون بدعة التركيب منقشة مرقشة نشأت من رمة جافة لا يظهر للحياة فيها أثر . ومن هذا نشأ تقديس المصريين للقدماء الجعلان (جمع جعل) فانها تنشأ من رمة مائة فرموا بها للحياة والخصب وأكثروا من رسمها في كتاباتهم وتقشوها على ألحيا كل وصنعوا لها التماثيل بأقدار مختلفة وكانوا يصلون لها . فاعجب لصنع الله وكيف خلق هذه الجحائب ولون الألوان وأبدع الأشكال وحير الألباب حتى جعل علم الحشرات مدهشا . وقد تقدم بأوسع من هذا في آخر (سورة الحج) ولعمري ان المسلمين أحق الأمم بفهم هذه الجحائب

أي عذر للمسلمين في جهالتهم . يقول الله في هذه الآيات - فمنهم من يمشی على بطنه ومنهم من يمشی على رجلين ومنهم من يمشی على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - . فانظر كيف قال انه يخلق ما يشاء وقال انه على كل شيء قدير مشيرا بذلك إلى الاختلاف وحسن الصنع الذي رأيت

وكيف كانت المشترات ، وضع الجذب للأدم حتى قدس القديسون من الأدم منها لأن عبادهم لم يبنوا لهم عجائب إلا عجائبها ولوانهم فتحوا لهم باب العلم على مصراعيه كما فتحه القرآن لم يقفوا في العجائب عند حد الجعلان فقدسوه بل القديس لصاحب القسمة الذي زين ونقش وزخرف وأبهج صنعه وأبدع انتقاده وجعل دودة ربما هضمت الطين فتعير فرشة لانهضم الطين ولأننا كنه بل نأكل ما هو أطف . إن هذا العالم عجيب . وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحانه الله وتعالى عما يشركون . وههنا أربع لطائف (١) في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - إلى قوله - كمشكاة فيها مصباح - الخ

(٢) وفي قوله - والله يرزق من يشاء بغير حساب -

(٣) وفي قوله - والطير صافات - الخ

(٤) وفي قوله - وينزل من السماء من بابل فيها من برد - إلى قوله - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار -

اللطيفة الأولى في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح -

اعلم أن هذه السورة قد بين الله فيها أحكام الزانية والزاني وجمعهما وبين حكم من رمى زوجته بالزنا وعقابه وبين حكم الملاعنة وكيف يتفرق الزوجان بها ثم قصة الإفك وكيف خاض الناس فيه وجعل هذا الحديث حديث مريم ابنة عمران في عفتها وانها أحصنت فرجها . ثم أبان كيف يجب أن يعفو الإنسان عن من ظلمه كما أمثل أبو بكر الصديق رضي الله عنه فعفا عن مسطح . ثم أمر الرجال والنساء بفحص الأبصار وحرم عليهن أن يظهرن زينتهن لغير المحارم ثم بين حكم النكاح والمكاتب كثيرا للنسل في الأول وحفظ الفرج واعتقا للعبيد الذين هم عباد الله و بين أنه يجب أن ينفق من المال في سبيل العتق فإن المال مال الله والخلق عباده فتجا لباب الحرية لأن نبينا ﷺ أرسل رجة للعالمين ومن رجة لهم أن يكون دينه فاتحا لباب الحرية وإطلاق العبيد من رقهم . ثم ختم ذلك بأن هذه آيات مبینات ومواعظ للتعقین . ولما كانت هذه الأحكام إنما أتت بها لتعليم الأخلاق والآداب وحفظ المجتمع مما يقوِّض دعائه وتقويته بما يكثر النسل فيه وكان ذلك مقدمات لما هو أعلى صراما وأجلا وأعظم وهي المعارف والعلوم أردفه بقوله - الله نور السموات والأرض - كأنه تعالى يقول أيها الناس لا تلهكم الأحكام الشرعية من الحلال والحرام وأحكام الزنا والنكاح والقذف وما أشبه ذلك لا تلهكم عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال في آية أخرى - يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله - فههنا كأن الله يقول لا تلهكم أيها الناس أحكام النكاح والقذف والعتق وحده والزنا وعقابه عن وظائف الأمور وجلالها . أيها الناس ارفموا رؤسكم إلى أعلى . انظروا إلى جلال ونوري في شمس وفي قمر وفي النبات والزهر والنهر . أنا لم أخلقكم في هذه الأرض لتسكنوا فيها خالدين وإنما خلقتكم لتعبثوا آمنين آمدا ثم أنقلكم إلى دار أجل من هذه وإن تناولوا تلك الدار الجيلة إلا إذا نظرتم جدلي وفهمتم بعض حكمي وابتدأ ذلك بقوله - الله نور السموات والأرض - الخ

واعلم أن الله جعل هذا المثل نبراسا لعوالم المشرق . ضربه بما شاهدته كل يوم في مساجدنا . يقول الله أي عبادي أتريدون أن تعرفوا حكمي في خلقي . انظروا القناديل المعلقة في مساجدكم . انظروها فلا ترون أنبوبة فيها زيت أحاط بها زجاجة اشتعلت فيها نار فأضاءت المساجد وأنتم تصلون فيها . فهذه نظام مركب تركيبا أنتج هذا النور الذي أشرق على أبصاركم فأضاء لكم مساجدكم هكذا نوري المشرق في عجائب خلق . وههنا أخذ الناس يفكرون في ذلك التمثيل فقوم خصصوه

(١) فقالوا ذلك تمثيل لمحمد ﷺ

(٢) وقوم قالوا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام

(٣) وقوم قالوا ذلك لسكر مؤمن فعمموا

(٤) وقوم قالوا : كلا ، بل هو لكل انسان أى لقواء الدراكاة

(٥) وقوم قالوا بل هو لقواء العاقلة

(٦) وقوم قالوا فهو للقرآن

اختلفت أنظار العلماء في هذا التمثيل على مقدار فهمهم وبهتخي نفارهم ومقامهم في العلم فن كان لا يعرف إلا الايمان قال به . ومن كان مضمورا في نور النبوة قال بها . ومن كان ذا نظر في السموات والأرض والعالم عجم المثل فتارة أرجعه لنفس الانسان وتارة لقواء الدراكاة وتارة لقواء العاقلة وهذا أعم الأقوال لأن الانسان يشمل الأنبياء والايمان القائم بالقلوب . واعلم أن هذا المثل اللفظي الذي جعل مشابها كلاً لجناب أجسامنا وعقولنا وادراكنا أشبه بما نصبه الله في الأرض من الأجسام الانسانية إذ أحكم صنعها ونظم أعضائها وخلق وسوى وقدر وأحكم جعلها العلماء تمثيلاً لأمور وهي

(١) كالسفينه تركبها الروح في بحر الحياة اللججى حتى تصل الى شاطئ الموت

(٢) أو كالدار فيها السكان المختلفون من القوى الدراكاة وأعضاء الحس وأعضاء الحركة والهاضمة والمصورة والغذية وما أشبه ذلك وفيها أمتعة كالصفراء والدم والبلغم ونحوها

(٣) أو كاللوح والنفس تنقش فيها وترسم وتعلم حتى اذا علمت ما تطيقه رمت باللوح وراحت الى ربها كما ان الطفل يقرأ في اللوح ويتعلم حتى اذا عرف القراءة المطاوعة ترك اللوح وذهب الى ما يريد

(٤) أو كالمدينة والروح ملكها والأعضاء منازلها الخ

(٥) أو كالـكان والروح صايرها والأعضاء الباضعة متاعها والأعمال تجارتها والريح والخسارة في آخرتها وهكذا . هكذا هذا المثل وهو قنديل المسجد

﴿ الوجه الأول من الوجوه السابقة ﴾

إن هذا التمثيل لنور محمد ﷺ فالمشكاة مصدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد ﷺ وأمره يقين للناس ولولم يسكنهم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولولم تمسه نار

﴿ الوجه الثاني ﴾

المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لاشرقية ولاغربية لا يهودى ولا نصرانى - توقد من شجرة مباركة - وهو ابراهيم عليه السلام - نور على نور - نور قلب ابراهيم ونور قلب محمد ﷺ وهذان الوجهان متقاربان

﴿ الوجه الثالث ﴾

المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ . سمي الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة ابراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه - لاشرقية ولاغربية - يهنى ابراهيم لم يكن - يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما - لأن اليهود تصلى الى الغرب والنصارى تصلى الى الشرق

﴿ الوجه الرابع ﴾

انه لكل مؤمن وهذا أرق مما قبله وأوسع مدى على حسب ارتقاء النظر واتساع الفكر فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح الايمان في قلبه والقرآن يوقد من شجرة مباركة هي شجرة الاخلاص لله وحده وهذا التمثيل وإن كان أعم مما قبله فهو قاصر على قوم مختصين

﴿ الوجه الخامس ﴾

إن هذا تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكاة الحس التي بها المعاش والمعاد وهي الحساسة التي

تدرك بها المحسوسات بالشرائح الخمس . والقوة الخيالية التي تحفظ صور تلك المحسوسات في ذهنها على القوة العاقلة متى شئت ثم العاقلة التي تدرك الحقائق السكائية وتستنتج . ثم القوة القدسية التي تكمل فيها أنواع الغيب الخاصة بالأنبياء فهذه كلها بالمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت . ألا ترى وعاك الله أن المشكاة بمعنى المشكاة قد شابهت مجال البؤاس التي قد وضعت فيها ووسبها إلى الدالاس ولا تدرك ما وراءها كالعين فانها لا تدرك ما خلفها ولا يمكن تدرك ما أمامها ثم انك تعلم أن الانسان اذا أدرك المحسوسات وسورت في نفسه صارت في القوة الخيالية كما يحس به كل انسان فاننا اذا أغضنا أعيننا فاننا ندرك في أنفسنا تلك الصور التي رأيناها فهذه القوة التي حفظت تلك الصور فسميها الخيالية فهي كالزجاجة تقبل صور المذكرات وتنبطها ثم إن قوتنا المتفكرة أكبر من هذه القوة الخيالية فان هذه القوة السكائية فيها تتعبر في الصور التي في قوة الخيال فنقول هذا حسن وهذا قبيح وتستنتج فهي كالمصباح . فأما القوة العاقلة فهي كالشجرة المباركة لأنها تؤدي إلى ثمرات لانها لها . فأما كونها زيتونة لاشرقية ولا غربية فذلك انها تجرد للمعاني عن الصور وتخرج القضايا السكائية التي لا تخص شياً بعينه أي لا تنقيد بالجزئيات . فاذا أدركت أن الشكل أكبر من الجزء وأن الشئين المتساويين شئ واحد متساويان فلم يكن هذا المعنى خاصاً بشئ دون شئ فهو لاشرقى ولا غربى بل هو عام . فأما الزيت فهو كالقوة القدسية الخاصة بالأنبياء فهي أشد صفاتها تسكاد تضيء بالخعارف من غير تعاليم ولا تفكر

﴿ الوجه السادس ﴾

إن هذا تمثيل للقوة العاقلة وحدها . فهي في بدء أمرها غالية من العلوم ثم تنقش فيها العلوم بالحواس الخمس فتصير كالزجاجة ثلاثية في نفسها قابلة للألوان ثم تعرف العلوم بفكرها كالشجرة الزيتونة أو بالحس كالزيت أو بقوة قدسية كالتى يكاد زيتها يضيء فانها تسكاد تعلم وإن لم تتصل بها العلوم . فان اتصلت بها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شئت فهي المصباح فاذا استحضرت بها كان نوراً على نور

﴿ الوجه السابع وهو أسهلها ﴾

قال ابن عباس ﴿ هذا نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تحس النار فاذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوئه كذلك يكاد قلب المؤمن يعلم بالهدى قبل أن يأتيه العلم فاذا سلاه العلم ازداد هدى على هدى ونوراً على نور ﴾

هذه هي الوجوه السبعة التي ذكرها العلماء . وأنت ترى أن الآية صالحة لها جميعها لأن الأنبياء ونوع الانسان والعقول كلها تشابه تلك القناديل المعلقة في المساجد . وكأن الله يقول لعباده بهذا المثل انظروا إلى هذه القناديل المعلقة في مساجدكم التي نورت أرضها وحيطانها . هكذا أنا أنرت قلوبكم وقلوب أنبيائكم وعقولكم وحواسكم وأنعمت عليكم بنعمة الحواس والخيال والعقل والقوى المدركة ، فابراهيم ومحمد والمؤمنون ونوع الانسان وحواسكم وعقولكم وخيالكم وقواكم العاقلة . كل هذه أنوار مثل لها بهذه القناديل . أنى نور السموات والأرض . أنرت السموات بالسكواكب والشموس وأنرت السبل والطرق بالنجوم وجعلتها علامات لكم وجعلت كل شئ بحساب ونظام وجعلت هذا القنديل مثالا لكم وأنتم تصلون في مساجدكم فهذا القنديل أذكركم بنورى في سمواتي بالسكواكب والشموس والأقمار . وهو مثال أيضاً للأنوار المشرقة في نفوس أنبيائكم كمحمد وابراهيم وقواكم العاقلة والحاسة والخيالية وعجائب نفوسكم . إن نورى مشرق في العالم العلوى والسفلى

﴿ عجائب القرآن في قوله تعالى أيضاً - الله نور السموات والأرض - ﴾

انظر أيها النكى إلى نظم القرآن وعجائبه . انظر وتعجب . انظر كيف أتى بعد آيات العتق والنكاح والقذف والملاعنسة بآيات النور . يقول الله أيها المسامعون . إياكم أن يشغلكم أحكام الشرع وإقامة الحدود ونظام

الأسرار والزواج والعق والمكاتبه وأحكام الحرام والحلال عن النظر إلى عجائب خاقي . إياكم أيها المسلمون أن يصرفكم صارف عن عجائب صني . إياكم أن يصدكم علم الفقه عن علم الكائنات . انظروا إلى السراج الموضوع أمامكم في كوة المسجد . انظروا . إن سمرقاني فيها سراج من الشموس والأقمار والسيارات . إن عقولكم فيها سراج . إن سواسكم وقواكم الداخلة فيها سراج . إن دينكم سراج . إن أنبياءكم سراج . إن المؤمنين سراج . إنني أضأت كل شيء بأنوارى وعالمى ظاهرا وباطنا . إن مساجدكم يسبح فيها قوم بالقدوس والآصال فلانهم تجارة ولا يبيع . هكذا لا يشغلكم ما تقدم من علوم الفقه في هذه السورة وغيرها عن النظر إلى عجائب صني . هذا هو الذي فهمته أيها الفكي من هذه الآية وقوله - رجال لانهمهم تجارة ولا يبيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة - الخ

اللهم إني أسألك أن تفسرنى على تمام تفسير القرآن وأن تنشره بين المسلمين . اللهم إني أسألك أن تنير بصائرهم كما أنرت السموات والأرض وأشرقى الأرض بنورك . اللهم ابث فيهم رجلا منهم يرشدونهم إلى مقاصد القرآن فتترقى الأمة إلى سبل النجاح وطرق الفلاح

﴿ إيضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد ﴾

تبين لك فيما تقدم أن الله عز وجل علم قبل أن ينزل القرآن ضعف النوع الانساني وأن المسلمين بعد القرون الأولى سيصعبون قاصرين على الأحكام الشرعية وهم فيها غير ماعين ولا منمومين ولكن الموم والذم إنما يتوجه إليهم لقصورهم واقتصارهم على الأحكام الشرعية . لذلك تراه في (سورة البقرة) لما ذكر الخيض والرضاع والنفقات والطلاق والعدة والرجعة وما أشبه ذلك فاجأ المسلمين بقوله - حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين - ولقد بينا هذا القول هناك فارجع إليه كأنه يقول للمسلمين إياكم أن تشغلكم القضايا والشهود والزواج والطلاق والعدة والمهر والنفقة والعدة وسائر الأحكام الشرعية عن التوجه لله فان هذه أمور لحفظ نظامكم وارتقاء مدنكم واسعادكم في الحياة الدنيا . فأما ارتقاء العقول فانما يكون باتجاه النفوس إلى خالق الكون وذلك بالحفاظة على الصلاة والتوجه إلى الله فيها . هذا ما كان هناك . ولكن اسمع ماهو أعجب هنا . هناك ذكر الصلاة وهنا أتى بما هو أعظم مقاما وأبدع إحكاما . لم يكتف بالصلاة بل ذكر المقصود الأعظم من الصلاة ومن جيع هذه الحياة إذ عبر بالنور الذي عم السموات والأرض نور الشمس ونور القمر ونور السراج . ومالنور السراج إلا أثر من آثار أنوار الشمس . ألا ترى إلى الزيت كيف كان في الشجر والشجر كيف كان عناصر أرضية والعناصر الأرضية كانت مادة ساذجة لاصورة فيها والمادة قبس من نور العقول المجردة فاضت من ذلك العالم الأقدس بالنظام الأكمل فذكر نور السموات والأرض بالكواكب ومثل بالسراج الذي هو أثر من آثار النور العام مثل به لما هو أتم وأكمل وهونور العقول والبصائر . وإيضاحه أن نقول . اعلم أن العقل عند الحكماء كأرسطاطاليس وأفلاطون وسقراط والفارابي وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد وأضرابهم إما عقل بالقوة وإما عقل بالفعل وإما عقل مستفاد وإما عقل فعال وهذه هي التي ضرب لها مثل المشكاة على حسب الحقيقة وما تقدم إنما هو اجال وهذه المباحث لا يعقلها إلا الحكماء . ولكنني سأضرب لك مثلا يوضح المقام لك حتى تطلع على عجائب الحكمة وبدائع العلم وتقف على السر المصون والجوهر المكنون فأقول

تصور شابا ذكي الفؤاد رائع الفكر قوى الذهن مستعدا للتجارة فهذه حال أولى وهو في صغره ثم إن هذا الشاب تعاطى التجارة وأخذ يقلب المال لقصد الربح فكبس ألفا وبالألف كسب ألفا أخرى وبهما كسب ألفين وهكذا فهذه حال ثانية . ثم إنه إذا اجتمع عنده آلاف ونال الفنى على مقدار طاقته بحيث لا يقبل الزيادة وأخذ يقلب المال كما صرة بعد أخرى فهذه حال ثالثة . فهذه الأحوال الثلاثة يمكننا أن نسميها على الترتيب

غنى بالقوة وغنى بالفعل وغنى مستفاد فهو قبل أن يملك شيئاً غنى بالقوة أى أنه فى إمكانه أن يكون غنياً وغنى ملك شيئاً بعد شئ يقال أنه غنى بالفعل بالنسبة لما يملكه وبالقوة بالنسبة لما لا يملكه فإذا تمّ غناه يقال أنه غنى بالفعل ولم يبق هناك ما هو بالقوة بالنسبة له فإذا قلب المثال كره بعد آخرى يقال إن هذا غنى مستفاد . هذا مثال أول (المثال الثانى) شاب ذكى كالتقدم جوان ملك فهو قبل أن يملك يقال له ملك بالقوة فإذا مدسكه أبوه ولاية يقال له قد ملك بالفعل شيئاً وبالقوة شيئاً آخرى فإذا مات أبوه وولى مكانه قيل أنه ملك بالفعل فإذا أتى الأوامر مرة بعد أخرى قيل ملك مستفاد مثلاً . هذان المثالان إذا عقيتهما أدركت ما سأوضحه لك الآن فأقول . اعلم أن العقول الانسانية فى أول أمرها مستعدة لاقتناص الصور من هذه المادة التى نعيش فيها فكل أمرىء فى أول حياته ينظر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس وهذه الذوقات والشمومات والملموسات والمسبوعات والمبصرات صفات المادة وصورها وهذه الصور جلايب للمادة وقد عدها الحكماء فكانت (٣٦) كالألوان والأصوات الخ فهذه الجلايب التى كسبت بها المادة خلق العقل ليكتسب بها ويلبسها فإن الطفل نراه مستعداً لفهم ماحوله ودراسة فهو قبل فهم الأشياء عقلها بالقوة لا بالفعل أى أنه مستعد للعقل فإذا عقل صورة بعد صورة وعلمها بعد علم يقال أنه قد عقل شيئاً بالقوة وشياً بالفعل فاعرفه صار معقولاً بالعقل ومالم يعقله صار معقولاً بالقوة فإذا انتهت معارفه بأن درس جميع العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والسياسية والأخلاقية بحيث وصل الى ما يطيقه نوع الانسان يقال إن له عقلاً بالفعل فإذا استحضرت هذه العقولات التى خزنها عنده بعد أن صارت بالفعل يقال إن هذا العقل مستفاد . هذه هى المراتب الثلاث التى تقدمت فى مثال التاجر وفى مثال ابن الملك . فهذا العقل المستفاد فى نوع الانسان الذى لا يكون إلا لأكابر الحكماء له نظير فى عالم غير عالمنا وهو العقل الفعال . ومعنى العقل الفعال العقل الذى لم يقتصر علومه من المادة بل علومه مغروسة فيه بفطرته فإن المادة قد كسبت انصور اللاحقة بها من ذلك العقل ورسم فيها ما كان مرتسماً فيه وجميع الأحوال القائمة به ترسم فى المادة مقسمة عليها وتلك العلوم فى العقل الفعال غير منقسمة فيه لكنها منقسمة فى المادة موزعة عليها فنراها جمعت بين الزرع والحجر والنهر والكوكب الخ ولكن العقل الفعال جمع هذا كله غير مفرق ولا منقسم كما إن عقولنا تجمع هذا وهى غير مقسمة ولا مجزأة بل هى واحدة منزّهة عن التقسيم كما هو مبهر من عليه فى كتب الحكماء . وهذا العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا . فإذا كانت أبصارنا مستعدة للأبصار ومعنى كونها مستعدة أنه لو أشرق نور فى الهواء وعلى قرنية العين وعلى عدسيتها وأحضر الصور على شبكيّتها أدركته ووصلته للعين فهكذا عقولنا إذا أشرق العقل الفعال عليها اشراقاً معنوياً كاشراق الشمس فى الهواء وفى العين فإن المعانى تتمثل فى عقولنا كما رسمت الصور الصور فى القوة الباصرة فالعقل الفعال كالشمس والعقول كالعيون واشراق العقل الفعال المعنوى كاشراق الشمس الحسى . فحصول الصور فى العقول كحصول المراتب فى أبصارنا . فإذا حصلت العقولات فى نفوسنا واستنجزنا بها علومنا أخرى وهكذا فإنه يقال إن العقل عندنا بالفعل بالنسبة لما عرفناه وبالقوة بالنسبة لما لا نعرفه . فإذا ارتسمت العلوم بالفعل فإنه يقال أنها عندنا بالفعل ثم يكون العقل المستفاد ثم إن العقل بالقوة كأنه مادة للعقل بالفعل والعقل بالفعل كأنه مادة للعقل المستفاد والعقل المستفاد كأنه مادة للعقل الفعال والعقل الفعال كأنه صورة له وعلى ذلك يكون هذا الوجود مرتباً فى عقولنا من الأدنى الى الأعلى فالتدريج البساط ثم المركبات وتدريج الصور المحسوسات التى هى أخس من العقولات ثم تدريج الكميات ثم تم عندنا وتكمل وتكون عقلاً مستفاداً فأما فى العقل الفعال فإن العلوم فيه تنزل من الكميات الى الجزئيات بلازمان بل هى فيه هكذا أبداً وهى تكون فى المادة من الأدنى للأعلى

﴿ الصورة والمادة والمعاني والعقول ﴾

إياك أن تظن أن المعاني التي تنقش في عقولنا مثل الصور التي في المادة منقوشة فيها . ولقد اعتاد الناس أن يقولوا إن الصورة غير المنقوشة . ألا ترى أن نقش الخاتم شيء والمعدن الذي نقش عليه شيء آخر كما أن الإنسان شيء واللباس الذي يلبسه شيء آخر فإنا هنا ليس كذلك . فان المعاني التي تقتنصها عقولنا من المادة تصبح هي نفس عقولنا . وكما أنك إذا رأيت صورتك في المرآة لم يكن هناك شيء غير الصورة فالصورة هي عين المصور (بالفتح) إذ لا مادة هناك فالصورة والمصور شيء واحد هكذا عقولنا . فكل معنى عقلناه أو قضينا اقتبسناها فهي هي عقولنا . فإله أخرجنا من بطون أمهاتنا لانعلم شيئا وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة فاقتنصنا من المادة معلومات وتلك المعلومات أصبحت نفس عقولنا لاشئ وراءها فليست صفات لعقولنا بل هي نفس عقولنا كما أن صورنا في المرآة ليست شيئا سوى الصورة فإذا نحن عقلنا أنفسنا فلعقل الذي عقلنا به هو نفس العقول . فإذن يكون عقلنا عقلا وعاقلا ومعقولا فإذا تعقل الإنسان نفسه فلعقل هو العاقل وهو العقول إذ ليس هناك شيئا متغيرا كالجسم واللباس عليه وكالمادة والصورة بل هما شيء واحد . وهذا هو السر الذي تراه في ثنايا الكتب الفلسفية قد أوضحته لك على قدر الإمكان وبه تعرف كيف انتقل الناس من أدنى الأمور إلى أعلاها . فبينما هم ينظرون الألوان والأصوات إذا هم يرتقون إلى السكيات إذا هم يفكرون في العقول وقد استكملت علومها إذا هم يقولون بالعقول المستفاد التي تخضر العقول متى شاءت إذا هم يرتقون إلى العالم الأعلى أي الذي ليس في مادة ويقولون إذا نحن قدرنا هنا في الأرض أن نكون عقولا بمجرد الاطلاع على هذه المادة وأخذ صورها والتمتع فيها وإتنا نلبس ملابسها وتصبح مثلا لعقولنا ونذهب بها إلى عالم آخر فأحر بنا أن نقول إن هناك عوامل لم تستكسب علومها من المادة بل علومها فيها كاملة . وإذا كنا نقول ههنا مادة فيها صور تعلمنا منها وأخذنا العلم عنها وهي حاضرة أمامنا وأصبحت عالمة بما فإبائنا ننكس على أعقابنا ولا نقول إن هذا العقل الذي كبسناه منها على منوال العقل الذي أكسبها هذه الصور ولذلك نرى أنفسنا نحذو حذوه فتطبع بهذه الصور التي طبعها ذلك العقل في المادة وهذه العقول التي غرست فينا واستعنت لدرس هذه المادة مستمدة من ذلك العقل الفعال والعقل الفعال قد جعل هذه المادة كلوح تفرقه نفوسنا فتقلده وتدرس ما خطه في لوح الطبيعة وتنحون نحو العقل الفعال لأننا نرى أن الأبناء يسيرون على طبيعة الآباء . فإذا كنا نرى جميع صغار الحيوان تتبع في نظامها وسيرها نظام آبائها ووجدنا عقلنا لما كان عقلا بالقوة أخذ يسمى سعيًا حثيثا حتى استكمل المعقولات فما الذي يمنعنا أن نقول إن العقول الانسانية تتخذى حذو عقل ليس في مادة وتقلده وتستكمل العلم لتبلغ شأوه أو تقرب من ذلك الشأو كما كان صغار الحيوان يتبعن آباءهم وأن ذلك العقل الفعال فيه النظام غير مستحدث من المادة لأنه لا يحتاج إليها . أما عقلنا فهو إليها محتاج وعليها يعول ولقد أوضحت لك انقام والله هو الولي الجيد . أفلا ننظر ونعجب كيف ذكر الله فنديل المسجد ونور الكواكب وأشار بنور القنديل إلى أنوار انقلوب وإلى ما ينقش في العقول من المعاني وكيف انتقلنا من مقام إلى مقام حتى وصلنا إلى عالم الملائكة . واهمري ما ضياء القنديل في المسجد إلا لظواهر الحيطان والسقف والأرض وأن الحقائق في العقول لتفصل تفصيلا وتعرف تحقيقا وقد بين الله ماهو أجل بما هو أقل لأن ماهو أقل أعرف عندنا وما هو أجل مجهول لدينا . وهانحن أولام وصلنا من هذا المقال لعالم الملائكة - والله من ورائهم محيط - * وقال الشاعر

على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

﴿ قطرة ماء في تفسير قوله تعالى أيضا - الله نور السموات والأرض - ﴾

اعلم أن الناس اعتادوا أن يعرفوا عظمة هذه الدنيا بالنظر في السموات والأرض . والقرآن طافح بذلك

وهذا التفسير قد عني بهذا أشد عناية . الله أكبر . جلّ العلم . فهل لك أن أحدثك حديثا جديلا تنبئني في هذه الدنيا التي نعيش فيها تطبيقا على هذه الآية ومن هذا الحديث يتجلى لك أن العلم الحديث أظهر أن جميع ذرات هذه العوالم تفسير هذه الآية وأن هذه الدنيا كلها نور خلقه الله وأن هذا العالم كله نور واننا نعيش في وسط النور وأن ما نراه من حيوان ونبات وسماء وأرض ونجم ومدر . كل هذا ماهو إلا نور متجمد كما تجمد الماء فصار ثلجا . فهذه العوالم التي شرحتها الأم كلها وذكر مجملها القرآن تدخّل في هذه الآية . ومتى سمعت ما أقوله لك الآن وتحققته انشرح صدرك وتمتدّت أن ترى هذا النور عيانا وأن تحجب عنك هذه الدنيا وصورها الزائلة وتمتّع بجمال لانهاية له . فهالك اسمع ما يقوله العالم (هنشو) الذي يكتب في (مجلة هاربر) الأمريكية في سنة ١٩٣٦ وهذا القول نشر في مجلات أخرى فأريد أن أسمعتك ما يخص ما يقوله ولكني أحافظ على الحقائق العلمية والمقادير تماما وأورد القول بإيضاح يناسب هذا التفسير حتى تعرف نور الله وجماله الذي أشرق في الأرض اليوم وأصبحت عالم الأم في الشرق والغرب مفسرات للقرآن وهم لا يشعرون . يقول (هنشو) إن بعض قطرات الماء قد يكون قطرها ثلث سنتيمتر . ولاجوم إنك أيها الذكي تعرف هذا المقياس فهو مشهور لأن السنّي جزء من مائة من المتر قال فلنسكبره

(١) وأخذ يكبره تقديرًا صرارا حتى أوصل قطره الى (١٥) سنتيمترا . يقول ومتى صارت قطرة الماء هكذا أصبحت كثيرة الارتجاف وظهرت عليها ألوان قوس قزح

(٢) وإذا كبرناها حتى صار قطرها (١٧٠) مترا زال ظهور قوس قزح ولا نرى فيها إلا الماء لا غير
(٣) وإذا كبرنا قطر نقطة الماء فصار مائة ميل . قال حينئذ تظهر جواهر الماء الصغيرة ويكون كل جوهر صغير من الماء قد صار مثل (الجوزة) حجما وقياس قطره سنتيان ونصف ومعنى هذا أن جوهر الماء المذكور لا يمكن قسمته الى قسمين كل منهما ماء بل لا يمكن الا تحليله الى العناصر التي تركب منها . فهذا هو الجوهر المائي في حده الأدنى الذي لا يقبل القسمة الى قسمين مائيتين بل يحلل الى عناصره الأصلية التي لا تسمى ماء وهما الاكسوجين والادروجين . وهذا الجوهر المائي الذي كبرناه وقلنا انه لا يقسم اذا أمسكناه فرضا وجدناه أشبه بالخجرجولة لاتحاد الاكسوجين بالادروجين اتحادا قويا جدا لا يمكن انفصاله إلا بأعمال كيميائية لاحتلال ذراتها ولكن هذا الجوهر المذكور يجب علينا أن نعرف ما فيه لأن العلم لاحد له وشوق النفس لانهاية له . وفوق كل ذي علم عليم . فما أشوقنا الى أن ندخل هذا الجوهر الصغير من النقطة كما دخلنا النقطة وتفرجنا عليها ونحن راكبون في سفينة تجري في ذلك البحر الهائج . قال حينئذ نكبر النقطة مرة رابعة

(٤) فنصل قطرها مائة ألف ميل فيصير قطر كل جوهر مائي من النقطة المذكورة أكثر من أربعين قدما بعد أن كان سنتين ونصفا . ولكن هذا التكبير لا يفيدنا إلا أمرا واحدا وهو اننا نرى كل جوهر مائي مؤلفا من (ثلاثة جواهر أحدها) وهو الاكسوجين في الوسط والآخران واحد عن يمينه وواحد عن يساره وهما من الادروجين . وهذه الثلاثة جواهر فردة أي انها لا تنقسم ومعنى انها لا تنقسم انها اذا حلت لان تكون أجزاءها أكسوجينا وأدروجينا بل أشياء أخرى ستعلمها . هذه الجواهر الثلاثة أشبه بخلاء ومسافات لا غير لامادة فيها وجوهر الاكسوجين الذي في الوسط عبارة عن قنديل في المركز تحيط به ست دوائر تبعد عنه (٢٠) قدما وهذه الدوائر هي سطحه والجوهران اللذان من الهيدروجين حوله ماهما إلا دائرتان من النور قطر كل منهما سبعة أقدام تدوران حول مركز من النور . إذن نحن الآن عرفنا الجوهر المائي أولا ولما كبرناه وجدناه مركبا من أشياء ليست ماء ولكنها أشياء أخرى في علم الكيمياء يحلل الماء اليها في جميع المدارس في العالم وتكون عبارة عن مواد أشبه بالهواء وهذا معلوم مستفيض ولكن النفس لانزال تريد الزيادة في العلم كما قال تعالى - وقل رب زدني علما - وقال ابن سينا في قصيدة النفس

أسرع برء جواب ما أنا باحث عنه فنار العلم ذات تشعشع
حينئذ علينا أن نعرف ما هذا الاكسوجين وما هذا الادروجين بعد أن عرفنا نقطة الماء وعرفنا أجزاء
كل جواهر منها

(٥) إذن نكبر نقطة الماء المذكورة مرة خامسة ألف مرة أخرى فتصير أكبر من فلك الأرض حول
الشمس وحينئذ يصير قطرا الجواهر المائي الذي حدثناك عنه وقلنا انه مركب من الجواهر الثلاثة المذكورة الفردية
ثمانية أميال . فإذا نرى إذن . نرى أن الدوائر التي حدثناك عنها في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا
خطوط وهمية من النور ترسمها نقطة صغيرة من النور تدور حول مركزها في الثانية الواحدة ستة آلاف مليون
مليون دورة وهذه النقطة الدائرة هي (الكهر باء السالبة) ومركزها النوري يسمونه (الكهر باء الموجبة)
وهذه الدوائر التي رسمتها النقطة في الاكسوجين والادروجين ماهي إلا كالدوائر التي رسمها شعلة تحركها نحن
بسرعة فتدور دائرة بحسب نظران نحن وفي الواقع لا شيء سوى الشعلة . وبهذا البيان عرفنا أن الجواهر المائي
رجع الى الاكسوجين وأدروجين . وهذان الجواهران الفرديان رجعا كل منهما الى نقطتين من النور نقطة
يسمونها (سالبة) تدور حول أخرى يسمونها (موجبة) وهذه التي تدور حول الأخرى تكون أكثر من
واحدة وتكون الدوائر على مقدار تعداد النقط الدائرة . إذن الأمر واضح لوجود إلا النور فلا اكسوجين
والادروجين نقط من النور لا غير وبالنوران السريع صار كل منهما غازا وبالائتصاد بينهما صار ماء والحقيقة
واضحة . ماذلك كله إلا نور . بقي علينا أن نعرف عدد الجواهر المائية التي في النقطة الواحدة من الماء .
يقول العلامة (هنشو) المذكور ان في النقطة من الماء عدد (خمس) وأماه عشرون صفرا أي خمسمائة
ألف ألف ألف ألف ألف جواهر مائي وهذا العدد العظيم من النقط المائية ليس مندمجا . كلا . ولا مصمما
فهناك أبعاد شاسعة كالأبعاد التي بين الكواكب والشمس والأرض بالنسبة لأحجامها فإذا ألصق بعضها ببعض
لم تملأ إلا جزءا من مائة ألف ألف ألف ألف جزء من النقطة . إذن قطرة الماء المذكورة عبارة عن نقط من
النور وهذه النقط يدور بعضها على بعض وبسدة السرعة ترى مواد غازية وهذه باتحادها تكون ماء وهناك
فضاء بينها بحيث تكون النقط بالنسبة للفضاء أشبه بالنجوم في مداراتها مع البعد الشاسع بينها كالذي بين
الأرض والشمس وليس هذا خاصا بالماء وأجزائه . كلا . بل جميع الأجسام من جبل ونبات وحيوان وأنوار أو
كهر باء متحركة في شكل عناصر متحدة قد بلغ عددها (٩٢) في وقتنا الحاضر مركبات من نقط النور المذكورة
إذن جميع عالمنا نور وأي قطرة من الماء أو أي قطعة من حديد أو حجر أو طين ماهي إلا نقط من النور تدور في فضاء
ترسم دوائر من النور الخ . فقطرة الماء مثلاً أشبه بالمشكاة وهكذا كل قطعة في المادة ودوائر الأنوار الحادثة داخلها
بسرعة جرى النقط النورية في عناصرها أشبه بزجاجة المصباح والمصباح أشبه بالنقط النورية التي في مركز كل من
الاكسوجين والادروجين فيما تقدم وهكذا بقية العناصر . فهنا ظهرت المشكاة وظهرت الزجاجة وظهر المصباح
وبقي ما يوقد منه المصباح بفعله يوقد من شجرة مباركة زيتونة لشرقية ولاغربية الخ وهذا هو الذي غاب
عن الناس الآن . نعم ان وصف شجرة الزيتون بأنها لشرقية ولاغربية ربما يفيد انها ليست من عالمنا
الأرضي بل من العالم الإلهي الذي لا ندرسه . اللهم ان قطرة من الماء أصبحت نورا وقطعة من الحجر أصبحت
نورا وهذا النور ما أشرق إلا من نورك ولا ظهر إلا من جالك ولكنك أريته لنا غير نور فقد حبستنا في حواصنا
فرأت الجبال غير جبال ولا سبيل لنا إلا أن ندرس جالك الظاهر في عالم الطبيعة الذي حببنا عنك واهلنا اذا فارقتاه
نرجع لعالم النور ونشاهد جبال وجهك المحتجب عنا وسناء كمالك وبهائك الذي توارى بحجاب الحس ونكون
- في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فنشاهد تلك المناظر الحسنة البهجة إذن هذا العالم ماهو إلا نور متراكم
وجال احتجب وسعادة اخفت ولا سبيل الى السعادة إلا بادراك الحقائق وذلك بالعلوم . ولقد استبان من هذا

البحث أن قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين - قد وصل هنا إلى قرار مكين ، فالكهرباء الموجبة والكهرباء السالبة المذكورتان كل منهما زوج وهما زوجان كالأني والاثني وهذان الزوجان الشحاذ كالكهرباء والاثبات من الحيوان والنبات . وهذا السر الذي ظهر الآن هو الذي ظهر في الدين الموسى قبل دخول المرافقات عليه كما تقدم في (سورة الأنبياء) إذ جاء فيه أن الله خلق أصليين وهما الخير والشر . وليس يقوم العالم إلا بهما . ثم جاء المتأسرون منهم فجاءوا الخير والشر لا يهين لا لوحد كالتقدمين وهكذا طبع العدد زوج وفرد وعلم الحساب جمع وتفريق والعالم مركب من التناظر والمجبة . فشكل هذه عبارات ترجع إلى معنى واحد وهو الذى جاء في قوله تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون - فمن علماء اليونان من قال أصل العالم العدد . ومنهم من قال الكراهة والحب . هذا ما فتح الله به في هذا المقام والحمد لله رب العالمين ﴿ النور قديما وحديثا في أرضنا ﴾

(١) المشاعل

(٢) مصابيح الزيت

(٣) قناديل الشمع

(٤) زيت البترول المعروف

(٥) الغاز الذى هو خلاصة الفحم المحترق الجارى فى الأنابيب لآبار المدن

(٦) خلاصة المادة الكحولية المسماة (اسيرتر) أى بخارها الذى يغشى عادة بغشاء يحفظ ضوءه

(٧) ضوء الكهرباء الذى عمّ الأقطار الآن أيام كتابة هذا التفسير . انتهى الكلام على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - والله يرزق من يشاء بغير حساب - انظرها فى (سورة آل عمران)

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - والطير صافات - وهى جوهرتان ﴾

(الجوهرة الأولى فى تسبيح الطير)

إن مقام تسبيح الحيوانات وغيرها قد تقدم فى (سورة الاسراء) عند قوله - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فىهن - وهكذا فى (سورة هود) واستبان هناك أن التسبيح والتحميد من المخلوقات لا يعرفان إلا بقراءة جميع العلوم ومن ذلك دراسة الألوان التى وضحت فى (سورة المؤمنون) ومسألة نغمات الأشجار فى (سورة الرعد) وبيان أن التسبيح والتحميد لغز الوجود وفيهما مسألة الخير والشر وأن الجوس تخلصوا منها بأن للعالم إلهين والاسلام أرجعها للتسبيح والتحميد . وبيان أن المسبح والخامد وهو جاهل كالخشرة المستدفئة بالزهر الملقحة للشجر ولا علم لها . وبيان أن هذه الانسانية اليوم جاهلة هذا الوجود . وبيان أن الصوفية الذين يتبعهم أكثر المسلمين ينهونهم عن العلم فأرسل الله على لسان الشيخ الخواص وهو منهم ما يفيد أن الجاد يعقل وأن الأشجار تعاشق وقد ظهر فى الكشف الحديث ووضح فى هذا التفسير تعاشق الأشجار أما أن الجاد يعقل فهذا لم تصل له عقولنا . ثم عقولنا عرفت أن النبات يحس ويتحرك كالحيوان كما أثبتته العالم الهندى بمصرو تقدم فى (سورة الحج) أما كونه يسبح وكون الجاد يعقل فهذا لم تصل له غاية الأمر أن الأهم اليوم تعرف أن كل جاد متحرك حركات سريعة تعد بمئات الألوف فى ثانية . وقد استبان فيما تقدم لماذا ظهر هذا على السنة الصالحين من المسلمين وأن حكمة ذلك إقامة الحجة على الصوفية فى زماننا إذا هم قصرُوا فى معرفة العلوم التى هى فروع كفايات . وبيان أن المفتوح عليه منهم نادر وهم كالتبتلين من أهل الهند البوذيين الذين رفعوا أنفسهم عن الشعب (انظره هناك فى سورة الاسراء) انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية فى الطيور الرحلة . مترجم عن الانجليزية ﴾

إن الطيور على ﴿ نوعين ﴾ نوع يصرف حياته فى مكان واحد ولا يفارقه ولا يذر شجرته أو المستنقع

الذى ينشأ فيه ينشأ ويعيش فيه أكثر من سحابت مملوءات إلا نادرا جدا . ونوع آخر لا يزال جديدا في الخط والتسلسل مدة الحياة وفي جميع الصور فيكون في مكان بضعة أشهر ثم يرحل آلاف من الأمثال ليسرف بقية السنة في مملكة أخرى . وهذه الطيور تسمى (طيورا رحالة) لأنها دائما على هذه الحبال وهذه النوع طائفتان طائفة تألف رحلة الشتاء وأخرى تألف رحلة الصيف . فالأولى تسكن البلاد الحارة وتوسل إلى الباردة شمالا والثانية تسكن البلاد الباردة وترحل للحارة جنوبا طلبا لحرارة الشمس . إن الإنسان عند سفره يدفع أجرة السفينة في البحر أو القطر في البر . فغراها أسرابا تطير في جو السماء مارة بالبحار والبلدان المختلفة . إن ارتحال الطيور من أعجب العجائب العظيمة المدهشة في هذه الدنيا وبدائعها وعجيب نظائرها . ففي فصل الربيع من كل سنة في يوم معين يصل إلى أوروبا طوائف من الطيور وتبديء فتنها أعشاشها في الأمكنة التي بنت فيها في السنة الفائتة وقد بينى العنصر صنبور على الطريقة التي بنى أبوابها العنصر الذى تبنى فيه هو في العام السابق بحيث يكون قريبا منه . وقد يقوم بعض الناس بتجارب لمعرفة بعض عادات هذا الطير فيصطادون منها جماعة ثم يعلمونها بعلامات خاصة كدوائر وغيرها ليعلموا هل هذه هي التي تصل في العام القليل . وقد ثبت لمسلم بهذه الطريقة أن الطائر المسمى (الخطاف) بالبرية و (سوكو) بالانجليزية الذى يصرف في زمن الشتاء بالقرب من (بحيرة تشاد) في أواسط إفريقيا بين أعشاشه لتربية صغاره سنة بعد سنة في حائط من منزل مخصوص في قرى الفلاحين ببلاد الانجليز . إن طرق السفن البحرية الرئيسية في البحر الأبيض من أوروبا إلى إفريقيا (فلانة) مبتدئة من شبه جزيرة اسبانيا وإيطاليا واليونان . والمسافرون في هذه الطرق على السفن بالبحر الأبيض المتوسط من الخريف غالبا يرون أسرابا كثيرة من (الطيور الرحالة) طائرات جنوبا إلى بلاد الجزائر وبلاد تونس وبلاد مصر

﴿ ماسبب رحلة الشتاء والصيف ﴾

وهنا يرد هذا السؤال فيقال لم رحلت هذه الطيور . ولقد أجاب على هذا السؤال علماء الحيوان الذين هم أقرب إلى العلم بأحواله من سائر الناس فقالوا إن تلك الأقطار التي يرحل لها ذلك الطير أوفى إلى تربية صغاره وتغذيته بالأغذية الموافقة لها . وهذا السبب ذهبوا إليه لأنهم لم يعرفوا الحقيقة يبحث أوفى وطريق أقرب فليس من الناس من يعرف السر في ذلك على حقيقته والله أعلم . انتهى (ترجم من الانجليزية)

﴿ حكمة ﴾

إن سفر هذه الطيور الأوروبية إلى إفريقيا وسفر الطيور الإفريقية إلى أوروبا أشبه بسفر الناس من إحدى الجهتين إلى الأخرى ارتيادا لطلب الرزق وجدا في طلب العلم وذلك كله مما يعلم الإنسان أن الأرض كلها منزل واحد وقد عرف هذه الحقيقة الطير فعمل بها وقال لي رحلتان رحلة الشتاء ورحلة الصيف . ولكن الناس يقاتل بعضهم بعضا على الأمكنة وفاتهم بل جهلوا أنهم أسرة واحدة وسيعرفون هذه الحقيقة في مستقبل الزمان حينما تعم الرحلة أهل الأرض (انظر شكل ١) و (شكل ٢)



(شكل ١ - صورة الخطاف)

فوق (الاستانة) والنداء فوق (مدريد) و يصل (نيويورك) الساعة التاسعة زوالية مساءً وهكذا ميعاد دخول
الاوربا وقد حرك اكتشاف هذه الحشرة اهتمام المهندسين والمخترعين وأخذوا يتحدثون مسائلين «لماذا
لا نعمل الفكرة فنصنع طائرة بسرعة هذه الحشرة أو أسرع» وعسى أن يتحقق اهتمامهم رغبتهم هذه
فيقوموا للانسانية بخدمة جليلة لا تقدر ولا تخفى

﴿ مقاييس السرعة ﴾

نظم القائد (ارنولد) الأمريكي قائمة بمقاييس السرعة وهي كما يلي

- (١) أعظم سرعة للانسان الراكض ٢١ ميلا في الساعة
- (٢) سرعته على المزجلة ٢٢ ميلا في الساعة
- (٣) أعظم سرعة للحصان ٣٩ ميلا في الساعة
- (٤) أعظم سرعة للدراجة (بيسكيت) ٧٥ ميلا في الساعة
- (٥) أعظم سرعة للدراجة البخارية ١١٢ ميلا في الساعة
- (٦) أعظم سرعة للقطار الحديدى ١٢٠ ميلا في الساعة
- (٧) أعظم سرعة للطيارة ٢٨٨ ميلا في الساعة

﴿ أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولاصراوح ﴾

صنع الميسو (شبادلين) وهو مهندس فرنسى شهير نموذج طيارة بلاجناحين ولاصروحة في مقدمتها ومع
هذا فهي تعير . ويصدق هذا المخترع أن الطيارة التي تصنع على نمط نموذجها هذا يمكنها أن تقطع من سبعائة
الى ألف ميل في الساعة . فهي والحالة هذه تسبق الشمس اذا بارتها في شوط بين باريس ونيويورك . وقد
قال المخترع ضاحكا « انه يتسنى لراكب طيارتي أن يتناولوا الغداء في الجراندي بولفارد بباريس ويشربوا الشاي
في بروكساي بنيويورك »

والميسو (شبادلين) مقتنع بأن طيارته التي أسماها «جبروتر» ستكون طيارة المستقبل القريب .
وقد أبد النموذج الذي صنعه لهذه الطيارة أقواله بكيفية مذهشة . و يبلغ طول نموذجها هذا نحو عشرين
قيراطا ولا يزيد ارتفاعه على قدم واحد . وهو يحاكي الطيارات العادية في هيكلها . وعلى كل من جانبيه دولاب
كرف البواخر النهرية أو كائى كانت مستعملة لبواخر البحار في أول عهد البواخر . وكان يقتضى لهذا النموذج
محرك تكون قوته ١ من ٧ حصان ووزنه أوقية وربع . ولما كان محرك كهذا معدوم الوجود جهز المخترع
نموذجها بمحرك كهربائى وأوصل اليه التيار بأسلاك لينة من دنجو صغير وضعه على المائدة وما كاد يوصل التيار
به حتى أخذ رفاها يدوران بسرعة ٧٠٠٠ دورة في الدقيقة وأخذت تلك الطيارة الصغيرة ترتفع وتدور في
الجبيرة . وقد جعلت مغالتي متحركة حول أغشية الرافسين تستخدم لتحويليل مقدم الطيارة الى أعلى الى
أسفل . ومبدأ المخترع في طيارته هذه المحجبة هو من قبيل مبدأ المركبة الألمانية المسماة (روكن) فالرفان في
الطيارة التي نحن بصدددها يقومان مقام المروحة التي تكون في مقدمة الطيارة العادية وهما اللذان يدفعان
الطيارة ويسيرانها . ويقول المخترع « إن سرعة هذه الطيارة يمكن أن تزداد اذا استعمل الغاز الهالك الذي
ينساب من المحركات على مبدأ الصاروخ » . ولهذا الطيارة ميزة أخرى كما يقول مخترعها وهي ان رفاسيها
وأغشيتها تقوم مقام المظلة الواقية (الباراشوت) في حالة إصابة المحرك بعطل فتنزل الطيارة الى الأرض ببطء
يقبها خطر الاصطدام الشديد ولا يخفى ما لهذا الاختراع من الأهمية الكبيرة في عالم الطيران . انتهت الفائدة الأولى

﴿ الفائدة الثانية ﴾

جاء في الأنباء البرقية في ١٠ يونيو سنة ١٩٢٧ مانصه

﴿ ارتداد القلوب الشمالى ﴾

عاد السكائن (جورج ولكسن) بعد فضاله ضباب الدائرة المتجمدة الشمالية وردة على أكتافه وترك وراءه إحدى طياراته وسط التلوج المتجمدة في ساحل (الاسكا) الشمالى وقد قل ﴿ إن دليله حزامهم طار في مايو الى ابتاه في جرينلند ومن هناك الى مستودع الوقود والمؤنة في رأس بارو ليحاول حل المسألة الغامضة عن مهاجرة الطيور الى أقصى الشمال ويثبت مما اذا كانت قارة الانلتيك التي ورد ذكرها في الأساطير موجودة في مكان لم يصل اليه بنو البشر ولكن البعثة عدلت عنها الآن كما عدلت في السنة الماضية من جراء الضباب الكثيف وطبقات الثلج المسترة والطيارات يهيران في عالم كه ضباب لا يتحرك ﴾ انتهت الفائدة الثانية وانما نقلت لك هذا الخبر البرقى لتطالع على غرام الأثم التي يعيش معها المسلمون أوثق الذين يخاطرون بأنفسهم ويعرضونها للتماسكة في سبيل العلم . وأى علم هو . هو علم الطيور في مهاجرتها . تلك الطيور التي ذكرها الله في القرآن انها مسبحات مصليات فكان على المسلمين أن يشقوا العلم ليعرفوا عجائب صنع ربهم وليتبعوها بالجمال والبهاء والحكمة والنور . فهمل الأثم التي تدرس كل علم كالأثم النائة . يقول الله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب - ويقول - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعصى لأبصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور -

﴿ اختراع الطيارات ﴾

في سورة (المائدة) في آية الغراب وفي (النحل) عند قوله تعالى - ويخافى ما لا تعملون - تقدم الكلام على البالون والطيارات ورسم بعضها في سورة النحل اهـ

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ ﴾

لقد ذكرت لك فيما تقدم في ﴿ سورة الرعد ﴾ ما يناسب قوله تعالى - وكل شئ عنده بقدر - من أمر الثلج . وذلك أنك ترى هناك أشكالا منظمة عجيبة مستدسة الشكل مرسومة في القرن الماضي بهجة المناظر حسنة الأشكال . ولكنى هنا أريد أن أريك ما يناسب هذا المقام من عجائب العلم في هذه الآية ﴿ أولا ﴾ أبين لك ما كان يعلمه علماء القرن الثاني عشر الهجرى من أثم الاسلام إذ كان العلم لديهم قليلا وقد جاء على لسان صلحاءهم ما يناسب كشف العصر الحاضر ﴿ ثانيا ﴾ أذكر تلك الجبال الثلجية من كتاب علوم للجميع تأليف العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومقالا لغيره في ذلك ﴿ ثالثا ﴾ أذكر ما أبدعه صديقنا مصطفى بك منير في الجمعية الجغرافية أمام ٢٥٠ عالما من علماء أوروبا تفسيرا لهذه الآية . فهذه ﴿ ثلاثة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول فيما جاء في أقوال علماء الاسلام في القرون المتأخرة ﴾

قد ذكرت سابقا في هذا التفسير أن الشيخ أحمد بن المبارك الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجرى كان عالما من أكابر علماء الاسلام وقد لقي الشيخ عبد العزيز الداغ الذي لم يدرس ولم يتعلم وأن الأول قد أدهشه الثاني بعلمه . فلا سمعك ما أجاب به في هذا المقام وأقدم لك مقدمة فأقول

لقد ذكرت في هذا التفسير أن العالم الدينى في الاسلام يجب أن يكون عالما أوسع من علم الفقه وهما هي ذه الخادنة الآتية تبين لك كيف كان الناس في العصور المتأخرة يسألون علماء الاسلام في أغور وأصعب مسائل الطبيعة العويصة . فانظر كيف سئل ابن المبارك المذكور في ذلك . وكيف بحث عن الجواب في كلام الفلاسفة الاسلاميين وعلماء الحديث وغيرهم فلم يجد طلبته ثم كيف سأل الشيخ الداغ فأجابه بعالم يعلمه إلا علماء العصر الحداث . فهناك البيان وهذا هو السؤال الذى ورد اليه

الحمد لله . سادتنا الأعلام . أدام الله بكم النفع للأنام (١) جوابكم في الثلج ما أصله (٢) هل ينزل كذلك من مجله منقدا (٣) وماجمله الذي ينزل منه ؟ (٤) ولأى شيء خصّ بالبلاد الشديدة البرودة ؟ (٥) ولأى شيء خصّ بالجلال (٦) ولماذا نراه تارة مجتمعا مع المطر وتارة وحده وهو الأغلب (٧) ولأى شيء خصت الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل (٨) وأيضا الصاعقة لاتنزل إلا في البلاد الباردة والجبال ومواقع الشجر بخلاف الأرض المستوية الحارة مثل الصحراء فإن أهلها يقولون إنها لاتنزل فيها فاصدا ؟ هذا ملخص السؤال . فلما أخذ يبحث في كلام علماء الاسلام رأى ما يأتي

(أولا) أن أهل السنة والجماعة لم يقيّدوا في هذا فائدة . قال إنه قرأ كتب التفسير والحديث وعلم الكلام فما عثر على شيء فيها . ومن هؤلاء الحفاظ السيوطي مع علو درجته في الآثار لم يتعرض لذلك لاني كتابه المسمى (الهيئة السنية في الهيئة السنية) وقد وضعه في علم الهيئة لأمثال هذه المسألة ولا في حاشيته على البيضاوي ولا في (الدر المنثور في تفسير القرآن بالمأثور) ولا في كتبه الأخرى مع أنه أكثر فيها من الكلام على الرعد والصواعق والمطر والسحاب والبرق . وأيضا لم يتكلم على الثلج والبرد ولا على سببهما . قال وإنما رأيت ذلك في كلام البيضاوي نقله عن الحكماء . وملخص ذلك أن البخار المائي إذا وصل إلى الطبقة الباردة صار سحبا ونزلت لأجزاء المائية فهي على أحوال إما أن يكون بردها قليلا فتكون مطرا وإما أن يكون بردها شديدا فإن جدت قبل الاجتماع فهي ثلج وإن جدت بعده الاجتماع فهي برد . ولما نقل كلامه كله اعترض على البيضاوي في نقله كلام الفلاسفة . هذا هو الذي رآه ابن المبارك في كلام المتقدمين . ثم رجع إلى الشيخ الدباغ فعلمه وأجاب بما يأتي

(١) « إن الثلج ماء عقدته الرياح وأصله غالبا من ماء البحر المحيط . وهنا أخذ يشرح ارتفاع البخار في الجو وأنه يصير مثل الهباء ثم تجتمع أجزاءه لأجل ما فيه من الندوة وينزل على هيئة الصوف أحيانا وعلى هيئة أخرى أدق منها أحيانا . فهذا أصل الثلج . أما البرد فإن المسافة بين انعقاده ونزوله غير طويلة وهو من مياه البحور والندران وأنه إنما ينزل على هيئة الطعام المقفول الغليظ وإنما غلظ لأجل مصاكة الرياح له فراجت أجزاؤه في الهواء تحت أيدي الرياح مثل روجان أجزاء الطعام تحت أيدي المرأة في الصحفة فحصل فيه قتل مثل ما يحصل في الطعام . قال ولوانه تأخر نزوله ودامت المصاكة لانهضت أجزاؤه وصار ثلجا » فهذا بيان أصل الثلج وبيان الموضع الذي ينزل منه وبيان البرد

(٢) وأما قولكم (لأى شيء خصّ بالبلاد الشديدة البرد الخ) جوابه أن الثلج لا يزال على انعقاده حتى يطرأ عليه مانع والمانع يجعله مطرا وذلك المانع هو الأجواء البخارية الصاعدة من الأرض الحاملة للحرارة فإذا لقيت الثلج كسرت برودته فصار مطرا وهذا البخار الحار يكثر في البلاد الحارة والسهول ولذا لا يرى فيها ثلج . ولوفرص أنه رؤي ذلك لا يطول مكثه بخلاف البلاد الباردة والجبال المرتفعة فإنه لا مانع فيها من بقاء الثلج على انعقاده

(٣) فأما كونه ينزل مع المطر أو وحده فذلك لما يأتي . إما ذوبان بعض أجزائه بالأجزاء البخارية المذكورة فينزل الذي لم يذب ثلجا والذي ذاب مطرا ولذلك يكون المطر النازل معه في الغالب ضعيفا رفيعا مسحوقا مثل الثلج . وأما أنه نزل قبل تمام انعقاده فإن الرياح تحمل ماء فينقصد ثم تحمل ماء آخر فإذا نزل نزل الأول ثلجا والثاني مطرا

(٤) وأما اختصاص الجبال وعلو الأرض بالبرودة دون السهل . فحجابه أن ذلك لقرب الجبال والأرض العالية من الجو الذي هو في غاية البرودة . فأما السهول فهي بعيدة منه

(٥) وأما الصاعقة التي ذكرتموها فإن القول بعدم نزولها في الأرض السهلة المستوية الحارة غير صحيح

فإنها تزلت بسلاسل (سابعماسة) وهي أرض مستوية سهلة كانت صحراء . ولما أتم الجواب قال ولعلم أن هذا أخبر به من عاين الأمر على ما هو عليه من أرباب البصرة الخ (ويذكر الشيخ الديباغ) وقد سأل الشيخ الديباغ أيضا قائلا : هل في انحدار جبال من برد كما قاله بعض المفسرين . أجاب ليس فيها ذلك . والمواد بالسما في الآية ما عدا ذلك فسلكته يقول من جهة العاقل وجبال البرد تكون في جهة العاقل يحمل الرياح لها من الأرض إلى الجهة المذكورة . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في . قال بعض علماء الطبيعة في عصرنا وما دبرته العلامة (روبرت براون) الانجليزي

في كتابه علوم الجميع ﴾

قد جاء في كتاب « الفلسفة الطبيعية » في تعريف البرد أنه قطع من الجليد متفاوتة الحجم فيها ما هو أصغر من الحصى . ومنها ما هو بقدر البرق . ومنها ما هو بين هذين الحجمين . ولا يعرف كيف يتكون . والظاهر أنه يحدث من هبوب ريح شديدة البرد وتخللها ريح أخرى أحر منها جدا وهي مشبعة رطوبة تقريبا ولكن تهليل هذه الرياح الباردة عسر وغير معروف . فانظر إلى علماء الطبيعة في عصرنا الحاضر كيف تحيروا في تحليل البرد ووازن بين هذا وبين كلام (الشيخ الديباغ) الذي قال أن السماء ما عدا ذلك وأن البرد ما هو إلا ما دحرجته الرياح من المواد المائية ولم يطل زمنه وشرح شرحا طويلا مضافا . فلتنفض القول في مسألة الثلج والبرد من كتاب « علوم الجميع » فنقول

اعلم أنني قدمت لك في (سورة الرعد) عند الكلام على الثلج أنه عند القطبين يكون دائما ويأخذ في الارتفاع شيئا فشيئا . ومعنى هذا أن الثلج دائم في جميع أنحاء الدنيا غاية الأمر أنه مرتفع عند خط الاستواء وهو على الأرض عند القطبين وما بينهما يكون بالنسبة لهما ارتفاعا وانخفاضاً . فاقرا ما ذكرته هناك ثم انظر هنا ما يقوله فسرى عجباً عجائباً . سترى ما قاله الله في القرآن يشاهد عياناً ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ سترى ما يحجز عنه خول العلماء سابقاً وانما شرحه (الشيخ الديباغ) الذي لم يتعلم . قد ظهر له بالعمية . سترى أيها الذكي ما جاء في القرآن من أن هناك جبالا فيها من برد حقا وصدا . ومعنى هذا أنك الآن ستشاهد صورة الجبال الثلجية المرتفعة فوقنا وتعجب من المسلمين الذين تركوا جميع العلوم وجهلوا حق الجهل . وإذا قرأ المتعلم هذه الآية تحير وقال في نفسه هل السماء فيها جبال من برد . وإذا كان المطر ليس من نفس السماء فكيف يكون البرد منها . وكيف تكون هناك جبال فوقنا من برد . كل هذا كان يحيرني أنا ولم أعرف تمام هذه المعاني إلا من إيضاح (الشيخ الديباغ) ومشاهدة المناظر التي سترها الآن وهي منقولة من الكتاب الانجليزي المذكور . أفلمست بعد ذلك أيها الذكي توقن أن ذل المسلمين اليوم انما جاء لجهلهم الفاضح وانهم معاقبون في الدنيا والآخرة على هذه العلوم . فاسمع إذن كلام ذلك العلامة . قال ﴿ إن الثلج يظهر في أعلى الجوف في كل مكان في الأرض وعند كل خط من خطوط العرض غاية الأمر أن ذلك الثلج قد يدوب قبل نزوله إلى الأرض إذ يقابل الطبقات المنخفضة الحرارة فهذه الحرارة تذيبه . إذن ما من بقعة في الأرض إلا وفوقها ثلج . فنه ما ينزل إذا لم تقابل الحرارة في الأماكن المنخفضة . ومنه ما لا ينزل ﴾ وهذه صورته (شكل ٣)

مرافق اختطفه وضمه اليه ورسا فوقه حتى لا ينزل ويبقى ثابتا فوق الجبل وهذه صورته (شكل ٤)



(شكل ٤ - هذه صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب والجبال المتصلة بها والثلج الدائم المغطى لها)
(جبال الالب تمرّ بإيطاليا وفرنسا وسويسرا وهذه الهضبة بالآخيرة)

ولعلك تقول عرفنا أن الثلج مرافع وهو كالجبال . وعرفنا أن الجبال تحفظه ولكن ما فائدة هذا الثلج وما فائدة حفظه . أقول لك . فائدته أن يحيا الانسان والحيوان والنبات بذلك الثلج الذي نزل من الجوّ على الجبل ومن الجبل نزل الى النهر ثم ذاب وجرى وهذه صورته (انظر شكل • في الصفحة التالية)
هذه هي معاني الآية . فالثلج شاهده وشاهدت نظام الله وحفظه له ثم انزله في النهر . أليس هذا معنى قوله تعالى - سترهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - اللهم إنا نحمدك فقد أرينا الآيات وعلمتنا على مقدار درجتنا الأرضية التي خلقتنا فيها فلك الحمد ولك الشكر . كل ذلك أبها الذكي جاء في الثلج ولكن الآية لم يذكر فيها الثلج بل المذكور فيها هو البرد . فأين البرد إذن . نقول . لقد علمت مما تقدم أن الماء يكون مطرا وريدا وثلجا . فهذه الثلاثة متجاورة وغاية الأمر أن البرد يكون زوله أسرع . لقد علمت أن أمر البرد من الصعوبة بمكان . لقد حار فيه القوم حيرة شديدة فتارة تراهم

(١) يقولون إن الفكرة الأولية في ذلك أن يقال كما ان نسبة الصقيع الى الندى كنسبة الثلج الى المطر هكذا يقال ان البرد ماهو إلا مثل لصقيع المطر (وبعبارة أخرى) هو مطر منعقد

(٢) ثم تراهم يتعمقون في البحث فيقولون إن البرد لا يكون مباشرة من نفس المطر . ذلك لأنهم رأوه عبارة عن كرات صغيرة جدا من الجليد الصلب منسوجة متجانسة مصمتة ذات سطح أملس وقد عللوا ذلك بأن المطر كان أولا في طبقة حارة من الجوّ الأعلى ثم سقط فجأة الى جوّ أدنى منه فيه تيار شديد البرودة فأثر فيه

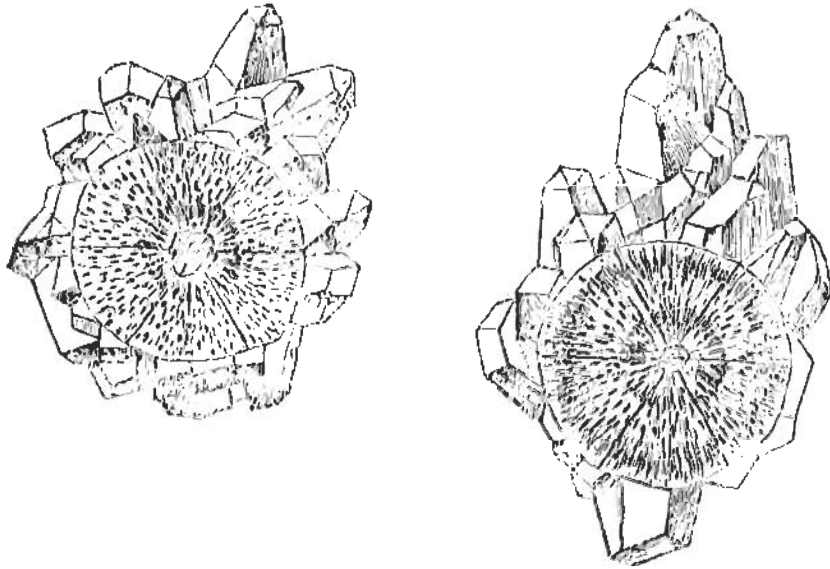


(شكل ٥ - صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الزون) بجاي (مركا) منحدر إلى رأس واد من الأودية حيث يتدفق منه النهر)

فكوره مرات جليدية ثم نسيجه نسيجا كما تقدم
(٣) ثم انهم شاهدوا أنواعا من البرد هيئات حبوب بيضاء غير شفافة أي انها لا ترى ما وراءها كأنها صور صغيرة لسكرات الثلج لا انها صور لقطرات المطر وهذه تشاهد كثيرا نازلة مع قطرات المطر والقطعة من البرد إذ ذاك مركبة من جبات صغيرة منه بحيث لا يزيد قطر الواحدة منها عن عشرة البوصة أي نحور بع سنتيمتر وقد غطيت بطبقة من الجليد . وقد عللوا ذلك بأن البرد أولا كان ألواحا ثلجية في أعلى الجو الذي اشتدت برودته ثم نزل الى جو حار فأخذ يذوب فيه . وقبل أن يتم ذوبانه نزل الى جو بارد قرب الأرض . هنالك جد فصار بردا ولكن آثار الثلج لا تزال ظاهرة في خلال أجزاءه . وهذا آخر ما ذكروه . إذن يكون الأمر دائرا بين هذه الأحوال . مطر جسد فصار ثاجا . مطر جسد فصار جليدا . والجليد اجتمع فصار بردا متجانس الأجزاء الداخلة فيه . ثلج نكوّن ثم ذاب ثم برد ثانيا قبل تمام ذوبانه فصار بردا . هذا ملخص ما جاء في كتاب (علوم للجميع)

والدليل على أن البرد كان أولا ثاجا ما استراه في هاتين الصورتين الجليتين الحسفتي الشكل البهيمتي المنظر

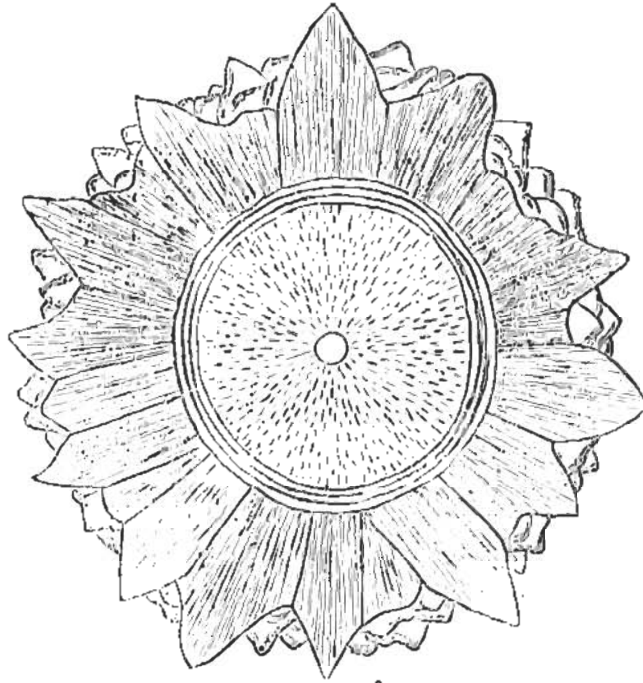
المتلائين المشرقين اللتين هما من أعاجيب آيات الله تعالى اللتين رآهما المسير (هـ . ابك) الروسى المغمم بالعلوم وقد نزل في أثناء عاصفة قوية في جبال (أثر دلت) بالقرب من (بجايوى كلبتسك) في القوقاز بالقرب من (نفليس) في (جورجيا) في التاسع من شهر يوليو سنة ١٨٦٩ فرسمهما ونشرهما في المجلة الروسية العلمية في تلك السنة ونقلهما العلامة (روبرت براون) الانجليزى ومنه نقلهما . وقد قال في وصفهما انهما صورتان بلوريتان هندسيتان مرسومتان بشكلهما في الطبيعة وهما ربعا كانا بهيج وأكثر تأثرا في النفس من كل ما رآه الناس من أنواع البرد على الأرض الى اليوم (انظر شكل ٦) و (شكل ٧)



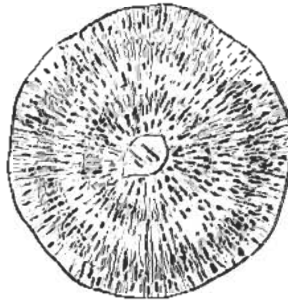
(شكل ٦ وشكل ٧ - صورة البرد الجبرى البلورى الشفاف الذى سقط على الأرض)

في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م بالقرب من نفليس)

ثم قال « إن هاتين الصورتين قد ركبنا من جزأين القلب والغلاف . أما القلب أو النواة فهو عبارة عن مادة نلجية تضاممت واجتمعت بهيئتها المسدسة . وأما الغلاف الخارجى فليس بلج كالأول وإنما هو جليد بلورى الشكل طويل الحجم بهيئة صور هندسية منتظمة جميلة جدا . وكثيرا ما ترى لها صافيا صغيرا من الجليد المسطح الهيئة في داخل البورات الخارجة . وهاتان القطعتان المرسومتان قد سقطتا في إناء من الحديد والتقطتا وأخذت صورتها فوراً وهما معتمتان في النواة الداخلية وفي الغلاف الخارجى فأما ما بينهما فإنه جليد شفاف ذو خطوط ست متقاطعات على هيئة ست زوايا كل زاوية ستون درجة وهذه الخطوط تنعدم عند التقائها بالقلب الداخلى وعند اتصالها بالغلاف الخارجى ويحيط بكل منهما أعمدة مستدسات منتهية بأجسام منشورية الشكل ذات زوايا مختلفة وأضلاع يتساوى كل اثنين متقابلين بها . وهناك قطعتان برديتان أخريان جيلتان . أما أولاهما فقد رسمها الضابط (الكابتن ديكاكوز) الاستاذ الفرنسى في الهندسة سنة ١٨١٩ ونشرها في ذلك التاريخ في المجلة العلمية الاستاذ (اراجو) وهذه صورتها (شكل ٨)



(شكل ٨ - صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري البلوري الذي سقط في كورة (مديرية) من كورات فرنسا الغربية في الرابع من شهر يوليو سنة ١٨١٩)
ولما سقط ذلك البرد الصخري في تلك المديرية كسر صفوف المنازل والشبائيك وأضر بأغصان الأشجار ودمر مزارع الحقول وقتل الحيوانات وهي ترى في مرابعها . وهذه القطعة البردية الحجرية مركبة من جليد أبيض غير شفاف متضام بهيئة بلورية الشكل ذات نواة صغيرة يحيط بها حجم كبير أزرق ذو خطوط لامعة تمتد من المركز الى محيط الدائرة وفوق ذلك يحيط بها طبقات متضامات وهذه الطبقات الخارجية المحيطة ذات أشكال هندسية ظريفة متصلات بأشكال صغيرة بارزات بينهما . أما ثابتهما فهي مركبة من طبقات بعضها فوق بعض كطبقات البصلة طبقة زرقاء صافية تليها طبقة بيضاء غير شفافة من الجليد وهذه الطبقات المتعاقبات وصفها العالم الألماني في الظواهر الطبيعية (كيمتز) بأنها من جليد وثليج وتحيط بها طبقة من الجليد . وهذه صورها (شكل ٩)



(شكل ٩ - صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتجددات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف الذي رسمه العلامة (ابك) المتقدم ذكره وتاريخ رسمه)
(بهجة العلم في البرد الصخري)

قال المؤلف المذكور أيضا ﴿ إن بعض القطع البردية التي رآها الناس كانت وزن ثلاثة أرطال الإنجليزية تقريباً ﴾ ثم قال في صفحة ٢٩٤ من المجلد الثالث ﴿ وقد قيل إن بردا صخريا سقط في (كازورتا) في بلاد

اسبانيا سنة ١٨٢٩ كان وزنه أربعة أرطال ونصف الجبازية تقريباً (وقال العالم الألماني بالظواهر الطبيعية
(كيمتر) ان قطعة من البرد سقطت سنة ١٨٥٢ فكتلت مساحتها (٣٩) بوصة من ناحيتين وسمكها
(٢٨) بوصة) انتهى

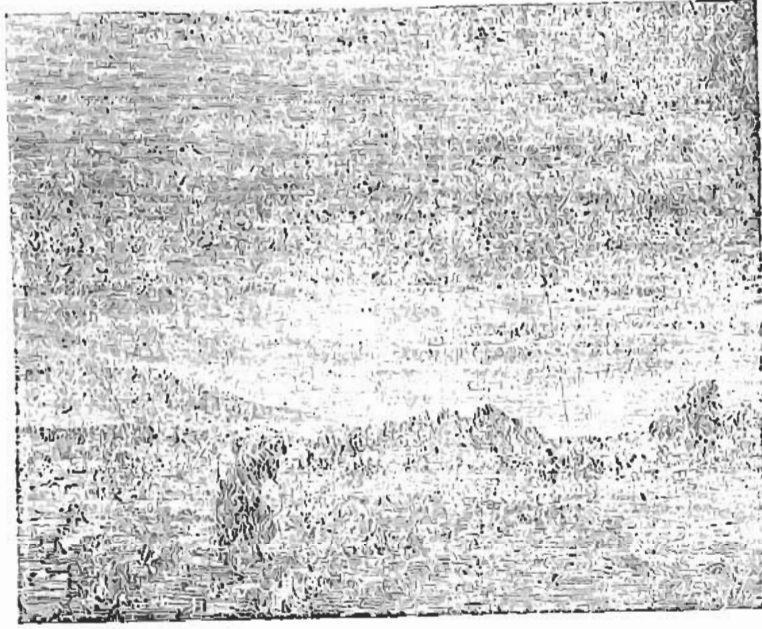
واذ فرغت من الكلام على جبال الناج وعلى البرد ذبائك تشير الآية بالصور الطبيعية المرسومة فيما تقدم
والتي سترسم الآن . قال الله تعالى - ألم تر أن الله يرزقهم أموالاً ينفقونها - هذه صورتها (شكل ١٠)



(شكل ١٠ - صورة السحاب المتجمع من قطاع منفصلة . منقولة من كتاب روبرت برادن)
وقوله تعالى - ثم يجعله ركاماً - هذه صورتها (شكل ١١)



(شكل ١١ - صورة السحاب المركوم منقولة من الكتاب المذكور)
وقوله تعالى - فترى الودق يخرج من خلاله - هذه صورتها (شكل ١٢ انظره في الصفحة التالية)



(شكل ١٢)

وقوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - انظر في شكل (٣) و (٤) و (٥) فهناك جبال الثلج الدائم في شكل ٣ ونزلها على جبال الأرض من السماء أى أعلى الجو شكل ٤ وهذه الجبال تحفظها واستمداد الأنهار منها تراه في شكل ٥ إذ يخرج منه نهر الرين . وقوله - فيها من برد - انظره في شكل ٦ و ٧ و ٨ و ٩ فهناك أشكال البرد المذكور وقوله - فيصيب به من يشاء - الخ قد تقدم كيف كان البرد يفتك بالبهائم في مراعيها ويكسر الشبايك وسقوف المنازل والمزارع وقوله - ويصرفه عمن يشاء - هذا هو الأعم . وأما قوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - الخ فهو ظاهر فيما تقدم في التفسير . وهنا جوهرتان

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - ﴾

قد قدمت لك أن العقول لا تقبل أن يكون في السماء جبال . وأزيدك على ذلك اني حينما كنت أقرأ هذه الآيات أقول لعل الجبال جعلت مجازاً عن السحاب . أما الآن فقد ظهر أن جبال الثلج دائمة في الجو ولكن العجب أن يقول - فيها من برد - فلم يقل جبالا من البرد لأن الحقيقة أن الجبال المتقدمة من الثلج لا من البرد والبرد كما تقدم داخل في الثلج كما شرحه العلماء وأوضحه العالم الألماني في الظواهر الطبيعية فيما تقدم آنفاً إذن قوله تعالى - فيها من برد - لم يتضح إلا في هذا العصر لأن جبال الثلج انما يكون البرد محمولا عن بعضها لا كلها ، إذن ذكر - من - في الآية قد ظهر سره الآن . انتهت الجوهرة الأولى

﴿ الجوهرة الثانية ﴾

اللهم انك أنت ذو الجلال وذو الجلال . خلقت الانسان من الجبال على الجبال في الجبال فعملنا سلكه جبال ولكننا غافلون . فإذا يفعل الله معنا . هو برحيم . فتح لنا أبواباً كثيرة وهدانا الى كل سبيل عسى أن نرى ذلك الجبال . أذكر أني بعد ما كتبت هذا الموضوع خرجت للرياضة مساء على شاطئ النيل فلمحت الدراري الحسان لامعات في جو السماء ترقص وهي في جلايب لازوردية مشرقة اللون . فإذا خطر لي قلت في نفسي عجبا وألف عجب . أنت يا الله حكيم ورحيم . أحطنا بكرة سمينها سماء وكلها مرصعة بالدراري وهي آثمن من الدر فلم ندرك الجبال وأغلبنا غافلون فأخذت تفتح لنا أبواب النظر . ومنها انك عمدت الى بخار الماء في الجو فجمعه بالبرودة وصنعت منه سجارة لامعة سمينها برذا وأخذت تكسرها الشبايك والسقوف في

المنازل وتقتل بها المهاجم في سراعها . لماذا هذا . لأنك لم تتفانق هذا العالم إلا بالبحث والعلم . هذا نتيجة هذه الدنيا . وإذا خربت بيوت وماتت نفوس وهلكت حقول فذلك باب العلم . أولا هذه الخسوف ما تنبه الناس لهذه الحوادث ولذلك رسمها العلامة (ابلك) الروسي سنة ١٨٦٩ والضابط (ديكلكور) الفرنسي سنة ١٨١٩ وبقى ذلك للناس ليدكروا . أهلك البرد بعض ما ينفع الناس في الأرض ليوصلهم فإذا رسموا هذه الصور كما رأيت فقد أثروا بعلم دائم نشره القوم في أور وبا ونحن هنا نقسرب القرآن . إذن كل هذه السوالم الخمايراد بخلفها في النهاية العلم ولاحادثة تحدث في الأرض إلا لما قدم صدق في العظة والاعتبار والاعتبار هنا أكثره علمي كما عرفت والحمد لله رب العالمين

﴿ اعتماد الجبال في هذا المقال ﴾

لقد تبين في هذا المقال وفي واضع كثيرة من هذا التفسير أن جبال الثلج تكون على الأرض عند القطبين وكلما تباعد الانسان عن القطبين واقترب من خط الاستواء ارتفعت تلك الجبال فأعظم ارتفاع لها يكون عند خط الاستواء أي أن جبل الثلج الذي تقدم انه كالقطن المنسوف وشاهدت رسمه يكون بعيدا عن سطح الأرض جدا ولا يزال يقترب منها حتى يكون على سطحها عند القطبين فأريد الآن أن أزيد هذا المقام جمالا فأقول

ورد في كتب الجغرافيا الحديثة أن تكون الشواطئ الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا أشبه بتاج حول القطب الشمالي . ولقد اتجه العلماء لتكشف تلك الأقطار من ابتداء القرن السادس عشر الميلادي الى الآن ولم ينالوا من العلم بها إلا قليلا لأن النتائج التي نحن بصدد الكلام عليه يصدها السائحون أو يهلكهم وغاية الأمر أن (دافيس) كشف البوغاز المسمى باسمه في القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر كشف (بفان) بوغاز (لنكاستر) ولكن التلوج قامت عقبة في طريقه فارتد الى أوروبا . وفي القرن التاسع عشر توجه (جون فرانكلين) الى القطب الشمالي ومات . وهكذا قصدت بعثة القطب عن طريق (بوغاز بهرنغ) فهلك بين التلوج . وفي سنة ١٨٦٩ قصدته بعثة أخرى على سفينة ألمانية فخطمت التلوج السفينة وألقت العناية الإلهية بركابها الى ظهر جزيرة سابعة من الجليد سارت بهم حتى ألقتهم على شواطئ جرونلند الجنوبية سالمين . وفي سنة ١٨٧٢ كشف (واير) و (تايرخت) جزائر (فرانسوا جوزيف) ولم يقدر أن يجتازا أكثر من الدرجة (٨٢) والدقيقة (٥) . وقصد (كان الأمريكي) القطب سنة ١٨٥٨ فصادفته انصاعب فرجع وقال ﴿ هناك بحرسات في القطب الشمالي ﴾ . والدكتور (هيس) قصد القطب في مركبات تجرى على الثلج سنة ١٨٧١ فمات عند الدرجة (٨٠) والدقيقة (١٦) فرجع أصحابه بعد ما حطمت سفينتهم فنقلتهم جزيرة من الجليد عائمة فلبثوا عليها ستة أشهر وهي سابعة حتى صادفتهم سفينة على شواطئ (البرادور) فنقلتهم اليها وقد كادوا يهلكون . وفي هذه الأقطار يرى البحر ذا بياض ناصع لكثرة التلوج وترى سطحه مغطى بقطع ثلجية مختلفة الأشكال وقد يكون شكل جبال بمفاوزها ومضائقها ووديانها وقممها . ومنها ما هو على شكل سهول واسعة لامعة . وفي الصيف قد يبلغ سطح بعض هذه التلوج مئات من الكيلومترات المربعة وارتفاعها ينوف على مائة متر وحجمها جلة آلاف آلاف من الأمطار المكعبة ويضطرها ثقلها أن تغلس في الماء . وقد يكون المختفي منها في الماء ثلاثة أمثال ما على ظاهره . وتأني الرياح والتيارات بهذه الجبال الثلجية الى بلاد المنطقة المعتدلة فيشاهدها سكان الأرض الجديدة بأمريكا (٤٥) درجة وغيرهم والبرمغطي بالثلج كالبحر هناك . فترى الرياح تأتي مشبعة ببخار الماء من البحار فيسكنها بخارها فينزل على الأرض كأنه نديف القطن فيجتمع ويصير جليدا . ومن العجائب أن هذه الأقطار إذا كان الليل فيها (ومعلوم أنه ستة أشهر كالنهار) تاطف حاستا السمع والبصر فتظهر لالعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس

والأقدار الكاذبة والشفق الشمالى المتقدم ذكره ورسمه في (سورة الكهف) ويكون هذا الشفق كما تقدم هناك ألوان بهجة وأشكال عجيبة فيظهر كأنه زينة في الأفق أبواب من نور يفتح في السماء . فأما قوة السمع فأنها تكون عجيبة فإذا سقط حجر كان له صوت كصوت المدفع وإذا تكلم إنسان سمع صوته وفهم كلامه على مسافة ألف متر . وليس هناك أبهج من شروق الشمس والنمر فتظهر أنوار الشمس أولاً شففا ثم تنظم بالتدرج ولا تحاول الأفق بل تدور حوله والقمر يظهر نوره جلياً جداً حتى يستطيع الإنسان أن يرى على مسافة (كيلو متر) وسكان تلك الأقطار يختلفون بظهور الشمس فيوقدون النيران ويقيمون الأعياد . وأما القطب الجنوبي فإن المعروف عن أرضه قليل جداً . وأهم الرحلات إلى القطب الجنوبي كانت في القرن الثامن عشر فكتشف ثلاثة من الفرنسيين بعض الجزائر . ونبيهم (كوك) وكشف جلة أرضين . وأثبت أن هناك قارة عظيمة . وآخر درجة وصلوا لها (٧٨) والدقيقة (٩) والثانية (٣٠) (١٨٣٩ - ١٨٤٣) وقطع الجليد أضخم وضخامة الطبقة الثلجية أكتشف فيه والضباب هناك مخيم دائماً . والقول العام أن هناك أرضاً بالقرب من القطب الجنوبي واستنتجوا من بعض الظواهر أن هناك جبلاً ورأوا بعض براكين . وكل ذلك يدل على قارة جنوبية كما عرف علماء طبقات الأرض أن الأقطار الشمالية المتقدمة فيها مناجم للفحم الحجري مما يدل على أن الغابات كانت في قديم الزمان موجودة بهذه الأصقاع

﴿ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يرحى سبحانه - الخ ﴾ خرجت من المنزل صباحاً للرياضة منذ شهر هذه السنة ١٩٢٨ م وكانت المطبعة لم تصل في طبع التفسير إلا إلى (سورة الاسراء) فوقفت على شاطئ نهر النيل بالقرب من (جزيرة النيل) وكان نظري مبتهجا بالنور الشمسية المشرقة على سطح ماء النهر المنعكسة على الشاطئ القريب من سطح الماء فكنت أرى الضوء المنعكس وقت الصباح يعطى ضوء الشمس الأصلي ضوءاً أظهر بياضاً وأحسن اشراقاً . فأما فكري فقد كان مبتهجا بمسألة (المحار) وتناسله في البحر وأن (المحارة) تلد آلافاً من صغارها بلا ذكر وهذه المسألة تناسب مسألة المسيح ونمته . فبينما أنا كذلك إذ قابلني هناك صديقي مصطفى بك منير ذاهباً إلى ديوان التنظيم فسألني قائلاً . فيم تفكر . فأجبت بما ذكرته فسر وقال هذا أمر لم أسمع من تفكيره من قبل . هنالك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث فأخذ يقص لي قصصاً عجيباً . قال ﴿ لقد اجتمع سنة ١٩٢٥ أي منذ ٣ سنين ببلادنا المصرية باسم الحكومة المصرية نحو (٢٥٠) عالماً من علماء الأمم الأوروبية كلهم أعضاء الجمعية الجغرافية التي أنا من أعضائها . ونا التأم جمعهم وتكامل وانتظم الاحتفال ألقى كل واحد منهم خطبة في موضوع جليل جليل . ولما كنت أنا منهم أقيمت موضوعي في أسر النيل وخروجه من خط الاستواء وأن آية - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - الخ منطبقة على نيل مصر انطباقاً تاماً

(١) ألم تر أن الله لم يخلق نهرًا مبدؤه يمر به خط الاستواء إلا النيل
(٢) ألم تر أن تلك الأقطار الاستوائية لانفتاح أنوار البرق تتلأأ فيها بهيئة فوق المعتاد تمايز عن برق الدنيا كلها بحيث تكاد تخطف الأبصار وتبهرها مدة عشرة أشهر في السنة

(٣) وأيضاً هناك أخاديد في الأرض غائرة ينزل فيها ماء غزير جداً لا يدرى الناس أين يذهب وهكذا
(٤) يخرج البخار من المحيط الاطلانطيق والمحيط الهندي أي من جانبي أفريقيا فيلتقيان في الجوف فيمطران في خط الاستواء . وللاول الإشارة بقوله تعالى - يقلب الله الليل والنهار - ومعلوم أن ذلك التقلب في خط الاستواء لأن حركة الشمس هاله . والثاني - يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار - والثالث - يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء - والرابع بقوله - ألم تر أن الله يرحى سبحانه ثم يؤلف بينه - الخ . قال وكانت الخطبة لكل خطيب لا تتجاوز (٣٠) دقيقة فلما سمعوا هذه الخطبة آمنوا بالاجماع على قولي واعتبروا هذا نورا

اسلاميا . فقلت له أيها الصديق كيف تقول ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر بمنابعه بخط الاستواء مع أن هذه المنطقة ينبع منها أنهار كثيرة . فقال تنبع أنهار والسكن ذلك ليس من نفس خط الاستواء أي ان نهر النيل هو الوحيد الذي يمر في خط الاستواء فعلا بمنابعه . أما غير فيميل قليلا أو كثيرا ثم تبسم وقال لا تنس أن هؤلاء علماء الجغرافيا الذين ينظنون لكل ما يقال على عادتهم . فقلت له فإذا عملوا بعد ذلك قال لما رأوا انطباق نهر النيل على الآية . وقد كنت رسمت خريطة رسميا مجسما بحيث صارت الخطوط أطول من ثلاث حجرات على الأرض وقد رسمتها بحسبة وجبالها مرتفعة وبحيراتها منخفضة وكل ذلك بألوان . وهامى ذه أريكمها الآن في دار الجمعية الجغرافية التي مفتاحها بيدي فأخذني إليها وتفرجت عابها ودهشت لخريطة عظيمة مرتفعة عن الأرض بقوائم مستطيلة ضخمة وليست في حجرة بل هي في بهو المكان فقال انظر فنظرت السقف ومنه تدخل أشعة الشمس فقال ان علماء الجغرافيا الذين أتوا من جميع ممالك أوروبا كما أخبرتك هم الذين نقاوها بأنفسهم من الداخل الى هنا اعظاما لها وجعلوها ملاقية لأشعة الشمس اشارة لأنها منط العالم والتقدس وسموها **الخريطة المقدسة** . وذلك لأن لها آية في كتاب مقدس وهو القرآن . قال وقد فرحوا فرحا عظيما . فقلت له يا سبحان الله . أيتكون هذا في بلدي وعلى مقربة من منزلي ثم اني أجهله مع انك أنت صديقي . إن هذه أحسن فرصة أن أقص هذا القصص في التفسير وأن ترسم هذه الخريطة لي مع بعض المعلومات معها فتفضل ورسمها وأرسلها لي فشكرته على صنعه ورسمتها هنا وذكرت ما كتبه على مقتضى ما أفاد به علماء الجغرافيا . ومن عجب أن يجتمع في هذه السورة **(ثلاث عجائب)** الخريطة المقدسة هنا . ثم خطبة صديقي الاستاذ (جاد المولى) في شرف الدين الاسلامي في جمع حافل من عظماء علماء أوروبا وقد أقرره ولم يناقشوه وذلك عند قوله تعالى - وكذلك أنزلناه آيات مبينات - فساد كرها هناك لأن هذا من التدين الذي نزل به القرآن . ثم ما كتبه الجمعية الآسيوية الفرنسية على الدين الاسلامي بمناسبة كتابي **(نظام العالم والأمم)** فلابدأ بالخريطة المقدسة وان كان مفسر به ليس على النهج الذي قدمناه ولكني أردت أن يقف الناس بعدنا على آراء أهل عصرنا

(الخريطة المقدسة)

لما أرسلها لي صديقي مصطفى بك منير قال بعد الديباجة . وبعد فرسل معه صورة لوحة (خريطة منابع النيل) التي أبصرتوها في دار الجمعية الجغرافية ومعها نسخة من مختصر المحاضرة التي ألقيتها في الجمعية على أساتذة المدارس والله يحفظكم ويهدينا الى العمل بارشاداتكم المخلص . مصطفى منير أدهم وهذا نص الخطبة المذكورة

(القرآن الكريم ومنابع النيل)

من ألفت الخارطات المعروضة في دار الجمعية الجغرافية الملكية المصرية لوحة مجسمة تمثل منابع النيل عند خط الاستواء . فترى جبال (رفنزور) الشاهقة التي ارتفاعها (٥٥٠٠) متر وفي جنوبها جبال (اريزيمي) وارتفاعها (٤٥٠٠) متر . وفي شرقها (جبال الجون) وارتفاعها (٤٣٠٠) متر وقد كساها البرد طيلسانا أبيض حتى اذا ما أزعج السحاب وتألفت أجزاءه وتراكمت خرج المطر من خلالها ونزل من السماء من تلك الجبال الشاخنة بلعان له بريق يخطف الأبصار . وترى على هذه الجبال تجايف الماء وقد انحدر منها وجرى الى بحار تنتهي الى بعض البحيرات وتنصرف عن الأخرى ، ترى بحيرة (فيكتوريا نيانزا) ومساحتها (٩٠٠٠٠٠) كيلومترا مربعا وارتفاعها عن البحر (١١٤٥) مترا وقد أصابها ماء تلك الجبال لأن البحيرة وقعت بينها . وترى بعض هذا الماء وقد انصرف من جبال (رفنزور) و (اريزيمي) الى بحيرات (تنجانيقا) وارتفاعها (٦٧٣) مترا و (كيفو) وارتفاعها (١٤٥٠) مترا و (ادوارد) وارتفاعها (٩١٥) مترا والبرت ومنسوها

مكتسوب بحيرة (ادوارد) ، وكذلك انصرف بعض ماء (جبال الجون) الى بحيرة (رودلف) وترى الماء في بحيرة (فيكتوريا) يجري شمالا الى بحار تصب في بحيرة (كيوجا) وارتفاعها (١٠٣٠) مترا ويخرج من هذه البحيرة نهر فيكتوريا فيصب في بحيرة البرت . ثم ترى نهرا نهرت وقد خرج من بحيرة البرت وانتهى الى أول مجرى النيل السعيد . وتجذ فوق اللوحة خط الاستواء حيث يستوى النيل والنهار مارا بالجزء الشمالي من بحيرة (فيكتوريا نيانزا) قاطعا جنوب جبال الجون الواقعة شرقي البحيرة وجبال (رفنزور) و (اريمبي) التي في غربها . اختارت الجمعية لهذه اللوحة أحسن مكان عندها فوضعتها تحت روشن قاعة المحاضرات الكبرى فترى أشعة الشمس وقد سقطت عليها نهارا فأكسبتها هيبة ووقارا . وينيل الى الناظر اليها كأنه في طائرة عالية عند خط الاستواء وتحت تلك الجبال الشاخنة وقد كساها الناج وتراكمت عليها السحب وخرج من خلالها المطر ونزل من أعلاها بلعانة الجحني الذي يخطف بالأبصار متنها الى بعض الجهات ومنصرفا عن الأخرى بحسب ما هيأ له يد القدرة من مرتفعات ومنخفضات وأخاديد كانت غامضة علينا لولا أن كشفها أخيرا المستر هرست مدير مصلحة الطبيعيات سنة ١٩٢٧

هذا المنظر الهائل بل السر الإلهي العظيم يستمر على هذه الحال عشرة أشهر في العام . وضع بطليموس سنة ١٥٠ ق.م خارطة النيل الموجودة صورتها في دار الجمعية الجغرافية ورسم عليها منبعا واحدا للنيل حسب ثم جاء بعده بنحو اثني عشر قرنا الادريسي ذلك الجغرافي الشهير وقال ان النيل يخرج من بحيرتين تصبان في بحيرة ثالثة وهو أقرب الى الحقيقة ومطابق للوصف المبين على لوحة منابع النيل المذكورة

هذا ما أمكنني على قدر طاقتي أن أصفه لك أيها القارئ الكريم عن هذه اللوحة وإخالك مالت وصفي وإن كان قرب لك على قدر الامكان تصوير اللوحة . ولكن انظر إذن الى ما وصفها الله تعالى به منذ ١٣٤٧ عاما في كتابه العزيز فقال تعالى وهو أصدق القائلين - ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق (المطر) يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه ممن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار . يقرب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار -

لم تترك هذه الآية الكريمة نقطة واحدة من وصف اللوحة وما يحصل عند النيل من العوامل الطبيعية من أول ما يزجي السحاب الى أن يجري ماءه في النيل إلا وذكره . ولا سيما ما يحصل من الليل والنهار لمناسبة مصادفة خط الاستواء لمكان تلك المنابع وما ينصرف من الماء الى تلك الأخاديد التي كشفها المستر هرست وما يحصل لأهل اقليم (فيكتوريا نيانزا) من تأثير امان انبرق على أبصارهم . وهذا الوصف لا ينطبق على منبع أي نهر آخر غير النيل السعيد قال تعالى - ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ انتهى خطابه (انظر شكل ١٣ في الصفحة التالية)



(شكل ١٣ - صورة الخريطة القديمة لنيل مصر رسم مصطفى بك - بنو آدم)

﴿ مقال عام في هذه الآيات من قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - وبيان أن هذه الآية هي سر

ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ﴾

انظر أولاً في دين الصابئين وهم عباد الكواكب وتعجب لما في لغة العائلة (الآرية) أو الهند الجرمانية فإن الله عندهم هو النور أو الشمس وتجد اللفظة الأصلية للنور (ديف) ومعناها النور أو اللامع ويشق منها عند الشعوب المذكورة ألفاظ للدلالة على الله . ففي لغة (السنسكريت) (ديفاس) أو (ديواس) أو (ديوا) ويعبرون عن السماء بلفظة (ديوس) وعند اليونان (ذوبوس) وعند اللاتين (دووس) أو (ديوفيس) ثم قالوا (جوفيس) ومنه (جوبيتر) وفي الألمانية القديمة (ذوبر) وفي السلان (ديواس) ولفظة (تير) المشتقة منها معناها إله الحرب عند أم الشمال والفرنسيون يعبرون عن الخالق (ديو) مترجمة والاطاليون (ديو) والاسبانيون والبرتغال (ديوس) وكلها مشتقة من أصل واحد . ولا جرم أن نار الفرس ذات علاقة بالنور فترى هذه الأمم في مبدأ أمرها لما بهرهما من جلال النجوم عشقت مبدعها وعبدته وسمته باسم النور على مقتضى تعاليم أنبيائهم ثم طال عليهم الأمد فنسوا تلك التعاليم فعبدوا العوالم المنظورة المضنية ثم عبدوا الأصنام انتهى من كتابي ﴿ أصل العالم ﴾ مع إيضاح آتم

فانظر لتعاليم القرآن وكيف أنزل الله هذه الآية ليدلنا على أصل فطرنا . إن فطرة الانسان كلها عاشقة للنور لأن النور جيل والنور مبدأ الحياة . فالولا أنوار السماء والحرارة المنبعثة من الشمس لم يكن على وجه الأرض نبات ولا حيوان . لذلك كان الناس مغرمين بالأنوار سواء أعرفوا الحقيقة أم لم يعرفوها . فاذا أسماوا الله بالنور فهي تسمية أقرب الى الفطرة . فانظر جميع أديان الصابئين التي ذكرتها لك فانها ترجع الى النور المذكور في هذه الآية فهي آية جعت ديانات الأمم الفطرية التي تلائم عقول الناس جميعاً ثم اعتراها ما يعترى كل حي من البوار فاختلفت تلك الديانات وعبدوا الشمس والكواكب ثم الأصنام ثم ذهبت وحل محلها الاسلام . ذلك دين الانسانية جميعها . فانظروا عجب لهذا الدين . نبي أمي في جزيرة العرب تنزل عليه آية - الله نور السموات والأرض - ونفس هذا المعنى هو ملخص كل دين نزل على نبي قبله . وياك أن يصداك عن هذا المعنى أن الأديان ضالة أو خاطئة أو منسوخة . كلا . ثم كلا . فهذه الديانات كلها كانت في أول أمرها حقا صحيحة والله عز وجل أشرق نوره العلمي على كل طير وكل دابة وكل حشرة وهكذا على الأمم الانسانية . الله لم يستأن من رجته أحدا وكيف يستثنى وهو نور السموات والأرض . هو رحم كل مخلوق ورحم الأمم السابقة وأسبغ النعم عليها ظاهرة وباطنة . ولكن كلما اختلط دين وضل أهله أرسل رسولا آخر حتى جاء الاسلام فشرح كل دين وقال الله فيه - الله نور السموات والأرض مثل نوره كشكاة - الخ أي فلانظنوا أن الله هو الشمس أو الكواكب . كلا . بل هذه ضرب أمثال ثم ضمن حفظ هذا الكتاب وبقاء باللغة العربية ثم خلط أم الشرق بأم الغرب وقال لهم أيها الناس لا تخافوا من الضلال فكل من حصل له شك في دينه فوجده غير معقول عنده . فها هو ذا حصن وهو القرآن فاقرؤه أيها الناس في هذه الأرض . ولقد كنت أرسلت آلافا من الأنبياء ومئات من الرسل فغيرتم أديانهم - ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك - لا تسجدوا للشمس وللنجم واسجدوا لله الذي خلقهن - والله تعالى جذر بنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا * والله كان يقول سفيها على الله شططا -

﴿ الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه ﴾

اللهم انك قد سحرت بجمالك الذي أشرق في الآفاق عقول العقلاء من جميع الأمم والله يظهر لي أن الله أناسا في كل جيل وأمة يحنون اليه ويطلبون لمنظر جماله الذي أشرق في هذا الكون العظيم . اللهم ان

نجومك الجيلة وشموسك المشرقة وأقمارك الباهرة وعالمك الساحرة وبهجتك السابعة قد امتلأت بها قلوب وقلوب فظهر على ألسنتهم وصف ذلك الجبال . اللهم إن هذه الدنيا كلها مشهد عرس وموسم أفراح قد نصبت فيه الثريات المشرقات وهن برقصن بتلاؤن ويتواجدن بترنح حتى إن أرضنا في الحقيقة لا تزال راقصة آناه الليل وآناه النهار فهي كمن قال الله فيهم من الملائكة - يسبحون الليل والنهار لا يفترون - فهي لا تنهدأ ولا تنقتر عن الجرى بما حلت على ظهرها حول الشمس وحول نفسها فرقصها مزدوج كأنها في عرس دائم وفرح هائم . تدور الدورتين على نفحات الراقصات الحسان من كواكب السماء وهي فرحة بما حلت به من ثلج كالناس في قطبيها وجبال منه كأنها القطن المذروف في جوارها وفوق أعلى جبالها فهي حسناء وشحت بلباس والجواهر من جميع جوانبها قد كملت آنا فآنا بقوس فرح والأزهار الجيلة وأرج الزهر وبهجة السحاب ولطف الهواء زينة وبهاء . الكون كله في عرس متى لحظه انعقلاء . كله نور عند من يعقلون . لبس يشهد هذا العرس من الناس إلا قليل أولئك هم الذين يعقلون لم يخلقوا ويدركون لحظة من جلال مبدع هذه الكائنات لذلك ترى جميع الديانات بحسب حقائقها ترجع إلى هذا المبدأ الذي وصفناه ولذلك قال الله تعالى - قل ما كنت بدعا من الرسل - فهذا الدين شأنه شأن الديانات الحقبة السابقة قبل تبديلها . انظر ماذا ترى في دين قدماء المصريين فإنه قبل أن يشتد فيه التبديل جاءت أذشيد على منهج هذه الآية - الله نور السموات والأرض - فانظر ما نقلته لك عنهم في (سورة البقرة) من كتب (الأدب والدين) عند قدماء المصريين المترجم حديثا عن كتب الاوروبيين وذلك في أواخر السورة عند قوله تعالى - مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة - الخ - فهناك وصف الله بأنه قد أشرفت شمس في الأرجاء وتبع ذلك وصف الشمس ونورها وبهجة الحيوان بها إلى آخر ما هناك . وهذا ما كتبت هناك فافراه تجد الحجب . وأقول هنا قد جاء في الكتاب المذكور ما نصه (ومن رأى بعض المؤرخين أنه لم يكن اعتقادهم أن توت هو الشمس نفسها بل هو الجواهر الذي لا شكل له وهو أصل كل شئ والذي أنزل الحبة على الأرض . وقد مثاوا (توت) على شكل قرص الشمس) انتهى

أقول . إذن هؤلاء أصل دينهم كديننا فإنا نقول إن الله مقس عن كل الحوادث ولكن هم جعلوا الشمس ضرب مثل له واتون اسم من أسماء الله عندهم

وقال في صفحة ٩٢ (وقد وصفوا اتون بالرحمة والشفقة وحب الخير والملاطفة مع خلائقه وأنه أب لهم عطوف جليل يملأ السموات والأرض بالخير والبركة ولطيف بخلائقه يأسرهم بحبته ويلطف بالطفل في الرحم وفي المهد ويعطف على الفرخ في البيضة وأجرى النيل وأنزل الأمطار وعمم المنافع لسائر البلاد وجعل العباد) اه وجاء فيه أيضا في صفحة ٩٧ (ان قدماء المصريين وان عتدوا الآلهة قد وحدوا فعلا أيام الملك مينا فأنه في مدينة (عين شمس) أتوم وفي مدينة منفيس (فتاح) وفي مدينة الاشموين (نحوت) وفي مدينة طيبة (أمون) . وفي الأقصر (حورس) وفي جزيرة اسوان (ختوم) وهذا كان سبب تعدد المعبودات عندهم والا فالأصل هو التوحيد) انتهى

وجاء في هذا الكتاب صفحة ٩٧ ما ملخصه

(من هنا يتضح أن معبود الجميع في الحقيقة إله واحد وما هذه الأسماء إلا رموز ومظاهر للإله الحقيقي الواحد الجامع في ذاته كل الصفات الإلهية) وإلى القارئ أنشودتان من أناشيد أهل طيبة للمعبود (أمون) ومنها يتضح حقيقة عقيدتهم في الله الفرد الصمد وهما

(الأنشودة الأولى)

(إله العظيم سيد جميع الآلهة (لعل القصد جميع الملائكة) أمون رع الأزلي الحق الواحد الخالق كل

شيء السيد المسيطر الذي لم يكن قبله شيء بل هو الموجود قبل كل شيء وكان منذ الخليقة هو قرص الشمس الذي يحيا جميع البشر بظهوره ﴿ ترجعت من كتاب (نافيل) ﴾

﴿ الأنشودة الثانية ﴾

﴿ الإله الذي أوجد العشب للحيوان وثمار الأشجار للإنسان ويسرقوت الأسماك في البحور وهياً الغذاء للطيور ووضع الروح في البيضة وأطعم البرغوث والبعوض وحنانه شامل لكل ملتجئ إليه . حتى الضعيف من القوى وهو الممجد المحبوب في السماء والأرض والبحار وتخضع له الآلهة (أقول أي الملائكة) لجمده تعظيماً لخالقهم وتبتهج بقرهم منه وتمجده الحيوانات الضارية في فيافي الصحراء . بهر جمالك العقول وخب القلوب ﴾ (ترجعت من كتاب أرمن الألمانى) انتهى ما أردته من الكتاب المذكور

أفأنت ترى أن هذا الهيام وهذا الحب والغرام ببدع هذا العالم ناشئ من قلوب أدركت جماله في هذا الوجود ورجسته الشاملة . فالأوصاف في هاتين الأنشودتين ترجع للجمال الظاهر الذي أبرزوه بهيئة الشمس وللجمال الباطن الذي يرجع للدرجة الشاملة لما في الأرحام ولكل من على الأرض . ومن عجب أن آية - الله نور السموات والأرض - وما تبعها من أن الطير صافات تسبح لله وتصلى له فيها كثير من معاني هذه الانشودة بل فيها جميع معانيها لأنه ذكر ما عيش على رجلين وما عيش على أربع وما عيش على بطنه بعد ما ذكر الطير ففي هذه الآيات معاني هذه الانشودة والانشودة التي ذكرتها في (سورة البقرة) فمعانيها تقرب مما هنا ولولا خوف التكرار لذكرتها هنا ولكني أقول أنهم فيها (أولاً) وصفوا الليل وظلامه وأن الله يحفظ أرواح الناس وهم نائمون (وثانياً) وصفوا طواع الشمس وفرح الناس به فيتوضئون ويلبسون ملابسهم ويرفعون أيديهم إلى السماء (وثالثاً) ذكروا أن المواشي تستقر في مرعائها والأشجار تزدهي والطيور ترفرف تمجيداً لك وتنهض الحيوانات على قوائمها (ورابعاً) أن الشمس إذا أشرقت تسبح الأفلاك في بحارها وتمجيداً لك في لججها وتتلألأ الأنوار على صفحات الماء (خامساً) ذكروا تصوير الأجنة كما تقدم وأرضاع الأم لمن بعد الولادة ثم تعليمهم اللغات . ثم ذكروا أنه خلق سائر البلاد لامرئ وحدها وهكذا ذكروا النيل الذي يحيا به المصريون وزول الأمطار على الجبال وتقسيم الفصول بأضواء الشمس . وانتهى النشيد بهذه العبارة ﴿ خلقت الأرض لأبنائك (يريد عبادك) ومتى أشرقت علينا تشخص العيون لجمالك ﴾ انتهى

فهذا المعنى الذي تضمنه ذلك النشيد يرجع إلى النور وإلى الحياة وإلى الحيوان والطير وأنه كله مسبح بحمده . إذن هذه الآيات تضمنت هذه المعاني . وهذا عجب أن تنجبه الأفتدة في الأمم قديماً إلى المعاني التي نزل بها الوحي حديثاً على خاتم الأنبياء ﷺ لهذا ولغيره قال الله له - قل ما كنت بدعاً من الرسل -

ثم اعلم أن هذه المعاني التي تنشرها قلوب عقلاء وحكماء الأمم غذاء لهم وبهجة في الحياة الدنيا بل هي السعادة العظمى . اللهم ان أمثال هذه البدائع والدور والجواهر نعم عجبت لأناس أنت اصطفتهم في الدنيا يحبونك حبا جاً وقلوبهم والله بك وامقة لك بهجة بأنسك مشربة للقائك ترى الدنيا عروساً أنت جلوتها وكؤوساً أنت أدرتها ونوراً أنت أبدعته وعرساً أنت أغتته وزينة أنت نصبتها . سبحانك اللهم جعلت هذه الدنيا داراً تجمع بين حالين حال الجنة وحال النار . فأما الأمم والدول والممالك وأكثر الناس فكل هؤلاء يكتنون بنارها في احتدام وخضام وجدال وحسد على متاع قليل . وأما الحكماء الذين اصطفتهم فوالله أنهم مع الناس بأجسامهم وظواهرهم وهم الآن في جنة المعارف . فهم في الدنيا معك في أنس وجور وجمال وبهاء . بك يأنسون وبقربك يفرحون وشموسك وأقمارك ونجومك بهم يطوفون . هؤلاء هم صفوة الانسانية ومقر الأنوار الالهية . فهم مع الناس في شقاء وظواهرهم ومعك في جنة بيواتهم . إن الحسد والحقد والفيظ والعداوة والطمع والحرص قد أحاطت بالناس فسلبتهم السعادة . فأما هؤلاء فانهم غلبت عليهم

تلك الأنوار المشرقات فازدانت قلوبهم . فهم في جنة يجبرون . وهؤلاء وحدهم هم الذين يعقلون قولك - الله نور السموات والأرض -

(بهجة العلم في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - الخ)

اللهم انك أنت المحمود على نعمة العلم والعرفان وجمال الانقان وأبداع النظام . هذه الآيات أبانت لنا (جالين) جلالا يدرك سببه بالابصار وجمالاً يدرك سببه بالبصائر . فأما الجلال الذي يدرك سببه بالابصار فهي هذه الأنوار المشرقات من الكواكب المحيطة بأرضنا كما أوضحناه . فهذه تدرك أسبابها أبصارنا وهي التي ضربها الله لنا مثلاً للأنوار الباطنة التي مصدرها هوائه بلا واسطة هذه المشرقات . وأما الجلال الذي يدرك سببه بالبصائر فهو ذلك الابداع الذي ظهرت آثاره في جمال الوجوه واتقان الصور والعطف واللفظ والرافة والرحمة والهام الحشرات والأمتها وخلق الأجنة في البطون والرحمة التي لاحد لها والتي قد وضحت في هذا التفسير بما وضوح وهذه هي التي ضرب الله المثل لها . فالشمس والكواكب وأنوارها ضربت مثلاً للنفحات الباطنة والاهمام العجيبة واحسان التصوير والنقش والابداع . فقوله - مثل نوره - الخ هو الذي ضرب به المثل . وذكره الطير صافات وازجاء السحاب والتأليف بينه وجعله ركناً وانزال الودق منه وكذلك البرد وتقلب الليل والنهار وخلق الدواب كلها وتقسيمها الى من يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع . كل هذا التدبير لاتصلح الشمس والكواكب لاحداته . كلا . إذن الشمس والنجوم والكواكب أسباب الأنوار الظاهرة . فأما ذلك التدبير والابداع فأساببه خفية تدركها العقول والأفهام . ولقد ذكرت لك آنفاً أن قدماء المصريين ذكروا الأمرين معا أمر الأنوار الظاهرة في أناشيدهم من اشراق الشمس وظهور الحركات الحيوانية بها . ومن ظهور اللطف والرافة والتدبير في خلق الأجنة في الأرحام وأزبد عليه الآن بأنهم لم يكتفوا بذلك النشيد بل انهم فوق ذلك أبدعوا رقصاً دينياً في معابدهم . وذلك الرقص ليتشبهوا بالكواكب الجاريات حول الشمس لأن أظهر الأنوار مآراء العيون من الكواكب فاذا تشبهوا بها فقد نسجوا على المنوال الرباني في نظريهم وذلك ليكون ذكر الله قولاً بالأناشيد وعملاً بالرقص الديني وهذا (مع وجود الفارق) كما اتنا ذكر الله بالسنتا ونصلي له بحركاتنا في القيام والقعود والصلاة أقوال وأفعال فهم كذلك أقوالهم النشيد وأفعالهم ما يشبه الرقص . ولا ندري هل ذلك كان عن أنبياء مثل سيدنا إدريس (سيزوستريس) وغيرهم من اختراع علمائهم استناداً على دينهم ونصوص أنبيائهم . وسيأتي إيضاح هذا الرقص في (سورة الفرقان) عند قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - ولقد عرف الناس الآن أن تاريخه يرجع الى (٥٠٠٠) سنة . جاء في كتاب (الأدب والدين) المنتظم أن ذلك لم يكن خلاعة وشهوة بل جعلوه نموذجاً للحركات الفلكية وتميلاً للأفهام الموسيقية . ونقل في هذا الكتاب عن (كسطل بلاذ) أن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم الى انشاد الأناشيد المقدسة واحداث الرقص اظهاراً لسرورهم وأفراحهم وقياماً بشكر النعم وإظهاراً للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهرى من دياناتهم بل اعتقد المصريون انه من التعاليم المنزل . انتهى ملخصاً

ثم انظر ماذا جرى في الأمم الاسلامية في هذا المقام فانك نجد الرئيس (ابن سينا) في كتاب الاشارات يقول ما ملخصه (إن مما يعشق النفوس الانسانية في الحضرة الالهية ويجذبها اليه العشق العفيف والصوت اللطيف والعبادة مع الفكر) وقال شراحه إن المراد بالعشق عشق الشرائع لعشق المورفان عشق الصور موجب للفسوق والهام بالمحسوسات . أما عشق الشرائع فهو الذي يدعو الى الجلال الالهى . وأضرب لك مثلاً الآن فأقول : اتنا نرى الزهرة والشجرة والكواكب فلاتهيج شهواتنا وتفرق طبعاً بين هذه وبين الصور الجلية الانسانية . فلزهرة نحبا ولكنها لاتثير شهواتنا مباشرة بخلاف منظر النساء فانه مثير للشهوات مباشرة

فحبنا للشمال بعقولنا أشبه بحبنا للزهرة المبصرة . ثم إن الصوت اللطيف الذي ذكره (ابن سينا) شرحه العلامة الغزالي في الاحياء في « كتاب السماع » في الجزء الرابع منه فأباح السماع ولم يحرمه ولكنه شرطه شروطا كلها ترجع الى أمر واحد وهو أن لا يثير الشهوات فقد ذكر شروطا في السماع وشروطا في الغنى وشروطا في نفس القول المسموع وأبان أن السماع لا يكون فنى بهتاج بالسماع وأن الغنى اذا كان امرأة هيح الشهوة وأن القول اذا كان فيه خلعة كذلك ، وقد أطل في ذلك وفصله تفصيلا فارجع اليه . ومن عجب أن العلامة (ابن الطفيل) في نحو القرن الخامس على ما أذكر في كتابه (حي بن يقظان) الذي لخصته لك في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - أولم تؤمن قال بلى - الخ قد ذكر أن (حي بن يقظان) لما نزع في الجزيرة ونظر الكواكب مشرقة مغربة أدهشه جمالها وقلدها في حركاتها ودورانها وصار يدور على نفسه تشبها بها حتى يغشى عليه لأنه لم يجد من يقتدى به في حب خالقه وعبادته إلا هذه السيارات الجارية ودورانها حول الشمس هو عين عبادتها لله . وهذا التخيل جعله يقلدها في القرب من ربه . أفلا تعجب مع أيها الذكي كيف رأينا علماءنا السابقين قد بحثوا في العالم العلوي والسفلي ودققوا وكتبوا لنا آراءهم فلم يذروا بابا من أبواب العلم إلا ولجوه وبحثوه . وانما كتبت لك هذا لتعلم أن آباءنا لم يكونوا نائمين وأن سلسلة العلم قد انقطعت بيننا وبينهم وآراؤهم قد خبت في كتبهم وأن قراء هذا التفسير وأمثاله سيحدثون للشرق نهضة لم يحدث مثلها من قبل . ثم انظر قول العلامة (ابن سينا) « ان العبادة مع الفكر عند الفلاسقة موازية للعشق العفيف والصوت اللطيف » وذلك في أواخر كتاب الاشارات وكيف كان الناس اذا لم يجدوا نبيا يعلمهم العبادة قلدوا الكواكب كما حصل لحي بن يقظان . هذا ما أردت ذكره في هذا المقام استطرادا

﴿ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدانت بها أرضنا ﴾

لقد ذكرت في هذا المقال أن أرضنا قد أحاطت بها أنوار الكواكب والشمس والقمر وهكذا الهواء اللطيف والثلج والبرد والسحب . ثم أقول أيضا هنالك أنوار الماء الثلاثة في البحار الاستوائية التي تلعب أنوارها بأشكال كالقمر وهالته والبرق وأنواره المشرقات بما هنالك من الفسفور المتحلل من الحيوان البصرى وهذه هي الأنوار الظاهرة التي صارت مناطق تنطقت بها أرضنا

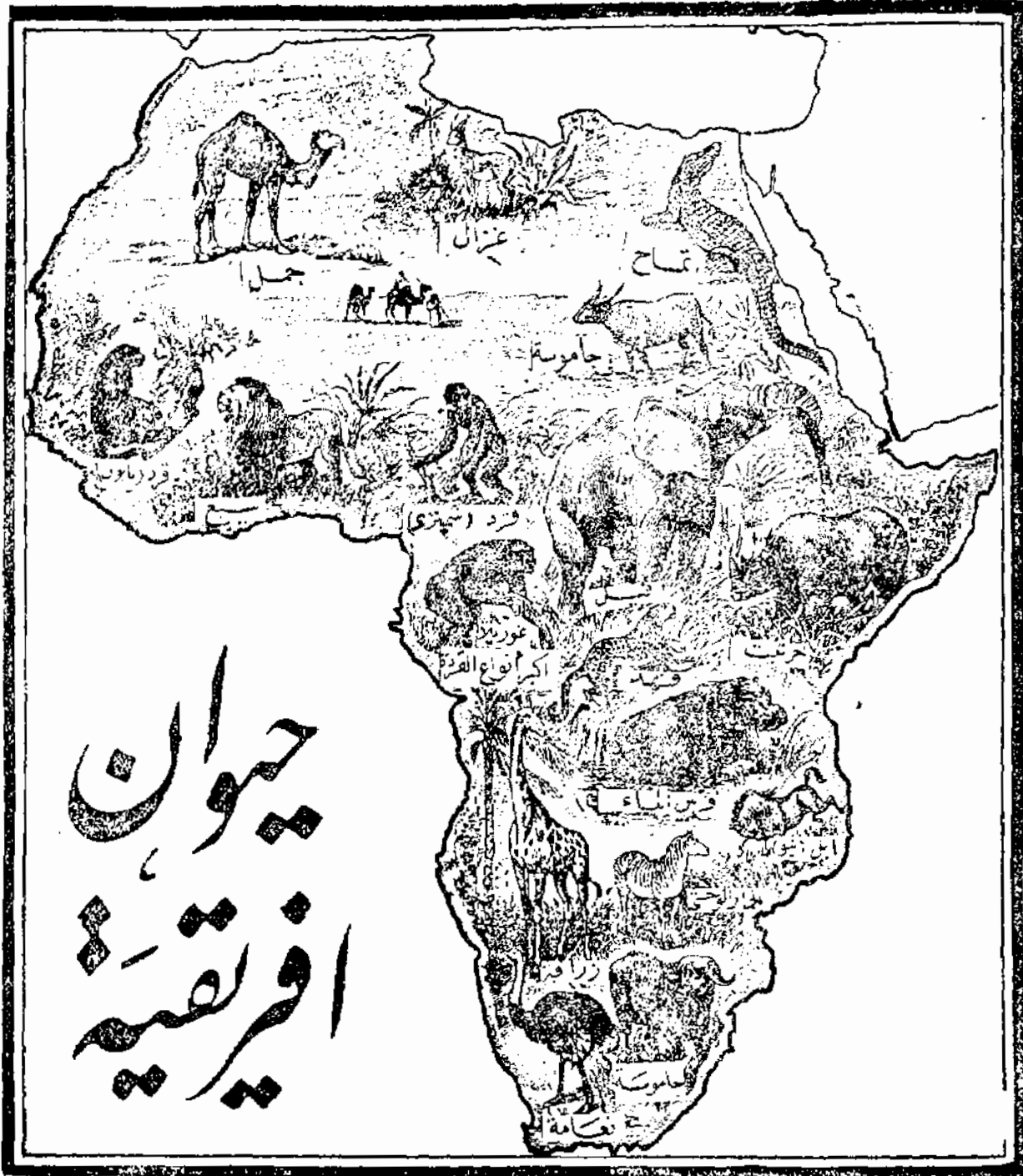
أما مناطق الأنوار الباطنية فهي الحيوانات والنباتات التي أحاطت بالأرض من جميع جهاتها كما في (شكل ١٤) و (شكل ١٥) و (شكل ١٦) و (شكل ١٧)

هذه الأشكال الأربعة وما يليها الى شكل (٢٦) منقول من « الأطلس الحديث » المقرر في المدارس المصرية تأليف الاستاذين (ليب أفندي العسال) و (محمد أفندي جدران)



(شكل ١٦ - نبات أفريقيا)

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر وما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها)



(شكل ١٧ - حيوان افريقيا)

(و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)

ففي شكل ١٤ مناطق فيها أسماء النباتات حول الأرض وهي ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ نبات في المناطق القطبية ونبات في المناطق المعتدلة ونبات في المناطق الحارة . وفي شكل ١٥ مناطق فيها أسماء الحيوان حول الأرض وهذه تقسم الأقسام السابقة بعينها . والشكل السادس عشر فيه صور وأسماء نباتات افريقيا . والشكل السابع عشر فيه صور وأسماء حيوانات (افريقيا) . وسأتي في أشكال (١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦) صور وأسماء نباتات وحيوانات أوروبا وآسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا فانظر كيف زين الله أرضنا ﴿ بزيتين ﴾ زينة أهم أسباب أنوارها ظاهرة وهي الكواكب السماوية وهي الثلوج والسحب والأنوار وهكذا . وزينة أهم أسباب أنوارها باطنة وهي صور الحيوانات والنباتات التي أحدثت مناطق حول الأرض زينة لها . وانما قلت ان السحب والثلوج وأمثالها أهم أسبابها ظاهرة لأن حرارة الشمس سبب لها ولكن هناك إحكام في الصنع ونظام في الوضع أسبابه خفية فلا يشبه عليك . ثم ان المناطق الحيوانية والنباتية التي جعلها الله محيطة بأرضنا زينة لها بدیعة . فظاهرها جيل ولكن باطنها أجل لما فيها من التدبير والاحكام في ادراكاتها ومنافعها فضلا عن صورها والاحكام في تعقلها أمور معاشها وتدبير ذريتها مما ظهر كثير منه في هذا التفسير . وفي هذا المقام ﴿ خمسة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على طريق تقسيمه في الآية ﴿ الفصل الثاني ﴾ بهجة العلم . إن الانسان محبوس في عاداته تاركاً عقله كما حبس الحيوان في غرائزه وهو في ذلك أقسام على منهج القرآن الكريم ﴿ الفصل الثالث ﴾ في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان . وأن الأرض كراقصة بما حلت حول الشمس

﴿ الفصل الرابع ﴾ في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة . وفيه بيان نعيم الحرية وحجيم الاستعباد ﴿ الفصل الخامس ﴾ في أن ما كتبناه هنا نسجناه على طريقة أكابر المتقدمين

﴿ الفصل الأول في ذكر أنواع الحيوان بطريق أوسع وبيان أجل نهجا على منهج التقسيم في الآية ﴾ هأنذا ذا أيها الذكي رأيت بعض صور الحيوانات في افريقيا وأمريكا وتقيس عليها ماسواها . سبحانك اللهم أنت ضربت نور القناديل أمامنا مثلاً لنورك الذي أشرق على قلوبنا وعلى كل حيوان ونبات وسما وأرض ثم قلت - ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شئ عليم - . نعم أنت تعلم كل شئ لأنك تعلم ما خلقت . أما نحن فانك تضرب لنا الأمثال وليس ضرب الأمثال قاصراً على ماضيه لنا في القرآن . كلا . إن النجوم التي نراها مشرقة في أكناف السماء والقمر والشمس لم نر حقائقها وانما رأيناها مصفرة جدا . فكوكب الجوزاء الذي نراه في السماء أصغر من البرقعة أكبر من شمسنا (٢٥) مليون مرة والكواكب الثابتة كلها كبيرة كشمسنا أو أكبر أو أقل . فهذا الذي نراه في الجو المحيط بنا ليس نفس الكواكب بل هو ضرب مثل لها . فاذا كان القنديل في مساجدنا يضرب الله به المثل لنوره فكم ضرب لنا مثلاً لمخلوقاته بتصغير صورها في أعيننا . ذلك لأنه يقول - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - والعلم بضرب الأمثال علم قليل . فاذا قيل لنا فلان كالبدور فليس في هذا معنى إلا أن وجهه مشرق ولم نعرف صفاته . ولقد قرب الله عز وجل العلم للناس اليوم بكثارة ضرب الأمثال بالصور الشمسية مثل الصور التي رأيتموها هنا (شكل ١٥ و ١٦ و ١٧ الخ) فما هي إلا صور للقرود وعجل البحر والتمر الأمريكي والبيغاء وأضرابها ولكنها لا تعطينا إلا ضرب مثل وهو علم قليل فقله تعالى - ويضرب الله الأمثال للناس - يفتح لنا باب الكواكب والحيوانات والنباتات التي ترسم لنا صورها في عصرنا . ذلك العصر الذي امتاز بأف الله برينا آياته فيه إذ قال - وبريكم آياته فأني آيات الله

تذكرون - وقال - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فنحن الآن مأمورون أن نحمد الله لأنه أرانا آياته بالعلوم المنتشرة اليوم . ولا معنى للحمد إلا بالعلم بالمحمود عليه بقدر طاقتنا . فلنقرأ علوم هذه الحيوانات والنباتات ولنحجب من تقسيم الحيوان إلى ماش على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع . وهذه الطريقة هي التي سار عليها علماء الطبيعة في عصرنا إذ يقولون إن الحيوان أدناه خلق قبل أعلاه . فالماشى على بطنه قبل الطيور والطيور قبل ذوات الأربع

﴿ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشى على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع ﴾

لما وصلت إلى هذا المقام حضر صديقي العالم المدقق الذي اعتاد أن يحاورني في المسائل الهامة في هذا التفسير فاطلع على هذا فقال ماهذا التطويل . أريد أن تجعل هذه الآية كتاباً ضخماً . فهاهنا الاكثار . إن هذا يورث السآمة والملل . فقلت له أنا أسألك في قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة - فهل تجد في القرآن تفصيل الصلاة والزكاة - . قال لا . قلت فمن الذي فصلهما . قال النبي ﷺ فقد بينت السنة الصلاة فقال ﷺ ﴿ صلوا كما رأيتموني أصلي ﴾ وهكذا بين لزكاة فقال ﴿ في كل أربعين شاة واحدة ﴾ وهكذا . قلت ألم يؤلف علماء الاسلام في ذلك كتباً شتى . قال بلى ولوجعت كتب المذاهب من الشيعة وأهل السنة في الصلاة والزكاة وحدها ملأت مكاتب عظيمة تملأ مساحات واسعة . قلت الصلاة والزكاة فرض عين وعلم الحيوان والنبات يكونان فرض كفاية بحيث يكون في الأمة من يكفيها بحيث يضارعون في علمهم بهذه العلوم في كثيرتهم من يعلمون هذه العلوم في أوروبا والصين واليابان وأمريكا أو أكثر هذا من جهة ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ لا يقتصر الوجوب على الوجوب الكفائي بل هناك وجوب عيني على كل قادر متفرغ لذلك للتوحيد وللشكر . فشكر الله واجب وكل يشكر على مقدار وسعه لا تكاف نفس إلا وسعها . ولا معنى للشكر بغير علم بنعمة المشكور . إذن هذه العلوم تجب وجوباً كفاً على مجموع الأمة وعينياً على أفراد ممتازين ذكاه وفراخ بال معرفة الله ولشكره ومعرفة الله بهذه العلوم وهكذا شكره وازدياد المعرفة واجب كازدياد الشكر قال تعالى - وقل رب زدني علماً - فهذا من ازدياد العلم الذي يجب علينا بنص الآية لأننا أمرنا أن ندعوا الله بالازدياد ولا معنى للدعاء بأمر نحن لا نطلبه ولا نتوجه إليه فنحن أمرنا بالاستقامة كما قال تعالى - فاستقم كما أمرت ومن تاب معك - وأمرنا بالدعاء بالاستقامة فقلنا - اهتدنا الصراط المستقيم - وأمرنا بالعلم قال تعالى - اعلّموا أن الله يحيي الأرض - الخ وهكذا آيات كثيرة . فقال صاحبي هذا القول موضع في مواضع أخرى من هذا التفسير ونحن سامعنا به ولكنني أقول اني أخاف سآمة القارئ . فقلت قد ذكرت لك أن الصلاة والزكاة واجبان . فالصلاة على الجميع والزكاة على من عنده مال فمن ليس عنده مال لا تجب عليه الزكاة هكذا من ليس عنده قدرة على دراسة علم الحيوان لا تجب عليه . فأما القادر على الدراسة فعليه التعلم للشكر . إذن فلماذا نرى المسلمين ملؤا خزائنهم بالعلوم العملية ولم يملؤوها بالعلوم العلمية التي عليها يبنى أصل العقيدة وأصل الحياة الدنيا . فهذه العلوم تنفع من جهة ثبات العقيدة وازدياد الشكر ﴿ ومن جهة أخرى ﴾ أنها تزيد الناس ثروة وغنى وسعادة في الحياة الدنيا . وقد قال امام الحرمين وبعض العلماء ﴿ إن هذه العلوم أفضل من علوم فروض العين لأن نفعها أعم ﴾ فلماذا اقتصر المسلمون على ما ينفع نفعاً خاصاً وتركوا ما ينفع نفعاً عاماً الصلاة تنفعني وحدي والزكاة تنفعني في الآخرة وتنفع أناساً فقراء محدودين في الدنيا . أما هذه العلوم فانها تنفع الأمة كلها . وعليه يكون قول امام الحرمين ومن نحنا نحوهم وجبها ويكون بعض المسلمين هم وحدهم الأمة المقصرة النائمة الجاهلة الغافلة المسكينة الفارقة في بحر لحي من الجهالة وهم ساهون فقال صاحبي إن هذا القول حق وأحسن بآثار في نفسي منه . ولا بد من نتائج له تحصل في الاسلام . قلت إذن لا يسأم الانسان من بيان الحيوان . ولماذا لم يسأم من معرفة أركان الصلاة وتبيان الزكاة . قال انه لم

يسأله لأنه يسمع ذلك من النبوة . فالنبي ﷺ وأصحابه هم الذين شرحوا الصلاة والزكاة ومحورها فلذلك أقبل الناس عليها وألفوا كتباً فيها . قلت والبيع والاجارة والرهن والقضايا . قال كذلك فهذه قد نقل الناس أحاديث عن رسول الله ﷺ فيها فرغبوا وحققوا ودققوا . أما هذه العلوم فلم يجدوا فيها نصوصاً . قلت له قال الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون - ألم يقل الله تعالى في القرآن - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - . قال بلى . قلت إذن الله لم يوجب علينا أن تقتصر على قول النبي ﷺ وأصحابه في كل شيء بل في الشرائع وحدها . أما النظر في هذه الدنيا فهذا علم عام . ألم تسمع قوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - فنحن ننظروا إذا جهلنا سألنا أهل العلم . أم تذكر ما قلته لك في (سورة البقرة) عند آية النسخ إن النبي ﷺ أخذ بقول سلمان الفارسي في حفر الخندق ولم يبال بأخذ العلم عن الخبوس لأن حفر الخندق إنما كان من عمل الفرس . فهاهوذا رسول الله ﷺ يعمل بعمل عباد النار وسمع كلام أهل العلم بالحرب في واقعة خاصة . أفلا يسعنا ما يسع رسول الله ﷺ وندرس هذه العلوم ونأخذها عن أربابها مادامت ليست شرائع كما أن حفر الخندق ليس من الشرائع . قل حقا يجب علينا الأخذ عن أهل العلوم في كل علم وهم أهل الذكر فيه . قلت وأيضاً يقول الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون أقول فينبهون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - . إذن المؤمنون المبشرون هم المسلمون بعدنا الذين يقرؤون علوم الأمم ويتبعون أحسنها وهؤلاء هم أولوا الألباب وهم المهذبون وهؤلاء يكونون أرقى من المسلمين الذين في زماننا وفي القرون المتأخرة فقال نعم هذا حق . قلت إذن فلنفصل هذا المقام بعض التفصيل بحيث لا يكون مكرراً مع ما تقدم في علم الحيوان من هذا التفسير

﴿ أقسام الحيوان ﴾

إن الآية كما قدمنا جعلت الحيوان ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ (١) ماش على بطنه (٢) ماش على رجلين (٣) ماش على أربع . إنى أذكرك أيها الذكر بما تقدم في (سورة الحج) عند قوله تعالى - إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً - الخ فقد تبين هناك أن الذبابة بدراسة جسمها أمكن تقسيم الحيوان إلى قسمين قسم له دم وعظم وهي الحيوانات الفقرية . وقسم لادم له ولاعظم وهي الحيوانات الحلقية والمفصليّة والرخوة والنباتية . فقال صاحبى ليس هذا عين ما هناك بل هنا بعض تغيير في اللفظ . فقلت له إن القول هنا سيكون أوضح . إنما أحب أن تقرأ ما هناك ثم تقرأ ما هنا ليحصل عندك من جلال العلم ما به ينشرح صدرك . فقال سأفعل إن شاء الله . فقلت إذن الحيوانات هكذا

(١) فقرية (٢) حلقية (٣) مفصليّة (٤) رخوة (٥) نباتية



(شكل ١٨ - نبات أوروبا)

(وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج به حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون)

(شکل ۱۹)



(شکل ۱۹ - حیوان اور ویرا)

(ومن الأنعام حولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين)

الحيوانات الفقرية فيها الأقسام الثلاثة في الآية من يمشي على أربع ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على بطنه . فهذا القسم استوفى أقسام الآية . قال وكيف ذلك . فقلت إن فيه ١٢ قسما (الأول) الحيوانات ذات اليدنين وهو الانسان الذي قسموه الى الصنف القوقازي وهو الأبيض وإلى الصنف المغولي وهو الأصفر وإلى الصنف الأفريقي وهو الاسود وإلى الصنف الأمريكى وهو الأحمر وإلى الصنف (الأيبيز بورى) وهو ساكن القطب الشمالى الاسكىمو (القسم الثانى) ذو الأربع الأيدي وهى القرود وهى أصناف (الحيون والاورانج أوتان والغوريلا والشمبانزى) (القسم الثالث) الحيوانات آكلة اللحوم وهى تشمل الحيوانات الكاسرة كالاسود والنمور ولها أسنان ناعمة وهى القواطع والأنياب والأضراس (والقسم الرابع) الحيوانات الثديية البحرية وأطرافها قصيرة ولها أرجل قصيرة كفايتها المجاذيف تعينها على السباحة وغذاؤها اللحوم وتخرج الى الشاطئ للراحة ورضاعة أولادها . وهذه (نوعان) المجدول البحرية والبقر البحرى (القسم الخامس) الحيوانات ذوات الأيدي الجناحية وهو حيوان واحد وهو الخفاش يرضع أولاده وهو ليلى ويتغذى بالحشرات وهو يطير بسبب غشاء عريض ممتد بين أطرافه الأمامية والمؤخرة وكذا أصابعه المستطيلة على شكل أجنحة يطير بها ويقضى الشتاء وهو نائم (القسم السادس) الحيوانات الثديية آكلة الحشرات ومنها القنفذ والفار الغيطى وغذاؤه الحشرات ولها أنياب وأضراس (القسم السابع) الحيوانات الثديية . القراضة لا أنياب لها وأضراسها كحجر الطاحون مفرطحة وتعيش فى الأشجار وتتغذى بالنبات وبالفواكه وهى تشمل ذوات الترقوة كالبربوع والسنجاب والكاستور وهذه تنسلق على الأشجار . وبالأترقوة له ومنه حامل الشوك والأرانب وهذه لا تنسلق على الأشجار (القسم الثامن) الحيوانات الثديية عديدة الأسنان ومنها آكل النمل والكسلان وأم قرفة وهو نوع مغطى بصفايح كقشور السمك وبعضه له درع مثل (التاتو) (القسم التاسع) الحيوانات التى لا أطراف لها ذات الجلد الثخين وتتغذى بالنبات وهى (١) ذات الظلف الواحد كالفرس والحصان وحمار الوحش والخرئيت (٢) وذوات الأرجل المشقوقة وأطرافها تنتهى بأصابع من اثنين الى أربعة مثل الخنزير وجاموس البحر (٣) وذوات الخرطوم وهو الفيل (القسم العاشر) الحيوانات المجتررة . ليس لها ترقوة وتتغذى بالحشائش والنبات من غير مضغ ومعدها أربعة أقسام تقدم رسوما وشرحها فى (سورة النحل) وليس لها قواطع فى الفك العلوى ولا أنياب لها إلا حيوان المسك الذى يتميز ذكره عن أنثاه بنابين طويلين فى الفك العلوى وتحمل تحت بطنها كيسا فيه مسك وعدد الأضراس ستة من كل جهة لطحن الغذاء والفك يتحرك حركات جانبية وبعض هذه معدة خامسة لخزن الماء كالجلد والذئب . ويدخل فى هذا القسم الجاموس والبقر والغنم والماعز والزرافة وحيوان المسك والمها واللاما



(شكل ٢٠ - نبات آسيا)

(وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرومان
منشأها وغيره مشابه كلوا من ثمرة إذا أثمر وآثروا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين)



(شكل ٢١ - حيوان آسيا)

(مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)

﴿ القسم الحادى عشر ﴾ الحيوانات القيطسية وهى حيوانات بحرية تنفّس فى الهواء آنا فآنا وتضع أولادها أحياء وهى إما أن تتغذى بالنبات مثل اللامتبين وإما أن تتغذى بالبحوم مثل القيطس والكشلو والدافين أما القيطس فهو الذى يستخرج منه زيت يصنع منه شمع شفاف وهو يتغذى بصغار الحيوان و يصعد الماء من أنفه كالنافورة . وأما الكشلو فهو كالقيطس ورأسه مقدار ثلث أوصاف جسمه ويستخرج منه العنبر السنجابى وهو فى الأعور فى هذا الحيوان . وأما الدافين فهو الدرفيل المشهور يتغذى بالسّمك والحكومات حرمت صيده لأنه ينقذ الناس من الغرق ﴿ القسم الثانى عشر ﴾ الحيوانات ذوات الرّجين وهى فى (دونلاند الجديدة) وهى تضع أولادها وهى أجنة لاتحمل أحوال الجوّ فتضعها فى جيب خاص فى مؤخر البطن والذى أمام هذا الجيب والابن يسيل من ذلك الثدي بغير اختيار لتغذية الصغار وبعد أمده معلوم تترك أولادها ذلك الجيب وترجع اليه متى رأت خطرا . ومن هذه الحيوانات (القنقر) وهو كالأرنب الكبير إذا جلس معتدلا وهو فى استراليا وتسمانيا . هذه أنواع الحيوانات الثديية التى هى قسم من أقسام خمسة للحيوانات ذوات الفقرات

﴿ القسم الثانى من الحيوانات ذوات الفقرات الطيور ﴾

وهى (١) إما دجاجية مثل الدجاج والطاوس والحجل والسمان والحمام واليمام (٢) وأما ذوات أرجل كفية مثل البط والأوز والجمع (٣) وأما شاطئية مثل أبى قردان والمقلق وأبى مغازل والنعامه والبشاروش (٤) وأما دورية مثل البليل والعنديات والخطاف والقنبر والغراب والمهدد (٥) وأما متسلقة مثل البيغاء ونقار الخشب (٦) وأما جارحة مثل الذئب والحدأة والبوم والمصاص والعقاب والصقر

﴿ القسم الثالث من ذوات الفقرات الزواحف ﴾

وهى السلاحف والورل والثعابين . فالسلاحف لها درق على جسمها والورل مستطيل له ذيل وأربع قوائم قصيرة والثعابين مستطيلة اسطوانية عديمة الأطراف . ومن الثعابين ذوا الجرس إذ له آلة رنانة فى ذنبه يعيش فى أمريكا وهو سام . ومن الثعابين مالا سم له مثل (البوا) وهو كبير جدا ويتغذى بالحيوان بالضغط والازدراء ومثل الثعبان ذى الطوق وهو يتغذى بالسّمك والودود والحشرات

﴿ القسم الرابع ﴾ من الحيوانات ذوات الفقرات الضفادع

﴿ القسم الخامس ﴾ السمك . انتهى قسم الحيوانات ذوات الفقرات

هائنت ذا أيها الذكى اذا تأملت فى هذا النوع من الحيوان تجده مرسوما أمامك والرسم مثل من الأمثال التى ضربها الله لنا فتجد فى حيوانات أمريكا الجنوبية مثلا الغنم وهى من ذوات الأربع والأففى وهى من التى تمشى على بطنها والبيغاء وهى من التى تمشى على رجلين . وبقية الحيوانات الفقرية المتقدمة ملحقة بهذه



(شكل ٢٢ - نبات أمريكا الشمالية)

(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رجته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون * والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكاحا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)



حيوان أمريكا الشمالية

(شكل ٢٣ - حيوان أمريكا الشمالية)

(والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون * ولكم فيها جبال حين ترهبون وحين تسرحون * وتحمل أثقالكم إلى بلدكم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم)

(القسم الثاني) من أنواع الحيوان (الحيوانات الحلقية) ومنها ما يسكن البحار وما جاورها مثل السربيل له خياشيم ذات ألوان زاهية ومثل (السابل) وهو يسكن أحجار الشواطئ ويعيش فرقا . ومثل (الامفريت) ومثل (السكولوبندر البحري) وهو الذي يبحث عنه الصيادون ليستعملوه طعاما للسماك . ومثل (دودة السباخ) وتسمى دودة الأرض جسمها أبيض يميل للحمرة لماع لعنا معدني . ومثل (دود العلق) يسكن في المياه العذبة ويقرب من هذا الدود (١) الدود الذي يعيش في أجسام الخنازير والأرانب والإنسان وهكذا (٢) والدود السكوي وهو يعيش متطفلا على الحيوانات المختلفة وفي كلا الإنسان . وهكذا أنواع كثيرة من الدود التي تسبب أمراضا مختلفة كما وضع كثيرا في هذا التفسير فكها من أنواع الديدان وكلها من الحيوانات الحلقية كالتي تحدث (البهارسيا) و (الانكستوما) وغيرهما . انتهى القسم الثاني من أقسام الحيوانات الحلقية . وهي الحلقية . وهذا القسم دمه إما أحمر أو أصفر أو أخضر وهي خنثى فكل حيوان عضوا التذكير والتأنيث معا وبعضها يحتاج لجماع متبادل . ومنها ما يتولد بطريق الأزرار كأزرار النبات

(القسم الثالث . الحيوانات المفصلية) وهي العنكبوتية والقشرية وذوات الأرجل الكثيرة والحشرات فالأولى منها العنكبوت والعقرب وأبو شيت والقراد وحيوان الجرب . والثانية منها أبو جهبوه والسرطان والجبري فلكل منها (٨) أرجل وهيكلها صلب وتعيش في الماء . والثالثة لها أرجل كثيرة وتعيش على الأرض . ويدخل في هذه ذات المائة رجل وأم أربعة وأربعين وذات الألف رجل . وأما الحشرات فهي معروفة في هذا التفسير وتقدمت كثيرا فلانعيد الكلام عليها فانظرها في آخر (سورة الحج) وغيرها

(شكل ٢٤)



(شكل ٢٤ - نبات أمريكا الجنوبية)

(هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والتخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون)

ومن الحشرات ما لا جناح له . ومنها مستقيمة الأجنحة كالصرصار والجراد وفرس النمل والحفار . ومنها نصفية الجناح كالقمل . ومنها ما أجنحتها غشائية مثل النحل والزنبور الأصفر والأحمر وزنبور الطين . ومنها غمدية الأجنحة مثل الجعران وخنافس الفول . ومنها ما لها جناحان فقط مثل البعوض والذئبة . انتهى الكلام على القسم الثالث وهي الحيوانات المفصليّة

(القسم الرابع الحيوانات الرخوة) مثل المحار وصدف اللؤلؤ وأم الخلول وبعض هذه مشروح شرحا وافيا في (سورة مريم) في أولها (شكل ٢٦)



(شكل ٢٦ - نبات وحيوان أستراليا)

(والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون)

(القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشاعية) ومنها الزبوفيت وتقدم شكلها في آخر (سورة الحج) بهيئة خسة أشعة منتظمة جيلة . انتهى الكلام على أقسام الحيوان

وبدراسة هذه الحيوانات يعلم المسلمون معنى قوله تعالى - فمنهم من يمشی على بطنه ومنهم من يمشی على رجلين ومنهم من يمشی على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير - فهذا هو الذي يفهمنا القدرة أي قدرة الله على التنوع فهو ينوع الحيوان أنواعا لا حدها ويعطي كل ذي حق حقه . وهذا هو الذي نزل لأجله القرآن وفتح باب علم والحيوان وتقسيمه بهذه الآية . أما النبات فلم نذكره في هذا المقام إلا استطرادا لأنه غذاء الحيوان ولقد تقدم الكلام عليه في سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - إلى آخره عند مسألة إبراهيم والطير وفي سورة الأنعام عند قوله تعالى - إن الله فائق الحب والنوى - وعند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره إذا أنثر - وفي سورة الحجر عند قوله تعالى - وأنبتنا فيها من كل شيء موزون - وفي سورة الحج عند قوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة -

هذا ما أردت شرحه في تفسير قوله تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - فبأيها المسلمون أذكركم خير بحيث يرى الطالب حكمة الله واضحة له كأن يقرأ ذلك الحيوان المتقدم الذي ينزل اللين له ليسقيه لضعفه لأنه لا يزال جنيبا لأن أمه ذات رحيم كما تقدم أم نضيع زمانه في حفظ القدرة والارادة والعلم والحياة والسمع والبصر وكونه قادرا وكونه مريدا وكونه عالما وكونه حيا لا لا . أيها المسلمون هذا لا ينفع أطفالنا وأنا الآن أكتب هذا وعندى اعتقاد تام أن تعاليم المسلمين ستكون على النهج الذي يوافق منهج أمثال هذا التفسير - ولتعلمن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين . انتهى يوم الخميس ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفتش وناظر مدرسة ومدرسين ضحى يوم الأحد (٩) من شهر ديسمبر سنة ١٩٢٨ أوردناها هنا (لغرضين الأول) أنها إيضاح لهذا المقام (الثاني) أن خير العلم ما أخذ من نتائج آراء المفكرين المجريين)

قال المفتش بلطف وأدب (وهو عن أتموا علومهم في أوروبا) أيها الأستاذ لقد حل كثير من المفسرين القرآن ما لا يحتمل وأدخلوا فيه ما لا سبيل لدخوله حتى إن بعضهم أخذ يستنتج من الآيات أن الفهم موجود في القرآن . ولا جرم أن أمثال هذا التحل ترفضه العقول وتنفرمه النفوس ولقد رأيتك اليوم ترسم هذه الحرائط في التفسير مبينا حيوانات ونباتات إفريقيا وأوروبا وآسيا وأمريكا والاقيانوسية وهذا لا سبيل إلى ادخاله في القرآن إلا بشكف . فقلت له هناك فارق بين اثبات أن الفهم في القرآن وبين بيان أن الحيوان مقسم على القارات في الأرض . فقال أين البيان . فقلت إن الله يذكرنا أن الحيوان منه مالا أرجل له ومنه ماله رجلان ومنه ماله أربع . هل هو يريد أن نقف على أعداد الأرجل . كلا . بل يقول العلماء إن العدد لا مفهوم له وإذا عددنا للحيوان أربعة أرجل فهناك ماله (٦) وماله (٨) وهكذا . فقال أنا لست أعارض في اتمام مبحث الأرجل ولكني أعارض في ادعاء أن معرفة تفرق هذه الحيوانات على القارات يطلبها القرآن . فقلت إن هذا تقسيم للحيوان من حيث عدد أرجله وهو فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن معرفة العلوم كلها (كما نص عليه علماء المنطق) ترجع إلى أربعة تحليل وتعريف ورسم وتقسيم وقياس . فالتحليل للأشخاص كهذه التفاحة أو هذه النخلة لا يجوز أن تقول عرفت هذه النخلة ولا قسمها ولا برهن عليها وإنما تقول حللها فالتحليل كتحليل الماء إلى الأكسجين والهيدروجين هو السبيل إلى معرفة الأشخاص . والتعريف وهو الحد ويتبعه الرسم وهو التعريف الناقص يعرف بهما الأنواع كما تعرف الإنسان بأنه حيوان ناطق أو تأتي له برسم فتقول هو حيوان عريض الأظافر يمشی على رجلين وهكذا . وأما القياس كالبرهان والجدل فهو للاجناس كما تستدل بأن للعالم محدثا . وأما التقسيم فهو لتمييز الكليات المختلفة كأن تقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف وتقسيم

الباب الى نجم وهو ملاساق له والى شجر وهو ماله ساق وهكذا والتقسيم مستعمل في جميع العلوم . فالقسم الذي ورد في الآية اليه يرجع ربح العلم . وهنا نقول هل الله يريد أن ننظر تقسيم الحيوان من حيث عدد أرجله فقط أم يريد اننا نفكر في أمره والتفكير في أمره يحتاج الى دراسته كله بقدر طاقتنا فلنقرأ علم الحيوان ونقسمه من كل جهة من جهات التقسيم . فنقسمه من حيث موطنه في البحر وفي الهواء وعلى الأرض ومن حيث منافعه ومضاره وهكذا كما قلتم . فقال هذا حسن ولكنك قد استعنت بعلم المنطق على ايراد هذه الخرائط في التفسير وفيه بعض التكلف غير من هذا أن يكون نفس القرآن هو الذي يصريح بالتقسيم الذي أوردته هنا بلا احتياج لعلم وضعه الناس . فقلت له إن الله ذكر المني فهل يعني الحيوان على الهواء أو في الأرض بل هو يمشي على الأرض . فإذا رسمنا الماشي رسمنا أرضه معه . وإذا رسمنا بقعة من قارة لم يكن لها فضل على الأخرى . وإذا رسمنا قارة يقال لنا ولماذا لم ترسم القارات الأخرى . فغير لنا أن نرسم الجميع . فقال هذا أحسن مما قبله ولكن فيه بعض تكلف . فقلت له يقول الله تعالى - حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم * إن في السموات والأرض لآيات للذين آمنوا وفي خلقكم وما يبث من كل دابة آيات لقوم يوقنون - فها هو ذا سبحانه جعل الايقان وهو أرقى من الايمان مرتبطا بمعرفة الدواب المفرقة في الأرض فقال هذا أقرب ولكن أريد ما هو أبين من هذا . فقلت إذن تريد أن تسمع قوله تعالى في (سورة البقرة) - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار واللك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة - فذكر الأرض وذكر أنه فرق الدواب فيها . فها هي ذه الأرض مرسومة أمامك وهذه هي الدواب وهل هذا غير القرآن وهل الآية التي نحن بصدد الكلام عليها فيها غير هذا . أليس ترى الله يقول - والله خلق كل دابة من ماء - فهنا ذكر الكل والكميات لا تعرف إلا بالتقسيم وها هي ذه قسمتها على المناطق نارة وعلى القارات نارة أخرى وهكذا يقول الله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهن من دابة - أفكفاك هذا البيان . فهذه هي الأرض أمامك في الرسم وهذه هي الحيوانات عليها . فقال نعم لقد انشرح صدرى له . فأقر الحاضرون على ذلك البيان وهم مستبشرون . فقال لقد كنت في أوروبا ورأيت القوم يجعلون قصص أنبيائهم في مسارح السينما وهم يظهرون لهم قصص الأنبياء كعيسى وعيسى عليهم السلام والرجال والنساء والأطفال يتأثرون . من الوقائع والحوادث ويكون . فبالله كيف يثبت الدين في القلب إلا بنقشه في النفس من الصغر كمثل ما رأيته هناك . أما المسلمون فهم لذلك محرمون ومنه محرمون . فقلت التصوير الشمسي قد نشر في هذا التفسير وتلقاه المسلمون بالقبول وقد ذكرت في (سورة يونس) فتوى علماء المذاهب بالأزهر وأبنت أن ذلك يكون واجبا اذا كان للتعليم . فها هو ذا التصوير الشمسي أصبح في نفس التفسير وقد قلت هناك * إن من حرمة فقد انحلع من دينه وعقله لأنه ظل مصور بتصور الله صوره هو بشمسه ومن حرم الظل والنظرايه فقد أصبح مجردا من العقل ومن الدين . وأما اظهاره بطريق (السينما) وهي الصور المتحركة فليس يزيد شيئا عن ظهوره في هذا التفسير إلا أن التفسير يقرؤه آحاد . وأما في محال الصور المتحركة فإنه يقرؤه مئات مجتمعون وإذا جاز ظهور الصور لآحاد جاز للآلاف * فهذا التحريم لأمعنى له الآن . فقال آخر إن المرحوم الشيخ محمد عبده قال * إن التصوير المجسم لا يحرم في هذا الزمان لأنه منع بالحديث الشريف في الأزمان الأولى حينما كان الناس أقرب الى الوثنية . أما الآن فقد تنور الناس فلا يخاف عليهم ذلك * فقلت اني لم أطلع عليه ونست الآن مضطرا لهذا المبحث فقد اكتفيت بما أحتاج اليه في هذا التفسير وهو التصوير الشمسي فأما كون قصص الأنبياء تظهر في انصور المتحركة عند الفرنجة فقد ألفت قديما للمسلمين كتباً شتى فيها روايات تحجب المسلمين في الدين مثل ما جاء في كثير من حكايات * ألف ليلة وليلة * وخرافات سيف بن ذي يزن وأمثالها

فقد جعلوها روايات تحبب المسلم في الدين وما أكثرها فلهذه كتب تلك الكتب وينشر أمثالها بين العامة وإذا كانت في الصور المتحركة لم يضر ذلك شيئا كما قدمناه . فقالوا الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات اهـ

﴿ هذا التفسير وأمثاله بامثال هذه العلوم يرجع المسلمين الى العصور الأولى ﴾

لما أتممت هذا المقال قابلني صديقي العالم الذي اعتاد أن يحدثني في المسائل المهمة في التفسير مرة أخرى فقال ما أجمل ما اخترت هنا من الرسم الجليل والبهجة . واعمرى لم أجدر روضة أجل ولا مجلسا أهوى من مجلس أطلع فيه على عجائب هذه الصور البديعة الحسنة . ماشاء الله كان . فبينما أنا أطلع منظر الصحراء في افريقيا وجبالها وشجر جوز الهند وحقل القمح وشجر النخل والقطن إذا أنا أرى الخربيت والتمساح والفهد وفرس الماء وأنواع القروذ والفرقوى العنق حاذ الأسنان خشن اللسان مبطن الأقدام طويل الذيل يبلغ طوله على الأرض نحو (٣) أمتار . ذلك الذي يسبح في البحر فيعلو السفينة في النهر ويهاجمها وتقف الماشية أمامه حائرة إذا نظرها ومع ذلك كله يخاف من الصوت الغريب عليه كالخشخشة والجلجلة ان لم يكن جائعا

﴿ الأسد ﴾

ولما نظرت الأسد تذكرت انه سيد السباع . رمى اللون عظيم القوة حتى انه يقضم ظهر ثور حتى وهو قنوع . حافظ للجميل محب بنفسه كريم ولا يفرس إلا اذا جاع ، ينام النهار كالنمر ويسعى للقوت ليلا شديد البطش عظيم المهابة

﴿ الثعلب ﴾

ولما رأيت الثعلب تذكرت انه عدو الطيور والسباع مشهور بالمكر والخبث والحيل مثل أن يتظاهر بالموت ليتخلص من الصياد وهو يجول للصيد ليلا ويختفي بالنهار ويحفر له حجرا منفرجا قريبا من جذور الأشجار العتيقة وهو سريع العدو وإذا لم يجد نحو الدجاج تغذى بالفيران والضفادع وهو يأكل الفواكه كالعنب ولذلك يتلف الكروم

﴿ الذئب ﴾

ولما رأيت الذئب تذكرت انه هو الجبان الذي لا يسوقه الى الافتراس إلا الجوع وهو جنبه يدخل صوامع الدجاج برجليه الخلفيتين وهكذا لاتصيد الذئب غالبا إلا وهي قطعان فتفترس الغنم والحيوان الأضعف وقد تصيد الخيل والبقر والانسان وقطعان الذئب اذا جاءت لانهاب خطرا والذئب قوى ما كرك كالعنب . واذا تعرض للانسان وعجز عنه استعان بالذئب . واذا رمى الانسان ذئبا أكلته الذئب ولم تأكل الانسان وهكذا اذا مرض واحد منها افترسته ولذلك اذا مرض واحد منها اعتزل الباقي

﴿ الجمل ﴾

ثم لما رأيت الجمل تذكرت صبره على العمل وعناده اذا أهين وحقده وانتقامه ممن ظلمه وتذكرت أنه يعيش (٢٥) يوما بلا شرب ماء اذا كان الورق الذي يأكله مملوا بالعصير النباتي وهو لا يعيش إلا في البلاد الحارة . وهكذا تذكرت صفات البقر والجاموس والغنم والمعز المجتر التي لها أربع معدات تأكل الحشائش وتبلعها فتزل في الكرش ثم تذهب الى تجويف يسمى القلنسوة وتذهب الى الفم فتضغ ثانيا ثم تذهب الى تجويف ثالث يسمى أم التلايف ثم الى تجويف رابع يسمى الأنفحة . كل ذلك تذكرته لما رأيت هذه الأنعام في هذه الصور وهي مرسومة في مراعيها . بذلك ذكرت قدرة الله وحكمته وكيف خلق لكل حيوان ما يليق له . فلم يعط القروذ ولا الانسان ولا الآساد هذه المعدات الثلاثة لأن هذه ليست في حاجة اليها ولم يعط الطير أسنانا بل جعل له القانصة والحوصلة بهصان الطعام عوضا عنها وعن المعدة والأمعاء . وجعل الحيوانات آكلة الحشائش طعاما لا آكلة اللحوم وقلل هذه وأكثر تلك ولم يخلق سبحانه عضوا إلا لمنفعة فترى الأنياب القوية في السباع للحاجة اليها ومنعت المجترات ذلك لعدم احتياجها اليها . هذه هي المعلومات الأولية التي

تعلمتها في الصبا تذكرتها الآن بهذه الصور المرسومة أمامي . تم الفصل الأول
(الفصل الثاني)

(بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغرائرها
وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين)

جل ملكك يا الله وابتهج حيوانك بنباتك وابتهج كل مخلوق بنعمك خرسنهم برحتك وحفظتهم بنعمتك
لا إله إلا أنت ذو الجلال والجلال الذي ظهرت آثاره في الآفاق فعمرت بها القارات كلها آسيا وأفريقيا وأوروبا
 وأمريكا والاقيانوسية . هاهي ذم الحيوانات رائعة في بحبوحة النعيم وظلالها في كنفك وأبحت لها الحشائش
والمرعى والأشجار وهي رافلات في حلل السعادة والنعيم . هذه نعمك ماثلة أمامنا نحن قراء هذا التفسير التي
أنعمت به علينا بعد شوقنا إليه آمدا طويلة وألهمت أناسا رسموا خرائط أرضك بأقسامها وآخرين رسموا
حيوانك ونباتك ثم هيأت هذا كله وجعلته تفسيرا لكتابك المنزل . الله أكبر . أحاطت آيات القرآن بالقارات
وبحيوانها ونباتها احاطة السوار بالمعصم . أصبحنا يا الله نشاهد بعد اليأس آيات القرآن معانيات قاراتك
وحيواناتك ونباتاتك . يحيط كتابك المنزل بحبيب كتابك المبدع في الطبيعة . نعم ظهر الآن كيف كان
الاسلام دين الفطرة . حار هذا الانسان المسكين منذ أزمان في أمر دينه وفي أمر دنياه . ظن المسلم وغير
المسلم أن الطبيعة شئ والدين شئ آخر . ظنت الأمم كلها ذلك الظن لما رأوا مخالفة الديانات للعلوم وللطبيعة
ولكن هذا الدين الاسلامي لكونه لم يتغير كتابه المنزل وأخذ الناس بوضوح علوم الطبيعة أصبحت هي
تفسيرها له وهذه هي الحجة القائمة والآية البالغة . آيات قرآنية يكون تفسيرها نفس العلوم الطبيعية وإذا لم يتم
هذا تكون الديانات مفتراة أو مغيرة لأن القائل ينطق بما يعرف فإذا خالف القول العمل دل على أحد أمرين
إما أن القائل كاذب وأما أن غيره كذب عليه . وهذه كانت فكرتي في أول حياتي فكنت أقول ان لم يكن
دين الاسلام ملائما للطبيعة فهو غير حق . هذه كانت فكرتي من غير معلم وأخذت أبحث في الطبيعة وفي
القرآن فامتزاج الآيات القرآنية بالعلوم الطبيعية أجل نعمة على وعلى قراء هذا التفسير . هي سعادة الدنيا
وسعادة الآخرة وخير سعادة لي ماشاهدناه اليوم من ازدواج آيات الوحي وآيات الكون . فهاهي ذه آيات القرآن
تحيط بالحيوان والنبات والناس يشاهدونها في هذا التفسير وتستبصر هذه أمرا شائعا بين المسلمين وسيكتبون
هذه الآيات على حيطان حدائق الحيوان في الحكومات المختلفة على طراز ما كتب هنا . وهكذا في الحدائق
العامة النباتية ويكون ذلك دينا للمسلمين

(جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى)

اللهم إن أهل هذه الأرض من أنواع الحيوان والانسان عيالك في ملكك . ان ملكك واسع وأرضنا
كما عرفناه من آراء علماء الفلك ذرة ضئيلة ليست في العبر ولا في النغير . نسبتها الى ملكك كله كنسبة الجوهر
الفرد الذي يدق عن أن نراه بالمنظير المعظمة الى ألف مليون أرض كأرضنا هذه . لذلك كان علمنا وإدراك
حيواننا ضئيلا ضعيفا . فأما الحيوان فانك أنت ألهمته منافع فعاش بها وهو يسير بارشادك ووحيك على قدر
ما قسمت له فالفريرة هي التي توجهه مدة الحياة . فأما الانسان وان أعطيته العقل وهو به حر فهو مسكين مني
بالتقليد . ذلك انه وان أعطيته ملك الأرض وأبحثها له ومنحته العقل والحرية قد حبس نفسه في محابس التقليد
وضل وغوى فقال في نفسه بدل أن أفكر وأضني عقلي وجسمي فحالي وما لنصب والتعب فلا قلد الآباء فأنا
لست خيرا منهم . هنالك هام الانسان أكثره على وجهه ووقع في هاوية الجهالة . قرأنا أهل هذه القارات
المرسومة في هذه الآيات من نوع الانسان قد اتخذت كل أمة من الأمم فيها عادات وديانات وأخلاقا بلا علم ولا
هدى ولا كتاب منير . واتبع الأول الآخر في الضلال وقلت أنت فيهم . ومن أعرض عن ذكرى فان له

معيشة ضئيلة * ونحشره يوم القيامة أعجمي * قال رب لم حشرتني أعجمي وقد كنت بصيرا * قال كذلك أنتك آياتنا ففسيتها وكذلك اليوم تنسى - غيرته بالتقليد وأبنت محاجة الرؤساء والمستضعفين - فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار الخ وأوضح قيمة التمسك بأراء الآباء إذ قلت - قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون - فطباع الإنسان تسكاد تشبه طبائع الحيوان - فالحيوان بالغريزة لا يترشح عنها والإنسان لكونه في عالم متأخر مثل هذه الأرض أخذ يشابهه فدار في مدار واحد بتقليد الرؤساء أو الآباء كأنه إذن اختط لنفسه خطة تشابه خطة الحيوان فالحيوان بالغريزة والإنسان بالتقليد - هذا هو السبب في أن الحيوان من نوع واحد يرى متشابهاً في أفعاله شرقاً وغرباً كالذئاب والأساد - أما الإنسان فلا تشابه بين عاداته بل هناك اختلاف شاسع لأن العادات التي أنبعها والتقاليد التي رسمت له غير متفقة بل هي مختلفة اختلافاً بيناً فزيراً الأساد في الشرق والغرب واحد ومكر الثعالب في هذه القارات كلها لا يتغير لأنها جارية كلها على ما رسمت أنت لها بخلاف هذا النوع الإنساني فقوم تراهم يتزوجون بناتهم وأمهاتهم وآخرون يحترمون ذلك وقوم يأكلون مرضاهم وموتاهم وآخرون يدفنونهم مع أن الغربان مثلاً جميعها تدفن جثث موتاهم - فالفرق الشاسع بين أكل الآباء والأقارب عند المتوحشين في أواسط أفريقيا وبين احترامهم واعظامهم ودفنهم واجلالهم عند الأمم المتمدنية ليس مثل اتحاد الأعمال عند الغربان في دفن الجثث الذي لا يختلف فيه أنواعها ولا مثل اتحاد الذئاب في أكل ما مرض منها ولا مثل اتحاد النمل في العطف والرافقة على ضعفائها ومرضاهم - إذن هذا الإنسان قد ضل عن فطرته لأن فطرته أن يفكر لا أن يكون ذا غريزة تسيره فهو حبس نفسه في سجن التقليد وكان من آثار هذا التقليد أن الناس أشات كما قال شاعرهم

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم * لا يستوون كما لا يستوى الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقته * وذاك ليس له طعم ولا ثمر

وهذا وإن كان مراداً به أخلاقه الفردية فهو منطبق على عاداته القومية التي طبع عليها بالتقليد فأنسته ملكة العقل والتفكير فأنحط كثير من هذا النوع عن صاحب الغريزة وهو الحيوان - ومن آثار التقليد أن أهل الأرض الآن لما كان هذا دأبهم إذا اطلع غير المسلم منهم على ما كتبه الآن ورأى هذه القارات وعليها الآيات وفي داخلها الحيوان والنبات ورأى أن الطبيعة هي نفس الوحي المنزل وأن القول السماوي موافق للعالم الطبيعية لا يستطيع أن يكتب في كتاب ولا يرى في قلبه قبولاً له ولا يحبه مع أن فطرته شاهدة أن كل قول منطبق على الطبيعة مناسب لها موافق لحقائقها يكون مقبولاً لأن الإنسان جزء من الطبيعة والطبيعة محبوبة ومنها وبها وعليها خلق وتغذى وتجدى وتعمل وجل فهو يذكرها مغرم ولعلمها حب ولكن التقليد الذي أخرجه عن دائرة عقله يمنعه من كتابة هذه الآيات أو الاستشهاد بها أو إعارته التفاتة فلا يصنع كما صنعت في هذا التفسير بل يراه جريئة ودليلاً للتقليد - قتل الإنسان ما أكفره - إنه كان ظلوماً جهولاً - بل كثير من المسلمين الذين تعلموا نصف تعليم يأفكون أن ينطقوا بهذا لأنهم يريدون أن يتظاهروا بأنهم أعظم من الأنبياء فيعظمون في أعين ضعفاء الأمم الشرقية الذين أخذوا الآن يقرؤون بعض العلوم فيهمهم رؤسائهم بأنهم صاروا كرجال الأمم الأخرى الذين غلبوا الشرقيين بالمدايع والاحيلة لهم في هذا الادعاء إلا أن يتظاهروا باحتقار الدين وتظاهروا بالعظمة أمام صغار الأمم الشرقية - إذن أمثال ما كتبه الآن حول القارات من الآيات تختلف فيه الأمم ولا ينحون نحوهم إلا المسلمون ومن على شاكلتهم وهم قليل بخلاف الشعرفان الشعر بأي لغة كان يفرح به جميع الأمم - فشاعر الشرقيين من مسلمين وبوذيين ويهود وغيرهم يسمعه كل غربي - وشاعر الغربيين من أي أمة كان يسمعه ويفرح به كل شرقي وحكيم الشرق وحكماء الغرب كشعرائهم كلهم محبوبون مقبول كلامهم عند جميع الأمم

فهذا (شكسبير) شاعر الانجليز وهذا (سينسر) فيلسوفهم . وهذا (هوميروس) شاعر اليونان . وهذا (أرسطاطاليس) وهذا ابن رشد والغزالي وابن سينا . كل هؤلاء يسمع شعرهم وفلسفتهم كل أمة سواء أكانت على دينهم أم خلافة . أما الدين فلما كان له رجال يحملونه وكان لهم في تأييده وارتقائه وشيوعه في الأرض منفعة مادية كأن يزيدهم جاهها ومالها وكثرة اتباعهم وكثرة الاتباع لآتم إلا باحتقار كل دين سواه لذلك كانت أهل الديانات الأخرى إذا قرؤوا ما أكتبه الآن لم يحلوه المحل الذي يحلوه للشاعر أو للفيلسوف الشرقي إذن التقليد في أمم الأرض بمنعهم عن فطرتهم وهذا الدين الاسلامي الذي ينطبق على الفطرة كما نطق به هذه القارات وحيواناتها وكما تستمع قريبا هنا في كلام فلاسفة أوروبا في تفريظ كتابي ﴿نظام العالم والامم﴾ أن الاسلام . بهذا التأليف ثبت انه دين الفطرة لا يعبره غير المسلمين أدنى التفات مع ان فطرتهم شاهدة به ولله الأمر وله الحول والقوة - ولو شاء ربك مافعلوه - والحمد لله رب العالمين . كتب يوم السبت ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ الفصل الثالث في عجائب هذه الحيوانات وآثارها في الانسان وأن الأرض أشبه براقصة

حول الشمس بما حلت ﴾

فاذا رأيت الأرض راقصة حول الشمس بحركتها اليومية والسنوية لا تقتر ولا تهدأ والنجوم حولها والكواكب كأنها تصفق لها وهي دائرة فانها وهي في رقصها قد حلت بالناطق الهوائية والسحابية والثلجية والنباتية والحيوانية . فهي أبدا راقصة وهي أبدا عليها حلقتها وحولها نعماتها وفيها قلت صباح يوم الجمعة (٧) ديسمبر سنة ١٩٢٨ ما يأتي من الآيات

الأرض ترقص حول الشمس من فرح * بنورها وبنور الشهب في الظلم
تنأى وتقرأ أحيانا بما حلت * من ناضر التبت أو من ياهر النسم (١)
فالنور مؤتلق والطير مخترق * والنبت مقسق يهـدى الى النعم
والخوت في لبح الأمواج يقطعها * ويقطع الليث قفرا وهو في قزم (٢)
والأرض أمهم طرا تسير بهم * خوفا عليهم واشفاقا من العدم
في الصيف تدفهم بالنور محترقا * وفي الشتاء يرون السحب من أم
سوطان حر وبرد سيق بينهما * مافي الخلائق بين الخوت والرخم
والريح هز هزت الأشجار مائلة * تشدومع الطير في الروضات والاجم (٣)
في كل أرض وفي كل البحار وفي * جو السماء أفانين من النعم
من كل مائسة الأغصان والهة * تختال في حلق الأزهار كالغنم (٤)

﴿ نظرة في قوله تعالى - فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين - الخ فوق ما تقدم ﴾

(١) إن كون الحيوان يمشى على رجلين وكونه يمشى على أربع وكونه يمشى على بطنه . هذه أمور يشاهدها الجهلاء والعلماء . في الانسان مع الطير وفي ذوات الأربع وفي الحيات . وأعجب من ذكر القرآن هذه الثلاثة التي يعرفها الخاصة والعامة . الله يرشدنا الى أن الأشياء المشاهدة غرض الناس عنها الطرف لأنهم في هذه الأرض حكم عليهم بالسجن في البحث عن أقواتهم وعن المال والولد . فاذن هم في غفلة ساهون فقال الله . كلا . أيها الناس إن باب العلم هو التقسيم والتحليل . أما التحليل فقد جاء في (سورة البقرة) عند ذكر الطير وبرايم فافرقه هناك وهو الذي يعرفه تلاميذ المدارس النظامية في العالم كله في علم الكيمياء وأما التقسيم فهو الذي فتح بابه القرآن هنا . اللهم إنا نحمدك على العلم وعلى الحكمة . أنت الذي فتحت (١) النسم جمع نسمة وهي كل ذى روح (٢) شدة الشهوة لأكل اللحم (٣) الشجر الملتف (٤) نبت أحر

لنا باب التقسيم . الله أيها المسلمون فتح باب التقسيم فقسم الحيوان الى الأقسام المذكورة
(٢) فانظر تقسيمه على المناطق في صورة (١٥) فهو (ثلاثة أقسام) قسم في المناطق الحارة . وقسم
في المعتدلة . وقسم في الباردة وهكذا يقسم من حيث الأخلاق الانسانية

(٣) ان للانسان شهوة وله غضب وله حكمة وعقل فالحيوانات التي تأكل النباتات تمثل فيها القوة الشهوية
والحيوانات التي تأكل أمثال الغزلان والأرانب كلاسود والنمور تمثل فيها القوة الغضبية والقوة المودعة في العالم
علوية وسفلية التي بهارتبت هذه الأنواع وحفظت و بقيت بحيث لا تنفنى أنواع الأنعام وأمثالها بأكل الحيوانات
التي تقتدى منها بل يبقى الأكل ببقاء الماء كقول ولا يفنى الماء كقول مع تماذى الأكل في التغذية به . فهذه القوة
المنظمة قد أودع نور يشبهها في عقول بنى آدم سميناها عقلا . إذن عقولنا أشبه بالملائكة وقوتنا الغضبية
أشبه بالآساد ونحوها وقوتنا الشهوية أشبه بالبهائم ونحوها . فهذه ثلاث مراتب كمراتب الأرجل في الآية
وكراتب المناطق فوق الأرض . فهذا يشيرله القرآن ولهذا نزل الكتاب ولهذا وأمثاله جاء أمثال هذا التفسير
من الكتب التي تواف في عصرنا . تباركت يا الله في نظامك وعجائبك في هذه الدنيا

(٤) ويلحق بهذا أمر اللذات فهي (ثلاثة أقسام) لذات دنيئة سفلى ولذات وسطى ولذات عليا .
فأما اللذات السفلى فهي ما يزاوله الحيوان من السفاد وضروب الغزوان . فالانسان وهو يزاوها قد شارك
الحيوان فيها وهي أدنى اللذات . ألا ترى أن هذه اللذة عمت النبات وسائر الحيوان واللذة كلما كانت أعم
كانت أدنى منزلة وكلما كانت أخص كانت أرفع منزلة . وأما اللذة الوسطى فهي لذة الغلبة والقوة والسطوة
وهي التي تمتع بها الآساد والنمور والصقور فلها الحكم على الحيوانات الآكلة النبات ولها عليها فضل لأنها
وان أكلت من القطيع الذي يبلغ (٥٠٠) نجة مثلا واحدة كل جعة أو شهر أو سنة قد كانت سببا في احداث
ارتباط المجموع بروابط المحبة والاخاء والاتحاد لأن الخوف من المهاجم يجمع القطيع كله على رأى واحد فإذا
آتت أسدا فررت الجوع من وجهه ولا يقع فريسة إلا الضعيف . هكذا جعل الله في الناس من هم أولوا قوة
وأولوا بأس شديد فيحفظون الأمم والدول والممالك ويساعدون في ارتباط المجموع واتحادهم بالقوانين والأوامر
فهؤلاء المنوك وهؤلاء الأمراء لذتهم إذا خلت من الشهوات البهيمية أرقى من لذة الفتيان بالمطاعم والملابس
والتزويج المقتصرين على ذلك . وإنما كانت هذه وسطى لأنها خاصة بطائفة من الحيوان ولم ترتق الى المرتبة
العليا وهي اللذة العلمية وهي اللذة التي لا يعرفها إلا الحكماء والأنبياء والملائكة . فالانسان إذن إما بهيم وإما
أسد وإما ملك

فكن رجلا رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

(٥) تقسيم الحيوان على حواس الانسان وحاجاته
(١) فنه ما ينفع الانسان من حيث حاسة اللمس فيلبس الجلود والأوبار والأشعار والأصواف كالإبل
والعز والغنم

(ب) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الشم كحيوان المسك في البر وحوت العنبر في البحر
(ج) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة الذوق وحصول الغذاء بالألبان واللحوم وهذا معروف
(د) ومنه ما ينفعه من حيث حاسة السمع كالطيور المغردة من الفواخت ونحوها
(هـ) ومنها ما ينفعه من حيث حاسة البصر كالطيور الجبيلة من أمثال الطاووس وهناك منافع عقلية لأنواع
الحيوان تكسبه حكمة وعلمها وذلك كالألوان التي شرحتها لك في أول سورة المؤمنين . فهذه تدهش عقل
العقلاء وتدعوهم للتفكير والتأمل والاعجاب بما أبدع الله فيها
(و) انظر ألوان الحيوان وصوره . هناك تر العجب العجيب . ترى الحيوان أعطى لونا خاصا لحفظه هو

فانظر هناك حشرة تعيش على (البقدونس) كيف لَوْنَت بلون أزهاره حتى لا يمتاز عنها ، وانظر هناك صورة لحشرة أشبهت غصنا من نفس الشجرة قد قطع حديثا وهي بذلك قد حفظت من الهلاك وكيف يكون بعض الحشرات مشبها في الشكل زرق الطيور الآكلات لها حتى لا تقع عليها فتفترسها . وهكذا مما شرحته لك هناك ثم انظر من جهة أخرى صور أجسامها وتركيب أسنانها وجهازها الهضمي تجدها مفصلة بحساب متقن على حسب مصلحة نفس الحيوان لاعلى مقتضى الوسط فلم يكن لون سواد الفار ولا اللون الزاهي في الزنبور رمية من غير رام كما أقربه فلاسفة القرن العشرين

إذا علمت ذلك في النظرات الست المتقدمة هناك تعرف لماذا يقول الله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود ومن الناس والدياب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء - وتعرف قوله تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - هذا هو الذي نزل له القرآن وهذه العلوم التي أظهرها الله في زماننا هي التي بها يفسر القرآن الذي جعل اختلاف الألوان لا يعرفه إلا العلماء ولا يدرك أمثال هذا إلا العلماء به لاعموم العقلاء والحمد لله رب العالمين انتهى الفصل الثالث

﴿ الفصل الرابع في أن الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة وفيه بيان نعيم الحرية وحجيم الاستعباد ﴾
اعلم أن الله عز وجل خلق الحيوان قبل أن يخلق الإنسان وألهمه معاشه وعلمه صنائعه وقسمه أقساما وكل ذلك قبل أن يخلق هذا الإنسان على الأرض . إن الله قد فعل مع الإنسان ما فعله مع الطفل من احضار ما يحتاجه قبيل الولادة حتى إذا وضعته أمه وجد القابلة التي تساعد في وضعه والذى واللبن واللفاف وجميع أنواع الراحة له حتى يعيش في الأرض . هكذا الإنسان كله خلق له قبل أن يخلق الحيوان وخلق للحيوان النبات كذلك حتى يدرس الإنسان هذا الكتاب المفتوح فضلا عن أن يكون غذاء له ومركبا وزينة ومتاعا الى حين . واقد مر في (سورة طه) أنواع الصناعات التي تعلمها الإنسان من الحيوان في شؤون الحياة فقلده فيها فانظرها هناك فانك تجد الإنسان ماصع مركبا في البحر ولاطيار في الهواء ولاحصنا مدنية ولاسردابا تحت الأرض فيها إلا وقد سبقه اليها الحيوان . وأقول الآن إن الحيوان على ﴿ قسمين ﴾ قسم يعيش في الخلووات والغابات حرا طليقا سعيدا قويا معززا وقسم يذله الإنسان ويستخدمه ويكون مساعدا له . فالأول كالغزلان والآساد والثاني كالكلاب والغنم فالأول بحريته صار أعز نفسا وأشرف وأجل وأكمل وأقدر على التدبير من الثاني الذي حرم قوة الحيلة والتدبير لأن الإنسان قام بحاجته وتكفل بغذائه فانحطت ملكاته وساءت حياته ففرق بين العز والغزال . هكذا أنتم على الأرض ﴿ قسمان ﴾ قسم اعتاد التواكل والكسل فألهم الله من هم أقوى عقولا وأحسن تدبيرا فاحتلوا بلادهم وساموهم سوء العذاب وقالوا لهم أيها الناس عليكم العمل وعلينا التدبير فعيشوا كما تعيش الأنعام وكونوا خاضعين . وكما انقسم الحيوان الى ذليل وعزيز حر هكذا انقسم الى ما أعطاه الله صناعة والى ما لا صناعة له . فالأول كالنحل والعنكبوت فترى النحل عزيرنا حل في البدو والحضر فهو معظم مكرم حتى ان الإنسان اذا استأنسه قام له بكل خدمة وعظمه وأكرمه ذلك لصناعته الجيبة فأما العنكبوت فانه لقوته الصناعية يحتل كل مكان في الحقول والمنازل ويصطاد الحشرات

﴿ اشارات القرآن لهذين التقسيمين ﴾

إن الله عز وجل لم يسم في القرآن السورة باسم (البقرة) وهي مما استنذله الإنسان إلا وقد ذكر معها الذبح فقال - إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة - ثم قال - فذبحوها وما كادوا يفعلون - هكذا الأمم التي تركت مواهبها وعقولها سلط الله عليها من الأمم من يقودونها ويقومون بشؤونها - سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا - فهوؤلاء المسلمون المستضعفون في الأرض قد ضرب الله لهم مثلا في الأنعام أمامهم فانهم يعرفون

الفرق بين الأسد والكلب وبين الغزال والعنز فالغزالة أنقى لونا وأجل شكلا وأوفر ذكاه وأوسع حيلة من أختها العنز التي استذلها الإنسان . ذلك هو كتاب الله الذي أنزله للناس قبل أن ينزل كتابا واحدا من السماء وهكذا لم يذكر الحيوانات الصانعة في التقسيم الثاني إلا مقرونة بما يشرفها ويعظمها . ألم تره لم يذكر النمل في (سورة النمل) إلا وقد شرفها بأن سمعها نبي من الأنبياء وهو سليمان - فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك - وقال الله في النمل - قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون - كما أنه لما خاطب الهدهد وهو من نوع الطيور الحرة في التقسيم الأول هنا بعد أن توعد بالذبح أو التعذيب الشديد لم يهنه ولم يذله لأنه سمع منه الجواب الحكيم والعلم إذ قاله - أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين - بخلاف (البقرة) فانها لم تفد العلم بالقتيل إلا بعد الذبح . يقول الله تعالى - فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى - فليت لم يخبر بقائه إلا بعد ذبح البقرة وهو هدد بالذبح ولكن لم يذبح وأتى بعلم وهو حي . ذلك فرق ما بين الحر وغير الحر . الحر لا يذبح فتفيد حياته وغير الحر يكون طعاما للآكلين فلذلك أفاد الهدهد سليمان بما لا يحيط به علما . هذا تشبيه ظاهر لأهم الاسلام أن سمو الفكر والحكمة وعلو القدر والعظمة كلها تابعت للحرية التي يتبعها صفاء الذهن وحضور البديهة والصدق في العمل ولم ينزل القرآن لنا للتفكير بل نزل للحكمة ولم يختر الله الهدهد في حكاية سليمان رمية من غير رام . كلا . ثم كلا . بل الهدهد رمز للنفوس الصافية التي ليست تحت إمرة غيرها حتى يكتسبوا أنفاسها ويذلوها ولو كان علماء الاسلام فكروا في هذا قبلا ما ذل المسامون ولا ضعفوا ولا استكانوا ولكن الله عز وجل هو الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء - وكل شيء عنده بمقدار - ولقد كان من الجائز أن يذكر الله بدل الهدهد حمامة فالحمام هو المجهود لتبليغ الرسائل في السلم والحرب قديما وحديثا ولكن الله عز وجل يريد أن يعلمنا بطريق ضرب الأمثال بالحيوان فذكر الهدهد لهذا وأمثاله والله هو الفتح العليم . ثم تأمل كيف ذكر الله الهدهد والنمل مع سليمان حتى يكون ذلك شاهدا على القسم الأول في هذا المقال وعلى القسم الثاني فيه حتى يكون هذا المقال كله مقتبسا من (سورة النمل) مرتبطا بآية النور هنا عند تقسيم الحيوان الى الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وهكذا . ولا جرم أن التقسيم العام هنا يدخل فيه ذلك التقسيم الخاص في (سورة النمل) الذي تضمنه حديث سليمان مع الهدهد وتبسمه من سماع النملة . فهنا عموم وهناك خصوص وهذا المقال خاص دخل في العام . فأنا أجذك يا الله على نعمة العلم وبديع الحكمة إنك أنت اللطيف الخبير . وهكذا لما ذكر الله العنكبوت أردفها بقوله - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وقال في النحل - وأوحى ربك الى النحل - فها هو ذا سبحانه أفادنا أن في ذكر العنكبوت ونحوها ضرب أمثال وأن تلك الأمثال لا يعقلها إلا العلماء وأفادنا في النحل انه يوحى اليه كما أنه في (سورة المائدة) أفادنا أن الغراب معلم للإنسان إذ قال سبحانه وتعالى - فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين - وعلى مقتضاه يقول يا ويلتنا أعجزت أن أكون مثل هذا الهدهد والغراب فأكون حرا طليقا قوى العزيمة أخاطب ملكا عظيما كسليمان فلا أخشاه لعلمي ولصدق ولقوة عقلي ويقيني ولحررتي وأيضا أعجزت أن أكون كالنحل والنمل وكالعنكبوت في الصناعات حتى أستخرج مواهب الكامنة في وهناك يلهمني الله رشدي ويزيدني علما بما أزاله كما أوحى الى النحل لما زاولت عملها والى العنكبوت لتتقن نسجها والى النمل لتربي أولادها . هذا ما فتح الله به

صباح يوم الخميس ١١ ديسمبر سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

(حفظ القوة الشهوية في الإنسان حسن كما حفظها الحيوان)

ولعمري - إن الإنسان لبي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر -

الله يقول - إن الانسان ابنى خسر - لماذا؟ لأنه جهول - قتل الانسان ما أكفره - . ويقول أيضا - وحله الانسان إنه كان ظلوما جهولا - . اللهم اننا نحن - كان هذه الأرض أسرى التقليد والأوهام والجهالة أفكر يارب في هذه السن فأرى انك قويت بصحتي وأتذكر أيام شبابي فأجد الأمراض كانت تحيط بي . ولما فكرت في ذلك وجدت أن المرض في الشباب كان بالجهل بعلم الصحة وأن الصحة اليوم بسبب انك عرفتني بعض علم الصحة وعملت بشئ منه . وكما رأيت في صحتي اعتدالا قليلا أو كثيرا بعد أن أكون عملت ببعض ما أكتب في هذا التفسير من قوانين الصحة أقول يا سبحان الله وسعدانه . إذن أمراض الناس بجهلهم ومرضى بجهلي وكل انحراف عقلي أو صحي أو خلقى عندي الآن أو من قبل ليس له سبب إلا جهلي . إذن شقاء الناس كلهم بالجهل . ومن عجب أني أرى علماء الأمم وكبراءهم في عصرنا يتبعون بالاعلان عنهم في الجرائد انهم شربوا المرطبات أو الخلوى في مجالسهم العامة وهكذا فإذا سمعت هذا الاعلان أقول في نفسي . يا عجباً . ما لي أرى هذا الانسان ساهيا لاهيا . شرب القوم المرطبات . شربوها جميعا . هل كانوا عند الشرب جميعا مسوقين له بالعطش أم ذلك شهوة لاغير فمن شربها للعطش فيها ومن شربها للذة أورتته مرضا دفيناً واختلالا وهكذا مرة بعد أخرى حتى يظهر أمره بعد حين . فلماذا لا ينظر الناس الى الحيوان . ذلك الذي لا يأكل إلا اذا جاع ولا يشرب إلا اذا عطش والانسان لغاوتة وجهله يشرب لغير سبب إلا اللذة وهذا له عقاب عظيم في هذه الحياة . هكذا في أمر التناسل ولذة الوقاع يقول الأطباء (إن حفظ هذه القوة يقوى الجسم والعقل ويزيدها تميز الأشياء) ومن عجب أن الناس يشاهدون الأنعام لايقرب الذكر أنثاه مادامت حاملا كأنها قرأت نظام العالم وعرفت منه أن هذه الشهوة ليست مقصودة لذاتها لذلك حفظت قوة تلك الحيوانات . أما هذا الانسان المسكين فهو أسير شهواته بواقع كثيرا لغير ما سبب إلا الشهوة وهي تربيته . نعم أنا لست أقول اننا نقلل الوقاع كما نقلل الأنعام أي عند ارادة الحمل فقط ولكن أقول الأفضل أن يكون ذلك تابعا لعلم الصحة حتى تقرب من حكمة الله في أرضه التي أظهرها لنا في الأنعام التي اقتصرنا على طلب الولد والله أشار لذلك فقال في (سورة البقرة) - وقدّموا لأنفسكم - بعد قوله - نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم -

اللهم إنا على الأرض أمما (كتابان) كتاب منظور وكتاب مسموع والكتاب المسموع الذي أوجبه وجه عقولنا الى كتابك المنظور . فلنوجه برحمتك عقول المسلمين من الآن الى نظامك في كتابك المنظور حتى يعقلوه فيفرحوا بحمالك وليتخلعوا بأخلاقك العالية الشريفة وليقفوا عند حد أدبك الذي فرقته على حيوانك في أرضك وقلت - قل انظروا - فهانحن أولاء يارب نظرنا فوجدنا أن النوع الانساني حاد عن الجادة في تصرفه واتباع العادة ولم يفكر منه إلا الأقولون . يشربون وهم لم يعطشوا ويأكلون وهم لم يجوعوا والحيوان لم يفعل ذلك وأكثر ما يكون ذلك منهم في ولائهم وأفراحهم ومجتمعاتهم العامة

ويدخلون دخان (التبغ) في أفواههم يدور في دورة الدم فيؤذيهم ويشربون المراتد المتخمرة التي تضر أجسامهم ويفعلون ما به يستفرون . وقد تمتحننا بالجوع الكاذب بين الأكلتين أو العطش الكاذب بين المزينين من الشرب فنقطع تلك الداعية فنستضر واذا ذلك تفضل القوة العقلية ويفتر الذهن وتقصرا الآجال على حسب الأقدار الجارية . ولقد قلت في كتابك - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير - فهذا مما كسبناه بأيدينا وقلت أيضا - وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله - وسبيلك يارب في كل شئ بحسبه - إن تربي على صراط مستقيم - وقد دعت التقليد فقلت - واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون - . إن هذه الأمم سيكثر فيها المفكرون في أمر هذا الحيوان والاقتباس مما جبل عليه ليرجع المسلمون الى الفطرة - فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون - انتهى صباح يوم الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نداء الى أمم الاسلام ﴾

(تذكرة ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وازدياد لليقين)

إن من أعجب العجائب انى بعد ما كتبت مانقدم اطلعت على محاضرة مسبهة ألقاها الاستاذ (فينج فيشر) الأمريكى الاخصائى فى علم الصحة أظهر فيها بالبرهان الجلى المحسوس أن الناس فى القرن الحادى والعشرين سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة على الأقل وقال اتنا الآن نقصر أعمارنا باستعمال الكحول والتبغ والشاى والقهوة فضلا عن اتنا نكثرم من تناول الأطعمة ونقلل من ممارسة الألعاب الرياضية وننام قليلا ونرتدى ملابس غير صحية وأن علم الصحة يقود الى اطالة العمر ولا يأتى الموت إلا اذا فقد الجسم النشاط الحيوى عند ماتصبح الحياة كعقرب الساعة المكسور . وختم محاضرته بقوله ﴿ إن أحفادنا وأولادهم سيعيشون جيلا أوجيلين لأنهم سيدركون أكثر منا ويحافظون على الوسائل الصحية وينبذون استعمال المواد المهلكة لتلك الأجسام ﴾ انتهى

أقول . عجيب أن تنشر هذه المقالة فى بلادنا عند كتابة هذا الموضوع ولعمر الله كم من علم ينشر والناس به يستهزئون وليعلم المسلمون أن دين الاسلام سيأتى زمانه أما هذا الزمان فأتىما هو مقدمة لا غير . إن المسلمين قرؤا آيات الخمر وتحريمه والربا وتحريمه ولكن كان الخمر هو أجل ما يفرح الأمراء ورؤساء الدول الاسلامية فضلا عن الفساق وأصحاب الخلاعة . كل ذلك لأنهم لم يدركوا السر فى هذه المخدرات ولم يعلم كثير منهم أن ذلك التحريم لاسعادهم فى الحياة الدنيا قبل الموت وصار شعراؤهم يتغنون بالخمر ويقول أبو نواس شاعر العباسيين (أيام صولتهم ومجدهم والقوم لا يزالون أقرب الى البداوة منهم الى الحضارة ولم يبلغ الترف منهم مبلغا عظيما) ألا فاسقنى خرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

وكتاب الأغاني بما فيه من أحاديث الخلاعة والفجور المنقولة زورا عن الرشيد وأمثاله قد انتشر فى دولتهم ودولة الأمويين فى الأندلس فافسد أخلاق القوم فساء صباحهم ومساءهم وختل منهم الديار وبثت عاقبة الغافلين . فبالت شعري أى أثر يتركه أمثال ما كتبه الآن من النظرات فى الحيوان وعادته وأنه كتاب مفتوح كتبه الله بيده لنا وقال - قل انظروا - وقسمه الى زاحف وماش على رجلين وأربع وتبين لنا انه مترفع عن الدنيا فى مطعمه ومشربه وملاسته أنثاء . هناك يكون الخجل من الجهل ومن المرض وقصر الأعمار الذى كسبناه بأبدنا وسوء التربية والمسلكة . فاذا انضم الى ذلك قراءة أمثال ما ألقاه (الدكتور فيشر) الأمريكى من اظهار جهل هذه الأجيال . هنالك يعلم أبنائنا بعدنا اننا ما كان لدينا علم ولادين اللهم إلا ألفاظ القرآن محفوظة تدقها لمن بعدنا بأمانة كأن الله سخرنا لهم وهم الرابحون . أنت يا الله خلقت الحيوان وقلت - انظروا - وأنزلت القرآن وقلت افهموا وخلقت أمما وأمما ففسكر الجميع فعرفت روسيا ضرر الربا وأمريكا الخمر بعقولهم فأدوا بعض ما جاء به القرآن والمستقبل أجل وأكمل وسيرتقى المسلمون والحمد لله رب العالمين

أيتها الأم الاسلامية . اسمى . هذه هى صحيفة الحيوان أنزلها الله فى الأرض لتدرسوها وقال لكم انه مقسم الى زاحف وماش الخ وقال لنبيه ﷺ - فذكر انما أنت مذكر * أنت عليهم بمسيطر - كأنى بكم قرأت هذه الصحيفة وأخذتم تعجبون من نظام وضعها وبهجة سكتها فتقولون ان فى الحشرات كاللادود والجراد والنمل والنحل لعبرة وكذلك فى الطيور كالحمام والغراب هكذا فى الأنعام وفى الآساد والفيلة . اتنا نرى هذه الأنواع نجري على وتيرة واحدة فكما كانت أنقص مرتبة كان عملها قاصرا وكلما كانت أعلى مرتبة كان عملها متعديا . فاذا كانت الجرادة والذبابة والناموسة لارتبى ذريتها والنحل والنمل يعطف الفرد منها على المجموع ويربى ذريته ويحفظ دولته هكذا نرى هذين النوعين فى الطيور . فانا نرى الدجاجة والبطة والحمامة تربى أبنائها ولكن لاعلم لها بنظام الغراب وأمثاله من كل ما لها به نظام عام يجمع طائفة ويساعد الفرد

المجموع . هكذا نرى البقرة والشاة والعنز والجل لا يعرفن إلا أنفسهن وذرياتهن إلى أمد معلوم ولكن الفيلة والذئاب والقردة وأمثالها قد كوّنت لها أمة وأقامت حكومة وانتظمت منها الجاعات ثم يقولون إن الشرف يتبع الفضل والمنفعة العامة فنحن نرى النحل والغرابان والقردة أفضل وأشرف من الجراد والحمام والأنعام ثم ينظرون في هذا الإنسان نظرة فيقولون إن الطفل منه والشيخ الهرم كلاهما لضعفه يشبه الدود والجراد إذ لا همّ له إلا حفظ حياته . والأقوياء من هذا الإنسان يرتقون فيلسوفين الدرية وتكون لهم أسرات ثم جاعات ثم أنفاد و بطون وقبائل وحولاء أرقى ممن يقتصرون على أسراتهم وقياسا على جاعات الحيوان يكون الإنسان كلما ازداد جوعه ازداد شرفه . فاذا رأينا أم أوروبا كالجرمان والانجليز وأهل فرنسا . وإذا رأينا أهل الشرق الأقصى كالاليابان والصين ووجدنا أن هذه الأمم كلها يحافظ الفرد منها على المجموع قلنا لقد أحسنوا وهم أعظم شرفا ممن صغرت جاعاتهم بأن حافظوا على نظام القبيلة ولم يرتقوا عنه . ثم يقولون إن هذه الأمم جميعها لم تزد عن الغرابان وعن الفيلة وعن النمل والنحل

اللهم انك أنت الذي ألهمت النحل وألهمت النمل وألهمت الفيلة وألهمت الغرابان وألهمت هؤلاء جميعا نظام جاعاتهم وقلت لنا - وما من دابة في الأرض - كالفيلة والقردة - ولا طائر يطير بجناحيه - كالغرابان والنحل - إلا أم أمثالكم - فلهم نظام ولكم نظام . انك تريد بذلك أن توجه عقولنا إلى دراستها . هانحن أولاء درسنا هذه الحيوانات باعتبار انقسامها كما قسمتها أنت هنا بالمشي على البطن وعلى الرجلين . فلما درسناها وازانها بالإنسان وجدنا أننا في الشرق ارتقت كما ارتقى الحيوان ولكننا لم ترها ارتقت عنه أيها المسلمون . هذه مبادئ التفكير عند آبائكم في المستقبل . ثم هم سينظرون ويقولون ما بالنا نرى آبائنا (يريدون أمثالنا وأمثال آبائنا وأجدادنا) لم يرتقوا في الأسباب ولم يعقلوا ما عقلته الأمم في الشرق والغرب . لماذا نرى الأمم كلها قد أدركت هذه الحقائق من نفوسها وخطت خطوات واسعة في الاجتماع وهم بقوا جامدين على القديم العتيق البالي من نظام الجاهلية الأولى حتى أن الأمم العربية مثلا متفرقة متشاكسة يجهل بعضها بعضا . فهم في شمال افريقيا متقاطعون متدابرون . فالعصرى والطرابلسى والتونسي والجزائري والمراكشي كل هؤلاء يجهلون أنهم أمة واحدة كأمة الصين واليابان والألمان والانجليز . لا لا إن آبائنا كانوا غافلين نائمين لم يدرسوا الحيوان ولم يدرسوا الأمم . فلاحهم عرفوا كيف يؤلفون أممهم كالغرابان والفيلة والنحل ولا كالألمان والانجليز والصين واليابان . فهم إذن أقرب إلى طباع الصبيان والشيوخ الهرمين الذين يحافظون على أقل أنواع الحياة

﴿ آراء فلاسفة المستقبل في أم الاسلام ﴾

إلى هنا نقف آراء أهل العلم ورجال السياسة في الأمم الاسلامية المستقبلية . أما فلاسفتهم وحكامهم فيرمون (لغابتين) إحداهما أبعد من الأخرى ﴿ الغاية الأولى ﴾ أن كل أمة من أمم الشرق تجمعها لغة أو دين أو وطن تحافظ على مجموعها وهذه تضارع نظام أرقى الحشرات والطيور وذوات الأربع وهكذا أرقى نوع الإنسان الآن ﴿ الغاية الثانية ﴾ التي هي أبعد مدى أن يجعلوا أهل الشرق كله أمة واحدة بحيث يكونون متعاونين بينهم اتحادا أشبه بالممالك المتحدة في أمريكا الشمالية . وانما يرون ذلك لأنهم يقولون إن الجاعة كلما كانت أكبر كانت أشرف والشرف لاحدله والأمم الحاضرة في الشرق والغرب لم يزيدوا جميعا عن الحيوان شيئا . فأى فرق بين جاعات اليابان والصين والألمان ونحوهم وبين جاعات النحل والغرابان . فنحل الشرق لا اجتماع له مع نحل الغرب لقصوره وغرابان الشرق لا صلة بينها وبين غرابان الغرب . لا لاهذه الأمم الحاضرة لم يترقوا عن الحيوان ولكن نحن أرقى وأرقى منهم ومن الحيوان معا . ذلك لأننا أعطينا ﴿ نعمتين ﴾ نعمة العقل ونعمة الدين . أما نعمة العقل فانها هي الموهبة التي بها أدركنا أن آبائنا قصروا عن أعلى الحيوان وعن الأمم المحيطة

بهم شرقاً وغرباً فنحن أعظم من أن نسير على منهج آباءنا الذين لم يجدوا من علمائهم من يوقظونهم ويخرجونهم من الظلمات إلى النور . من ظلمات الدل إلى نور الحرية . من ظلمات الجهل إلى نور العلم والعرفان . من ظلمات الاقتصار على نظام الأسرات والقبائل البدوية المتفرقة إلى نظام الأمم الكبيرة والجماعات العظيمة الوفيرة ونحن سمعنا الله يذم التقليد للرؤساء وللآباء إذا كانوا مخطئين - إذ يقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد - وسمعناه يقول - وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لايقتلون شيئاً ولا يهتدون - فهذان البابان أقفلناهما فكل ما يضر بنا من آراء آباءنا ورؤسائنا نرفضه ولا نقبله لأنه ينزلنا عن مصاف أرقى الحيوان وأرقى الإنسان في زماننا ولكنا نحافظ على كل شرف ورثناه من المتقدمين وأما نعمة الدين فإنا سمعنا الله كما أنه قال لنا - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا آمم أسألكم - قال لنا - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فهذه كتابنا المقدس في الآية الأولى يجعل الإنسان أمماً كأمم الحيوان سواء بسواء والإنسان الذي نعيش معه قد وصل لهذه المرتبة وإن لم يصل لها آباؤنا المسلمون بعد العصور الأولى حين فرقت جوعهم وخضدت شوكتهم وملكتهم البطنة ومالوا للذة وشربوا في المال ونسوا مجدهم القديم وعزتهم الموروث لما غرهم فتوح البلدان وحقت عليهم كلمة التفرق والهوان التي أشار لها حديث * إن أخوف ما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زينة الدنيا الخ * فان ماخفه نبينا ﷺ قد تم فعلاً وأيقنا به ووقعنا فيه تبعاً لآبائنا في نحو ألف سنة بعد العصور الأولى . وفي الآية الثانية أرانا علماً فوق علم أرقى الحيوان وأرقى الإنسان الحالي إن الإنسان في هذا العصر لم يرتق عن أرقى الحيوان كما قررناه إذن إنسانيته ضعيفة حقيرة والقوى الإدراكية التي في أرضنا * ثلاثة أنواع * فهي إما غرائز كغريزة الحشرات وغريزة الأطفال والشيوخ وسائر الحيوان وأما فكر وروية كما هو شأن نوع الإنسان وأما قوة ملكية قدسية تسمو على قوى الحيوان وقوى الإنسان فهذا الإنسان اليوم بفكره لم يصل إلى أرقى مما وصل له الحيوان ثم وقف فأين الفضل له إذن إذا كنا نجده لا يزال طفلاً في هذه الأرض بالنسبة لما ينتظر منه غذا . هاهو ذا يحارب بعضه بعضاً كما يحارب النمل ويتخذ الأسرى مثلها ويستخرجهم لنفسه كتسخير النمل إذن هذا الإنسان اليوم جد جاهل فوالله لا فرق بين قبيلتين بدويتين في الصحراء تفتخر كل واحدة منهما بمجد آبائها الغافلين وبين أمتين في الشرق أو الغرب تمجد كل منهما السابقين فيها وتقتصر على ذلك . إن مفاخر الآباء محمداً لا مذمة واتباعها شرف لا منقصة ولكن الاقتصار على ذلك والوقوف عند حده صغر في النفوس وحقارة في الإنسانية . فلتحافظ على شرف أسرتك الموروث وعلى فضل أمتك اليهود ولكن الوقوف عند ذلك نقص ومذمة وعار

ثم يقولون إن ذكاء الإنسان لم يرق به في النظام العام عن نظام أرقى الحيوان فإنه يقبل موهبة أعلى أما الحيوان فلا . فغربان الغرب لا ينتظر منها أن تتصل بغربان الشرق ولا نمل الغرب بنمل الشرق لأنه لا مصلحة في ذلك . أما أمم الغرب وأمم الشرق فمن مصالحهم جميعاً أن يكونوا ممالك كالملك المتحدة في أمريكا الشمالية هذا هو الحق الصراح . هنالك تكون هذه هي الإنسانية الحقة . ثم يقولون علم الله أن عادات الإنسان وتقاليد تمنعه عن الارتقاء عن الحيوان فاصطفي رجالاً قديماً وحديثاً حكماء نارة وأنبياء أخرى فدكروا الناس بما قررناه الآن وقالوا لهم أيها الناس أنتم ضالون ليخدم المجموع المجموع . وقامت في الأمم الغربية جماعات الاشتراكية ومن بعدها البلشفية وكل هؤلاء يحاولون الارتقاء عن هذه الأمم التي لم ترتق عن نوع الحيوان ولكن هذه المحاولات لم نعرفها ولم ندرسها وليست منزلة بوحى أما الوحي فهو الذي يؤثر في النفوس وهو الذي يكون نوراً تهتدى به العقول

إن عقول الناس في الشرق والغرب مستعدة لقبول الفكرة ولكنها تحتاج الى ﴿أمريين﴾ أمر وحى جاء من قوة فوق العقل حتى تسوقه الى هداه والى حكمة وعلم . أما الحكمة فهانحن أولاء درسنا العلوم التي عند الأمم المحيطة بنا من علوم الرياضة والطبيعة وغيرها لاسيما بعد ما نشرت كتب تحت على العلم والحكمة كما في هذا التفسير . وأما أمر الوحي فانا سمعنا قرآنا عجبا . سمعناه يقول - فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا - فها هو ذا القرآن يقول لنا إياكم والعصية الناقصة بل اذكروا الله . ثم سمعناه يقول - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - فلم يذكر شرقيا ولا غربيا ولا عجيبا . وسمعنا نبينا ﷺ يقول ﴿الفضل اعزني على عجمي إلا بالتقوى﴾ وسمعناه يأمر بالالا وهو غير عربي أن يؤذن في انكسبة والعرب يسمعون ويعون ويرون القديم كله ينسخ مرة واحدة ويحل محل نظام جديد وهو نظام التقوى والكفاءة إذن مستقبل الأمم سيكون هكذا كل أمة تعمل في الاستعدادت له وكل قوة من قوى النفوس لابد من استخراجها والله يقول - لانكاف نفس إلاوسعها - إذن جميع النفوس يجب توجيهها الى الأعمال التي تناسبها فلا يكون في الأرض كسل ولا بطلالة . ولاتبقى في الأرض أو الهواء أو الماء قوة يمكن استخراجها إلا ووجب على الانسان استخراجها وهذا كله لا يتم إلا بأن جميع الأمم في المستقبل يراقب بعضها بعضا بهيئة مشكلة من حكام مصطفين منهم ويحكمون على الأمم المقصرة في استخراج المواهب العقلية والمنافع المادية من الطبيعة لأن الله يقول - وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين * ما خلقتنا هباء إلا بالحق - فاذا كان بنو آدم لا يستخرجون قوى نفوسهم ولما كمن في المادة فهم لا يزالون يلعبون وقد خالفوا حكمة من أنعم عليهم بهذه الحياة وتكون نتيجة ذلك أن يقول أبناؤنا في نهاية مباحثهم لابد لنا من ﴿أمريين * الأول﴾ أن نجد في تعليم كل ذكر وكل أنثى في بلاد الاسلام العلوم والصناعات هذا أصبح فرضا لازما ويكون شعارنا - وقل رب زدني علما - وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا - و - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - ومتى آتينا هذه الخطوة وهى قرية المثال لايعوزها منى صدقت العزيمة أكثر من عشرين سنة نوجه همنا إذ ذاك الى نظام النوع الانساني كله ونفاهم مع جميع الأمم ونضع معهم النظام العام لاصلاح الأمم كلها شرقا وغربا . هذا هو الذى جاء له دين الاسلام . وهذا هو المقصود من قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وقوله - وأرسلناك للناس رسولا - وقوله - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا * وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا * وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا - وقوله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - لانه اذا جعلت الأمم كلها نظاما واحدا فأى حاجة الى رسول . إن الرسول يأتي بوحي والوحي أرقى من الفريزة ومن العقل والفكر . والوحي يحرك العقول ويخرجها من قيودها ومنى خرجت من قيود العادات وصلت الى ما ذكرناه وكان السلام العام

﴿ تذكرة ﴾

ولقد أوما الحديث الشريف لهذا المعنى في رواية البخارى ومسلم عن أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ ﴿لأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة فلا يجد أحدا يأخذها منه﴾ وورد أيضا ﴿تصدقوا فيوشك الرجل أن يمشى بصدقة فيقول الذى يعطونها لوجئتنا بالأمس قبلتها منك فأما الآن فلا حاجة فيها فلا يجد من يقبلها منه﴾ ورواه البخارى ومسلم والنسائى فيأليت شعرى هل ذلك هو الزمان الذى ستظهر فيه الأمم الاسلامية بالظهر الذى ذكرناه بحيث يقومون بنظام هذه الدنيا مع عموم التعليم وحفظ الصحة ومعرفة قدر نعمة الحياة ويكونون مع الأمم إذ ذاك في حال أحسن من هذه بحيث يقل الطمع ويعرف الناس ما المقصود من المال

﴿ عجيبة من عجائب أخبار اليوم ﴾

أليس من العجائب النادرة أن أقرأ اليوم عن ﴿البلاغ السارى﴾ في بمباى بالهند أن المسلمين في شمال

(البرازيل) كانوا سنة ١٩٢٥ ثلاثة آلاف وهم الآن أضعافهم نحو (١٧) مرة أى (٥٠) ألفا وهم الآن يبنون جامعا كبيرا وأن الاسلام انتشر انتشارا سريعا في أمريكا وله مبشرون ما أكثرهم هناك . وقرأت أيضا أن المستر (ولز) الكاتب الانجليزى الكبير كتب يقول (كل دين لا يسير مع المدنية فاضرب به عرض الحائط لأنه يضر المستمسكين به وأن الديانة الحقّة هي الاسلام فالقرآن كتاب دينى علمى اجتماعى تهذيبى خلقى تاريخى حتى قيام الساعة . ألم يقل النبي ﷺ : نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع . وهذا هو الأساس القوى لعلم الصحة ولم يستطع الاطباء أن يأتوا بخبر من هذه النصيحة وصاحب الشريعة الاسلامية استطاع في ربع قرن أن يقهر دولتين فارس والروم) انتهى

وانما ذكرت هذا هنا لأبين أن الاسلام كما انتشر في أمريكا ومدحه بعض علماء أوروبا فربما كان ذلك مبدء نهضة الأمم ورفق الاسلام فيتعاون المسلمون في أوروبا والشرق على ادخال الأمم كلها . واذ ذاك بحسب ما كتبناه هنا ترتقى العقول والأخلاق والصحة التى يطالبها علماء العصر . وهناك لا يجحد الناس من يأخذون الصدقة . وذلك لأنهم جميعا يعملون لأن الفكرة التى هنا تؤذن بأن الناس جميعا يعملون والمادة تستخرج منها منافعها . فاذن يكون الناس جميعا اخوانا يساعد بعضهم بعضا كما في كتابي (أبن الانسان) كل ذلك لمناسبة تقسيم الحيوان الذى أصبح درسنا في هذا المقال . ومن هذا الدرس شرحنا مواهبه ومن مواهبه استخلصنا درجاته في العمل لنفسه ولنفسه وانتقلنا من هذا الى أن الانسان الحالى لم يرتق عن الحيوان ثم زدنا عليه أن نبينا ﷺ يقول المدار على التقوى لا على النسب . ومن هذا كله استخلصنا زبدة المقال المصطفاه منه كله وهو استخراج جميع قوى العقول ومنافع المادة واذن يصبح الناس اخوانا في العمل والحياة بفضل الاسلام لا بفضل الفلسفة والاشتراكية لأن التعاون العام اذا جاء من طريق الدين عم انتشاره واذن يكون نشر الاسلام بالاقناع والعقل والحمد لله رب العالمين

(لطيفة . صباح يوم الاربعاء ١٩ ديسبر سنة ١٩٢٨)

في الأرض أشرق (نوران) نور ظاهري ونور باطني ، أشرقت الكواكب وأشرقت أرواحنا . بنور الكواكب ازدان الأفق وبنور أرواحنا ازدادت قواها الباطنة بالخيال والقوة المفكرة والذاكرة وأمثالها . في الجو الذي نراه حول أرضنا صور النجوم صورت مرصعة فيه . وفي نفوسنا نفس هذه الصور . نحن نتخيلها . نتخيلها ونتخيل كل ما حولنا . كل ما رأيناه أو سمعناه أو لمسناه أزدقناه نجد له صورة في نفوسنا إذن هناك عالم واسع في نفوسنا كالعالم الذي نراه حولنا . النور المبصر والنور الذي لا يبصر كلاهما من السماء . لانور حول الأرض إلا من السماء بالشمس والقمر والنجوم فهكذا ما الانوار في نفسى وفي خيالى وفي قوى المفكرة إلا من السماء . أبصرت يارب حولي صورة جميلة في جوفك وفي سمائك ولكن هذه الصور لم تظهر لي إلا بأنوار أشرقت من السماء لامن الأرض . هكذا أحسست في نفسى بصورتها كلها بنور آخر إذن هو حق من السماء وعلى ذلك تكون هذه النفس لها رائحة عام على هذه العوالم المحيطة بي وإذا كنت أرى نور المشرقات مسيطرا على الأرض وأهلها فهكذا نور نفسى الذى هو من السماء مسيطر على هذه الأرض وما حولها بل على سائر الكائنات

هذا مخبوء في نفسى أحس به من إبان صغرى وهو لازم لها وقد ازدراه أكثر الناس . ان أكثر الناس يحقرون ويزدرون ما لم يتعجبوا في تحصيله . فهم لا يعيرون بما حولهم من هواء وماء وأنوار ولا يعتدونها نعمة هكذا لا يعتدون قواهم الباطنة نعمة ولا يحسون بأنها كرامة . إن الكرامة محصورة عند أكثر هذا الانسان فيما منع عنهم . فشرية ماء وكسرة خبز أعطيا لهم بعد المنع أعظم نعمة بحمدون الله عليها وقنطار من ذهب لم يتعجبوا في تحصيله يبثرونه تبذيرا . وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا . والدليل على ذلك أن نفسى فيها آلاف الآلاف من الصور والاقية لها عندى ولكنى اذا رأيت مصورا صور عصفورا أو شجرة أو انسانا أعظمته

جدا وأخذت أتفرج عليها بشغف عظيم . ذلك لأنها جاءت بكبد وأنصب وجاءت بعد منع فلها قيمة عندما . فأما
 صوري المرسومة في نفسى فلا قيمة لها لأنها مبذولة لى ولجميع الناس . ان نفسى من عوالم غير عالم الأرض
 نزلت اليها لتدرسها وتدرس نفس قواها . ودراسة العوالم المحيطة في تعييننى على درس قواى الباطنة التى هى
 المقصود الأعظم ، إذن هذه الأرض لوح كتبه الله وأظهره وقال اقرأ وأرق فأنا أقرؤه اليوم ولكنى ماكدت
 أشرع في القراءة حتى رأيت العقبات تحول بينى وبين نفسى فمنها ماهى صحية ومنها ماهى منزلية ومنها ماهى
 سياسية نعم أمتنى كلها ولكنى مع هذا كله أحس بأن نفسى ليست من هنا بل هى من السماء . ونور السماء
 الظاهر الذى جاء لنا من الشمس اذا حجبته سحب ساعة فإنه يضىء بعدها . إذن روحى لاحد لرفيها ولا مانع
 لاسعادها ولا نهاية لاشراقها . واذا كانت الشمس وهى النور الحسى لاحد لأنوارها فكيف تقف أنوار نفسى
 إذن فلا بحث في قواها ولا استعداد لاسعادها ولأعلم علما ليس بالظن أنى واصل الى ما أريد . أما العقبات التى
 تقوم بين نفسى وبين مطلوبها فأنا لا أبالى بها . وأهم العقبات ملجاء من طريق الوراثة والتقليد . ورثت
 بعض آباءى الأولين وبعض الأشياخ الغابرين أن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه وأن أكثر من
 رأيهم في بلاد الاسلام لا يتقربون الى الله إلا بالذكر وحده أو بقراءة الأوراد . ورأيت شيوخا في كل قطر من
 أقطار الاسلام يوجبون على تلاميذهم أن يقرؤا أورادا في أوقات خاصة وأكثرهم شغلوا عن معانى القرآن .
 أنا لا أذم الأوراد فهى تشغل الشرير عن الشر ولكن الروح أوسع من هذا . إن حصر الفكر باب من أبواب
 الجهل . إن روحى لاحد لها فكيف تقف عاكفة على ورد خاص فانه بالجهل منتظرة أن يفتح لها العلم
 بالعوالم جميعها من غير تعلم . الاسلام أوسع من ذلك فأقرأ هذا المقام في (سورة الكهف) ففيها بيان ما
 يقوله الشيخ الخواص والشيخ الدباغ في قيمة الأوراد وحصر التلميذ فيها من صفحة (١٣٣) الى (١٣٩) في
 المجلد التاسع وكذلك في (سورة الاسراء) صفحة (٦٥) فهناك ترى هذا المقام مشروحا شرحا مستفيضا
 فلا نعيده هنا . وعلى ذلك أنا لأقف عند حد في النظر والفكر ولا أحصر فكري في عالم واحد بل أطلق نفسى
 لتعرف العوالم كلها ولكن نفسى وحدها لا تستطيع أن تعرف كل شئ ولأن تعمل كل شئ . فالعلوم لاحد
 لها والأعمال الدنيوية كثيرة فإذا أصنع إذن ؟ هنالك ظهر لى أن هنا في الأرض معى نفوسا أخرى فنفسى
 ونفوسهم أشبه بحجم واحد . والدليل على ذلك أن كل علم من العلوم أكتبه في هذا التفسير ظهرت مساعدة
 الناس لى فيه . فأنا أستمد من الشرق والغرب وأصطفى من علوم الشرقيين وعلوم الغربيين ما أراه جيلا
 وأكتبه . هنالك تبين لى أن هذه الروح المرسلة من السماء التى أمدها الله بنوره لا يتم لها هذا النور إلا
 باتحادها مع الأرواح المرسلة معها الى الأرض . وأذن عرفت لماذا دعا الأنبياء أممهم الى العلم وهكذا العلماء
 والحكماء فاني رأيت كل عالم وكل حكيم وكل نبي مفرمين بتعليم غيرهم لأنهم يعلمون أن النوع البشرى أشبه
 بحجم واحد إذا أم أبوا بدليل أن الدول القوية تغتصب حقوق الضعيفة وتجارها ولكن العلماء في الأمتين
 ينقل بعضهم عن بعض فالتعاون طبيعة في الانسان وليس يمنع هذا التعاون إلا تقاؤص وجهل يورث طمعا
 واغتيال الحقوق الضعفاء

ملخص هذا كله أن الأعمال والعلوم لابد فيها من اتحاد المجموع وتعاونهم وأن اقتصار الشيوخ على تلقين
 المسلمين أورادا خاصة وحجبهم عن العلم وعن الأعمال العاتية خسران مبین . الأرض التى نسكنها قد خبئت
 فيها المعادن . خبأها الله عنهم فلم يعطها إلا لمن بحث عنها والانسان عاش على الأرض كما يقال ثلثمائة ألف سنة
 ولم زه أخرج من الأرض للناس نعمة الا بعد بحثهم عنها وذلك ليعرفوا قيمتها . فالذهب والنحاس والحديد
 والكهرباء والمغناطيس عرفها الناس بعد الدأب على استخراجها ولذلك لم يتركوا استعمالها مع أن أكثر
 العمر الذى عاشه هذا الانسان على سطح الأرض لم يستعمل إلا الحجر فالعصر الحجري هو الاصل أما عصور المعادن

وما بعدها من الكهرباء والمغناطيس فهي قليلة . ذلك لانه لا يرب يدان يعطيهن الا بجدهم ليعرفوا قيمة ما يعطيهن
لأن ما أعطوه من غير نصب لا يشكرون عليه كهذه الروح وقواها الجميلة التي هي أعظم من هذا العالم المذدى
فهم لا يهتمون إلا بما نصبوا في تحصيله

(القرآن والعالم المادى)

وهنا نظرت في أمر القرآن وفي عالم المادّة كأرضنا هذه وقلت ان الارض صنع الله وهكذا كل عالم المادّة
والقرآن كلام الله والمسلمون الذين نزل القرآن لهم قد ناموا نوما حقيقيا والأثم استيقظت الآن فهل خبا الله
لهم في القرآن ما يثير عزائمهم بحيث لا تقوم قائمتهم إلا اذا استخرجوه كما خبا في الأرض المعادن ولم يعطها للناس
عموما إلا بعد استخراجها . واذا علمنا أن القرآن والمادّة من عند الله فليكن في الكلام من الحكيم المحبوة
مثل ما في المادّة بل أعظم فلنبحث عنها الآن كما بحث الانسان قديما في الأرض فاستخرج المعادن فماذا نرى ؟
رأينا الله عز وجل لما أنزل القرآن ومضى له (١٣) قرنا نظرا كثير المسلمين للقرآن نظرة ضئيلة فهم قالوا ان
القرآن جاء للأحكام الشرعية والأحكام الشرعية قام بها الأئمة المجتهدون ولا يجتهد بعدهم بل الذين عندهم
مجتهدون كالشيعة يكون المجتهد هناك مراعيًا عادات الأمة لئلا يندوه . وعليه أصبح القرآن يقرأ مجرد التبرك
والعبادة والاعظام . أما الاقتباس منه فلا والمقتبس انما يتبع صاحب مذهبه فيما يقتبس لا غير وتلاميذ الصوفية
يتبعون شيوخهم في بعض الآيات التي يسمعونها من شيوخهم مثل أن يقولوا لهم - قل الله ثم ذرهم في
خوضهم يلعبون - ويفهمونهم أن يذكروا الله ويتركوا ما عدا الذكر ومثل أن يقولوا لهم - ليس لها من
دون الله كاشفة - ويرجعونها للذكر وحده والله لم يقل ذلك وانما يقول - الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - فهو سبحانه جعل الذكر مقدمة للفكر ولكن
الجهلاء من هذه الطائفة وغيرها وقفت عقولهم عند آراء شيوخهم وأكفرهم جاهلون

في القرآن قصص وفي القرآن مواظ وفي القرآن حكم . فلاذكري الآن ما فتح الله به الديلة حتى اذا قرأه
العقلاء أيقنوا ايةانا تأما أن الله لما أنزل القرآن فعل فيه ما فعله في العوالم المادّية لأن المادّة منه والوحي منه فهو
خبا في مادته معادن فبرزت فانتفع بها الناس قبل أن ينزل القرآن وخبا في القرآن حكما وسيستفاد بها المسلمون
بعد انتشارها في أمثال هذا التفسير . فاعلم أن أعمال الانسان في هذه الدنيا (أربعة) زراعة وتجارة
وصناعة وإمارة . هذا هو النظام المادى وبه يكون نظام الأمة كلها . واذن روى باتحادها في هذه الاعمال
مع الارواح الأخرى ترقى معهم مادما في هذه الارض فاذا فارقتها طرنا معا الى عوالم أخرى لانبرى ماذا نفعل
فيها . نرى الله في (سورة النمل) أسمع سليمان عليه السلام النملة فلما سمعها تبسم ضاحكا من قولها وقال
رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التي أنعمت على وعلى والدى

جلّ الله وجلّ العلم وجلت الحكمة . إذن أنت يا الله أسمعنا هذه القصة المقصود أشرف ومقام أعلى مما
يفهمه الجهال في أمة الاسلام الحالية . اذن هذه القصص ما نليت في القرآن لجرد البركة أو العبادة . هذا
رأى خطأ . يا الله أدركنا أن هذه القصص لأمر أعلى . غاية الأمر أن بعض أفراد الأثم الاسلامية تنظر
اليها نظر الديك الى الجوهرة فان الديك يطلب الحب ولا يطلب الجوهرة . ولا جرم أن هذه الآية يراد بها العلم
والمعرفة والحكمة . سليمان يقول ان سماع كلام النملة أوجب على الشكر بل قال في مسألة العرش واستقراره
عنده انه من الله لأن العلوم اذا أعطيت الانسان ولم يفهم قيمتها دلّ ذلك على حقارة قدره وانه ليس أهلا لها
فيسلبها كما يسلب الله الملك عن ليسوا أهلا له والمثل عن ليسوا أهلا له . هكذا سمع سليمان كلام النملة فعرف
قيمة هذا السماع فان هذا أدراك للحقائق وأدراك الحقائق أعلى ما في هذا العالم وطاب من ربه أن يلهمه الشكر
وشكر النعمة لا يتم إلا بعرفتها أولا ثم قبولها والعمل لها ثانيا كما استخرج الناس المعادن وعرفوا قيمتها واستعملوها

﴿ قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الهدهد ﴾

ولما أرسل الهدهد إلى بلقيس فاجتاز عرشها ورآه مستقرا عنده - قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فأنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم - فمسألة الهدهد انتهت بالفوز السياسي كما أن مسألة النملة كانت فوزا علميا . إذن النملة والهدهد مع سليمان انهما بفوز علمي وفوز سياسي أوجبا الشكر وذلك بمعرفة أن هذه نعمة وجهل النعمة يوجب عدم قبولها وعدم العمل بها والاسليماء لله تعالى ولذلك لما خطرت لي هذه المعاني كتبته اليوم خيفة أن تسلب مني إذا تركتها لأنها أعطيت لي الليلة وهذا من الله ليبتليني أأشكرها بالكتابة والنشر أم أكفرها فلا أعيرها التفانا كما أتى إبان صغري لم أعرف هذه النفس وقواها التفانا ولم أشكر نعمتها بالبحث عنها ولم أشكر على نعم الأنوار والجمال في هذا العالم المحيط بي

إن (سورة النمل) متصلة بسبب اتصالا علميا لا قرآنيا لأنهما غير متجاورين في الترتيب . وذلك لأن مسألة الهدهد متعلقة بأمر الملكة بلقيس وهي من سبأ والهدهد يقول - وجئتكم من سبأ نبأ يقين - إذن نظرنا في (سورة سبأ) فرأينا الله يذكر أن الشياطين يعملون لسليمان ما يشاء من محاريب وتمائيل وجفان كالجواب وقدور راسيات ثم ختم القول بهذه الآية - اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور - ثم ذكر بعد ذلك أمة سبأ وقال - لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال - وأعقبه بقوله - كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور - فهنا ذكر الشكر في ﴿ موضعين ﴾ في موضع إبان فيه الصناعة وانقائها وموضع إبان فيه الزراعة في الجنتين اللتين كانتا لسبأ وسيأتي بيانها هناك . إذن شكر الله عز وجل جاء في القرآن مقرونا بالعلم وبالسياسة في سورة النمل وبالصناعة والزراعة في سورة سبأ

الله أكبر . جل الله وجل العلم . أيها المسلمون . هاهي ذه أعمال الناس في الدنيا والآخرة لا تخرج عن هذه الأربع العلم والزراعة والصناعة والامارة والله قد ابتلانا بالأمور السياسية وبالأمور العلمية وبالأمور الصناعية وبالأمور الزراعية . ولقد قدمت ذكر التجارة ولم يذكرها لأن التجارة ماهي إلا انقلاب المال لأجل الربح ولكن أصول الصناعة وأصول الزراعة هما اللذان بهما حياة الأمم

أيها المسلمون . هل من سميع . هذه بعض المعادن التي خبأها الله في القرآن وأذن باستخراجها اليوم وأرانا أن نفوسنا نفوس سماوية قد جاءت إلى الأرض ولن تستطيع العروج منفردة فلا بد من تعاونها مع الأئمة التي تكون فيها والأمم كلها متعاونات وبهذا التعاون يقسمون العلوم والزراعة والصناعة والامارة وهذه هي التي بها الحياة في الدنيا والسعادة في الآخرة

أيها المسلمون . تبسم سليمان ضاحكا لما سمع كلام النملة وطلب من الله أن يلهمه شكر هذه النعمة وأنما طلب من الله لعله أن النوع الانساني محجوب بالعادات يحتقر ما يصل إليه ومتى احتقره جهله ومتى جهل أصبح أدنى من الحيوان وعلم النملة وعلوم الحيوان كلها مزدرة عند الأمم الاسلامية المتأخرة التي نزل لها القرآن فأسمعهم دعاء نبي عظيم يطلب من ربه أن يلهمه شكر نعمة معرفة خطاب النملة ﴿ وبعبارة أصرح ﴾ ان أكثر هذا الانسان جاهل لا يهتم أمر هذه الحيوانات ولا يدرسها وليس يعرف الانسان قيمة هذه المجائب إلا إذا ألهمه الله وقد ألهم الله اليوم كثيرا من المسلمين أن يتعلموا هذه العلوم . فإذا جاء لهم أيضا من طريق القرآن لاسيما من قصة سليمان وسبأ كان ذلك أقوى وأوسع مدى

استقر عند سليمان عرش بلقيس فلم يفرح بالنعمة ويطرب بل قال هذا امتحان من الله فان عرفت النعمة وحافظت عليها كنت شاكرا ومن لم يفعل ذلك فقد كفرها . وسبأ أعطوا ستة العرم وأعطاوا جنتين هناك فإذا فعلوا تركوا الله فلم يحافظوا عليه ولم يدرسوا العلوم التي درسها آبائهم ولم يتعهدوا للمحافظة على هذه النعمة فسلبها الله منهم وقال - نجملناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق -

هذا بعض السر في قوله تعالى - وقليل من عبادى الشكور - وقد اتصل بآية - ان الله نور السموات والأرض - الخ من ﴿ وجهين ﴾ وجه أمر الروح التي هي نور من الله ووجه النور والدواب التي تشمل هدهد سليمان والخلة التي سمعها وتبسم ضاحكا والهدهد متصل بسبأ وفي هذه جماع نظام الأمم أيها المسلمون . في هذا المقال مجامع العلم في الأمم التي حولنا ففيه الصناعات والعلوم والسياسة فكل من نظم سياسة أمته وإمارتها فهو قائم بشكر الله وكل من رقى صناعاتها فهو قائم بشكر الله وكل من نشر العلوم فهو قائم بشكر الله وكل من رقى زراعتها فهو قائم بشكر الله . هذه هي بعض كنوز القرآن . خبأها الله لكم وأبرزها الآن لما استعدادكم لقيادة أهل الأرض بعد يوم آياتنا نحو (٨٠٠) سنة . فها هو ذا اليوم الموعود لاسعاد أمم الاسلام وإخراجهم من سجون الجهالة التي حبسهم فيها شيوخ غافلون ومنعوهم من التفكير في القرآن ومن التفكير في الأمم المحيطة بنا وفي الأرض التي سخرها الله لهم . فهنا نحن أولاء الآن عرفنا أن مقومات الممالك من زراعة وصناعة وسياسة وعلم . كل هذه تركها كفر للنعمة وإقامتها شكرها والله يقول - وان تشكروا يرضه لكم - ويقول - واشكروا لى ولانكفرون - ويقول علماء الاصول ﴿ شكر المنعم واجب ﴾ فالشكر بأنواعه المقدمة واجب على المسلمين وان لم يشكروا حل بهم ما ذكره الله في نفس قصة بلقيس مع سليمان (التي جزأ إليها ذكر الهدهد الذي هو من الطيور المسبحات المصليات في هذه الآيات في سورة النور) إذ يقول الله - إن الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - إذن ذل بعض الممالك الاسلامية اليوم انما جاء من جهلهم بشكر النعم وأجل النعم هي ممالكنا التي سلمها الله لنا كما سلم العرش لسليمان فلما رآه مستقرا عنده قال ان هذا ابتلاء من الله لى وامتحان . هكذا نحن باعطاء الملك لنا نعتنقون فان قومناه بما يلزمه (من صناعة أشار لها بالصرح الممرد من قوارير وبصناعة الحاريب والتخائيل وبزراعة أشار لها بالجنيتين في قصة سبأ وبسياسة تحفظ البلادو بعلم أشار لهم الماسم ضاحكا بقوله - رب أوزعنى أن أشكر نعمتك - الخ) أبقاه لنا وان أهملناه وتركنا مقوماته أدخل الملوك والأجانب فاستولوا على عروشنا وأفسدوا بلادنا - وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون - وأنا وانفى أن المسلمين اليوم غيرهم بالأمس إذ أقبل زمن نصر الله والفتح والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم في هذا المقال ﴾

(في يوم الجمعة ٢١ ديسمبر سنة ١٩٢٨)

أحمدك اللهم على نعمة التوفيق والحكمة وأحمدك على الإلهام وعلى ما شرحت به صدرى وما أفضته من نورك للأنام الاسلامية التي يعوزها الصدق في القول والجد في العمل . لقد ذكرت في المقال السابق أن الشكر في الاسلام يرجع الى جميع الأعمال في هذه الحياة والى جميع العلوم وأقول الآن انه من أعجب العجائب أن المسلم في كل صباح يخاطب ربه ويتأجيد ويدعوه بنفس ما كتبته فيما تقدم . يتأجى المسلمون ربهم في صلواتهم بهذه العلوم التي أكتبها في هذا التفسير . نعم يخاطبون الله العظيم ولكن أكثر الناس يخاطبون ولا يعلمون بماذا يخاطبون . نعم أنا الآن في تفسير (سورة النور) وهى الآن مقدمة للطبع وطال المقال في آية - الله نور السموات والأرض - الخ وطال في مسألة تقسيم الطير الى ماشى على رجلين وعلى أربع وعلى بطنه . نعم هو طال ولكن الحمد لله لم أخرج عن الموضوع كثيرا لأن المقصد هو الهداية وبهذا التقسيم أى تقسيم الحيوان على منهج القرآن وصلنا الى كل ما يمشى وكل ما يطير وكل ما يدب وانتهى بنا المقال الى الهدهد والخل وأمرهما مع سليمان عليه السلام فنحن على حق اذا بحثنا في هذه الحادثة لأن الخمل يمشى على الأرجل والهدهد يمشى على رجلين ولهما حادثة تاريخية مع نبي عظيم له ملك لا يذنى لأحد من بعده . نحن مهمل طال بنا المقال لم نخرج عن خط القرآن . لم نخرج عنه كما لم نخرج أحزاب العلاقات بوصفهم الناقه (التي تحملهم الى محبوباتهم من النساء)

بأوصاف ربما تصل الى (٢٩) يتنافى بعض القصائد . هذا أسلوب العرب والقرآن كتاب عربى . فنحن اذا بحثنا فى حادثة الهدد مع سليمان عليه السلام لسنا خارجين عن سنن النظام والقرآن لاسيما بعد ما سمعناه من الله تعالى يقول ﴿ أوليت جوامع الكرام واختصرى الكلام اختصارا ﴾ فالقرآن كله جوامع كلم ومختصر وهكذا الأحاديث الصحيحة وقد سمعنا الله يقول - ثم إن علينا بيانه - وسمعناه يقول - وقل الحمد لله سبيريكم آياته فتعرفونها - فالآن أشرع فى شرح ما فتح الله به فى هاتين الليلتين . ذلك أن المسلم يقول فى صباح كل يوم ﴿ اللهم اهْدنى فيمن هدى وعافنى فيما عافيت ﴾ فهو ليس بهديا وحده ولا عافى وحده بل مع غيره ثم يختم الدعاء بقوله ﴿ ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ فهاهنا الشكر . أليس هذا هو المذكور فى علم الأصول ؟ ان شكر المنعم واجب . أليس هو الشكر المذكور فى قصة سليمان الذى ذكرته فى المقال السابق . سبحانك اللهم يا الله أنت القائل - فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين * وما كان ربك ليهلك القرى يظلم أهلها مصلحون -

أنت يا الله قد ضمنت بقاء الأمة مادامت مصالحة . فيا ليت شعرى ما هو الاصلاح . الاصلاح يرجع الى ما تقدم من نظام الأمة الذى اشتملت عليه قصة سليمان مع بلقيس وقصة سبأ والمحافظة على العروش أن يزول وعلى العلم وعلى الصناعة وعلى أمر الزراعة ومن لم يحفظ هذه النعم كأهل سبأ جعلهم حديثا ومنهم كل عزق الله أعطى آل داود صنعا يعملون لهم ما يشاؤون من محارب الخ فقال لهم - اعملوا آل داود شكرا - وسليمان شكر الله على نعمة العلم إذ سمع كلام الخلة وعلى نعمة الملك فى حديث الهدد وأهل سبأ مزقوا لأنهم لم يشكروا نعمة الجنتين وذلك بعدم المحافظة عليهما . جمع الله ذلك كله فى قول المصلى صباحا كل يوم ﴿ فلك الحمد على ما قضيت ولك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ وأنا أقول ، أيتها الأمم الاسلامية . هلا كان من القرون المتأخرة من قبل عصرنا من شرحوا للخاصة والعامة معنى هذا الشكر الذى يقوله المصلى كل يوم وهو ينادى ربه . لماذا أيها العلماء لم تشرحوا للناس معنى الشكر كما شرحه الله فى (سورة سبأ) وفى (سورة النمل) نعم بعض القائلين بأمر الأمم الاسلامية مترفون فكأنهم اتبعوا ما أترفوا فيه وهذه الآية التى جاءت فى (يونس) خاطب الله بها المسلمين يريد بها توجيه الهمم الى النهى عن الظلم الذى يقوم فى أمتنا بتوجيه الهم الى الأمم السابقة . يقول لماذا لم يقيم فيها هادون علماء حكماء - ينهون عن الفساد فى الأرض - ثم ويخ تلك الأمم قائلا ان الظالمين فى تلك الأمم مترفون واتبعوا الترف وتركوا النصيحة والتعليم

الله قرن الظلم بالترف والمترفون ظالمون . إن التمتع وحب الراحة هو الذى أضرر بأمتنا الاسلامية كما أضرر الأمم السابقة وأنا أقول الآن ألا فليقم فى الأمم الاسلامية من يقولون لهذا المجموع الاسلامى أيها المسلمون الشكر الذى تكرمونه كل صباح وكل مساء هو القيام بحفظ النعم التى أنعم الله بها عليكم جميعا وهى نعمة الأرض التى تسكنونها والممالك التى سلمت لكم فلا تغطوا نعم المزارع والأنهار بترفكم وتنعمكم وإهمالكم وجهلكم بالعلوم والصناعات التى تحفظ تلك الأرض بل تعلموا كل علم وكل صناعة حتى تصير بلادكم كبلاد الأمم التى تعيش معكم رقيا والأفانتم ظالمون مترفون والله يعطى أرضكم لمن هم أقدر منكم على نفع عباده بها ، وأيضا هو القيام بأمر الصناعة التى لاتتم حياة إلا بها وأمر آل داود أن يشكروا الله عليها . وأيضا هو اقيام بأمر الدولة التى منحكم الله إياها وعرش الملك الذى سلمت اليكم مقابلته والله ما سلمكم هذه الممالك إلا اختبارا لكم لحسب فان فتم به حق القيام أبقاه وان أنتم قصرتم فى نظامه أخذه منكم وسلمه لغيركم . واذا كان سليمان الذى أعطى ملكا لم يعط الله لأحد بعده وقد وعده الله بذلك يقول أنا مبتلى والله يختبرنى أشكر أم أكفر فمن هو المسلم الذى ليس بنبي هو مختبر من باب أولى . لهذا نزل القرآن ولهذا أنزلت أمثال هذه الآيات بل ما ذكره الآن . من أعجب

ما جاء به القرآن . يقول سليمان الذي هو نبي وهو موعود من الله بالملك وأن هذا الملك لا يعطاه أحد بعده انى مبتلى هل أشكر نعمة الملك بالمحافظة عليه أم لا

فأين الثرى وأين الثرى * وأين معاوية من على

فإذا كان الأنبياء يخافون وهم أنبياء فما بالك بالمسلم المسكين . من هذا تعلم السر في قول المسلمين يارب نحن مسلمون وموحدون ولماذا أخذت مما لكنا وأعطينتها لغيرنا وأذلتنا في بلادنا فيقال لهم لأنكم غير شاكرين ولو كنتم تفهمون ألفاظ الصلاة ماضعت بمالككم . أظنتم أن قول المصلى ﴿ وتك الشكر على ما أنعمت به وأوليت ﴾ أمر بسيط وذلك أن نطق بها وكفى . الله لا يقبل إلا طيبا . والأفامعنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - . أليست الصلاة مذكرة . أليس الشكر المذكور في دعاء الصبح هو الذى يقوله علماء الاصول وهو الذى جاء في قصة سليمان وقصة سبأ وكاه راجع لحفظ الدولة كلها زراعة وصناعة وإمارة الى آخر ما تقدم . هذا بعض معنى - ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر - فما الفحشاء والمنكر خاصين بالذنوب الفردية . إن الذنوب العامة بترك المنافع العامة أعظم جرما . وتجد الله يقول في (سورة هود) يعبر بلفظ - ينهون عن الفساد في الأرض - كما عبر في الصلاة بلفظ - تنهى عن الفحشاء والمنكر -

إن الصلاة ذكر فيها الحمد . والشكر والجدل لا يكونان إلا بالقيام بحق النعمة والقيام بحق النعمة يوجب حفظها فلا يترك الانسان مواهبه ولا انعم العامة وهذا كله واضح في قول المصلى ﴿ اللهم اهْدني فيمن هديت ﴾ وفي قوله - اهْدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم - لاصراطى وحيدى وفي قوله ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ انه لاسلام في بلاد الاسلام أوفى أى بلاد أخرى إذا أهل أهلها رقيها بالعلوم والصناعات لأننا قد أوضحنا في كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أن الأرض يجب أن تستخرج منها جميع ما يمكن من النعم ومن مواهب عقول بني آدم . فالأمة التي تهمل من أهم الاسلام تعدد الأمم التي حولها على اقتسام أرضها . ذلك أمر لا مفر منه . فكيف يكون فيها سلام ولا سلام إلا بحفاظة الأمم الاسلامية على أن تكون بلادهم مساوية لمن حولهم في الرقي . فتي انحطت عنهم جاء غيرهم وأخذ أرضهم . فاذن لا يسر النبي ﷺ من أمة الاسلام ولا يسر الصالحون . فقول المسلم في الصلاة ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ يلزمه حفظ بلاده ورقبها فان لم يتم ذلك وتركته وضعفت عما جاورها من الأمم فلا سلام علينا ولا على عباد الله الصالحين وكيف يتم السلام إلا للشاكرين الذين حافظوا على تلك النعم الجسمية والعقلية والدولية والمدنية حتى ان النبي ﷺ نفسه يتألم في البرزخ لأجل أمة فكيف نخاطبه بالسلام عليه وأعمالنا ترفع له ناقصة لا شكر فيها بالمعنى الذي ذكرناه إن المسلم يستعبد في الصلاة من فتنه الحيا وأى فتنه أعظم من فتنه الجهل التي أوقعت المسلمين في الدل وكيف يستعبد من فتنه المسيح الدجال وقد أحاط الدجل في السياسة وفي الدين بنا . وكيف يقرأ المسلم في القرآن - واجعلنا للمتقين إماما - وهو عينه مستعد للإمامة . مع جهله ما تقدم من أنواع الشكر ونظام السولة سبحانهك اللهم وبحمدك . أنت الذى علمت وأرشدت وأوليتنا له الاتحصى فألهمنا اللهم شكرها حتى نقوم بما يحب علينا ولا تجعلنا ممن قات فيهم - أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال -

اللهم إنا نحن معاشر المؤمنين اليوم سكننا في مساكن أمة قبلنا فيجب علينا أن نتبين ما فعلت بهم ولا يكون ذلك إلا بالعلم . فكل قطر من أقطار الاسلام اليوم حل المسلمون فيه محل أمة سبقت وهذه الأمم لم تسقط إلا بالظلم والظلم مقرون بالترف ككافى آية هود . والترف والنعم مورثان ترك العلوم والصناعات ونظام الدول . اللهم ألهمنا الصواب وارشد هذه الأمم أن تدرس نظم الأمم السابقة عليها بحيث يعقلون ما وصلوا اليه من الرفعة ثم ما حصل لهم

من الترف فظلموا أنفسهم فهلكوا وبناء على ذلك يعتبرون « والسعيد من وعظ بغيره »
 اللهم ان الشكر لك المذكور في الصلاة وكذلك الحمد موجبان حفظ جميع النعم التي أشارت لها قصة المهدد
 مع سليمان وقصة سبأ وهذا الشكر لك أنت والمسلم اذا عرف ذلك وجه قصده لله وحده وعلى المسلمين جميعا
 أن يعلم ذلك حكماؤهم ﴿ وبعبارة أوضح وأصرح ﴾ يجب على العلماء بعد ما أن يقولوا لشعوبهم الاسلامية
 ان الهندسة والحساب والفلك والطبيعة وعلم طبقات الأرض ونظام الترع والجسور . كل ذلك دين اسلامي عليه
 ثواب وتركه يوجب غضب الله على الناس في الدنيا والآخرة وأن قصص الأنبياء موجهة لهذا المقصد وحده
 وأن غضب الله على الناس في الدنيا بسبب التفسير في هذا والله هو الذي يتوجه اليه المسلمون بهذا كله كما أن
 صلاة الوتر (١١) ركعة وختمها ركعة واحدة اشارة الى أن جميع الأعمال ترجع الى واحد وهو الله

اذا عرف المسلمون ذلك وشاعت فيهم هذه الآراء لم يقفوا فيما وقعوا فيه في القرون الأخيرة . ذلك أن
 أمراءهم اذا كانوا صالحين نراهم في ناحية والشعب كله في ناحية . فالأمراء الصالحون يعلمون مصلح الدولة
 وصغار العضاء يجهلون ما قلناه الآن فيفهمون الشعب أن هؤلاء طاعة لغيرهم وهم والصوفية والذين ينقطعون
 للصلاة والقراءة هم الصالحون وحدهم . بهذا وحده انحطت أمة الاسلام في القرون الأخيرة إذ أصبح الشعب
 في ناحية والأمراء في ناحية بهذا وحده ضاعت هذه الأمة

لقد ذكرت لك أيها الذكي في (سورة الحجر) أن أمان الله خان ملك الأفغان قد كان في معسر وأنه سافر
 الى أقطار الأخرى وأنا قلت لك هناك مالم يخصه عند آية - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - أنه يريد الإصلاح
 وأن علماء الدين ربما يقاومون إصلاحه وذكرت النسبة بين ضعف أمة الاسلام ورق أئمة أوروبا وأن علماء
 الدين اذا قاوموه تأخرت الأمة

الآن يجب معي اني أنا الآن في تفسير (سورة النور) وبين طبع السورتين حوالي سنة . فانظر ماذا جرى
 رجوع الى بلاده بعد أن طاف أقطار العالم وعرف أن الترك قد قتل فيها بعض العلماء لأنهم يقفون في طريق
 الإصلاح . فانظر ماذا جرى . وقف العلماء في طريق الإصلاح الذي رآه (أمان الله خان) فقتل منهم طائفة
 مثل ما حصل ببلاد الترك سواء بسواء فأشاعت الجرائد في العالم والتلغرافات (البرق) انه أتى بأشياء خلاف
 الدين وفي هذه الأيام بل في هذا اليوم نفسه أشاعوا أن الثورة قد طغت في بلاده وعمت وأنهم قد طلبوا منه
 أن يتنازل عن العرش . وهاهنا هذه الجرائد أمامي وفيها ما نصه

(يبحث الموقف الحالي في أفغانستان على القلق في الدوائر العلمية في لندن . وآخر الأنباء الواردة من كابل
 مؤرخة بتاريخ مساء السبت وفي ذلك الحين وصل الثائرون الى ضواحي العاصمة واحتلوا موقعين وأذيع حينئذ
 أن الملك أمان الله والملكة ثريا سالمان في قصرهما الخ)

ثم جاء نيا آخر مقتضاه أن العصاة قاتلهم الحكومة ففازت عليهم فأسرف فريق منهم وقتل آخر . هذا ما
 جاء يوم ١٨ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وأنا أكتب هذا يوم ٢١ ديسمبر أي بعد (٣) أيام من وصول هذه الاخبار
 أفلا تنظر الى ما ذكرت لك في (سورة الحجر) وما توقعته إذن ظهر لك صدق قولي ان تعاليم الأئمة الاسلامية
 مخرفة خاطئة وأن هذه الطرق يجب تغييرها حالا

اللهم اني أحمده إذ وفقتني لهذا التفسير . يا الله هذا ما في طائفتي . اني ألفت هذا التفسير باعانتك وهو
 يساعد المصلحين في الأمم الاسلامية على رقيها . فأما القتال والحرب والضرب في هذه الأمم الجاهلة وقتل صغار
 العلماء فهو لا يفيد بل يضر ضررا بليغا فعلى من يطلعون على هذا التفسير أن يسرعوا بتربية ناشئة جديدة
 على هذا المشرب فأولئك يكون عاتقهم وعلمائهم ومولوكهم على مشرب واحد وحينئذ يرجعون لعصر الصحابة
 رضوان الله عليهم أجمعين

إن هذه الأيام مبدأ نهضة تقوم بها الأمم الإسلامية . فليخضع المسلمون ذلك الخلق ويلبسوا ملابس جديدة وهل أتاك نبأ ما ذكرته الجرائد في هذه الأيام أيضا فإنه بينما تأتي بأخبار ثورة الأمة الأفغانية وقيامها على منكمها لأجل الإصلاح نجد جريئنا المصرية تذكر تاريخ مصر منذ مائة سنة أيام (محمد علي باشا) بمناسبة وضع الحجر الأساس لمدرسة الطب بالجزيرة لمدرسة قصر العيني لأنهم أزمعوا أن يوسعوها وهذه المناسبة ذكروا الطب إذ ذاك وكيف قام العلماء واعترضوا على (محمد علي باشا) لأنه أجاز للأطباء أن يكشفوا على المرضى بالطاعون وأن يكون للبلاد محجر صحي كما تفعل الأمم كلها وكما فعله سيدنا عمر رضي الله عنه وقدروى له أبو عبيدة الحديث الدال على ذلك وقد تقدم ذلك الحديث في (سورة الحج) عند آية - فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر - الخ فأجابهم محمد علي باشا بأن الأمم الإسلامية عملت هذا الحجر الصحي فقل الموت بالطاعون عندهم ومن رفع صوته بعد ذلك غربته عن البلاد . فانظر لأهم الإسلام كيف ينفع السابقون اللاحقين . يقرؤون قليلا من الدين ويعترضون على ما لم يعلموه من نفس الدين . فالجبر الصحي في حديث عمر وفي الإسلام وعند الأمم كلها والعالم علما ناقصا ينسكه ثم الرجل الذي لا يعرف الدين وهو (محمد علي) يأتي لهم بالحقيقة الموافقة لنفس الدين - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فعلماء مصر منذ مائة سنة هم هم علماء الأفغان في أيامنا هذه

وينشأ ناشئ الفتيان منا * على ما كان عوده أبوه

كل هذا من سوء التقليد وضعف التعليم والجهل العام في أمة الإسلام . ومن عجب أن محمد علي باشا أرسل للعلماء خطا يقول فيه ﴿ ان النبي ﷺ قال فر من المجذوم فرارك من الأسد ﴾ فعرف ما لم يعرف أكثر علماء زمانه . فالجد لله على نعمة العلم وعلى أن قيض الله للأمم الإسلامية نهضة حديثة بها سيكون كلهم أمة مفكرة . وسينقرض ذلك الجيل الجاهل وتحل محله أجيال أعلى مراما وأوفى ذاما والجد لله رب العالمين

﴿ الفصل الخامس في أن ما كتبناه هنا نسجنه على طريقة أكابر المتقدمين ﴾

سأنتي صاحبي قائلا هذه هي العلوم التي يدرسها الناس للتلاميذ وهم دغار فهل تعتبر دينا اسلاميا واذا قلت نعم كما هي طريقتك فهل تسمعي ما يناسب من كلام القدماء . فقلت له قال الامام الغزالي في الاحياء ﴿ قد كان يطلق لفظ العلم على العلم بالله وبآياته وبأفعاله وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحة الله عليه لقد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فمرّفته بالآلف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرّفوا فيه أيضا بالتخصيص الخ ﴿ الى أن قال ﴾ ولكن ماورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وبصفاته الخ ﴿

وقال أيضا ﴿ ان أنس بن مالك قال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا . إنما كنا نقعد فتذكر الإيمان وتذكر القرآن وتفتقه في الدين ونعد نعم الله علينا نفقها ﴾ قال الامام الغزالي فسمى بذكر القرآن تفقها . فلما سمع صاحبي ذلك قال أريد من كلامهم آيين من هذا بحيث تكون الطريقة التي اتبعها أنت سلكها بعض العلماء قبلك . فقلت اسمع ما قاله الغزالي في الاحياء في (باب التفكير) قال مانصه

﴿ ومن آياته أصناف الحيوان وانقسامها الى ما يطير والى ما يمشى وانقسام ما يمشى الى ما يمشى على رجلين والى ما يمشى على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات . ثم انقسامها في المنافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع . فانظر الى طيور الجوّ والى وحوش البرّ والى البهائم الأهلية فانك ترى فيها من العجائب ما لا تشك في عظمة خالقها وقدره مقترها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستقصي ذلك بل لو أردنا

أن تذكر عجائب البقة والنحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي ألفها زوجها وفي أبقارها نفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها . لم نقدر على ذلك فترى العنكبوت يبني بيته على طرف نهر فيطلب أولا موضعين متقاربين بينهما فرجة بمقدار ذراع فما دونه حتى يتمكن أن يصل بالخيوط بين طرفيه ثم يبتدىء وباقي اللعاب الذي هو خيطه على جانب لينتصق به ثم يفتدو إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتدرج دائما وثالثا ويجعل بعد ما بينهما متناسبا هندسيا حتى إذا أحكم ما قد القمط ورب الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم العقد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق أو الذباب ويقعد في زاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد باد إلى أخذه وأكله فان عجز عن الصيد كذلك طاب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم علق نفسه فيها بخيط آخر وبقى منكسا في الهواء ينتظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليه فأخذه ولف خيطه على رجليه وأحكمه ثم أكله (أقول وستره في سورة العنكبوت مفصلا تفصيلا) . ثم قال وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى . أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمي أو علمه أولا هادى له ولا معلم . أفبشك ذو بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل الفيل العظيم الظاهرة قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف . أفلا يشهد هو بشكله وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعة أفاطره الحكيم وخالقه القادر العليم . فالبصير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق المدبر وجلاله وكمال قدرته وحكمته ما يتحير فيه الألباب والعقول فضلا عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضا لاحصر له فان الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لانها بكثرة المشاهدة ثم إذا رأى حيوانا غريبا ولودودا تجدد عجبته وقال سبحانه الله ما أعجبه والإنسان أعجب من الحيوانات وليس يتعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي ألحقها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباسا لخلقها وأكناها لهم في ظعنهم وأقامتهم وآنية لأشربتهم وأوعية لأغذيتهم وصوانا لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأنقال قاطعة للوادي والمقازات البعيدة لأكثر الناظر تعجب من حكمة خالقها ومصورها فانه ما خافها إلا بعلم محيط بجميع منافعها سابق على خلقه إياها فسبحان من الأمور مكشوفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما للخلق إلا الازعان لقهره وقدرته والاعتراف برؤيته والاقرار بالعجز عن معرفة جلالة وعظمته انتهى

هذا نص كلام الامام الغزالي في هذا المقام . وقد جاء في (كتاب التفكير) الذي ذكر فيه ما تقدم مانعه أيضا (قد أتى الله على المتفكرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وذكر في حديث عائشة أن النبي ﷺ بكى وهو يصلي بالليل - تي بل لحيتي ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد ذفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال ويحك يا بلال وما يعنى أن أبكي وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة آية - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها * ونقل عن الحسن * تفكر ساعة خير من قيام ليلة * وقال إبراهيم * التفكير مخ العقل * * ونقل عن طاوس قال قال الحواريون لعيسى ابن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك فقال نعم من كان منطق ذكرا ورحمة فكرا ونظرة عبدة فانه مثلي

وقوله تعالى - سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق - قل الغزالي معناه أمتع قلوبهم التفكير في أمري * وقال عمر بن عبدالعزيز « التفكير في نعم الله عز وجل من أفضل العبادات » وقال الغزالي بعد ذلك « إن ذكر القلب خير من عمل الجوارح » إذن التفكير أفضل من جلة الأعمال بل هو أشرف العمل ولذلك قيل « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » انتهى

فلما سمع الاستاذ ذلك قال هذا القول يدل دلالة واضحة على أن التفكير أشرف من العمل . فقلت نعم وهذا اجماع العلماء « ان العلوم أفضل من الأعمال » فقال ولكن قولهم « تفكر ساعة خير من عبادة سنة » مبالغة ثم حديث عائشة الذي ذكرته هل هو صحيح . فقلت له أنا الآن لست في مقام تصحيحه وتحسينه . انك طلبت مني آراء المتقدمين هل كانوا يجعلون أمثال ما كتبناه الآن ورسمناه بالتصوير الشمسي في هذه الآية علوما دينية فأجبتك بما كتبوه أنفسهم وانهم يقولون إن هذا أفضل من العبادة . هذا هو اجماعهم فاما كون كلامهم فيه مبالغة أو أن الحديث صحيح أو ضعيف فهذا ليس مقام الكلام فيه وانما ملخص ما فيه أن هذا رأي المتقدمين فاما الحديث فتشهد له الآيات كلها فإذا لم يصح فالآيات تدل عليه وعليه أصبح مانكته في هذه الآية وأمثالها اتملما لما ابتدأه علماء الاسلام منذ نحو (٩٠٠) سنة فهم ابتدؤا يترقون المسلمين بهذه العلوم ثم سلط عليهم أعداء من الداخل وهم صغار العلماء وصغار المتصوفة وأعداء من الخارج كأئمة التتار وغيرها ثم لما أراد الله انقاذ المسلمين من ذلك وانه سيرفعهم الى العلا أهم الأمم الاسلامية الحاضرة فهأهى ذه تريد ارجاع مجدها وكان من جلة نهضتها المباركة هذا التفسير الذي ليس بدعا في هذه السبيل . فاذن نحن الآن نريد إعادة مجد ذهب وعلم ترك وهذه نعمة أنعم الله عز وجل بها على أنا وعليك أنت أيها الدكي وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها

(موازنة بين آراء المسلمين وعلماء أوروبا في هذا المقام)

أذكرك بما مضى أيها الذكي في أول (سورة المؤمنين) فاني نقلت لك هناك عند ذكر خلق الانسان عشرين قولاً من أقوال علماء القرن العشرين وهو القرن الذي نحن فيه . ان أكثر علماء القرن التاسع عشر كانوا بالنسبة لعلماء القرن العشرين أطفالاً في العلم فقد أثبتوا بالبرهان أن التعليقات التي عللوا بها ألوان الحيوان واختلاف أشكاله مقضى عليها بالفشل بل صرح بعضهم بأن تعليل أولئك العلماء بالانتخاب الطبيعي أو نحوه لا يعالج عن قيمة أقوال الموضعات والهجائز وأثبتوا اثباتاً تاماً أن هؤلاء العلماء قد أثبتوا عجزهم عن تعليل الغرائز المودعة في الحيوانات . وأبأنوا أن الكون يحكم الوضع واحكام الوضع لا بدله من عقل يدركه وأجمع على ذلك أكبر علماء الألمان والفرنسيين والانجليز وأبطالوا آراء صغار العلماء التي انتشرت في الشرق ولم يصل لهم أمثال ما نقلناه عن العلماء المعاصرين لنا فهم مقلدون لمن ماتوا ولم يعلموا بعلوم من بعدهم من المعاصرين الذين يقولون إن الحشرات التي تنتقل من دودة الى شرقة الى فراشة وتنتقل من عالم الماء الى عالم الهواء مرة واحدة تكذب مذهب القائلين بالتحوّل التدرجى الذي لا مستند له إلا الوهم لأن البطل خلق منسوج الأرجل أولاً ثم مشى لأنه مشى على شاطئ البحر ثم خلق له النسيج بين الأرجل فارجع اليه هناك فهو واضح أشد الوضوح . وأوليس من العجب أنك ترى ما يقوله الامام الغزالي هنا ونقلته لك عنه آفاً هو بنصه وفصه ما يقوله علماء أوروبا

فقل لمن يدعى علماً ومعرفة * عرفت شيئاً وغابت عنك أشياء

وقل لأبناء الشرق إما أن تقرأوا العلم كله ولما أن تبصروا مقلدين فأما الاطلاع الناقص فهو ضار وهاهوذا أصبح علماء الشرق وعلماء الغرب على اتفاق تام في أمر نظام العلم وعجائب الخلقة وحكمة الخالق والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٨

﴿ إيضاح أتم لما تقدم ﴾

قال الامام الغزالي في الجزء الأول من الإحياء ما نصه
 ﴿ وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله تعالى عز وجل وصفاته إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً
 لا تفقه بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله فكذلك خلق السموات والأرض وغيرها فليفهم التالي
 منها صفات الله عز وجل إذ الفعل يدل على الفاعل فتدل على عظمته فينبغي أن يشهد في الفعل الفاعل دون
 الفعل فمن عرف الحق رآه في كل شيء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه في كل ما يراه
 فكأنه ما عرفه ومن عرفه أن كل ما خلا الله باطل وأن كل شيء هالك إلا وجهه لا أنه سيطر في ثاني
 الحال إن اعتبر ذاته من حيث هو إلا أن يعتبر وجوده من حيث أنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون
 له بطريق التبعية ثبات و بطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادئ علم المكاشفة ولهذا ينبغي إذا
 قرأ التالي قوله تعالى - أفرايتم ما تحرثون - أفرايتم ما تبنون - أفرايتم الماء الذي تشربون - أفرايتم النار
 التي تورون - فلا يقصر نظره على الماء والنار والحراث والبنى بل يتأمل في أثنى وهو نقطة متشابهة الأجزاء ثم
 ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس
 واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها
 ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة فيتأمل هذه
 المجانب ليرتقى منها إلى عجب المجانب وهو الصفة التي صدرت منها هذه الأعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى
 الصانع ﴿ أقول وهنا أذكرك أيها الذكي بما تقدم قريبا هنا من ذكر قطرة الماء وأنها عبارة عن ذرات
 تعد بمقدار الآلاف والآلاف وبينها مسافات هائلة ثم نفس هذه الذرات عبارة عن كهرباء مضئمة والضياء حركات
 في الأثير والحركات أعراض لا غير . إذن المادّة غير موجودة بنفسها . فاعجب لقول الصوفية كالامام الغزالي
 ولأقوال علماء العصر الحاضر . لقد تشابه القوم وإن لم يجتمعوا زمانا ومكانا . ومن هنا تعرف تقارب العلماء
 في الأمم . ورجع إلى كلام الامام الغزالي فنقول

ثم ذكر أن المانع من الفهم في القرآن قد يكون

(١) بسبب انصراف الهم إلى اخراج الحروف من مخارجها . وهناك يتولاه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم

عن فهم معاني القرآن

(٢) أو بسبب أنه مقلد لمذهب سمعه بالتقليد وجد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للسموع
 من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة . فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير
 معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تبين مسموعه حل
 عليه شيطان التقليد حلة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان
 فيتأبذ منه ويحترز عن مثله . ولهذا قالت الصوفية ﴿ إن العلم حجاب ﴾ وأرادوا بالعلم العقائد التي استمرت عليها
 أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للذهاب وألقوها اليهم . والتقليد قد
 يكون باطلا لكن يعتقد في الاستواء على العرش الاستقرار والتمكن فان خطر له مثلا في القدوس أنه المقدس
 عن كل ما يجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر لانجر ذلك إلى كشف ثان
 وثالث وتواصل ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا
 مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن
 وجود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن قال كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن
 وأشار إلى أن الاصرار على الذنوب أو التكبر أو اتباع الهوى كل ذلك يمنع وصول الحقائق للقلوب وذكر أن الذي

يفهم ذلك هو المنيب كما قال تعالى - تبصرة وذكري لكل عبد منيب - وقال - وما يتذكر إلا من ينيب - وقال - انما يتذكر أولوا الألباب -

(٣) أو بسبب انه قرأ تفسيراً ظاهراً واعتقد أن معاني كلمات القرآن لا تتناول إلا ما نقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى وأن من فسر القرآن برأيه فقد نبؤاً مقعده من النار . قال فهنا أيضاً من الحجب العظيمة مع أن ذم التفسير بالرأى لا ينافي قول علي رضي الله عنه إلا أن يؤتى الله عبداً فهما في القرآن ولو كان المعنى هو الظاهر المنقول ما اختلف الناس فيه ثم أثبت هذا الفهم بقوله تعالى - لعلمه الذين يستنبطونه منهم - فأثبت لأهل العلم استنباطاً ومعلوم أنه وراء السماع وذكري قول أبي السرداء (لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً) وقول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً - يعني الفهم في القرآن ثم أعقب ذلك بالأخبار التي وردت النهي فيها عن التفسير بالرأى ثم قال ان أريد الاقتصار على المنقول والمسموع وترك الاستنباط فهو باطل لأنه يشترط أن يكون مسموعاً من رسول الله ﷺ وذلك لا يصادف إلا في قليل من القرآن وأما تفسير الصحابة كابن عباس وابن مسعود فهوم من أنفسهم فإذا أردنا أن كل ما لم يقله النبي ﷺ فهو بالرأى وجب أن نقول انه بالرأى أيضاً لأنهم لم يسمعه من رسول الله ﷺ ولا قائل به وأيضاً ان الصحابة اختلفوا في بعض الآيات بأقوال لا يمكن الجمع بينها ومحال أن يكون الجميع مسموعاً من النبي ﷺ ولو كان أحدها مسموعاً لرد الباقي . إذن تفاسيرهم باستنباط منهم كما استنبطوا في (الر) انها حروف من الرحمن أو ان الألف الله واللام لطيف والراء رحيم وهكذا . والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعاً . وأيضاً قد دعا ﷺ لابن عباس فقال (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) فان كان التأويل مسموعاً كان تنزيل ومحفوظاً مثله فما معنى تخصيصه بذلك . ثم بين أن النهي عن التفسير بالرأى يرجع (لأمرين اثنين * أولهما) أن يقصد مبتدع التلخيص على خصمه وهو يعلم أن الآية لم يقصد بها المعنى أو يجهل ذلك وعلى كلا الحالتين يميل فهمه الى الغرض الذي يرى اليه فهنا حتماً اتبع القرآن هو . وقد يكون غير مبتدع وله غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن ويستدل عليه بما يعلم انه مأثور به كمن يدعو الى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله ﷺ (تسحروا فان في السحور بركة) ويزعم أن المراد به التسخير بالذكري وهو يعلم أن المراد به الأكل وكذلك يدعو الى مجاهدة القلب القاسي فيقول قال الله تعالى - اذهب الى فرعون انه طغي - يشير الى قلبه ويؤمى الى أنه المراد بفرعون ويستعمله الوعاظ في المقاصد الصحيحة وهو ممنوع وتستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغري الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل فينزولون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً انها غير مرادة به . هذا هو الرأي الفاسد الموافق للهوى (وثانيهما) أن يفسر القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بقرآن القرآن وما فيه من الألفاظ المبهمة وما فيه من الحذف والاختصار والاضمار والتقديم والتأخير فن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلط . انتهى ملخصاً

فيأتيها الذكري انما أوردت لك هذا بناء على سؤالك لتطلع على طريق التفكير في التفسير عند أسلافنا الكرام وعلمائنا الفخام وما هو التفسير بالرأى وما التفسير بالفهم وما التفسير بالنقل واستأكتب هذا لأخذ بكل ما فيه ولكن لتقف عليه وتعرف الحقائق وطرق المتقدمين فينشرح صدرك وتبلغ أملك

ففر بعل تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

(فصل في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى آخر السورة)

وهذا الفصل مفصل الى أربع جواهر

(الجوهرة الأولى) في تفریع قوم وتوبيخهم من قوله - لقد أنزلنا آيات مبینات - الى قوله - وما على

الرسول إلا البلاغ المبين -

﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في وعد الله المؤمنين بالتكسين في الأرض ونحو ذلك من قوله - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات - الى قوله - ومأواهم النار ولئلا يصابوا -

﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في آداب عامة كالاستئذان في الدخول وذم التبرج من القواعد اللاتي لا يرجون نكاحا وكالاذن بالأكل من بيوت بعض الأقارب من قوله - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين منكثت أيمانكم - الى قوله - لعلكم تعقلون -

﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ الأدب مع رسول الله ﷺ فأوجب عليهم أن يستأذنه وانهم اذا دعوه فليكن ذلك بأدب خاص الخ وذلك من قوله - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه - الخ

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - لقد أنزلنا - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - ﴾ يقول الله تعالى بعد أن أبان جلال صنعه وبديع حكمه وحسن ابداعه وباهر نقشه ورقشه وأحسن خلقه من الأنوار الباهرات والمحاسن الظاهرات وأضواء الكواكب وجمال الشمس وسماء البرق وأنوار القلوب وجمال العلم وبهاء الأقدسة العامرة بالمعارف الساطع اشراقها وزينتها بالعلوم العالية وكيف كانت النفوس الانسانية مشتملة على جواهر هذه العوالم مقتطفة ما فيها من المحسن وكأنها قائمة مقام المادة بحيث تحمل كل ما حلت من صور ونقوش وكأن الناس في الأرض خلفاء ربهم قد كفهم أن يعملوا ويعلموا متخلقين بأخلاق من خلقهم . لما ذكر ذلك كله سبحانه وتعالى شرع يذكرنا بأنه أنزل هذه الآيات مينات للحقائق ودلائل الخالق وانه يهدي من يشاء بتوفيقه للنظر فيها والتدبر في معانيها ، وكأنه عز وجل يقول إن هذا المثل المضروب للمؤمن والمضروب للكافر وعمله وهذه المجائب في الطير والسحاب والبرق . كل ذلك ليس لسكل انسان فهم بل الناس ﴿ فريقان ﴾ فريق لا يرفع عقله الى هذا المستوى الرفيع ولا يعقل ذلك المعنى البديع وفريق استحق رتبة العلم فأظمه الله وعلمه (والله يهدي من يشاء) هدايته لأنه على استعداد للهداية (الى صراط مستقيم) وهودين الاسلام وادراك الحقائق ثم أخذ سبحانه يوضح طائفة كبر المناق التي خاصم يهوديا في أرض فقال اليهودي تتحاكم الى محمد ﷺ وقال المنافق بل تتحاكم الى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فنزل قوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أى يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) من بعد قولهم - آمنا - وهم يدعون الى حكم غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) بالمصدقين (واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم) أى ليحكم النبي ﷺ الذي حكمه في الحقيقة حكم الله (اذا فريق منهم معرضون) أى فاجأ من فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم أنك لا تحكم إلا بالحق (وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين) أى متقادين لعلمهم بأنه يحكم لهم (أفى قلوبهم مرض) كفر أو ميل الى الظالم (أم ارتابوا) أى شكوا وهذا استفهام للذم والتوبيخ (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) فالأمر يرجع في صدورهم الى النفاق أو الريب في أمر النبوة أو الخوف من الحيف ثم أبطل هذا الأخير بقوله (بل أولئك هم الظالمون) أى لا يخافون ظلمه ﷺ واسكنهم يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم والنبي ﷺ يأبى عليهم ذلك فلذلك لا يريدون أن يتحاكموا اليه . ثم ذكر أخلاق المؤمنين في مثل هذه الحال فقال (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) - قول - خبر كان وأن يقولوا اسمها أى سمعنا قولك وأطعنا أمرك (وأولئك هم المفلحون) وأما من قبلهم فهم ليسوا بمفلحين لأنهم ظالمون (ومن يطع الله ورسوله) فيما يأمران به (ويخش الله) لما صدر منه من الذنوب (ويته) فيما ينهى من عمره (فأولئك هم الفائزون) أى بالنعيم

المقيم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) جهد مفعول مطلق لفعل محذوف أى بجهد اليمين بهذا ثم حذف الفعل وأضيف المصدر الى المفعول فقيل جهد اليمين أى جاعدين أيمانهم فهو منصوب على الحال . يقول الله حلف المنافقون بالله جهد اليمين أى بذلوا فيه مجهودهم أى أقصى وسعهم (لئن أمرتهم ليخرجن) أى أقسموا لئن أمرنا محمد بالخروج الى الغزو لخرجنا (قل لا تقسموا) لا تخلفوا كاذبين لأنه حرام انما المطلوب منكم (طاعة معروفة) لا اليمين والطاعة الكاذبة (إن الله خير بما تعملون) فلا يخفى عليه سر أئركم (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أى بقلوبكم وصدق نيائكم (فان تولوا) أى أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) على الرسول (ما حذر) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حلتكم) أى ما كلفتم به من الاجابة والطاعة (وان أطيعوه تهتدوا) تصيبوا الحق في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين (لطيفة في قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -)

إن تبين القرآن قد ظهر اليوم أشد الظهور عند علماء الغرب ولا كشفه الآن هنا بموضوعين

الموضوع الأول محاضرة في القرآن الكريم

(وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق)

ألقاه في مؤتمر المستشرقين بأكسفورد الاستاذ محمد أحمد جاد المولى بك المفتش بوزارة المعارف العمومية ومنسوب الحكومة المصرية والمؤتمر كان فيه (٧٠٠) منهم (٢٠٠) تمثل الحكومات والجامعات العلمية والباقي أعضاء والمحاضرات التي أقيمت بشأن مصر والاسلام (٤٤) محاضرة والمراد بمصر قديما وحديثا وحضر من الألمان نحو (٧٠) عالما . والخطبة أقيمت في يوم الجمعة آخر أغسطس سنة ١٩٢٨ في مدينة (أكسفورد) بالانجلترا وكانت العادة أن كل محاضرة تتلوها مناقشة في موضوعها فكان من الممجزات انها قوبلت بالاستحسان العام إذن علماء أوروبا الرسميون أقرروا ما في هذه الخطبة بالإجماع . وهالك نصها بالحرف لتعرف مقدار اعتراف علماء أوروبا بفضل الاسلام وبعظمة نبينا ﷺ وهامى ذه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين

(القرآن الكريم)

(١) وصفه (٢) محتوياته (٣) أثره في اللغة العربية (٤) أثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية

(١) وصفه

القرآن الكريم - كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير - آية الله الدائمة وحجته الخالدة - لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد - . - ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون * أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم الفالحون -

(٢) محتوياته

احتوى القرآن ما يحتاج اليه الانسان في معاشه ومعاده - ما فرطنا في الكتاب من شئ - ويمكن حصر

ذلك فيما يأتي

(١) (العقائد) وهي مبينة في الآيات التي توجب الايمان بالله واحد وبملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر مثل قوله تعالى - قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد - وقوله تعالى - آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله لانفرق بين أحد من

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير -

(٢) (الفرائض الدينية) وهي موضحة في الآيات التي توجب الصلاة والصوم والحج الخ مثل قوله تعالى - وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله - (البقرة)
وقوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون * أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون - (البقرة)
وقوله تعالى - والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين - (آل عمران)

(٣) (الأوامر والنواهي الخلقية) وهي مفصلة في الآيات التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر مثل قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون - (آل عمران)

وقوله تعالى - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون - (سورة النحل)

(٤) (الإنذار والتبشير) في الآيات التي ذكر فيها ما أعد للكاافرين والمؤمنين مثل قوله تعالى - من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون - (سورة النحل أيضا)

وقوله تعالى - ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين - (النساء)
(٥) (الجدل والتحدى) في الآيات التي دعى فيها المخالفون إلى الإتيان بآيات ولو مفتريات فحجروا مثل قوله تعالى - وإن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين - (سورة البقرة)

وقوله تعالى - أم يقولون افتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين - (هود)
وقوله تعالى - قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا - (الاسراء)

(٦) (القصص) كالذي ورد في تاريخ الأنبياء والرسول وذو القرنين وأصحاب الكهف مثل قوله تعالى - وإلهنا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن يعمل سبغات وقد ر في السرد واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير - (سبأ)

وقوله تعالى - واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا * فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا * قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا * قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا * قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أكن بغيا * قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا * فحملته فانتبذت به مكانا قصيا * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا * فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا * وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا * فستكلى واشربى وقرى عينا فلما ترى من البشر أحدا فقولى إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا * فأنت به قومها نجمله قالوا يا مريم

قرار - (إبراهيم)

وقوله تعالى - ولا يحقن المكر السيئ إلا بأهله - (فاطر)

وقوله تعالى - قل كل يعمل على شاكلته - (الاسراء)

وقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون - (البقرة)

وقوله تعالى - كل نفس بما كسبت رهينة - (المدثر)

وقوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - (البقرة)

وقوله تعالى - واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب - (الأنفال)

وقوله تعالى - لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم - (آل عمران)

وقوله تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى - (النجم)

وقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (الرعد)

(٣) ﴿ أثره في اللغة العربية ﴾

(١) كان قريش عظيم الأثر وكبير الفضل في توحيد لهجات اللغة العربية لأنها كانت تسكن بلاد الحجاز التي كانت محط رحال الحجاج والتجار فكان يجتمع فيها أكثر أشراف العرب والشعراء والخطباء من الرجال والنساء للهاجرة بالشعر والخطب في الحسب والنسب والفصاحة وغير ذلك فأخذت قريش المستعذب من لهجات العرب حتى لظفت لهجتهم وجاد أسلوبهم واتسعت لغتهم لأن ينزل بها خير الكلام . وكان طبعيا أن ينزل القرآن بلغة قريش لأنها خلاصة اللغة العربية ولأن الرسول ﷺ قرشي وليكون هذا الكلام زعيم اللهجات كلها فقد امتازت قريش بكثير من خصائص الزعامة وأقر لهم العرب بذلك فأولى لهم أن يقرروا مثل ذلك في كلام الله تعالى

(٢) لو نزل القرآن بغير لغة قريش التي ألفها النبي ﷺ ما كانت تستقيم الموازنة بين أساليب القرآن

وكلام النبي ﷺ ولما كان ذلك مدعاة إلى أن قبائل العرب تجد كل واحدة منها مذهبا لا قول فيه فتتشق الكلمة

(٣) اختلفت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه بلحونهم مع بقائه على فصاحته في

الوضع التركيبي وتلك سياسة لغوية جعلت العرب على منطلق واحد ليكونوا جماعة واحدة

(٤) من أجل ذلك كان للقرآن الكريم الأثر البالغ في توحيد اللغة ونشرها وترتيبها من حيث أغراضها

والفاظها وأساليبها وفوق ذلك ضمن لها حياة طيبة وعمرا طويلا

(٥) قد جمع القرآن العرب على لغة واحدة بما استجمع فيها من محاسن هذه اللغة فأصبح عندهم مثلا

كاملا ومن شأن المثل الكامل أن يجتمع عليه طالبوه مهما فرقت بينهم الأسباب المتباينة . وقد كانوا قبل

ذلك تنوهم كل قبيلة منهم أنها أسلم فطرة في اللغة وأوضح مذهبا في البيان لعدم وجود مقياس عام يرجعون

إليه ولم يكن في طوق إنسان أن يقيس قدرة أقوام وعجزهم في أمر معنوي كاللغة إلا إذا كان بالفاحص الكمال

ولما كان الكمال لله وحده كان كلامه جل شأنه هو المثل الكامل

(٦) لولا القرآن الكريم لما وجد على الأرض أحد يعرف كيف كانت تنطق العرب بالسنتها . وكيف

تقيم أحرفها وتحقق مخارجها فتوارثوا القرآن الكريم حفظا لنا كيفية الأداء العربي

(٧) إن الشعوب العربية في مصر وسورية وبلاد المغرب وغيرها يتكلمون باللغة العربية ولكن تختلف

لغة كل شعب منهم عن لغات الآخرين اختلافا قليلا أو كثيرا بنسبة البعد بينهم والاختلاف في أحوالهم . ولولا

القرآن لاستقلت لغة كل شعب حتى لم يعد الشعب الآخر يفهمها كما حصل في فروع اللغة اللاتينية (الفرنسية

والاسبانية والطلانية وغيرها) ولكن محافظة المتكلمين في اللغة العربية على لغة القرآن والرجوع اليها فيما يكتبون ويخطبون جعل في لغاتهم المولدة مرجعا يجمع لغاتهم الى أصل واحد

(٤) أثر القرآن في الأحوال الاجتماعية

جاء القرآن والعرب قد وقعت بينهم الفرة وتشتت الألفة واختلفت كلتهم واضطربت أحوالهم فكانوا إخوان دبر ووبر أذل الأمم دارا وأجدبهم قرارا لا يأتون الى جناح دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل ألفة يعتدون على عزها فأحوالهم مضطربة وأيديهم مختلفة وكانوا في بلاء عظيم من جهل مطبق وبنات موودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة . فلما استضاء بنور القرآن الكريم اجتمعت أملاؤهم وانفتحت أهواؤهم واعتدلت قلوبهم وترادفت أيديهم وتناصرت سيوفهم وعقدت طاعتهم وجمع على دعوته ألقتهم وأصبحوا ينعمون في ظل سلطان قاهرات وصاروا حكاما على العالمين وملوكا في أطراف الأرضين قد ملكوا الامور على من كان يملكها عليهم وأمضوا الأحكام فيمن كان يعضها فيهم

جاء القرآن وقد تمكنت من العرب عصبية الجاهلية فما عدا أن سفه أحلامهم ونكس أصنامهم وذهب بجمل ما ألفوه حتى كأنما خلقهم خلقا جديدا وكأنهم على آدابه نشؤا وهم أغفال وأحداث بل كأنهم كانوا أسلافة أجيال كان القرآن في أوليتهم المتقدمة وكانوا هم الوارثين لا الموروثين مصداقا للحديث الشريف وخير القرون قرني ثم الذين يابونهم

كان من أثره فيهم أن أذهب عنهم العصبية المعقودة وأحل محلها التعصب لمكارم الخصال ومحامد الأفعال ومحاسن الامور وخلال الحد من الحفظ للجوار والوفاء بالنعام والطاعة للبر والمعصية للكبر والأخذ بالفضل والكف عن البغي والاعظام للقتل والانصاف للخلق والسكظم للغيظ واجتباب الفساد في الأرض لهذا كله انعقدت عليه قلوبهم وهم يجاهدون في تقضها واستقاموا لدعوته وهم يدافعون في رفضها فكانوا يفترون منه في كل وجه ثم لا ينتهون إلا اليه . ذلك بأنه قد جاءهم بما لا قبل لهم به مما يشبه أساليب الاستهواء في علم النفس فقلب على طباعهم وحال بينهم وبين قديهم

ولعمري لو كان القرآن غير فصيح أو كانت فصاحته غير مخجزة في أساليبها التي ألفت اليهم خلا من موعظه الذي هو فيه وكان سبيله بينهم سبيل الفصاحة والخطب والأقاصيص ولنقضوه كلمة كلمة وآية آية دون أن تتخاذل أرواحهم أو تراجع طباعهم

بين القرآن لهم أن الطبيعة مسخرة لهم فعلمهم كشف ما فيها واستخراج أسرارها - قس انظروا ماذا في السموات والأرض - وكأين من آية في السموات والأرض يفترون عليها وهم عنها معرضون - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شئ موزون - وأرسلنا الرياح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بحازنين - (الحجر)

نادى فيهم القرآن الكريم أن النبي ﷺ ابن يومه وابن عمله وعقله . فلا هو مفاخر ولاواهم ولاشاعر وخاطبهم بالآية الكريمة التي هي روح الثبات في أُمم العلم والعمل - وإن كذبوك فقل لي عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون -

قد وصل العرب قبل نزول القرآن الكريم الى هاوية الانحلال الاجتماعي بما لم يعهد له مثيل في تاريخ الأمم فكانوا في جهل مطبق بأحكام الدين الصحيح ومبادئ السياسة والحياة الاجتماعية ولم يكن لهم فن يذكر أو صناعة تنشر ولم يكونوا يعرفون شيئا من العلاقات الدولية وكانت كل قبيلة أمة قائمة بنفسها تتحفظ لشئ الغارة على جارتها . فما لبثوا أن جاءهم الكتاب الكريم حتى خالطت أحكامه قلوبهم وأيقظت أرواحهم وجعلتهم يتلمسون الحق وتصوبون نفوسهم الى رفع مناره ونشره في أطراف الأرضين

قد بلغوا في العبادة مبلغا بذوا به أهل الرهبة والتسك وصاروا أولى قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحرص في علم وعلم في حلم وقصد في غنى وخشوع في عبادة وتجمل في فاقة وصبر في شدة وطلب في حلال ونشاط في هدى وتخرج عن طمع . ومع بلوغهم هذه الدرجة الروحية العالية لم يهجرُوا الدنيا وشؤونها بل عملوا لها بصدق وإخلاص فأبدلهم الله العزّ مكان الدنّ والأمن مكان الخوف فصاروا ملوكا حكاما وأئمة أعلاما

وان تعجب فحجب أن يتم ذلك المجد العظيم للعرب في أقل من مائة سنة . وفي هذا برهان قاطع على أن أحكام القرآن خير طريق إلى تنمية الملكات الانسانية واعدادها لكسب الحياتين الدنيوية والروحية فقد جعل الأمة العربية تضع أعناقها للحق الذي لم تألفه حقا وأن تعطي مع ذلك محض ضايرها وتسلم له في تاريخها وعاداتها . إن نظرة بامعان فيما جاء به القرآن الكريم من الآيات اليبينات تدل على أنه ليس هناك في الإنسان من نقص إلا والقرآن كفيل بإصلاحه فهو طبيب الانسانية وليس أحدق الأطباء من يدعى هذه الصفة لنفسه لغضب بل من يستطيع مداواة أعظم الأدواء في أكثر الحالات وكذلك فعل القرآن فقد بلغ من أثره في العرب أنه حوّل طبائعهم وغيّر أخلاقهم فلم يشهد التاريخ جيلا اجتماعيا مثل الجيل الأول في صدر الاسلام حين كان القرآن هو المنار الذي يهتدى به ولم تستطع الفلسفة على اختلاف ضروبها في أي عصر من العصور أن تنشئ جيلا من الناس كالذي أخرج القرآن الكريم فكانوا مثلا حسنا في علو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين وطهارة الخلق وشدة الأمانة وإقامة العدل والخضوع للحق ومماثل إلى ذلك من أتممات الفضائل

﴿ محمد ﷺ أعظم مصلح ظهر ﴾

أما وقد بان أن الكتاب الكريم أحدث أوفر قسط من الإصلاح في أقصر زمن عرفه التاريخ فلا بدع أن كان الذي نزل عليه ذلك الكتاب أعظم مصلح . واليك البيان

(١) اقتضت حكمة الله أن يرسل إلى كل أمة آتانا بعد أن هاديا يرشدهم ويصلح حالهم فيدوم النور الذي جاء به زمانهم بخير قليلا قليلا حتى إذا كاد ينطفئ أقنذ الله هذه الأمة برسول بعده يجدد لها الهداية وقد تواتت الدهور والأحقاب والأمم منفصلة بعضها عن بعض زاعمة كل واحدة أن العالم كله فيها وأنها أفضل من سواها لأن الله خصها بالرسالة والهداية فنجم عن ذلك القول بأن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - حابي بعض الأمم وخصها بجزايا لم يمنحها غيرها من أجل ذلك أرادت الحكمة الإلهية أن تقضي على ما خالج نفوس بعض الأمم من أنها أفضل من غيرها جنسا وخلالا ودينا وأن تجعل من الإنسان جسما واحدا فنّ الله على الخلق جميعهم برسول عام معه رسالة عامة وهكذا كانت رسالته عامة لا يخصها زمان ولا مكان - وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا -

كان مثل من سبقه من النبيين صلوات الله وسلامه عليهم مثل المصاييح كل منها وضع في حجرة لا يضيء سواها . فلما ظهرت شمس الرحمة من البلاد العربية لم يبق هناك من حاجة إلى هذه المصاييح المحدودة المدى وليس في مقدور أي نور آخر أن يخلف هذه الشمس

بعث كل رسول ممن تقدموا المصطفى ﷺ لتهذيب أفراد أمتهم وجعلهم صالحين لتكوين أمة متجانسة . ولعمري هذا عمل جليل . غير أن محمدا وهو خير المرسلين أرسل ليجمع هذه الأمم ويجعلها أمة واحدة متكافئة مرتبطة برابطة الاخاء . جاء كل رسول لتقويم خلق معين في أمة فكانت حياته أسوة للخلق الذي أرسل لتقويمه . أما محمد ﷺ فقد جاء لتنمية الفطرة الانسانية جميعها واستخدام ملكاتها وتقويم غرائزها وكات حياته العملية ﷺ ملائ بالمثل الصالحة الكفيلة بتقويم أخلاق بني الإنسان جميعها ولذلك كان مثلا كاملا

للإنسانية اجتمعت فيه الفضائل التي كانت في أنبياء بني إسرائيل وغيرهم . تجمعت فيه شجاعة موسى وشفقة هارون وصبر أيوب وإقدام داود وعظمة سليمان وبساطة يحيى ورحمة عيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام (٢) إن كانت العظمة تتحقق باصلاح أمة قد وصلت الى غاية الانحلال الاجتماعي فليس هناك من يبارى محمدا في أنه أثنى الأئمة العربية من هاوية الدمار وجعلها مصاييح الحضارة والعرفان . وإن كانت العظمة تتحقق بجمع شمل أمة قد تآصلت فيها الفرقة وتمكنت منها العداوة والبغضاء فمن يجارى محمدا في أنه جمعهم تحت ظل الاسلام إخوانا متساندين - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فأثف بين قلوبكم فأصبحتكم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها -

كان مثل العرب في تفرقهم كمثل رمال بلادهم فلام الاسلام بينها وجعلها من القوة بحيث لا تؤثر فيها الزلازل العنيفة . إن كانت العظمة تتحقق باقامة ملك الله في الأرض فمن يطمح الى منافسة محمد ﷺ في أنه نكس الأصنام وأبطل عبادة الأوثان وطهر الجزيرة العربية من الشرك وملأ القلوب بالتوحيد والنور إن كانت العظمة تتحقق بحسن الأخلاق فمن ذا الذي ينكر على محمد أن أعداءه وأصدقائه أجعوا على نسيته بالأمين

إن كانت العظمة تتحقق بالفتح وبسط الملك فالتاريخ أصدق شاهد على أن أحدا غيره لم يبلغ مبلغه فقد نشأ يتما لا قوة له ثم صار فاتحا عظيم أسس أعظم دولة لبثت تزد مكاييد الأعداء أكثر من ثلاثة عشر قرنا إن كانت العظمة تتحقق بما لصاحبها من رفعة الاسم وانتشار الصيت فمن يجارى محمدا في ارتفاع اسمه الذي تحبه قلوب أربعمائة مليون من الناس منتشرين في أطراف الأرضين مرتبطين برابطة الاخاء مع اختلاف قوميتهم وألوانهم وألسنتهم

﴿ أثر القرآن الكريم في الأحوال الخلقية ﴾

لما كان المنزل هو المربي الأول الذي يتعلم فيه الانسان الآداب الخلقية ويألفها أوجب القرآن الكريم طاعة الوالدين - وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما * واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحهما كما ربياني صغيرا - ولم يرخص في عصيانهما إلا اذا أراد أن يحمله على الاشرار بالله - وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا -

هذا الاحترام العظيم للوالدين هو الأساس الذي بنيت عليه فضيلة الطاعة لأولياء الامور - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم - وليس المراد بالأمر الحكم فقط بل يشمل كل من أعطى سلطانا ونفوذا . يشير الى ذلك قوله ﷺ « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته »

ومن هذا يتبين أن دين الاسلام يطالب الناس جميعهم بالطاعة لمن فوقهم ليجتنب بذلك أصول الفوضى والمخالفة ويثبت دعائم الطاعة . بنى القرآن الكريم الأخلاق على فضيلة واحدة هي التقوى وقد دلّ تصفح الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه الكلمة وما اتصل بها من المشتقات على أن المراد منها أن يتقى الانسان كل ما كان فيه ضرر لنفسه أو إضرار لغيره لتكوين حدود المساواة قائمة في المجتمع الانساني لا تحصل فيها ثلعة ولا يطرأ عليها وهن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم - * وقد جاء في الحديث « لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى » والآية صريحة في أن الغاية الاجتماعية للناس شعوبا وقبائل هي التعارف وتلك كلمة لا تشذ عنها فضيلة من فضائل الاجتماع قاطبة ولا يمكن ان تدخل في مدلولها رذيلة اجتماعية . وفي هذه الآية الكريمة أقام القرآن الأساس الخلق العظيم فجعل أكرم الناس المتساوين في الحالين الفردية والاجتماعية هو أتقاهم أي أعظمهم خلقا لا أوفرهم مالا ولا أكثرهم

رجالا ولا ألقهم فكرا ولا أعظمهم علما ولا شياً من ذلك مما لا يصح أن يكون سبباً للتفاضل إلا في إدار
الدول واضطراب الاجتماع وفساد العمران . فالحقيقة أن التقوى هي الخلق الكامل . ومن أجل ذلك كان
العدل في رأى القرآن أقرب شئ إلى التقوى إذ يقول الله جل شأنه - ولا يجرمكم شأن قوم على ألا تعدلوا
اعدلوا هو أقرب للتقوى - وقدر القرآن مظاهر التقوى إلى (ثلاثة أشياء) الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر والايمان بالله . وهذه الأشياء الثلاثة هي المبدأ والنهاية لكل قوانين الأدب والاجتماع قال تعالى
- كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - والمعروف كل ما يعرفه
العقل الصحيح حقا ولا يتأتى الأمر بالمعروف إلا اذا توافر استقلال الإدارة (كذا) وقوتها . والمنكر هو ما ينكره
العقل الصحيح ولا يمكن النهي عن المنكر إلا باستقلال الرأى وحرية والايمان بالله هو الاعتقاد بوجوده
ووحديته ولا يتم ذلك إلا اذا استقلت النفس من أسرار العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله وهذا
هو الايمان الذى يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنقطة إلهية لا يعترضها شئ من عوارض الاجتماع
التي تعترى الناس من ضعف الطباع الانسانية كالجهنم والنفاق وإيثار العاجلة وما إليها فان هذه الصفات لا تتحقق
مع صحة الايمان بل هي أنواع من العبادة للقوى والمستبد والشهوات والذرات وما شابهها وذلك لا يتفق والايمان
الصحيح بالله . ما تدبر أحد القرآن إلا وجدته بمنح كل انسان ارادة اجتماعية أساسها الحرية - وكل الحق من
ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر - فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما
انا عليكم بوكيل - ولذلك لما اتخذ الجليل الأول في صدر الاسلام مثالا لهم واتخذوا آدابه الخلقية شعارا لهم
حقق لهم هذه الارادة الاجتماعية . ولأن العلوم كلها والفلسفة وأهلها كانت لأو تلك العرب مكان القرآن ما
أغنت عنه شياً لأن الفضيلة العقلية التي أساسها العلم لا توصل حتما إلى الارادة العملية

أما الفضيلة الخلقية التي جاء بها القرآن فانها تسوق إلى الارادة العملية لأن هذه الارادة مظهرها ولا سبيل
لظهورها غير العمل . ومنى صحت إرادة الفرد واستقامت له وجهته في الجماعة فقد صار بنفسه جزءاً من عمل
الامة والامة التي تتألف من مثل هذا الفرد تشغل مكانة سامية في تاريخ الاجتماع
والتأثر في القرآن الكريم يرى أن جميع آدابه وعظائمه ترمى إلى بث الروح الاجتماعية في نفوس أهله
فكانت هذه الروح هي السبب الأول في انتشاره حتى بين أعدائه الذين أرادوا استئصاله كالنتار والمغول
وغيرهم ممن اشتدوا عليه ليخزلوه فكانوا بعد ذلك من أشد أهله في نصرته والغضب له . ليس للقرآن
طرائق للدعوة إليه إلا الأسوة - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - فالأسوة أو القدوة مظهر آدابه
ولذلك كان كلما وجدت طائفة من أهله وجدت الدعوة إليه وان لم ينتحلوها ويعملوا لها وما استحث أحدنا
بالعطايا لأنه الدين الطبعي للانسان تأخذ فيه النفس عن النفس بالوساطة والاحلية في الوساطة . وما أفصح
ما ورد في صفة القرآن من قول رسول الله ﷺ (فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو
الفصل ليس بالهزل)

(أثره في الحال العلمية)

من يدرس تاريخ العلم الحديث لا يسعه إلا أن يستنبط أن القرآن الكريم كان أصل النهضة الاسلامية
وأن النهضة الاسلامية هي التي لها الفضل في حفظ علوم الأولين وتهذيبها وتصفيها وهي التي أوسعت المجال
للعقل بحث وناظر ويستدل . وبذلك كانت هذه النهضة أساس التاريخ العلمي في أوروبا . انفراد القرآن
بأنه هو الذى حرر العقول البشرية من أوهام الجود والرق وحفز النفوس البشرية وساقها إلى قراءة صحف
الكائنات وتدبر ما فيها من الصنع البديع . القرآن هو الذى ساق النفوس إلى تقصى غوامض الكائنات
والتنقيب عن دقاتها وبين لهم أنهم لم يؤتوا من العلم إلا قليلا - وما أوتيت من العلم إلا قليلا - ثم دلهم على

مواطن التفكير والبحث وبين للناس بضرب الأمثال فهم يفكرون فقال جل شأنه - ومن كل شيء خلقنا زوجين - سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون - وجعلنا من الماء كل شيء حي - الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن - كل في فلك يسبحون - ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق - تبرك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر - يوم تشقق السماء بالغمام - ألم نجعل الأرض مهادا * والجلال أوتادا - والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج -

القرآن هو الذي أعد العقول لفهم الفلسفة الاغريقية ودراسة العلوم الكونية فتصافى العلم والقرآن بضعة قرون لم يقع بينهما نفور ولا مشادة فقد كرم العلم ونوه بالعقل وذم الذين يعطلون عقولهم ويتبعون أهواءهم إذ يقول في شأنهم - لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل - أولئك هم الغافلون - إن شر الشواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون - ومنهم من ينظرك أفأت تهدي العمى ولو كانوا لا يبصرون - ولاتقف مالميس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا - قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنزلمكموها وأنتم لها كارهون - نحن أعلم بما يقولون ومأنت عليهم بحبار * فذكر بالقرآن من يخاف وعيد - إن عليك إلا البلاغ - قد بينا الآيات لقوم يعقلون - لا إكراه في الدين - إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر - . القرآن هو الباب الذي خرج منه العقل الانساني الكامل بعد أن كان طفلا فقد هداه الى النظر والاعتبار والاستنباط إذ يقول - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - وفي خلقكم ومايت من دابة آيات لقوم يوقنون - واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وماخلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم -

كانت هذه الآيات وأشباهاها سببا في اطلاق الحرية العلمية للعقول البشرية فلما اقتبست منها أوروبا نهضت وأصبحت تسوس العالم وترشده الى مافيه صلاحه . القرآن هو الذي أوجد العدد الجم من أعظم المؤلفين في العلوم الشرعية والرياضية والطبيعية والفلسفية وغيرها . ذلك بأن العلماء لما نظروا فيه تشعبت طرق تفكيرهم فمنهم قوم عنوا بضبط لهجاته وتحريك كلماته ومعرفة مخارج حروفه وهؤلاء هم علماء القراءة وقوم عنوا بالمعرب والمبني وما الى ذلك وهؤلاء هم علماء النحو . وقوم شغفوا بما فيه من الأدلة العقائدية وهؤلاء هم علماء الكلام وتأملت طائفة منهم معاني خطابه فرأت منها ما يقتضي العموم ومنها ما يقتضي الخصوص ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد ومنها ما هو مجمل الى غير ذلك وهؤلاء هم علماء الأصول وتلمست طائفة مافيه من قدس القرون السالفة والأمم الخالية وهؤلاء هم أهل التاريخ والقصص . ونبه آخرون لمافيه من الحكم والأمثال والمواعظ وهؤلاء هم الخطباء والوعاظ . وأخذ قوم علم الفرائض وحسابه من آيات الموارث . ونظر قوم الى مافيه من الآيات الدالة على الحكم الباهرة في الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وهؤلاء هم علماء الميقات

من هذا يتبين أن القرآن الذي نزل في البادية على أمية وقوم أميين لم يكن لهم إلا السننهم وقلوبهم - وكانت فنون القول التي يذهبون فيها مذاهبهم لاتجاوز ضروبا من الصفات وأنواعا من الحكم مكن العلماء من أن يخرجوا من كل معنى علما برأسه وعلى عمر السنين أخرجوا من كل علم فرعاً حتى وصلت العلوم الى ما وصلت اليه في الحضارة الاسلامية التي أنجبت الحضارة الحديثة

كفالك بالعلم في الأئمة معجزة * في الجاهلية والتأديب في البيت
لا يزال الباحثون في القرآن الكريم يستخرجون منه ما يشير إلى مستحدثات الاختراع وما يحقق بعض
غوامض العلوم . فمن ذلك قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما -
مما يؤيد ما حققه العلماء من أن الأرض انفثت من النظام الشمسي وقوله تعالى - وألقى في الأرض رواسي
أن تميد بهم - مما يدل كما أقبته العلماء على أنه لولا الجبال لمادت الأرض ببحارها واضطربت بأمواجها ولما
طاب للإنسان بها مستقر

وقوله تعالى - وجعل الشمس سراجا - وجعلنا سراجا وهاجا - مما يؤيد ما حققه العلم من أن الشمس
جسم مشتعل تبت النور والنار من ذاتها وترسلها إلى سياراتها المرتبطة بها
وقوله تعالى - يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا
تنفذون إلا بسطان - مما يشير إلى حدوث الطيران وأنه سيكون منه نصيب للإنسان
وقصارى القول أن العقل هو القائم على فهم القرآن واستنباط ما فيه من الأسرار على اختلاف الأحقاب
والدهور لأن الذي جاء بهذا القرآن كان آخر الأنبياء من الناس ولا حاجة بالكمال الإنساني لتغير العقول منه
بعضها بعضا . ولذلك يقول الله تعالى - سخرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم
يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - فلو محضت جميع العلوم الإنسانية ما خرجت في معانيها من قوله تعالى - في
الآفاق وفي أنفسهم - . وكلما تقدم النظر وتوفرت طرائق البحث ظهرت حقائق الكائنات ناصعة وتجلت
الإشارات التي انبثت في نيات القرآن - والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون - اه
هذه هي الخطبة التي تضمنها قوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا هو التبيين القرآني الذي به
أقره (٧٠٠) عالم من أوروبا في هذه السنة أن القرآن سبب نهضة أوروبا وأنه ﷺ أعظم العالم . انتهى
الموضوع الأول

(الموضوع الثاني) هو ما نشرته (المجلة الاسيوية الفرنسية) من اعظام هذا الدين وقرار هؤلاء العلماء
بأنه دين الفطرة بمناسبة تقریظ كتابي (نظام العالم والأمة) وأنا اخترت أن أثبت هنا قبول النعمة الله وقياما
ببعض الشكر له سبحانه على نعمة العلم ونعمة الحكمة والتأييد العظيم . ذلك أن هذا التقریظ الذي سأكتبه هنا
انما كتب سنة ١٩٠٨ أي منذ عشرين سنة وفي ذلك الزمن لم يكن لي تفسير للقرآن وانما هو كتاب (نظام العالم
والأمة) وهو عبارة عن ملخص للعلوم العصرية ممزوج ببعض الآيات القرآنية فلقى من هؤلاء العلماء الآتية أسماؤهم
اعظاما واجلالا للقرآن وتقریظا للكتاب . أفلا أجد الله عز وجل إذ عشت حتى وفقني هو لهذا التفسير فلا تبت
مقاتلهم هنا فسيرا لقوله تعالى - لقد أنزلنا آيات مبینات - فهذا التبيين في خطبة صديقي (جادمولي بك) واجماع
علماء أوروبا الراسبين على عظمة التبيين في القرآن والتبيين الذي جاء في كتابي (نظام العالم والأمة) كلاهما
مصدق لقوله تعالى - ثم إن علينا بيانه - وقوله - سخرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - وهاك نص هذه المقالة
(تقریظ كتاب نظام العالم والأمة)

(الجمعية الاسيوية الفرنسية والشيخ طنطاوي جوهري والاسلام)
دهشت الجمعية الاسيوية الفرنسية من ظهور الحقائق في كتاب (نظام العالم والأمة) فلذلك نشرت
الجمعية المذكورة التي تدار بجمع من خول الدكتوراة العظام والفلاسفة الكبار من بينهم حضرات الآتية أسماؤهم
(١) السيولار بيه منار (٢) اوبارت (٣) روباسي (٤) شافايه (٥) كيزمون چانو (٦) هالقي
(٧) هيلارت (٨) ماسيرو (٩) رينس ريفا (١٠) سينار بمجلتها التي صدرت في شهرى يناير وفبراير
سنة ١٩٠٨ نمرة (١) مقالة ضافية الذبول تحت العنوان الآتي

(الشيخ طنطاوى جوهري أستاذ اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة ونظام العالم والأمة)
 (أو الحكماء الإسلامية العليا (المجلد الأول) وعدد صفحاته ٤٣١ نشر في القاهرة سنة ١٩٠٥ م)
 إن كتاب (نظام العالم والأمة) الذى ظهر المجلد الأول منه هو أحد كتب عديدة ألفت للنشأة الحديثة الإسلامية وهذه الكتب بناها المؤلف على (نظريتين اثنتين * أولاهما) أن الدين الإسلامى دين الفطرة أى ملائم للعقول الانسانية وموافق للطباع البشرية (ثانيتهما) أن هذا الدين على مقتضى ما قرره المؤلف يسوق الى استكناه جميع النواميس العلمية وسائر القوانين الطبيعية الشاملة لهذا الكون كله الناطقة لعقده ولقد وضع المؤلف قبل هذا الجزء ملخص الكتاب كله فى مؤلف صغير سماه (الزهرة) وأبان فيه أغراض الكتاب بجزأيه وهى (تسعة مباحث) شرحها شرحا وجيزا فى زهرته التى هى خلاصة الكتاب حتى تشمل الفائدة من لم يقسع له الزمن لدراسة الكتاب ونبتدى الآن بإيراد ما فى الكتاب من المباحث باختصار فنقول إن مباحثه (تسعة * الأول) أن الانسان مسوق بغير رزقه للعلوم عاشق للحكمة وكيف ان هذا الميل الحبيب أوحى اليه معرفة الأعداد المنطوية فى نفسه وقاده الى استنتاج مضاعفات الأعداد وترتيبها من الواحد وإيصالها الى أبعد غاية بل الى ما لا يتناهى مع ما اندرج فيها من عجائب الجبر والأعداد المتوالية ثم طبق ذلك على حساب الخطوط والسطوح والأجسام وانتهى به الى الفلك فحسب الأجرام السماوية بهذا الحساب ثم طبقها على النواميس الطبيعية وانتهى منه الى الله عز وجل مبدع الخلاق كلها والنفس المتضمنة ذلك كله (الثانى) بحث واسع فى علم الفلك الحقيقى والهيئة (الثالث) درس علم الطبيعة مع إيضاح قوانين (نيوتن) و (كبلر) (الرابع) مبحث واسع فى علم النبات وأعجب الخواص الغريبة لحياة النباتات (الخامس) مبحث مسهب فى الحيوان وسلسلة ارتقائه مقارنا بين مذهب اليونان والعرب وبين مذهب (داروين) من علماء الافرنج فى ذلك وشرح فيه مسألة ترتيب الحيوان شرحا وافيا جدا حتى انه لم يأل جهدا فى إيضاح ما يسميه (داروين) بقاء الأصلىح والأدق للوجود والارتقاء الذى تسميه العرب دائرة الوجود وترتيب المواليد وارتقاء بعضها عن بعض بنسبة عجيبة . وقد ذكر المؤلف أن مذهب (داروين) كان معروفا قديما عند علماء العرب واليونان وأنه كان يسمى دائرة الوجود وانهم كانوا يقولون العالم مرتب هكذا (المادة الأثيرية . العناصر . المعدن النبات . الحيوان . الانسان . الملك) والله فوق الدائرة . وكانوا يربطون الانسان بالحيوان فى القرد والفيل والبلبل والحصان ولكنه ليس بالاشتقاق الذى يذهب اليه (داروين) ويقول المؤلف ان مذهب (داروين) محصور فى الانسان والحيوان فقط فهو لذلك قوس من الدائرة التى شرحها العرب وأن (داروين) ربط ما بين الانسان والحيوان بالقرد وحده فاستنتج من ذلك قصور (داروين) عن العرب من (وجهين * الأول) ضعف الرابطة (الثانى) قصور البحث على قوس من الدائرة (السادس) علم التشريح أى تشريح الجسم الانسانى (السابع) علم النفس وفيه شرح فوائدها وملكانها وتأثيرها فى العالم فى جميع الأزمان (الثامن) الوحدة العالمة فى العالم وهى ظاهرة فى هيئة الأئمة ونظام الكون بمعنى أن هيكل الأئمة منطبق تمام الانطباق على هيئة نظام هذا الكون المتقن . وقد أثبت ذلك بإيراد آيات قرآنية وبآراء قدماء الفلاسفة كفيثاغورس والعلامة الفيلسوف الفارابى (التاسع) فى العمران الإسلامى والسعادة والحرية وجدول للعلوم والفنون التى يراها المؤلف موافقة لأن تعرض على بساط البحث والتحقيق لتنتشر فى هذا العصر الحاضر بين المسلمين وواجبات المعلمين الذين يخصصون أنفسهم لهذا التعليم . وأهم هذه الواجبات هو الرجوع دائما الى القرآن والسنة وقد ختم هذا المبحث بالغاية العظمى التى تنشأ عن السياحات شرقا وغربا طلبا لدراسة أحوال الأمم شرقية وغربية . وقد أنشأ المؤلف نظرية فى التوحيد أى (الوحدة العالمة) عجيبة بظنة وحكمة وذكاء عجب ومهارة فائقة ودراية تامة منطبقة تمام الانطباق على مبادئ القرآن وملأته كل الملاممة لما شرحه العرب من

دائرة الوجود والنظريات الافرنجية والدورة الفلكية وسلسلة المواليد الثلاثة في الطبيعة وهي نظرية الترقى من البسيط الى المركب ومن الجزء الى الكل التي بنى عليها المؤلف طريقه الوحدة العامة . وكما أن الواحد نشأ عنه جميع الأعداد التي لانداهي فهكذا نشأت الأنواع التي لا تنتهي من فعل الله عز وجل (صفحة نمرة ٩٠ ومايلها) ولا جرم أن هذه منطبقه تمام الانطباق على دوران الأفلاك ومذاهب العرب والافرنج في سلسلة الموجودات الطبيعية والمواليد الثلاثة . وللمؤلف عناية كبرى برّد كل اعتراض يمكن وروده عليه فهو بهذا دائم الاحتراس ولقد أتخى المؤلف على جملة من العلماء المسلمين لا المحققين (صفحة نمرة ١٨) ورامهم بجهل مقصود القرآن وغواه لقصورهم واقتصارهم على علم الفقه الاسلامي إذ ظنوا أنه وحده ينبغي في الحياة الدنيا والآخرة وذكرهم بأنهم فاتهم أن المسيحيين بنوعهم في العلوم العقلية والنواميس الطبيعية والحكمة والأدب قد سبقوا المسلمين شوطا بعيدا مع أن ماصرفوا فيه عنايتهم وأفرغوا فيه جهدهم هو مقصود القرآن والغرض الحقيقي منه . إن القارئ لهذا الكتاب يصادف عجا عجا فيه وأمرأ مدهشا غريبا . يرى أن المؤلف يقارن ما بين معجزة خليل الله ابراهيم المذكور في القرآن وهي آية الطير و ابراهيم - واذا قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منه جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيًا واعلم أن الله عزيز حكيم - (السورة الثانية آية ٢٦٢)

يقارن المؤلف بين هذه القصة وبين التحليل والتركيب الكيماويين للماء (صفحة نمرة ١٢٤) ذلك أن خليل الله ابراهيم طلب من الله دليلا ليطمئن قلبه ويصدق بطريق الحس والمشاهدة بمسألة البعث فأمره الله بذبح طيور معاومة فذبحها ثم قطعها ثم أمر بنداؤها خيت باذن الله فكان ذلك اطمئنانا لابراهيم عليه السلام فن مهارة المؤلف المدهشة مقارنة لهذا بالتحليل والتركيب الكيماويين . وحقيقة انه لا فرق بينهما وبذلك صار علم الكيمياء من دلائل اليقين في التوحيد الاسلامي فصار طلبه من أهم علوم التوحيد والقرآن يأمر به وبالجملة فان المؤلف بتفسيره الجيب الدال على حكمة عالية وعلم عزيز واقتدار تام لآيات القرآن اثبت اتحادا تاما بين الاكتشافات المتجددة العصرية ومعاني القرآن ويستدل على ذلك بآيات من الكتاب المقدس (القرآن) صرح المؤلف في (صفحة نمرة ٦١) بأن من عرف تفسير القرآن والعلوم العصرية ولم يبين للناس اتحادهما ويفهمهم تلك الحقيقة فذلك آثم أشد الاثم لشدة حاجة المسلمين لذلك . وأكد في (صفحة ١٢٤) أن المسلمين الذين يفلنون تنافي القرآن والنواميس العلمية هم أجهل الناس بالأميرين وأبعدهم عن كلا الحقيقتين ثم غنى المؤلف أن تفرس بذور الفضائل الاسلامية في عقول المسلمين بعناية تامة حتى يجتنب الشبان المسلمون ما أورثته المدنية الغربية لأبنائها والمفاسد الناشئة من اطلاق العنان للنفس وترك حبلها على غاربها بلالجام يكبحها ولازاجر يردعها

وقد شبه المؤلف مجموع الأمة بالآلة ميكانيكية لن تظهر نتائجها ويدوم عملها إلا بصلاح كل جزء منها أولا وحسن تركيبها وانتظامها ثانيا . فكما أن الآلة لا تدوم إلا بقوة كل جزء منها وبحسن تنظيمها وتركيبها فهكذا الأمة لا دوام لها إلا بصلاح أفرادها أولا وبالنظام الشامل والدستور المنظم لأجزائها المبني على العلم وبالحكومة العادلة ثانيا . هذا مقصود كثير من تعاليم الكتاب

نحن لا يسعنا إلا الاعتراف للشيخ طنطاوى جوهرى بسعة المدارك والاطلاع الواسع المقرون بعقل رزين وحكمة وذكاء . فانظر كيف أتى بالفلسفة العالية والنواميس الطبيعية وفنون الآداب العربية الواسعة وأبرزها بمهارة وعبرة عالية ثمينة وبلاغة باهرة تفرق حسنا ونقيه عجا تكاد تسيل سلاسة ورقة كالماء الزلال سهولة وانسجاما مملوءة حياة وحكمة . وليس اجلالنا لهذا الاستاذ لما تقدم فقط بل لأنه أيضا ترجم آراء مؤايفي الانسكيز مثل (أفبري) و (سبنسر) و (داروين) وبحث في الفلسفة الاغريقية واللاتينية وجع زبدة آراء

جميع العصور المختلفة وحصرها في كتاب صغير بعبارة جميلة دقيقة كما وصفناها واتبع انفاذة أينا وبعدها الشيخ طنطاوى جوهرى رجل فيلسوف حكيم بمقدار ما هو عالم بالدين وبهاتين الصفتين قد فسر القرآن الذى أثبت أنه دين الفطرة بما هو أكثر ملاءمة للطباع البشرية وموافقة للحقائق العلمية والنواميس الطبيعية أيما موافقة بخلاف فريق من العلماء الغابرين الذين وقفوا على القشور وجدوا على الألفاظ جودا معيبا أدى الى انحطاط المدارك الاسلامية في الأعصر المتأخرة فانحطت بذلك الأمم الاسلامية . فبهذه المباحث يخاطب المؤلف الأمم الاسلامية عموما وعشاق البحث من كل أمة ويحاول ازالة الغشاوة عن أعين الأمم الاسلامية وتحرير عقولهم من الجود النجم عليها في جميع الأقطار وسائر الممالك على اختلاف مذاهبهم وتباين مشاربهم حتى انه لا يخص مذهبا دون مذهب ولا مملكة دون مملكة بل انه فوق ذلك يخاطب كل عاقل يريد الحياة والاطلاع على الحقائق من أى دين وأى ناحية ببلاد الشرق لأن بحثه عام في الكائنات وندائه عام حتى يلتحق الشرق الأدنى بالأمم الغربية في المعارف والعلوم والمدنية والحضارة . انتهى

وبعد أن انتهت المجلة من تقريرها كتاب **(نظام العالم والأمم)** كتبت كلمة عن كتاب **(التاج المرصع)** ترجنا منها ما يأتي

هذا المؤلف أهدى الى (الميكادو) ليقتسم الى مؤتمر الأديان الذى انعقد في سنة ١٩٠٦ م باليابان . إن احالة المؤلف بالإشارة ولسان الحال للقارئ على كتاب **(نظام العالم والأمم)** في كثير من مباحث الكتاب يدلنا على أن الكتائين يرميان لغرض واحد وأن كتاب **(التاج المرصع)** كنتم **(نظام العالم والأمم)** وقد وعد حضرة محمود سالم بك المؤلف أن يترجمه الى اللغات الاوروبية في حين أن شابا قازانيا ترجمه فعلا الى اللغة التركية ونشره في فارس والروسيا وختم مقدمته بنشر صورة الجواب الذى أرسله الى (الميكادو) وذكر موضوعه وسبب وضعه . ان القارئ لهذا الكتاب يستنتج أن من اطلع على الحقائق العلمية ودرس غوامض الفلسفة وخلا من الغرض والتعصب فانه يجدها منطبقة تمام الانطباق على الدين الاسلامي . انتهى

التقرير . وقد ترجم من الفرنسية بقلم محمد أفندى عبد العزيز والرحوم صالح بك حدى حماد

(أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة)

اعلم أن ما تقدم من الخطبة التى ألقيت في جماعة المستشرقين وما ذكرته الجمعية الاسيوية الفرنسية انما ذلك في التبيين العام ، أما التبيين في الارشاد خاصة فانه على **(ثلاثة أقسام)** تبين هو موعظة وتبيين هو مجادلة وتبيين هو حكمة كما قال تعالى في (سورة النحل) - ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - فهل تحب أيها الذي أن أحدثك عن هذه الثلاثة . نعم أحدثك لأن الله اختصر الكلام في القرآن وفي حديث رسول الله ﷺ كما ورد **(أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا)** فاذا أطلت الحديث فهو جيل وبيان قال تعالى - وأنزلنا عليك الكتاب تبينا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - . أما الموعظة الحسنة فقل - الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة - الخ ومثل آية الكرسي - الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ إذ ملخصها بيان عظمة الله من حيث قدرته ومن حيث علمه فعظمته من حيث قدرته في قوله - له ما في السموات وما في الأرض - الخ وعظمته من حيث علمه في قوله تعالى - يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم - الخ وهذه تسكني للعموم . وأما المجادلة بالتي هي أحسن فقل قوله بعدها - ألم ترالى الذى حاج إبراهيم في ربه - فان ملخصها محاجة إبراهيم عليه السلام للزمرود بيا بل ولما كان الجدال يجب أن يكون في موضوع يقر به الخصم اذا سمعه والقوم كانوا صابئين يعبدون الكواكب ذكر له إبراهيم عليه السلام سير الشمس فأعجزه إذ قال له اذا قتلت رجلا مجرما وعفوت عن آخر واعتبرت أن هذين إمامة وإحياء فماذا تفعل بالشمس ؟ إذ أتى الله بها من المشرق فلأت بها أنت من المغرب . فهناك بهت

الذى كفر وهذه مجادلة والمجادلة ترجع لازمام الخصم . وقد قال العلماء انها لا تكون إلا مع المعاندين وهم
 ليسوا في الدرجة العليا من التفكير ولم يتقوا مع العامة يؤمنون بالتقليد . أما أهل الحكمة فالحجة تقام لهم
 فاعجب كيف ذكر الله ذلك في (سورة الأنعام) فقال - وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض
 وليكون من الموقنين - فذكر الكواكب والقمر والشمس وانتهى بقوله - إلى وجهتي وجهي للذى فطر
 السموات والأرض حنيفا - وانما وجهه له لأنه وجد الكوكب آفلا والقمر آفلا والشمس آفلة فقال أنا لا
 أحب الآفلين لأن الآفلين منتقلون والمنتقل حادث فكيف أحب من يغيب عني والله لا يصح أن يغيب عني
 لأنه يمسك السموات والأرض أن تزولا وذلك لأن المادة كلها عبارة عن عناصر ترجع الى ذرات كهربائية
 والكهرباء والنور حركات في الأثير والحركات أعراض فلولا أن هناك ممسكها يدعجها ويثبتها لم يكن لنا وجود
 - كل شيء هالك إلا وجهه - فكيف أحب ما حركته وانتقاله دالان على أن وراءه من له الحكمة والجمال والعلم
 والقدرة والتصرف والحب انما يتوجه الى القوة والجمال والعلم وأى قدرة أعظم وعلم أحكم وجمال أبهى وغنى
 اوسع مع الدوام في ذلك كله إلا في الله . لذلك وجهتي وجهي اليه ولذلك قال تعالى - وتلك حجتنا آتيناها
 ابراهيم على قومه ترفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - فهذه الحجة المذكورة في الأنعام هي المعبر
 عنها بالحكمة في (سورة النحل) ولم يقل الله في محاجة الترويض ذلك فلاذكر انها حجة ولاقال بعدها - ترفع
 درجات من نشاء - بل قال - فهت الذى كفر - وهذه من أعجب وأبدع ملجاء في القرآن من اللطائف وانما
 لم أكتبها في (سورة البقرة) أوفى (سورة الأنعام) لأن الله لم يفتح على بها إلا الآن في هذه الآية مع انها
 بالبقرة والأنعام أولى وأحق والله هو الهادى القائل في هذه السورة - والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم -
 فلنسر على هدايته ونكتب ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين

ومن الحكمة التي لا تعرف إلا بعد البحث والاستقصاء والتي لم تظهر ثمرتها إلا في زماننا اظهرها لمعجزات
 القرآن الحكيم وقد كانت مجملة غير مفصلة في الأزمان الغابرة ملجاء في (سورة البقرة) أيضا بعد آية الكرسي
 بوضع آيات إذ يقول الله في ثانيا الكلام على الاتفاق والتحرير عليه - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم
 بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم * يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
 أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فاعجب للقرآن الذى يبين للناس أموراً دقيقة مثل هذه المسألة .
 ألم تر أن زماننا ظهر فيه هذا بأجلى بيان (اقرأ كتابي أين الانسان) الذى أرسلته لمؤتمر الأجناس . ألم تر أن
 البرهان قام على أن سعادة الناس كلهم بأن تكون العقول كلها قد وصلت الى أقصى ما يصل اليه الامكان وبأن
 الأرض كلها تستخرج منافعها وأن المجموع الانساني يكون كله متعاوناً وأن التقصير في هذا ضار بالمجموع .
 إذن اتفاق المال للفقراء الوارد في شريعتنا الغراء جزء من المساعدة العامة للانسانية فالشرقي والغربي بظهور
 آثار عقولهم وآثار منافع أرضهم يصبحون في سعادة لم يعلم بها الأولون وهناك يظهر سر قوله تعالى - حتى
 تضع الحرب أوزارها - وسر أنه ﷺ رجة للعالمين وأى رجة أعظم من أن تنزل آيات محرضات على بذل
 المال للنافع العامة ثم يدخل في غضون تلك الآيات ما يفيد أن الحكمة هي الخير الكثير وأن هذه الحكمة
 لا يتركها إلا أولوا الألباب . فالحكمة أجل شيء يعتنى ولماذا يذكرها الله عند التحريض على الاتفاق ولم
 يذكرها في موضع آخر من القرآن مع ان الصلاة أفضل من الزكاة وقد قال في الصلاة - إن الصلاة تنهى عن
 الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - ولم يذكر الحكمة بعدها كما صنع في آية الاتفاق ولم يقل ان الحكمة خير
 كثير ولم يسمح أولى الألباب بعدها . فلعمرك ما ذاك إلا لما اندمج في مسألة الاتفاق من المساعدة العامة
 والشيطان من عادته أن يفهم الانسان أن المدار على سعادته وحده وعلى منفعة الخاصة والله يحب منا منفعة
 العموم ومنفعة العموم ترجع لاسعادنا أيضا . فالنفع العام أدخل في اصلاح الأفراد من اقتصار الأفراد على النفع

الخاص . وملخص هذا أن الناس ﴿ قسيمان ﴾ قسم لا يجب الانفسه فيسمى لها وهو لايبالي بالمجموع وقسم يسمى للمجموع مع محافظته على نفسه . فالأول خال من الحكمة والثاني متصف بها . والأول تعاليمه شيطانية والثاني تعاليمه حكمية والاسلام جاء بالحكمة العامة لا للخاصة وقد نشر في الشرق والغرب في مدة قليلة ولكن لما اعتنق الاسلام أتم لا يعرف أسرار اللغة العربية خرج منهم ملوك وعلماء قنعوا من الدين ببعضه وعكفوا على شهوراتهم وسخروا الأمم لها فقال الله لهم كفوا أيها المسامون ودعوا حكم عبادي وسأنتشر الاصلاح في الأرض على يد من أشاء فظهرت حركة الاصلاح في أوروبا وأمريكا واليابان وهناك جمعية تسمى جمعية الامم باورويا وقد قدمت لك أن هذه لم تقم بالواجب لأنها جمعية لفظية لا معنوية وقد ذكرت هذا المعنى في أول (سورة الأنفال) وقد طابق ذلك ما أعلنه محافظ كابول من (أفغانستان) في خطبة له بمصر ذكرت عند قوله تعالى - يا أيها الرسل كنوا من الطيبات - الى قوله - وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فقطعوا أسرهم بينهم زيرا - فارجع اليه في (سورة المؤمنون) . فهاهوذا الزمان قد آن أن يستدير ويرجع الأمر للمسلمين ومن معهم ويقومون باصلاح النوع الانساني هم ومن معهم من الأمم وهناك تظهر الحكمة في قوله تعالى في (سورة البقرة) - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - الخ الذي هو قسم من أقسام الحكمة المذكورة في (سورة النحل) الداخلة في قوله تعالى هنا - لقد أنزلنا آيات مبينات - . فهذا هو التبيين في القرآن . ففي القرآن تبيين ولكن الله أذخر كثيرا منه لأتم تعقله وتلك الأمم ترجع الدين لحاله في العصر الأول أولئك الذين كانوا يراعون المنفعة العامة حتى انهم اذا حاربوا أهل الكفر وقاتلوهم لم يراعوا إلا المصلحة العامة فقتل صناديد قریش في واقعة بدر وأمثالها يرجع الى اصلاح آلاف مؤلفة بقتل أفراد قليلة كما أن نهر النيل والفرات والهواء والنار والشمس نافعات للعموم ضاررات للقليل كالغراق ناسك وموت صبي بهواء فاسد واحراق عجوز وموت شيخ بضربة الشمس فهلاك هؤلاء لا يندفع في اسعاد المجموع . ومن عجب أن (بنتام) الانجليزى مؤلف (أصول القوانين) قد نحا نحو هذا فجعل القوانين مبنية على أن العموم مقدم على الخصوص وأن قتل القاتل وان آذى أهله فقد سرق الناس كلهم والمسرقة العامة خير من الخاصة . ولم يكن هذا الاهلاك مقصودا بذاته من خلق الهواء والماء والشمس . كلا . بل المقصود النفع العام . هكذا قتل بعض الكفار في بعض الحروب قصد منه الحكمة التي قصدت في خرق السفينة وقتل الغلام كلاهما لاصلاح أعم فخرق السفينة لتبقى في يد أصحابها الأيتام فلا يأخذها الملك غصبا وقتل الغلام لأن العلم بمصلحة أعم لذويه أوجب قتله وقد راعى المصلحة عمر رضى الله عنه فلم يقطع اليد أيام الجباعة بالسرقه في قصة سرقة الإبل المذكورة في سورة الكهف (راجع هذا المقام كله هناك) فسترى كلام علماء الاسلام وما كتبه مع كلامهم هناك لتعلم أن دين الاسلام جاء للحكمة العامة وأن فيه أسراراً يبينها الله في هذا الزمان وهذا هو الذي فتش الله به قبيل بخريوم الخيس ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٢٨ وفي نفس صلاة الصبح عند قراءة في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيقا وما أنا من المشركين - والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية من قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - وماؤاهم النار وليلس المصير - ﴾ قال تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات) خطاب لرسول الله ﷺ ولأتمته وأقسم (لا يستخلفنهم في الأرض) أي ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم (كما استخاف الذين من قبلهم) مثل بني اسرائيل إذ استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وأورثهم هم وقومهم بني اسرائيل أرض الجبارة وديارهم (ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهو الاسلام بالتقوية والتنشيت (ولابدأنهم من بعد خوفهم) من الأعداء (أمناء) منهم ثم استأنف لبيان المقضى للاستخلاف فقال (يعبدوني لا يشركون في شيء) الجملة حال من الواو في يعبدوني أي يعبدوني غير مشركين (ومن كفر) أي كفر هذه

النعمة (بعد ذلك) بعد الوعد أو حصول الخلافة (فأولئك هم الفاسقون) الكاملون في فسقهم إذ كفروا تلك النعمة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول) في سائر ما أمركم به (علكم ترجون) أي أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول على رجاء الرحمة (لأتحسين الذين كفروا محجزين في الأرض) أي لأتحسين - يا محمد الكفار محجزين الله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الأرض متعلق بمحجزين (ومأواهم النار) عطاف عليه من حيث المعنى كأنه قيل الذين كفروا ليسوا محجزين ومأواهم النار (ولبئس المصير) أي المأوى الذي يصبرون اليه وهنا . ﴿ أربع لطائف ﴾

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الخ ﴾

قيل إن النبي ﷺ مكث بعد الوحي عشرين سنة مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبرون ويمسكون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال أحد منهم أما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فأثرل الله هذه الآية . ومعنى ليستخلفهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها وساستها وسكانها وقد أنجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمنا وبسطا في الأرض * روى البخاري عن عدي بن حاتم قال بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال بعدي هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أثبتت عنها قال فإن طالت بك حياة فلتأمن الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيها بيني وبين نفسي فأبى دعار طي الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لتأمن الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله وكنت فيمن فتح كنوز كسرى بن هرمز قال ولئن طالت بك حياة لتأمن ما قال أبو القاسم ﷺ يخرج الرجل ملء كفه ذهباً الخ * وعن سفينة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ﴿ الخلافة بعدي ثلاثون ثم تكون ملكاً ثم قال أمسك ﴾ ولقد كانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين سنة وستة أشهر وخلافة عثمان اثنتي عشرة سنة وخلافة علي أربع سنين وتسعة أشهر فتكون خلافة الخلفاء الراشدين إثنى تسعاً وعشرين سنة وستة أشهر وكانت ثلاثين سنة بخلافة الحسن وهي ستة أشهر ثم نزل عنها معاوية

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

قال أهل التفسير في قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - إن أول من كفر بهذه النعمة وحجدها ولم يقم بواجبها أي بواجب نعمة النصر والتمكين في الأرض والأمن الذين قتلوا عثمان . فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا أخواناً

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

أين وعد الله للمسلمين اليوم وهم في الأرض خائفون وجالون . لأذكرك ما كتبه في كتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ على هذه الآيات تحت العنوان الآتي

﴿ الاسلام دين علم وعمل ﴾

أيها المؤمنون . الاسلام دين علم وعمل . ولما ضلت الممالك الاسلامية الكبرى سواء السبيل فجهلت العلوم

الكونية والعقلية لم يصلحوا لهداية العالم المتعلم فنبتهم الاسلام فلم ينصروا على أعدائهم من الاوروبيين وأصبح المسلمون يلتمسون العلوم من الأمم الاوروبية ويستضيئون بأنوارهم ويهتدون بهداهم ويرتوون من مواردهم ويكرعون من مشاربهم . أوليس ذلك دليلاً على أن الأمم الاسلامية الكبرى جهلت الحقائق وظنت أن المسلم لا يعنيه العلم والجهل يكفيه والقوت يرضيه وهو غافل عما أبدع الله في الأرض والسموات وبراً فيهما من البدائع وأحسن فيهما من صنع وأبدع وأجاد وذراً من كل زوج بهيج . لهذا السبب ذهبت الأمم الاسلامية فأصبحوا لا ترى إلا آثار آبائهم لأن الجهل بالعلوم خيم فيما بينهم وضرب عليهم سرادقانه فضر بهم الدهر ضرباته فذل العزيز وعزّ الفليل وخضع العظيم وعظم الحقير . قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّز من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير -

كنا الجهابذة الكبار * كم فائد سلاك القفار

وبجيشنا قطع البحار * وطفى على أعدانا

إنا ملكننا المشرقين * إنا ملكننا المغربين

إنا قرأنا الحكمتين * العلم والإيمان *

ألستم أنتم السواد الأعظم في الكرة الأرضية . ألم يأمركم الله أن تأخذوا حذركم وتبنوا مجدكم وترفعوا رؤسكم وتعلموا ما نشر الله في الأرض من علم وما أنعم به من صناعة

﴿ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها ﴾

ألم يقل لكم في كتابكم الكريم - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون -

أليس هذا كلام ربكم المنزل على نبيكم وأنتم المخاطبون به . فبالله عليكم يا معاشر المسلمين في أقطار الأرض أنتم اليوم أكثر عدداً وأعظم مدداً فإذا جرى حتى عجبنا كل العجب من أناس مسلمون وقد تخطفنا هذا الوعد بأن يستخلفنا الله في الأرض ويمكن لنا في الأرض ويبدلنا من بعد خوفنا أمنا والتمكين فيها وتبدلنا من بعد خوفنا أمنا وعد من الله لنا والله لا يخلف وعده قال تعالى - ومن أوفى بعهده من الله -

يجب المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها . المسلمون الذين يبلغون ٣٥٠ مليوناً من بني آدم يجبون ويقولون نحن مسلمون ونحن نعمل الصالحات فأين استخلفنا في الأرض ؟ ونحن أينما توجهنا فالقتل على رقابنا والذل محيط بنا وأم الفرنجة يطاردونا

﴿ فصل في أن المسلمين ينقصهم أمران الاتحاد والعلم ﴾

أقول على رسلك يا معاشر المسلمين لاتظنوا أن عمل الصالحات قاصر على ما تعملون فانكم ينقصكم أمران الاتحاد فيها بينكم عرى بيكم وعجميكم وأبيضكم وأسودكم وأصفركم والعلم بما ذرأ الله في السموات والأرض من عجائب الخلق وبدائع الحكمة ونظام البرية وما أبدع في السموات من كوكب وما بث في الأرض من دابة ونبات . ودليل على ذلك قوله تعالى - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون - . بهذا أنذركم الله إذ قال - وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم - فكأنه وعد بالاستخلاف المتقدم للأمة الاسلامية الناطقة في ملكوت السموات والأرض المفكرة فيما خلق الله المتعلمة كل صناعة وحرفة حتى لا يفوتها صنعة من المدفع الى الابرة ومن القطار الى المنشار ومن علم الطيب والبيطار الى صناعة الموسيقى . نعم وعدنا الله بالاستخلاف في الأرض اذا فقهنا وعقلنا كلامه

أوليس من العار أننا غفلنا عن السير في الأرض والأخذ بما هو أجل وأحسن وقد غفلت الأمم وتعلمت وجهلنا وارتقوا وخططوا فلذلك جاء القرآن موضحاً ومذكراً على الجاهلين (بما أبدعت الأمم من المصنوعات وما أنشأت من المصانع وما أنحكت من بناء وما عممت من زراعة وما أحسنت من صناعة وما أقامت من سياسة وما أنظمت من طرق وما أرسلت من قطار وما أطارت من بخار وما سيرت في الجوف من طيارات ومناطيد وما بنت من مدارس وما علمت من تلاميذ وما رفعت من صروح) فقال الله تعالى - أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها -

ولما كان السامعون كثيراً ما يسيرون في الأرض ويرجعون إلى أوطانهم بخفي حنين ثم هم لا يندرون قومهم إلا قليلاً ولا يعتبرون بما رأوا ولا يرسلون جماعات منهم تعلم إلا قليلاً أردفه الله بقوله - فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

أيها المسلمون . انه لينقصكم (أمران) الاتحاد والعلوم فإذا اتصفتم بهما تم وعد الله لكم في الأرض بالاستخلاف والتمكين في الأرض وأن يبديل خوفكم أمناً في الآية المتقدمة . وهذا إذا سأشرح لكم كيف تتحدون وكيف ينشر العلم بينكم

(ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم)

ألا إنما مثل المسلمين المستبصرين وغيرهم كمثل جماعة سافروا في طريق طويل فأخذ جماعة يركبون الأبل والبغال والخيول وأخذ جماعة آخرون يركبون القطار فتخلف الأولون وفاز الآخرون وحجة الأولين انهم يتبعون ماسك أبائهم ويتغنون بحداثتهم ويتغنون بأشعارهم فوق إبلهم . وحجة الآخرين أن العقل يقضي أن نأخذ بالأحسن والأقوى والأسهل ويقولون قال الله تعالى - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - فالله عز وجل بشر العباد الذين يتبعون أحسن القول . ولا جرم أن القول يركوب القطار أحسن من القول يركوب الأبل . أفليس من العار علينا أن يسبقنا الأمم ونحن عاقون مفكرون

(معنى الجهاد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم * وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب -

هذه الآية ذكر فيها الله لنا تجارة ودلنا عليها وجعل تلك التجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟ ما هي تلك التجارة ؟ هي أن تؤمن بالله ورسوله وتجاهد في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وضمن لنا بذلك أمرين الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . طلب الله منا أمرين وضمن لنا أمرين . طلب الإيمان والجهاد وضمن الجنة في الآخرة والنصر في الدنيا . أما الإيمان فعلوم وأما الجهاد فأنا أشرحه لكم . يظن الجهال أن الجهاد إنما هو حرب الكفار وحده . كلا . أن الجهاد كما نص عليه علماء الفقه لا يخص حرب العدو بل يشمل سائر الأعمال العامة فترقية الصناعة والزراعة ونظام المدن وتهذيب النفوس وإعلاء شأن الأمة كل ذلك جهاد لا ينقص عن توجيه البندقية والمذبح إلى صدر العدو

إن الصف المجاهد المحاذي للعدو لن يقدر على هذا الموقف إلا إذا كان وراءه حكومة في بلاده منظمة فيها صناعات محكمة لتصنع له المدافع والبنادق وتزود الأرض وتسلمها وترسل له الذخيرة فمن ظن أن زارع الأرض المستخرج ما فيها والحداد والمصانع للمدافع والقطار ولتجار المكمل لكل منها - ما والخباز الخبز هما

ولجندى . من ظن أن هؤلاء أقل أجرا في الآخرة من الجندى الذى أحضرت له أعمال هؤلاء وشوق معصية القتال فقد جهل الدين وطاش سهمه وهو من الغافلين

إن النبى ﷺ لما رجع من إحدى غزواته قال ﴿ رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس ﴾ أفليس ذلكم يماعشر المسلمين دليلا على أن جهاد النفس أرقى من جهاد العدو وجهاد النفس بترك الكسل وباحكام الصنعة وبترقية شأن الأمة وبالسباحة فى الأرض وبترك الشر وتهذيب النفس . فالمهذب لنفسه مجاهد والمحكم لصنعة مجاهد والمسافر ليعلم المسلمين ما شاهد مجاهد والعالم مجاهد . ولقد ورد ما معناه أن مداد العلماء كدم الشهداء . ولعمري لقد عظم أمر العالم وفاق شهيد المعركة . ذلكم العالم الذى يزرع العلم والبركة فى نفوس آلاف من الناس هو خير من آلاف من الشهداء

هأنذا قد بينت معنى الجهاد والایمان واضح من نفسه . ولا جرم أن الله ضمن لمن جاهدوا هذا الجهاد أن يدخلهم الجنة وينصرهم على عدوهم . فليجاهد المسلمون وليعرفوا جميع العلوم والصناعات التى منها العدد الحربية والآلات الصناعية والحدع الحربية والسياسات المدنية فان الله ضامن لهم النصر . هذه سنة الله ولن تجد اسنة الله تبديلا . ولن تجد لسنة الله تحويلا . وليس النصر مضمونا لنا ونحن غافلون . ان الله أمرنا بالنظر والتفكير . أو ليس هو سبحانه القائل للمسلمين وهم يصلون صلاة الخوف فى الحرب - وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم وذ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة - فإذا كان الله يقول لنا ونحن فى الصلاة وقت الحرب خذوا حذركم خذوا أسلحتكم فان الكفار ربما ملوا عليكم ميلة واحدة فقتلوكم . فهل منزل هذا يرضى عن أمة تنام عن العلوم والمعارف والصناعات . هل ينصر الله أمة غافلة إن الله وعدنا النصر بعد الجهاد الكامل بالعدد التى تناظر ما عند العدو التى صرح بها فى قوله - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم - ولقد أطلت فى هذا المقام لتبين السبيل والحمد لله رب العالمين

﴿ الطائفة الرابعة . إيضاح قوله تعالى - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - ﴾
ليحجب المسلمون من هذا القرآن الحكيم كيف أخبر أن الله سيمكن للمسلمين فى الأرض وقد تم هذا كما تقدم وكان الخلفاء الراشدون وغير الراشدين ثم كيف ملكوا أكثر المعمورة قديما وهذا معروف مشهور ثم انظر كيف كان الأمر بالعكس فى القرون الأخيرة وكيف أخبر الله أيضا بذلك إذ قال - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون - . يخبرنا الله بما هو حاصل اليوم فى بلاد الاسلام . وإليك نقول هل المسلمون كفروا أقول لك هذه النعمة هى السبب فى الجهل العام فى الاسلام . يحمل الناس الكفر على كفر الدين . ولكن الكفر هنا كفر النعمة . ألا ترى كيف قال المفسرون رحيم الله تعالى ان أول كفر للنعمة كان بقتل عثمان ولو أن الصحابة والتابعين رأوا فى هذا العصر ما لواقد كفر المسلمون بنعمة ربهم لأنهم قد تركوا الملك الذى أعطاه الله لهم . تركوه وما حفظوه . لم يحفظوا ذلك أى لم يحفظوا النعمة أى تركوا بلاد الله فلم يعمروها وتركوا ما فيها من الكنوز والمنافع وناموا على بساط الراحة . فيأعجبوا للمسلم . أيعلم أن الله يعطيه الأرض ويملكه إياها ثم هو ينام ولا يصلحها ولا يقوى عمرانها ويبقىها فى يده . كلا . إن الله قيوم أى قائم بتسيير الملك فمن لم يكن متخلقا بخلقه خلقه من ملكه وأقصاه وهذا هو معنى قوله - ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون -
سيقول جهول من الذين ينتمون للإسلام . حينئذ قد حكمت على أمة الاسلام اليوم بأنهم فاسقون أقول أنا لم أحكم وإنما أذكر أمثال هذا بما قاله علمائنا أن جميع العلوم والصناعات فرض كفاية والمسلمون اليوم عالة على أوروبا فلا كفاية لديهم من هذا القبيل وفرض الكفاية متى ترك كانت الأمة كلها أئمة لهذا الترك فاذن المسلمون اليوم آمنون بترك العلوم والصناعات وهذا الامن قد عاقبنا الله عليه باحتلال الأمم الغالبة بلادنا واذلالنا

وهذا عذاب مهمل وسنكون جميعا في الآخرة ملومين . فهذا معنى كفر النعمة الذي سمي الله المتصفين به فاسقين ولم يسمهم كافرين كفرا مطلقا . فالسامعون اليوم متمتعون بنعمة الايمان الساذج وليسوا متمتعين بنعمة اصلاح الأرض والله عز وجل حكيم لا يعطى الشيء إلا المستحقه ومستحقه هم العاملون لارتقائه فأصبحت الآية فيها (مجهزتان) فصدرها اصدر الاسلام وعجزها لا اتم المتأخرة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم ولكم في هذا القرآن من عجائب وغرائب وما كان ليدور بخلدى قبل كتابه هذا التفسير أن فيه كل هذه العجائب - إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

وقبل أن أترك هذا المقام أشير الى أمر آخر ذلك أن الحديث أبان فيما تقدم كيف يكون الامن في الاسلام وقدم ذلك كما تقدم وبقى هناك أمر وهو الذهب والفضة اللذان يعرضان فلا يقبلهما أحد فذلك لم يتم الى الآن ولعل المستقبل كفيلا به فان النوع الانساني اذا أصبح وقد ترك النقود كما يقول (الباشقية) وأصبح التعامل بالمبادلة فان النقود إذن لا لزوم لوجودها . أقول ربما اضطرت الدول الحالية الى الاتحاد شرقا وغربا (فقد تلبه الشرق) وتعاملوا بالدولة وألغوا النقود كدولة البلشفيك وهناك يتم معنى الحديث إذ لا فائدة للذهب ولا للفضة بل الرجل يعمل لمصلحة الجميع ويأخذ ما يكتفيه . انتهى الكلام على الجوهرة الثانية (الجوهرة الثالثة من قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم -

الى قوله تعالى - كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون -)

روى عن ابن عباس قال وجه رسول الله ﷺ غلاما من الأنصار يقال له مدحج بن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأرسل الله هذه الآية وروى أيضا أن أسماء بنت مرند كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأنت رسول الله ﷺ فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرها فأرسل الله هذه الآية . وملخصها أن العبيد والاماء والأحرار الذين لم يبلغوا الحلم ولكن عرفوا أمر النساء وهم في سن التمييز يجب وقيل يسن أن يستأذنوا لأجل الدخول في (ثلاث أحوال) وهي من قبل صلاة الفجر وفي منتصف النهار حين يضع الناس ثيابهم للقبولة ومن بعد صلاة العشاء لأنه وقت التجرد من ثياب البقطة والاتحاف بذياب النوم . فهذه أوقات ثلاث عورات لأن كل واحد من هذه الأحوال عورة لأن الانسان يحتل تستره فيها . ومعنى العورة الخلل ومنها الأعور المحتل العين وهذا هو قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت إيمانكم) وهذا القول رجوع لتتميم الأحكام السابقة بعد ما ذكر من الاهيات ما يشرح الصدور وبوجب الادعاء ويفتح الأذهان والذين ملكت إيماننا هم العبيد والاماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار الذين ظهروا على عورات النساء ولم يبلغوا الحلم وهم في سن التمييز وبلوغ الحلم يكون بالاحتلام فان لم يحتلم وبلغ خمس عشرة سنة فقد بلغ عند الشافعي ولا يرى أبو حنيفة بلوغ الجارية إلا اذا بلغت سبع عشرة سنة ولا الغلام إلا اذا بلغ ثمان عشرة سنة . فأما أبو يوسف ومحمد وأحمد فقد وافقوا الشافعي في أن الغلام والجارية يحكم ببلوغهما متى بلغا (١٥) سنة وقوله (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات هي (من قبل صلاة الفجر) الى قوله هي (ثلاث عورات لكم) أي هي ثلاث أوقات يحتل تسترهم فيها (ابس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) بعد هذه الأوقات في ترك الاستئذان ولا تظن أن هذا ناسخ لآية الاستئذان لأن هذا في الصبيان والمماليك المدخول عليه وتلك في الأحرار البالغين . هم (طوافون عليكم) هذا مستأنف لبيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهذا التمليل بين أن الأحكام تعال (بعضكم) طائف (على بعض) أي يطوف بعضهم على بعض (كذلك) أي مثل ذلك التبيين (يبين الله لكم الآيات) أي الأحكام (والله عليم) بأحوالكم (حكيم) فيما يشرع لكم . واعلم أن هذه الآية غير منسوخة وان تهاون الناس بالعمل بها . ويقال ان ثلاث آيات تهاون

الناس بها وهي هذه الآية وقوله تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - والناس يقولون أعظمكم بيتا وقوله تعالى - وإذا حضر القسمة أولو القربى - الآية . ثم قال تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) في جميع الأوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) أي الأحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) من الدلائل والأحكام (والله عليم) بأمور خلقه (حكم) بما دبر وشرع وهذا بوجب أن يستأذن الرجل على والدته وعلى جميع محارمه . ثم قال تعالى (واقواعد من النساء) أي اللاتي قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يطمنعن فيه لكبرهن ولأن الرجال يستقدرونهن . فأما من كانت فيها بقية جلال فهي محل الشهوة فلا تدخل في هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي الثياب الظاهرة كاللحفة والجلباب الذي فوق الخمار حال كونهن (غير متبرجات بزينة) أي غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية كالشعر والنحر والنساق أي لا يقصدن بوضعها التبرج . والتبرج تكلف اظهار ما يجب إخفاؤه (وأن يستعفن) أي يطلبن العفة عن وضع الثياب فيستترن (خير لهن والله سميع) لما بعان (عليم) بما يقصدن * قال سعيد بن المسيب كان المسلمون إذا خرجوا إلى الغزو مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والمرضى والأعرج وعند أقاربهم ويأذنونهم أن يأكلوا من بيوتهم وكانوا يتعرجون من ذلك ويقولون نخشى أن لا نكون أنفسهم بذلك طيبة فنزل قوله تعالى (ابس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام غير مانقذم فانه لما نزل قوله تعالى - ولأننا أكلوا أموالكم يديكم بالباطل - قالوا لا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله - ولا على أنفسكم - (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ويدخل فيها بيوت الأولاد لأن بيت الولد كبيت لقوله ﷺ (أنت ومالك لأبيك) وقوله ﷺ أيضا (إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه) (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملتكم مفاخمه) عني بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته ومأشيتة فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن مأشيتة ولا يحمل ولا يدخر وقيل بيوت الماليك والمفاتيح جمع مفتاح (أو صديقكم) أي أو بيوت صديقكم وهو الذي صدقك في المودة وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط . واعلم أن هذا إنما يكون إذا علم رضا صاحب البيت بأذن أو قرينة وخصص هؤلاء لأنهم اعتادوا التبسط بينهم فرجع الأمر في الحقيقة إلى الرضا وأذن لافرق بين هؤلاء وبين غيرهم فالدار على الرضا ولا يذكروا في الآية إلا لأن الرضا فيهم غالبا محقق . والخفية لما رأوا ما جاء في هذه الآية حكموا بأن لا قطع في سرقة مال المحرم . هذا ولقد كان بنو ليث بن عمرو من كنانة يتعرجون أن يأكل كل الرجل وحده فرما قعد منتظرا نهارة إلى الليل فإن لم يجد من يؤاكله أكل ضرورة . ويقال أيضا إن قوما من الأنصار إذا نزل بهم ضيف كانوا لا يأكلون إلا معه . وأيضا قد تخرج قوم عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع في القرازة والهمة لذلك أنزل الله هذه الآية (ابس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) مجتمعين أو متفرقين (فاذا دخلتم بيوتا) من هذه البيوت (فسلموا على أنفسكم) أي ابسوا بعضكم على بعض . هذا في دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن في بيته * قال قتادة * إذا دخلت بيتك فسلم على أهيك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه . وقال ابن عباس * إذا لم يكن في البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته * وعن ابن عباس في قوله تعالى - فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم - قال إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

وقوله (تحية من عند الله) أى ثابتة بأمره مشروعة من لدنه . ويصح أن يقال من عند الله متعلق بتحية التى هى منصوبة بسلموا لأنها مصدر بمعنى التسليم والتحية فى معنى طلب الحياة وهى من عند الله تعالى وقوله (مباركة) أى ترجى بها زيادة الخير والثواب وقوله (طيبة) أى يطيب بها قلب المستمع * وعن أنس رضى الله عنه أنه عليه الصلاة والسلام قل ﴿ متى لقيت أحدا من أمتى فسلم عليه يطل عمرك وإذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الأبرار الأوابيين ﴾ وقوله (كذلك يبين الله لكم الآيات) كرهه لمزيد التأكيد واعظام أمر هذه الأحكام (لعلمكم تعالون) الحق والخير فى الأمور . انتهت الجوهرة الثالثة ﴿ الجوهرة الرابعة - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه

على أمر جامع - الى آخر السورة ﴾

كان رسول الله ﷺ اذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله ﷺ بحيث يراه فيعرف أنه انما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم وهذا قوله تعالى (انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) إيمانا صادقا (وإذا كانوا معه على أمر جامع) كالجمعة والأعياد والحروب والمشاورة فى الأمور . وانما ودف الأمر بأنه جامع مع أنه سبب للجمع لأنه هو الجامع للبالغة ﴿ لم يذهبوا حتى يستأذنه ﴾ أى حتى يستأذنوا رسول الله ﷺ فيأذن لهم . ولما كان الاستئذان أمرا عظيما أكدده فقال (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) فالمستأذن مؤمن لا محالة والذاهب بغير إذن اذا استحل ذلك كان كافرا (فاذا استأذنتكم لبعض شأنهم) أى ما يعرض لهم من المهام (فأذن لمن شئت منهم) فؤض الله الأمر الى رأى رسول الله ﷺ فأذن يكون بعض الأحكام مقوضا الى رأى رسول الله ﷺ وبعضهم يقول - فأذن لمن شئت منهم - اذا وثقت بصدقه فى العذر . وهكذا الناس مع أئمتهم ومقدمهم فى الدين والعلم يظاهرونهم ولا ينفرت قون عنهم إلا باذن . ولقد كان المنافقون يوم الخندق يرجعون الى منازلهم من غير استئذان . وقال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة أن يشير بيده . قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بالاذن . واذا استأذن الامام إن شاء أذن وإن شاء لم يأذن وهذا كله اذا لم يكن حدث سبب يوجب عليهم الخروج والا فلا حاجة الى الاستئذان ثم قال تعالى (واستغفر لهم الله) بعد الاذن فان الاستئذان ولو عذر قصور (إن الله غفور) لفقرات العباد (رحيم) بالتيسير عليهم (لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) أى لاتجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمى بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذى سماه به أبواه فلا تقولوا يا محمد ولكن يابى الله أو يارسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المنخفض . وأيضا لا يجوز الاعراض عند دعائه لكم ولا المساهلة فى الاجابة ولا الرجوع بغير إذن . إذ المبادرة الى اجابته ﷺ واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم) أى يتسللون قليلا قليلا من الجماعة (لو اذا) ملاوذة بأن يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج فيروغ أحدكم فى خفية فيذهب * وقال ابن عباس يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أى يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير اذنه (أن تصيبهم فتنه) أى لثلا تصيبهم فتنه أى بلاء فى الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أى وجيع فى الآخرة . هذا ثم ان الله ذكر فى هذه الآيات انه يعلم الذين يتسللون لو اذا وذكر العلم هنا ايدان بالمجازاة على ما يفعلون فأعقبه الله بذكر أن علمه عام فكيف لا يعلم أحوالكم الخاصة فقال (ألا إن الله مافى السموات والأرض قد يعلم ما أتمم عليه) من الإيمان والنفاق والاخلاص وضده (ويوم يرجعون اليه) يعنى يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (وانه بكل شئ عليم) لا يخفى عليه خافية . انتهى التفسير اللفظى للقسم الثالث من السورة

(خاتمة)

هذه هي (سورة النور) ولقد تبدى لى بعد ما أتممت الكلام عليها أن أذكر كلاما عاما يرجع لعموم هذه السورة فأقول

انظرأيها الذكى كيف ذكر الله في هذه السورة الحد والقذف ورمى المحصنات الغافلات وملاءمة أخلاق الطيبين للطيبات والخبيثين والملاعنة والعفة وتحريم النظر للأجانب وحله للحرم والاستئذان عند الدخول وغير ذلك من الأحوال العارضة للإنسان . ولا جرم أن ذلك يدخل فيه علم القضاء فإن الملاعة وحده الزنا وحد القذف وما أشبه ذلك لا يكون إلا بأمر القاضى الذى نصبه الخليفة للحكم بين الناس . فانظر كيف فصل هذه الأحكام بما هو غريب عنها وأدخل في خلالها ما ليس منها وفاجأ القارئ بقوله - الله نور السموات والأرض - وبين كيف يكون الكافرون وأعمهاتهم كظلمات البحار المائجت فوق موجهن سحب ثم أتبع ذلك بذكر عجائب السحاب والبرق وكيف يختلف الحيوان في عدد أرجله وفي سيره فوق الأرض أو طيرانه في الجو . أما الذى لا بصيرة له فانه يرى أن ذلك مجرد اتفاق وأن وضع هذه الآيات أمر لا يرجع الى مقصد خاص وإنما هو من الآيات التى توضع وضعا لم يقصد فيه إلا مجرد الانتقال من حل الى حال ولكنى أقول لك ما أعلمه اعلم أن الله عز وجل لما خص هذه السورة بالأحكام الشرعية أراد عز وجل أن يبين لنا أن هذه الامور العادية المحيطة بنا لا ينبغي أن تكون هي المقصد الاسمى عندنا وكأنه يقول كيف تكون هي المقصد الاسمى وماهى إلا أمور يستوى فيها الكافر والمسلم والجاهل والعالم . وما الأحكام التى في القرآن إلا مهنديات لنفوس الناس حتى يعتدلوا في شهواتهم ويقفوا فيها عند حد خاص فلا يقذفون المحصنات الغافلات ولا يرمون زوجاتهم إلا اذا تحققوا ولا يتركون أبصارهم ترتع في شهواتها وتنظر لسكل غادية ورائحة من النساء حتى تحفظ قواكم العقلية فان هذه النفوس الانسانية أشبه بشمعة قد جعل فيها فتائل كثيرة وكلما زادت الفتائل فيها وانقادت كان ذلك أسرع ذهابا وأبلغ ضياعا وأقرب نفادها . وكلما قلت السرج المتقدمة منها كانت أطول عمرا . والناس اذا لجوا في طغيان شهواتهم وزادوا في غلوها واتبعوا خطوات الشيطان وأطلقوا لأسننهم العنان ولعبونهم النظر وما أشبه ذلك كان ذلك أذهب لرجحان عقولهم وأضع لنور أفئدتهم وأسرع هلاكهم لأبدانهم . فليحفظ الناس الألسنة وليعضوا الطرف الذى يشغل العقول بالصور الجميلة فتحول القوة العاقلة الى صور مضمحلة فيقل الادراك ويذهب نور الفطنة وتضمحل القوى العاقلة . وهكذا يجب على الناس أن يستأذنوا اذا دخلوا البيوت وأن يسلموا على أهل الدار وعلى أهل منزلهم هم أنفسهم لتزول الوحشة ويدوم الأنس وتحصل الألفة فيقوم العقل بما خلقه الله له من التفكير وهكذا تزوجوا الصالحين والصالحات للنكاح أحرارا وعبيدا لتصرف الشهوات الى ما هو نافع وليقوم الناس بما أعتوا له من النسل واكثره لتسعد الجمعية الانسانية . هذا هو المقصود من هذه السورة وفي أثناء ذلك قال الله تعالى يا كم أن تشغلكم هذه الامور عن العلوم والحكم والنظر فى جبالى وحسن صنعى فان اذكر في هذه السورة وغيرها من حفظ الفروج والآداب وحفظ النظر وما أشبه ذلك إنما هو لحفظ مدنهم وحسن معاشرتهم . وهذه ماهى إلا مقدمات لما هو أعلى (وبعبارة أجلى) ان هذه آداب والآداب مقدمات للعلوم لأن العلم لا يكون إلا اذا صفت النفوس ولاصفاء للنفوس والعقل مضطرب بالجدال والنقصان ونفور الجيران وشقاء النظرات وتفرق الخواطر بما تجلبه النواظر فاذا أزلت عليكم ما به تهدأ الخواطر وتقر النواظر ويستتب الامن فما أحرأكم أن تنظروا فيما زوقت وأبدعت وزينت ورقشت ونقشت فذلك هو المقصود وما سواه فاما هو تمهيد ومقدمات والمقدمات غير المقاصد

يا كم أيها الناس ان تظنوا أن القضاء وعلوم الشريعة كافيات لكم . كلا . إن هذه العلوم إنما أزلتها لحفظ النظام ولقد حفظت نظام النحل في خليتها والزنايم في بيوتها والغربان في أعشاشها وطيور الكراكى

في أسرارها والآساد في آجامها والحر الحبشية في جبالها ولم أذكر صغيرا ولا كبيرا في الخلق إلا جعلت له ناموسا معلوما وصراطا مستقيما يسير عليه - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أتم أمثالكم - علمتها أمور معاشها وأفهمتها كيف تلد وكيف تبيض وكيف تبني لها الأعشاش وأفهمتها كيف تكون سبل الحياة فإذا ظننتم أيها الناس انكم بمعرفة هذه الآداب قد زدت من هذه الحيوانات فانكم واهمون فوعزني وجلالي لن تفوقوها كالا ولن تعلموها علما إلا بنظركم في جلال واطلاعتكم على بهائي وكألي

إني أنا نور السموات والأرض ولن تعرفوا تنويري طما إلا بأمثال ضربتها لكم وآيات بينتها . فانخذوا من ظلمات الحياة نورا ومن الآلام المتراكمة في دنياكم نعيما واقروا وجود الكائنات وسطور الخالق وأفهموا من السراج المتقد في المساجد أمثلة تضيء لكم مشكلات الدجوات فتعرفوا أنوارى في ملكوتي فلا القضايا ولا اليبسات ولا الملاعنات ولا الحدود مقصودة من حياتكم وإنما هذه آداب أوجبت أن تكون لتنفرد غوا المعرفة آياتي في خايقتي . ومن ظن أن المقدمات مقاصد فقد جنى على عقله وعلى الجنس البشري أعظم جناية فإن الناس بهذه الشرائع لم يصلوا الى ملوصل اليه الحيوان في حسن نظام فكيف يظن الناس أن ذلك هو مقصود الحياة . إن الانسان عليه واجب عظيم هو انظر والفكر وأن يطير بأجنحة الحكمة وطيارات العلم الى جوق من النور بهيج . اني اشتق النور من الظلمات . ألم أجعل النور البرقي يلمع من خلال السحاب ذلك السحاب الذي جعلته متمما لظلمات البحار في دجوات الحياة . السحاب الذي زاد ظلمات الأمواج ظلمات قد أمرت البرق فلمع من خلاله وأشرقت أرجاء الأرض بأنواره . هكذا حياتكم الملوذة بالأخطار المدطمة في البر والبحر . اني لقادر أن أجعل النور يلمع من خلالها كما يلمع البرق من خلال ظلمات السحاب

إياكم أن تشغلكم الأحوال المنزلية والشهوات البهيمية والقضايا في المحاكم الاسلامية عن اطلاعكم على جلال وحسن صنعتي وجمال أعمالي الباهرات في هذه الدنيا وبديع نظامها وحسن تقديرها وبهجتها فإن السحب المظلمات يلمع النور من خلالها ؟ فم لا تشرق أفدتكم بنور المعرفة في وسط هذه الظلمات الانسية والحدود الشرعية والقضايا الاسلامية والعلوم الفقهية

أيها الفقهاء . لماذا أجزتم التأليف في الملاعة والحدود وأطلعتم تلاميذكم على حقائق القضايا وأنتم أجهل الناس بعلم السحاب والحيوان واختلاف أنواعه والطير صافات في جوق السماء . فلماذا أيها الفقهاء أجزتم تلك القضايا ووقفتم عندها مع أن القضاء فرض كفاية وتركتم النظر في معرفة أن - الله نور السموات والأرض - وتنوع الحيوان والطير الخ . أليس هذا كلام الله . أليس العلم بهذه المجائب واجبا على كل مسلم اذا كان قادرا لازدياد الايمان والشكر كما أوضحه الامام الغزالي وذكرته في (سورة المائدة)

ان علم القضايا ليس بواجب إلا على فئة قليلة . إن علوم الجلال الالهى غذاء للارواح والعقول وعلم الشريعة أشبه بدواء فكيف جعلتم الدواء في محل الغذاء والغذاء في محل الدواء

أما أن للمسلمين أن ينظروا فيما كتبناه . أما أن لهم أن يتدبروا ما ذكرناه . أما أن لائمة محمد ﷺ أن يرجعوا عن النهج الذي نهجوه . أما أن لهم أن يكفوا عن الجود ويوقفوا الأطفال على عجائب ما صنع الله في الأرض والسماء . أما أن لهم أن يقفوا أنفسهم بأجنحة من العلم والحكمة ليطيروا بها في جوق السماء الصافي . إن الله قد أذن للمسلمين اليوم أن يتبورا منازلهم بين الأمم وينالوا مكانتهم - ليظهره على الدين كله ونوكره المشركون -

(الجمال والنور في سورة النور)

تناسبت السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في اظهار الحقائق العلمية والبديع الحكيمية . فيها جاء ذكر خلق الانسان وأنه من نطفة فعلة فنفخة الخ . ذلك جاء في سورة الحج وفي المؤمنون . فأما في سورة

النور فقد فصل ما يحفظ حواسه وآدابه ﴿ وبيانه ﴾ أن هذا الانسان خلق من طين مغمورا في الهواء والضياء الأرض تحته والهواء يحيط به والضياء فوقه فكان من الحكمة أن لا يتخلو عالم من هذه العوالم من فائدة له .
فن الأرض أغذيته وفاكهته ومن الماء شرابه وظهوره وبالهواء تطهر دمه بواسطة النفس واعطاء دمه لون
الحرارة بما يتخالطه من مادة الاكسوجين التي يجلبها النفس من الهواء وحاسة اللمس تشعر بالحرارة والبرودة اللتين
يتصف بهما الهواء وحاسة الأذن قد اتخذته آلة توصل الصوت اليها من اللسان . فن اللسان حركات في الهواء
وبالهواء وصول تلك الحركات الى الأذن . الانسان لم يذر عالما مما أحاط به إلا انهز الفرصة للانتفاع به فلا أرض
ولماء ولاهواء ولاضياء إلا كان منه له منفعة لولاها لم يكن هذا الانسان ولا الحيوان . فترى الفم للغذاء والماء
فهو إذن معد لاستعمال ما يصل من الأرض والماء والأنف للهواء وهكذا الأذن للهواء أيضا من حيث حركانه
بأنواع الأصوات . والعين معدة لعالم النور الوارد من الكواكب ومن الأرض . اللهم إن هذا العالم جميل
ومن أعظم انعامك علينا انك أريتنا هذه العجائب التي يحجبها أولياقربها كثير من العقلاء لأن أكثرهم
غافلون . يعيش الانسان في الأرض ويرى الشمس والقمر والماء والهواء ولا يريد أن يدرس هذا الوجود ليعلم
مركزه فيه وليعلم نعمك علينا في هذا الوجود العجيب . مخلوق طوله ثمانية أشبار استخدم الأرض والماء
والهواء والكواكب . فرقت هذه العوالم على أعضاء حسه . ينظر الانسان الشمس اذا هي معدة للابصار
في العين كما أن الهواء معد لحاسة اللمس والشم والسمع وعالم الأرض الذي منه أغلب الأغذية جعلت له حاسة
الذوق التي تميز الخبيث من الطيب في الطعام والشراب . هذه الحواس الخمس كأنها نوافذ وفتحات منها يطل
الانسان على هذا العالم كله . كل ذلك تضمنه ما جاء في (سورة الحج) من خلقه من نقطة فعلقة الخ وما جاء
في (سورة المؤمنون) كذلك وقد جاء في آخر وصف خلقه - فتبارك الله أحسن الخالقين - فأحسن الخالقين
هو الذي خلق الانسان على هذا النقط بحيث يجعله مستفيدا من كل ما حوله من العناصر والمركبات . ولقد كان
من إحكام صنعه أن خلق له لسانا واحدا يعبر عما لديه من القوى فهو ترجان لكل ما يحس به ويعلمه
ويزاوله ترجان السمع والبصر والذوق واللمس وكان له آلة الابصار بها يدرك كل صورة تقع عينه عليها وكان
له أداة للتناسل وهي العورة في الذكران والاناث . إن أكثر الآثام في نوع الانسان يحدثها اللسان بالشم
والذم واذاعة الفاحشة والتعير وقذف المحصنات ويحدثها الفجور بالزنا . وما يعين عليه ويدعوله طموح
العين لما تراه من محاسن النساء . فكأن الله يقول في أول النور أيها الناس أنا صوّرتكم على أحسن صورة
وأكمل تكوين . فهذه الحواس جعلتها أدوات صالحة لأن تتخذوها وسيلة للهدى بأضواء الشمس والكواكب
والقمر ولتناولوا ما يصلح لأغذيتكم واقامة بيتكم وتشعروا بما حولكم من أصوات وصور وعوالم تحيط بكم ولم
أحرمكم منها كما حرمت السود الذي ألزمته أن يقنع بما حوله من الرطوبات . وهذا اللسان لم أجهله وسيلة للشم
والقدح بل خلقته لينشر العلم بينكم وأنواع المحبات . وهذه البنية زوّقتها وهندستها وأكثتها وجعلتها صالحة
لاحداث ذرية تبقى بعدكم حفظا لذكركم وعمرانا لأرضنا فليس من الحكمة أن تجعلوا الشهوة البهيمية مقاصد
وكيف تجعلون الوسائل مقاصد وما هذه الشهوات مقاصد فمن فعل ذلك ذلت نفسه وباء بالوبال . فإياكم والزنا
بل إياكم وكثرة تعاطي هذه الشهوات باتباع خطوات الشيطان . ولم أخلق الأعين فيكم لتقصروها على هذه
الشهوة الضئيلة . إنما خلقت العين لتعرفوا بها أنوارى وتتركوا جبالى وبهائى ومحاسن أرضى وسماوى فغضوا
الطرف عن النساء واقنعوا بمن عندكم من الحلال اللاتي يلدن منكم الذرية . أى عبادى أنتم ﴿ فريقان ﴾
فريق الأصفياء وفريق الأغبياء . أما فريق الأصفياء فهم أولئك الذين عرفوا أن نور السموات والأرض
فهرهم الجمال والبهاء في مشرقات الديجى والاصباح . أما فريق الأغبياء فهم أهل النار أولئك الذين أعطوا الأعين
والعقول والآذان فغضوا أنى أطلقتهم في أرضى كما أطلق الدواب فعكفوا على جنى الذات التي لم أخلقها فيهم إلا

لغاياتها فسارعوا اليها ووقفوا عندها وكلما نظروا في جبال النجوم وجبال الشمس وجبال القمر وجبال القمر والأشجار والأنهار لم تحدثهم نفوسهم بأكثر مما يعرفه الحيوان في البرية . وكلما سبحت لهم ساحة نحو العلا سلطت عليهم زبانية العذاب الجامعين في جبلتهم فضر بهم بمقامع الشهوات والعادات الحديدية فارتدوا على أدبارهم وعادوا لما نهوا عنه ورجعوا بخفي حنين فكانت نظراتهم لشهواتهم وأستهم عاكفة على أذى قومهم من رجال ونساء كأنحاب الإفك الذين ذقوا أم المؤمنين وبعض صلحائهم . أي عبادي أنا كافتكم بالصلاة وفي الصلاة تسبيح وتحميد والتسبيح تنزيه والتحميد ذكرى بنعمي فتعني تحيط بكم في الأرض وفي السماء . أنا نور السموات والأرض والأنوار ظاهرة لكم وباطنة في قوى الحيوان والنبات فأينما تولوا فثم جبال ونور . ترون في السماء بهجة النجوم وفي الجوف قوس قزح وفي الأرض أنواع الجبال في كل حيوان ونبات . أنا لم أحسن الصور في نوع الانسان لأجل التناسل فحسب . كلا . ألم تروا أن شهوة التناسل تفتت بعد الوقوع وعند الفتور تذهب نشوة اللذة بحمال الوجوه . إني نصبت ذلكم الفتور (الذي يعتورك بعد فراغكم من تلك اللذة) علما إيهديكم إلى المقصد الأعلى من جمال الوجوه الانسانية والجمال في العوالم العلوية والسفلية . إن بواهر الجبال في تلك العوالم داعيات تحثكم أن هلموا إلي وأقبلوا علي . هذا ما نقوله الشمس عند اشتراقها واتقمر عند بزوغه والنجم عند طلوعه والنهر وهو يجري والطائر وهو يطير . كل أولئك يا عبادي يدعونكم إلى العروج إلى العلا . ولن ينال هذه المنفعة منكم إلا أناس أدركوا مقاصدنا في حواسهم وغاية ما خلقت له فحسن لم نخاق العين لتعكف على النظرات الحيوانية والشهوات البهيمية . إذن لمن زينت النجوم ولمن عجمت الأشعة النورية ولمن نصبت الجبال ومحاسنها والأنهار وجواربها والحقول وأزهارها . أنا قرنت التسبيح بالتحميد في صلواتكم لتذكروا وتعلموا أنكم إن لم تنزهوا اللسان عن النطق بالقبيح والفرج عن الفاحشة والعين عن النظر المحرم فلا سبيل إلى أن تعرفوا وتفقهوا في نور السموات والأرض . إن عقولكم خزنت فيها صور كثيرة لا تحسرونها فإذا أخذتم تحدثون بكل ما لديكم شغلكم ذلك الحديث عن مواقع النجوم ومناهج العبر . هكذا إذا ظلمتم تفكهمون بشهوة الفرج صرفتم عقولكم وأضعفتموها بسبب النقص الدائم المتوافر في صحة أجسامكم بما تصرفونه لهذه الشهوة الضالة . ومتى ضعفت القوة العاقلة عجزت عن أن تدرك الجبال . لذلك شرعت لكم أن تقولوا في الصلاة في الجلوس بين السجدين ﴿رب اغفر لي وارحمني﴾ والمغفرة التامة إنما تكون بحفظ الألسنة وحفظ الشهوات فلا تصرف إلا بحساب إبقاء نصحتكم وحفظا لعقولكم فتكونون متخلفين بأخلاق فأنما منزّه عن الحوادث وأنتم منزّهون بقدر الاستطاعة عن العيوب . هنالك تنوافر الأسباب لا تدرك ما يحيط بكم من النور والجمال . أنا لم أحرم عليكم النظرات المحرّمة حرمانا لكم أو بخلا عليكم ولم أمنعكم من مقارنة الشهوات بخلا عليكم بخزائن ملكي . كلا . أنا أعطيتكم عقولا وأعطيت الحيوان البرية غرائز وأودعت في غرائزه أن لا يكون الوقوع إلا للولد ولم أجعل ذلكم في غرائزكم بل أعطيتكم عقولا وحرمت عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وأطلقتكم في الأرض فيقول قائل منكم لم منع ربنا عنا لذاتنا وأطلق الحيوان يتمتع بما شاء وهو يشاهد أن الحيوان ممنوع بغريزته وبولا ذلك المنع لما ضعف وهلك بكثرة الوقوع . ذلكم حاصل في بعض الحيوان في البرية . فأنما حرّمت عليكم الفاحشة بل طلبت منكم عدم الاسراف في جميع أحوالكم وجعلت عاقبة الاسراف ضعف أبدانكم وخسران عقولكم التي لا تستطيع عند الضعف أن تدرك الجبال الأعلى الدائم . ومن حفظ جوارحه من العين واللسان والفرج المذكورات في (سورة النور) فاني أحفظ له عقله وجميع قواه وأجعلها ذخيرة له في هذه الدنيا يزداد بها علما ويدبر أموره ويكون ذكي القواد قوي الذكاء . إن في افلات ما أخزنه في عقولكم بلا فائدة أشبه بمن يطلق ماء النهر فيغرق القرى ويضرها وحفظها أشبه بحفظ الماء في الأنهار حتى يصرف ماؤها عند الحاجة اليها . لهذا كان

الانسان مسؤولا عن عقله كما انه مسؤول عن أهله وعما يملكه من المال وما يملكه من الولد وعما يدبره من الممالك بل ذخيرة الانسان المسكونة في نفسه أقرب اليه مما عداها فان عجز عن حفظها وتركها تسرب الى الخارج بلا ضابط يضبطها ولا حافظ يحفظها تركته ماوما محسورا . إن آراء الانسان والصور المخزونة في عقله إن هي إلا أجنحة يطير بها الى سماء الكمال وباحات الجلال فاذا أهملها بقي مقصوص الجناحين ضائع القوى خاسر الصنعة فيرى بعيني رأسه أناسا مثله قد ارتقوا في أعمال دنياهم وأعمال آخرتهم بحفظ قواهم الباطنة بترك ما لا يعنى ولا يسكن في الجد وحفظ القول فلا ينطق إلا بما يفيد ولا يتكلم إلا بما ينفع . هنالك يكون قوله حكمة وإشارته غنما وسكوته فكر فلا يسكت ولا يتكلم إلا لفائدة ثابتة . إن الجنة والنار يتبعان الفكر والاعتبار كثرة وقلة . ألم تسمعوا قول الكفار - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير -

أي عبادي المسلمين . ربما يظن أحدكم انه خارج عن هذا القانون . كلا . - إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا - أنتم جميعا مسؤولون عن السمع والبصر والفؤاد . فالقلب أمانة أودعها عندكم وما العقل إلا نور انبعث من سماء الجلال وهو من نوري الذي انبعث مني في السموات والأرض فإياكم أن تعطوا له أو تشعروا أنفسكم بالحديث عما خزن فيه إلا لفائدة نافعة فأنتم عنه مسؤولون والبصر جعلته بابا تلج منه الصور وأنوارات عليكم بنور المشرق عليكم فاذا شغلتموه فيما يضعف قواكم البدنية من الصور الحسان لتبخر فائدة أوفيا لفائدة فيه حرمت النظر الى بهجة جمالي في سمواتي وأرضي فيكون أحدكم أيها المسلمون إذ ذاك قد خسر المدة الدنيا وهي الحيوانية واللذة العليا وهي اللذة الملكية بالنظر الى جمالي فيصبح الغافل منكم بالنسبة للعلم أشبه بالذرات (المكروبات) والحشرات التي تطوئها بأقدامكم فهي وإن كانت تشارككم في الحياة لم تشارككم في مزاج عقولكم وفضائل علومكم وبهجة نجومكم هكذا المفرطون في أسماعهم وأبصارهم وشهواتهم يصغر الناس اليوم جمالي وهم لا يبصرون ويتنهجون بحاسن سمائي وهم لا يبتهجون قلهم أسماع ولكن لا يعقلون ولهم أبصار ولكن لا يبصرون . فاذا ظننتم أيها المسلمون انكم بمنجاة من الحجاب وأن الحجاب إنما يسدل على الكافرين فقد أخطأتم المرمى ورجعتم بخفي حنين . ألم تقرأ في كتابي - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين - . أي عبادي . أنا لم أنزل القرآن وفقا على المعان المذكور في آية النور ولا على إقامة الحد على الزاني والزانية . إن هذه أحوال تعرض لكم مانعات من نظراتكم لجمالي فاذا جاوزتموها فهناك أفتح لكم أبواب - الله نور السموات والأرض - وأعرفكم معاني ما تسمعون وما تبصرون . هنالك تفقهون تسبيح الطير في جوار السماء وتدركون عجائب الحيوان وأسرار التي أودعها في غرائره وبهذا نفرحون - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون - انتهى

هذا ما فهمته في (سورة النور) يوم الخميس والجمعة وليلة السبت قبيل آخر سنة ١٩٢٨ والحمد لله

رب العالمين

﴿ سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية ﴾

(وهي ثلاثة مقاصد)

(المقصد الأول) في اثبات النبوة وفي جزاء المكذبين من هذه الأمة والأمم السالفة من أول السورة الى قوله - أولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا -

(المقصد الثاني) في المجازب الكونية من قوله تعالى - ألم تر الى ربك كيف مد الظل - الى قوله - أو أراد شكورا -

(المقصد الثالث) في الآداب والأخلاق من قوله - وعباد الرحمن - الى آخر السورة

(المقصد الأول)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا *
وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا * وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ
أُفْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا * وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أُكْتَتِبَتْهَا
فَهِيَ تُنْقَلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ
إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا * أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا * تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا * بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا
رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا
هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا * قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ
جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ
عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ

عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ
 مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَأَنْبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ
 بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا * وَمَا
 أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا
 بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا * وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا
 أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتْوًا كَبِيرًا * وَيَوْمَ
 يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا
 مِنْ عَمَلٍ نجعلنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا * أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا * وَيَوْمَ
 تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا * الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْخَلِيقِ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
 الْكَافِرِينَ عَسِيرًا * وَيَوْمَ يَبْصُرُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ
 سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي
 وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا * وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ
 مَهْجُورًا * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا *
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ
 تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا * الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى
 وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا
 مَعَ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا * فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا *
 وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا هُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا
 أَلِيمًا * وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرِّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ
 وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا * وَلَقَدْ أَنْوَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
 بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا * وَإِذَا رَأَوْكَ إِذْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوعًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ
 رَسُولًا إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ هَؤُلَاءِ لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ

مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا * أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ
أَنْ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا

التفسير اللفظي

(بسم الله الرحمن الرحيم)

نكاثري خبر الله وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في صفاته وأفعاله ودام وكل هذا معنى (تبارك الذي نزل الفرقان) وهو القرآن مصدر فرق بين الشيئين إذا فصل بينهما فانه نزل مفرقا وهو فصل بين الحق والباطل والحلال والحرام وتبارك كلمة تعظيم لم تستعمل إلا لله وحده والمستعمل منه الماضي وحده والبركة تتضمن معنى الزيادة كما تقدم ورثه على أنزله القرآن لما فيه من كثرة الخير وأولاد الله على تعالیه . ويقال أيضا دام كما تقدم من برك الطير على الماء ومنه البركة للماء فيها (على عبده ليكون) أي العبد أو الفرقان (العالمين) للجن والإنس (نذيرا) منذرا (الذي له ملك السموات والأرض) هو المتصرف فيهما كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) رد على النصارى (ولم يكن له شريك في الملك) رد على الثنوية وعلى عباد الأصنام (وخلق كل شيء) أحده (فقدرة تقديرا) هياه لما أراد منه من الخصائص . وقد تقدم في هذا التفسير من عجائب الخلق وبدائع الحكمة ما يدهش الأبواب ومن الخصائص العجيبة للإنسان والحيوان والنبات والكواكب ما يظهر به ابداع الخالق وعجائب صنعه جل جلاله وعز كماله وإلا إله هو . ولما أثبت التوحيد والنسبة بما تقدم أخذ يرد على منكريهما فقال في المشركين (وانخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) وذلك لأن العابدین لهم هم الذين يفتنونهم ويصورونهم (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) دفع ضرر (ولا نفعا) ولا جلب نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) ولا يملكون إمانة أحد ولا إحياءه ولا بعثه ثانيا . وقال في منكري النبوة (وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك) كذب مصروف عن وجهه (افتراه) اختلقه محمد ﷺ (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم اليهود أو عبید بن الحضر الحبشي الكاهن أو جبر ويسار وعداس بن عبید كانوا بمكة من أهل الكتاب فقال المشركون إن محمدا ﷺ يأخذ منهم وقد سبق في قوله تعالى - إنما يعلمه بشر - (فقد جاؤا ظلمًا وزورا) أي فقد جاء قائلو هذه المقالة بظلم وزور إذ سمووا كلام الله تعالى بالافك والافتراء (وقالوا أساطير الأولين) ماسطره المتقدمون (اكتبها) كتبها لنفسه أو استكتبها (فهى تلى عليه بكرة وأصيلا) ليحفظها فانه أمي لا يقدر أن يكرر من الكتاب (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض) ألا ترون انه أعجزكم جميعا بفصاحته واخباره بمغيبات مستقبله وأشياء لا يعلمها أحد . أفنزل هذا يكون أساطير الأولين . ولولا عفوه ورحمته لعاقبك ولكنه حلم عليكم (إنه كان غفورا رحيمًا) ثم أخذ يذكر الرد عليهم فيما اعترضوا به على نبينا محمد ﷺ (وقالوا مال هذا الرسول) مال هذا الذي يزعم انه رسول (يا أكل الطعام) كما نأكل (ويعشى في الأسواق) كما نمشي لطلب المعاش . يقولون إن صح دعواه فما باله لا يتخالف حالنا حاله (لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) أي داعيا وبذلك نعرف صدقه (أو يلقى إليه كنز) فيستغنى عن تحصيل المعاش (أو تكون له جنة يأكل منها) أي إذا لم يلقى إليه كنز أفلا يعيش عبثة المترفين أهل اليسر في الدنيا فيكون له بستان كما لهم بساتين وهذا يستلزم أن يكون في عيش رغد وسعادة جسمية وخدم وحشم حتى يكون ممتازا ولما لم يكن متصفا بأحد هذه لم يكن ما يدعيه من النبوة صدقا قائما هو رجل سحر عقله وغلب عليه وهذا قوله تعالى (وقال الظالمون) وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا للظلم عليهم (إن تتبعون) ما تتبعون (إلا رجلا مسحورا) انظر كيف ضربوا لك الأمثال (الاشياء التي لا فائدة منها وادعوا عليك الأحوال الشاذة النادرة (فضلوا) عن الطريق الموصل لما يجب أن يكون عليه الأنبياء (فلا يستطيعون سبيلا) الى النيل منك والى سبل الرشاد

(تبارك) تكاثر خبر (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو أن يجعل لك مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقوله (جنات) بدل من خيرا (تجربى من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة * ورد أن النبي ﷺ قال ﴿ عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ﴾ وفى رواية أخرى ﴿ لو شئت لسارت معى جبال مكة ذهبا الخ ﴾ وهؤلاء قوم لا يعرفون إلا الحياة الدنيا فقصرت أنظارهم عن الآخرة (بل كذبوا بالساعة) فقصروا أنظارهم على ما ظنوه سعادة وهى الشهوة فى الدنيا (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا شديدة يبتدىء فى الدنيا سببها وهو قصر النظر على الأمور العاجلة فيصمسون فى سجن الأعمال والآمال المحدودة (إذا رأتهم من مكان بعيد) أى إذا قابلتهم النار وكانت برأى الناظرين فى البعد (سمعوا لها تغيظا وزقيرا) أى سمعوا صوت غليانها كأنه صوت المتغيظ والزافر (وإذا ألقوا منها) من النار أى فيها (مكائا) فى مكان (ضيقا) لزيادة العذاب عليهم (مقرتين) أى مسلسلين مع الشياطين (دعوا هنالك) فى ذلك المكان (ثبورا) هلاكا كما يمتنون الهلاك وينادونه ويقولون يا ثبوراه أى تعال فهذا حينك ويقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحدا) هلاكا واحدا (وادعوا ثبورا كثيرا) لأنه كلما نصجت جلودكم بدلتكم جلودا غيرها ولأن أنواع العذاب كثيرة (قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون) أى الذى ذكرت من صفة النار خيرا الخ (كانت لهم جزاء ومصيرا) أى كانت لهم فى علم الله جنة الخلد ثوابا ومرجعا (لهم فيها ما يشاؤون) أى إن جميع المرادات انما تحصل فى الجنة وهناك لا تنتهى طائفة إلا ما يناسب حال كونهم (خالدين كان) ما يشاؤون (على ربك وعدا مسؤولا) موعودا مسؤولا سألهم الناس فى دعائهم إذ قالوا - ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك - والملائكة إذ قالوا - ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم - وقوله - على ربك - يفيد معنى امتناع الخلف (ويوم يحشرهم) للبعث (وما يعبدون من دون الله) وهم المعبودون من الملائكة والمسيح وعزير والأصنام وغلبها فى التعبير بما سينطقه الله الذى أنطق كل شئ كما ينطق الأيدى والأرجل (فيقول) للمعبودين (أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) لاخلالهم بالنظر والاعتبار بالعقول والاعراض عن الهداة . وقوله - ضلوا السبيل - أى عنها وقد تركوا الجار كما تركوه فى هده الطريق والأصل الى الطريق (قالوا سبحانه) تعجبا مما قيل لهم أو تنزيها لله عن الأنداد وايدانا بأنهم مسبحون إما بالقول كالملائكة والأنبياء وإما بلسان الحال كالأصنام (ما كان ينبغى لنا) ما كان يصح لنا (أن نتخذ من دونك من أولياء) أى أن نوالى أعداءك بل أنت ولينا من دونهم (ولكن متعتهم وآباءهم) بطول العمر والصحة والنعمة فى هذه الدنيا (حتى نسوا الذكر) تركوا توحيدك وطاعتك والمواعظ والایمان وغفلوا عن ذكرك (وكانوا قوما بورا) هلكى غلب عليهم الشقاء والخذلان (فقد كذبوكم) أى كذبكم المعبودون أيها المشركون (بما تقولون) انهم آلهة (فما تستطيعون صرفا) دفعا للعذاب عنكم (ولا نصرا) يعينكم عليه . ومعلوم أن المحارب تكون نجاته إما بالهرب وإما بالنصر على عدوه وهؤلاء لانصر لهم ولا انصراف فهم معذبون لاحالة . ثم خاطب الله الناس كلهم قائلا (ومن يظلم منكم ندقه عذابا كبيرا) وهى النار الخالدة . وهذا القول عام لكل ظالم بكفر أو فسق . ولكن العلماء يختلفون فى الفاسق فمنهم من يجعله كالكافر وهم الخوارج والمعتزلة وبقية العلماء يقولون « ان الفاسق بالتوبة يغفر له بشرطها كلها وكذا بالغفو » (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) هذا جواب لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام - الخ . يقول الله - وما أرسلنا قبلك - يا محمد إلا رسلا - انهم ليأكلون الطعام - الخ . فهدف الموصوف لدلالة المرسلين عليه وأقيمت الصفة مقامه أى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن - وما أنا إلا رسول - وما كنت بدعا من الرسل - وهم كانوا بشرأ مثلى يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق (وجعلنا بعضكم) أيها الناس (لبعض فتنة) ابتلاء فابتلينا الفقراء بالأغنياء والمرسلين

بالمرسل اليهم ومناصبتهم لهم العداوة وايدائهم (أتصبرون) أى وجعلنا بعضهم لبعض فتنة تعلم أيكم يصبر وفيه حث على الصبر على ما افتدوا به (وكان ربك بصيرا) لمن صبر ولمن جزع * في البخارى ومسلم أن النبى ﷺ قال (إذا نظر أحدكم الى من فضل عليه بالمال والجسم فليستظر الى من هو دونه فى المال والجسم) لفظ البخارى ومسلم (انظروا الى من هو أسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أى لا يأملون الوصول الى جزائنا (لولا) هلا (أنزل علينا الملائكة) رسلا دون البشر أو شهودا على نبوته ﷺ (أو ترى ربنا) جهرة فيخبرنا برسائه (لقد استكبروا فى أنفسهم) أى أضمرُوا الاستكبار عن الحق (وعتوا) وتجاوزوا الحد فى الظلم (عتوا كبيرا) أى انهم بلغوا غاية الاستكبار إذ عابثوا المجهزات الظاهرة فأعرضوا عنها وطلبوا ما تشاق الى الأنفس القدسية . واذكر (يوم يروى الملائكة) وهو يوم الموت ثم أخبر فقال (لابشرى يومئذ للمجرمين) أى لهم وانما وضع الظاهر موضع المصمر لوصفهم بالاجرام (ويقولون) أى الملائكة (سجرا محجورا) حراما محرما عليكم البشرى أى جعل الله البشرى حراما عليكم وانما البشرى للمؤمنين وهذا من المصادر المنسوبة بأفعال متروكة اظهارها (وقدما الى ما عملوا من عمل) أى وعمدنا الى ما عملوا من أعمال البر التى عملوها فى حال الكفر (لجعلناء هباء منثورا) باطلا لا ثواب له . والهباء ما يرى فى الكوة كالغبار اذا وقعت الشمس فيها فلا يمس بالأيدى ولا يرى فى الظل والمنثور المنفرد وكذلك ما يسقط من حوافر الدواب عند السير من الغبار يقال له هباء (أنحباب الجنة يومئذ خير مستقرا) أى خير مكانا يستقرون فيه من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقبلا) أى مكانا يستروح فيه بالأزواج والنوع بهن وذلك مجاز من مكان القبولة وفى ذلك رمز الى ما يترتب به مقيلهم من حسن الصور وغيره من الحسن * ويقال ان أهل الجنة لا يموت بهم يوم القيامة إلا قدر ما هو من أول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم فى الجنة * ويروى أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر الى غروب الشمس (ويوم تشق السماء بالغمام) بسبب طلوع الغمام منها وهو المذكور فى قوله تعالى - هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة - (ونزل الملائكة نزيلا) فى ذلك الغمام بصحائف أعمال العباد فتشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر من فى الأرض من الانس والجن . ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر من فى السماء الدنيا ومن الجن والانس . ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التى تليها ، ثم تنزل الكروبيون ثم حلة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أى الملك الذى هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة فلا ملك يقضى غيره يوم القيامة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا (ويوم يعص الظالم على يديه) عصا اليمين كناية عن العيظ والحسرة لأن عصا اليمين من روادف الحشرات وأل فى الظالم للجنس فيتناول عقبة بن أبى معيط الذى كان سبب نزول الآية وغيره (يقول باليتنى اتخذت) فى الدنيا (مع الرسول سبيلا) طريقا الى النجاة والجنة وهو الايمان (ياويلنا) * وقرئ - ياويلنى - لأن الرجل ينادى ويلته وهى هلكته يقول لها تعالى فهذا أوانك (ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن الاعلام والمراد كل خليل يصعد عن الهدى ويوقع صاحبه فى الردى . فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه . ومن الأخلاء الشياطين فلا فرق بين شياطين الانس وشياطين الجن ومن هؤلاء الأخلاء أبى بن خلف . وذلك أن عقبة بن أبى معيط كان يكثر محالة النبى ﷺ فدعاه الى ضيافته فأبى أن يأكل من طعمه حتى ينطق بالشهادتين ففعل ، وكان أبى ابن خلف صديقه فعاتبه فقال صأبت فقال لا والله ولكن أبى أن يأكل من طعمى وهو فى بيتى فاستصيت منه فشهدت له فقال لا أرضى منك إلا أن تأتية فتطأ قفاه وتبرق فى وجهه فوجدته ساجدا فى دار الندوة ففعل ذلك فقال ﷺ لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله .

وأما أبي بن خلف فقتله النبي ﷺ بيده يوم أحد . ثم قال الله تعالى (لقد أضلني) أي الخليل (عن الذكر) أي عن ذكر الله أو القرآن (بعد إذ جاءني) من الله (وكان الشيطان) أي خذله لأنه واحد من شياطين الانس والجن (للإنسان) المطيع له (خذلوا) يواليه حتى يؤديه إلى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه (وقال الرسول) محمد ﷺ يوم القيامة أوفى الدنيا يفتشكوا إلى الله (يا رب إن قومي) قريشا (اتخذوا هذا القرآن مهجورا) بأن تركوه وصدوا عنه . مأخوذ من الهجران وفيه تخويف أقومه وماشكا نبي قومه إلا حل بهم العذاب ثم أقبل الله عليه مسلما فقال (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي قومك جعلنا لكل نبي الخ والعدو يحتمل الواحد والجمع أي لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهذا قوله تعالى (وكفى بربك هاديا) إلى طريق قهرهم (وانصيرا) لك عليهم (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جلة واحدة) أي هلا أنزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما أنزل التوراة والإنجيل والزيور (كذلك) يقول الله إجابة لهم أنزل كذلك أي مفردا في ثلاث وعشرين سنة (لنثبت به فؤادك) لنقوي به قلبك فتعيه وتحفظه فإن الكتب السابقة نزلت على أنبياء يقرؤون ويكتبون وهذا القرآن نزل على نبي أمي لا يكتب ولا يقرأ فلو ألقى عليه جلة واحدة لم يستتب له فإن التلف لا يأتي إلا شيئا فشيئا . وأيضا نزل القرآن بحسب الوقائع فذلك يوجب زيادة البصيرة وغوصا في المعاني ونزوله منجما يتعدى بكل نجم فيجزون عن معارضته فيزيده ذلك قوة في قلبه ومن ذلك معرفة الناسخ والمنسوخ . ولقد عرفت حكمة الناسخ والمنسوخ في هذا التفسير في سورة البقرة فاقراء هناك . ثم قال تعالى (ورتلناه ترتيلا) قرأناه عليك شيئا بعد شيء على تودة وتمهل والترتيل التبيين في ترسل وتثبت ويقال فرقاه تفريقا آية بعد آية (ولياتونك بمثل) سؤال عجيب كأنه مثل في البطلان أي يضربونه لك في إبطال أمرك (الإجشاك بالحق) الدافع له في جوابه (وأحسن تفسيراً) وبما هو أحسن بيانا أو معنى من سؤالهم وقال تعالى (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يساقون ويحشرون على وجوههم الخ مبتدأ خبره (أولئك شر مكانا) أي منزلا ومصيرا (وأضل سبيلا) أي أخطأ طريقا وكأنه قيل انه ماحلهم على هذه الأسئلة إلا تحقير مكانه ﷺ وتضليل سبيله وهم لا يعلمون حالهم فليعلموا أنهم - شر مكانا وأضل سبيلا - وقوله تعالى - يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ قد ورد في الحديث ما يناسب ذلك وهو قوله ﷺ (يحشر الناس يوم القيامة على ثلاثة أصناف صنف على الدواب وصنف على أرجلهم وصنف على وجوههم قيل يارسول الله كيف يشون على وجوههم فقال عليه الصلاة والسلام الذي أمساكم على أقدامكم بمشيمهم على وجوههم) . ولما كان من عادة الله تعالى أن يذكر نبيه ﷺ أحوال الأمم السالفة مع أنبيائها ليكون ذلك أنسا لقلبه ونبراسا للمصلحين من أمته أردف ذلك بذكر موسى ونوح وعاد قوم هود وثمود قوم صالح وأصحاب الرس قوم شعيب وذلك لأنه ذكر انه جعل - لكل نبي عدوا من المجرمين - وأن الله يهدي الأنبياء وينصرهم . فهنا أخذ يبين كيف نصرهم الله على أعدائهم وهداهم إلى ذلك النصر ولارشاد أمهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) يوازره في الدعوة وإعلاء الكلمة مع مشاركته له في النبوة والشرى كان في النبوة متوازان فيها (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) وهم فرعون وقومه (فدمرناهم تدميرا) أي فذهبا إليهم فكذبوهما فدمرناهم . هكذا هؤلاء أرسلتك إليهم بالحمد فان كذبوك فاني أدمرهم تدميرا وقد تم كل ذلك (وقوم نوح لما كذبوا الرسل) لأنهم بكذب نوح قد كذبوا سائر الرسل لأن دعوتهم واحدة (أغرقناهم) بالطوفان (وجعلناهم) وجعلنا اغرقهم أوقصتهم (للناس آية) عبرة (وأعتدنا للظالمين) من كل أمة (عذابا أليما) كما عذبنا هؤلاء (و) أهلكنا (عادا وثمود وأصحاب الرس) هم قوم كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيبا فكذبوه فبينما هم حول الرس (البر المطوية)

انهارت نخسف بهم وبديارهم (و) أهلكنا (قرونا) أى أمما (بين ذلك) المذكور (كثيرا) لايعلمها
الا الله أرسل اليهم أنبياء فكذبوهم فأهلكوا * قيل القرن سبعون سنة وقيل مائة وعشرون سنة (وكلا
ضربنا له الأمثال) بينا له القصص الحجيبة من قصص الأولين انذارا واعذارا فأصمروا على الاستكبار والكفر
فهلكوا وهذا قوله تعالى (وكلا تبرنا تنبيرا) فتننا تفتينا ومنه التبرلقات الذهب والفضة (ولقد أتوا) يعنى
قريشا مرورا مرارا فى متاجرهم الى الشام (على القرية التى أمطرت مطرا سوء) وهى سدوم التى هى أعظم
قرى لوط وقد أمطرت عليها الحجارة (أفلم يكونوا يرونها) اذا مروا بها فى أسفارهم فيعتبروا ويتعظوا .
ولاجرم أن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم فى ممرهم الى الشام (بل كانوا لا يرجون نشورا) لا يخافون
بعثا أولا يأمّلون نشورا كما يأمّل المؤمنون (واذا رأوك ان يتخذونك إلا هزوا) ما يتخذونك إلا موضع هزؤ
أو مهزؤ به إذ كلن أبوجهل اذا مرّ مع أصحابه قال مستهزئا (أهذا الذى بعث الله رسولا * إن كاد) أى انه
كاد (ليضلنا عن آلهتنا) ليصرفنا عن عبادتها (لولا أن صبرنا عليها) أى على عبادتها أولولم نصبر على عبادتها
لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) فى الآخرة عيانا (من أضل سبيلا) أى أخطأ طريقا
(أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أى من أطاع هواه فيما يفعل وفيما يترك فهو عابده وجاعله إلهه . يقول الله لرسوله
ﷺ هذا الذى لا يرى معبودا إلا هواه كيف تستطيع أن تدعوه الى الهدى وتحفظه من متابعة هواه وعبادة
ما أدّى اليه هواه فتكون عليه موكلا فتصرفه عن الهوى الى الهدى فاعليك إلا البلاغ وهذا قوله تعالى
(أفأنت تكون عليه وكيلًا) * يقال ان الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد حجرا فاذا مرّ بحجر أحسن منه
ترك الأول وعبد الثانى * وقال الحسن « هذه الآية فى كل من اتبع هواه » ثم قال تعالى (أم تحسب أن
أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) أى بل أنحسب أن أكثرهم يسمعون
ما نقول سماع طالب الافهام أو يعقلون ما يعاينون من الحجج . وهذا الذم أعظم مما تقدم فكأنهم لاسمع لهم
ولا عقل حتى شبههم بالأنعام فى عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكر بل هم أضل من
الأنعام لأنها تهتدى لمراعبيها ومشاربيها ونقاد لأربابها الذين يتعاهدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق
الحق ولا يطيعون ربهم الذى خلقهم ورزقهم * ويقال ان الملائكة روح وعقل والبهائم نفس وهوى والآدمى
مجمع الكل فان غلبته النفس والهوى فضله الأنعام وان غلبته الروح والعقل فضل الملائكة الكرام . انتهى
التفسير اللفظى للقصد الأول من السورة وفيه لطائف

- (١) فى قوله تعالى - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الخ
- (٢) وفى قوله - وخلق كل شئ فقدره تقديرا -
- (٣) وفى قوله - ولا يعلمون موتا ولا حياة ولا نشورا -
- (٤) وفى قوله - وقالوا ما هذا الرسول يأكل الطعام -
- (٥) وفى قوله - لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا -
- (٦) وفى قوله - أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل * قالوا سبحانك - الى قوله - ولكن
متعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -
- (٧) وفى قوله - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون -
- (٨) وفى قوله - وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -
- (٩) وفى قوله - ويوم تشق السماء بالغمام -
- (١٠) وفى قوله - ويوم يعض الظالم على يديه - الخ
- (١١) وفى قوله - وقال الرسول يارب إن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا -

(١٢) وفي قوله - وكذلك جعلنا لكل نبيّ عدوّاً من المجرمين -

(١٣) وفي قوله - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم -

(١٤) وفي قوله - أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً -

(١٥) وفي قوله - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً -

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً - ﴾

نقّصم أن معنى تبارك يشمل تكاثر الخير والدوام والتعالى على كل شيء فهو عال في صفاته وأفعاله ودائم .

فانظر الى الصفات التي ذكرت في حيز هذا الفعل اذا هي

(١) انه نزل الفرقان على النبي ﷺ لينذر الناس

(٢) وانه له ملك السموات والأرض

(٣) ولا ولد له

(٤) ولا شريك له

(٥) وانه خلق كل شيء

(٦) وانه قدره تقديراً وجعله على أبداع وأتقن الأوصاف

فهذه الأوصاف هي الخير كله والبركة من نور ينزل الى الارض وهداية الناس وملك يعم سائر الكائنات

وجميع الملوك خاضعة له وليس له ضد ولا ولد لأن الولد لمن يغني فيقوم مقامه والشريك يدل على قوة مقاومة

وليس الانفراد بالملك وعدم المنازع وعدم الفناء الذي دل عليه انه لا ولد له بمعنى عن انه قادر على خلق كل شيء

فربما كان مالكا لكل شيء دائم الوجود لاضد له ومع ذلك لا يقدر على خلق كل شيء بل ربما كان هذا الملك

قد أخذه اغتصاباً فقال - وخلق كل شيء - فكل ما يملكه في السموات والأرض هو خلقه لا أنه أخذه عن

غيره ولم يخلق الأشياء اعتباطاً بل جعل لكل شيء قدراً مقدوراً وحداً محدوداً ونظاماً ثابتاً وهذا هو السبب

في بقاء ملكه ودوامه لأن دوام الملك على مقتضى النظام - فكما اختل النظام كان زوال الملك أسرع وكما

كان النظام أتم كان الملك أديم ولذلك يقال « ان العدل أساس الملك » ويدل على ذلك الدائرة المشهورة

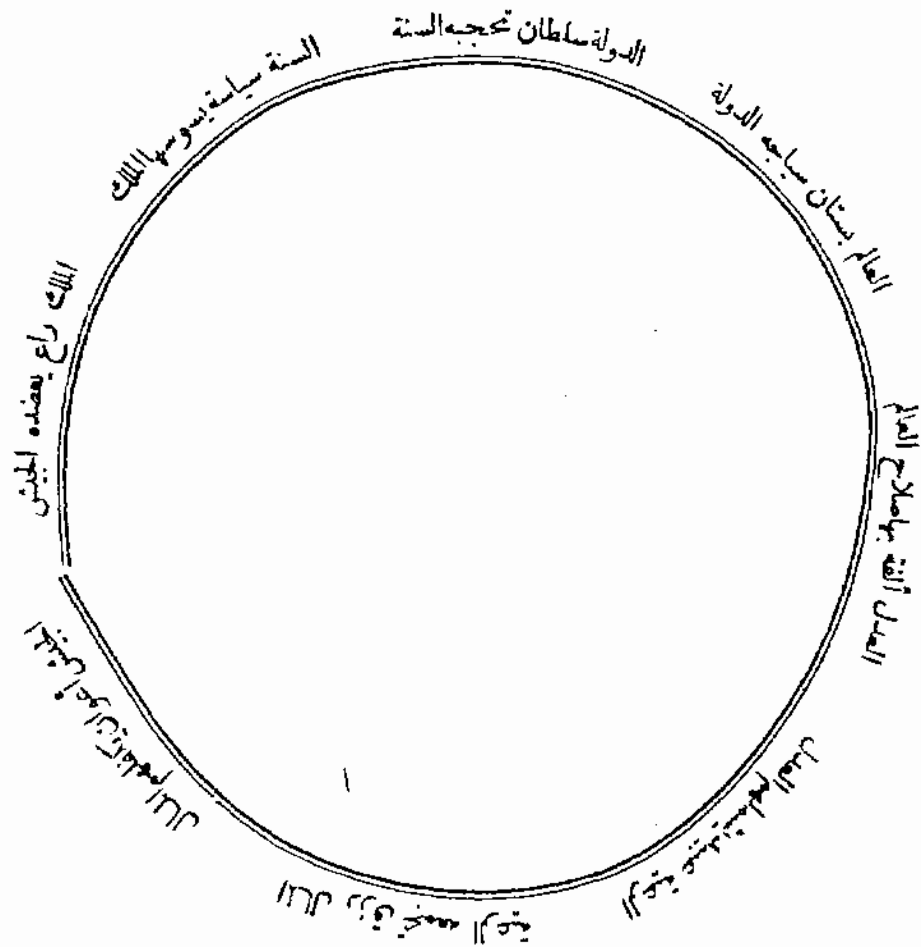
المثمنة الكلمات التي أرسلها (أرسطاطاليس) الى الاسكندر المقدوني تلميذه لما فتح بلاد فارس ورأى أن الناس

تقدم للاسكندر الهدايا المالية والتحف الغالية والذخائر الثمينة من الجواهر والأحجار الكريمة فرأى أن هديته الى

تلميذه الملك يجب أن تكون أرقى من كل شيء وذلك هو العلم فكتب له دائرة فيها ثمان كلمات يرجع آخرها

الى أولها وأولها الى آخرها كما يرجع هذا الكون كله الى دائرة يتوقف أولها على آخرها وآخرها على أولها

وهذه صورتها



وقد تقدمت هذه الدائرة في (سورة آل عمران) وأعدناها هنا لما تراه من الشرح عليها . ويقال أيضا ان (أرسطاطاليس) أوصى أن تكتب هذه الكلمات الثمان على مدفنه في جهاته الثمان . هذه هي الكلمات الثمان وهذه هي الوصايا التي عرف الناس قديما أن لبقاء الملك إلا بها . فتأمل أيها الذكي وانظرو تفكرو وقل لي أأنت ترى أن الملك مضطر إلى شريعة وإلى جيش والجيش إلى مال والمال إلى رعية والرعية إلى العدل والعدل إلى دولة والسلطة إلى سلطة وقوة والسلطة والقوة تحتاج إلى قانون والقانون إلى الملك . فانظر أأنت ترى أن الفلاح محتاج إلى رئيس الدولة ورئيس الدولة محتاج إلى الفلاح . أأنت ترى أن الناس في الحقيقة يحكم واحد . وكما أن العين لا بد لها من رجل ويد فاليد لا تكون والرجل لا تنقل بلا عيون مبصرة . إن الأمم لأحياة لها إلا بنظام تام ودوام الملك على حسب ثبات النظام ولذلك نجد الأمم كلما اختلف نظامها أسرع فناؤها هذا في ممالكنا الأرضية . ولتعلم أيها الذكي أننا لم نكوّن دولا ولم نقم بممالك إلا على مقتضى القانون الإلهي فان الأدنى تبع الأعلى ولما كنا عبيد الله وضع في نفوسنا قوانين الحياة والنظام ولكنه أعطانا القوانين على حسب قابليتنا . فكما ارتقت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أتم . وكلما ضلت العقول والأخلاق كان نظام دولنا أضعف وأقرب إلى الزوال . انظر بعقلك إلى نظام النمل والنحل والزناير وكلاب البحر والغربان وكثير من الطيور والسماك في البحر وكثير من الحشرات . ألم تر أن الله أعطاهما نظاما ثابتا بإلهام لا بتعليم فدام نظامها على مقتضى إلهامه . أما الإنسان فإنه هو الوحيد الذي أمر أن يقتني آثار الحكماء والعلماء ويفكر فإن شاء صار أقل من تلك الحيوانات وإن شاء صار قريبا من الملائكة

﴿ اعترض على المؤلف ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع بعض الفضلاء على هذا فقال يا عجبا كل العجب نحن في مقام ان الله له ملك السموات والأرض وليس له ولد ولا شريك وانه خلق كل شئ فقدره تقديرا . فإنا وما لأرسطاطاليس ونظام دول الأرض ونظام النمل والحشرات والطيور . يا عجبا كل العجب . إن الناس يقولون فيك انك مغرم بالبحث في الحيوان وفي الكواكب . فأنت في كل مقام وبأدنى مناسبة ولأقل سبب ترجع الى ما اعتدته ويظهر أن مسألة التفسير وغيرها ترجع الى أذهان المفسرين والمؤلفين لا الى القرآن والا فلماذا نراك دائما نخوض في مواضع لا علاقة لها بتفسير القرآن

فأين التريا وأين الثرى * وأين معاوية من على

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

غيره

فقلت له يرحمك الله لا تجعل على قبيل أن أبين لك ما أريده . هأنذا ذكرت لك نظام الدول وأنها كلها كانت أقوى نظاما كانت أدوم . وأقرب شاعدا على ذلك كلام (أرسطاطاليس) وهذا ملكنا الصغير فانظر الى ملك الله الكبير . أأنت ترى انه دائم . أولست ترى أن الشمس والقمر والكواكب والنجوم والانسان والحيوان بين يديك . أأنت تقرأ في الكتب أن هذه الدنيا كانت من أزمان قديمة مسكونة بأهل وأن هذه الشمس وهذه النجوم كانت موجودة . قال بلى . قلت فهذا الدوام ناشئ من حسن النظام وقد جعلنا الدوام راجعا لحسن النظام فلولا حسن النظام في هذا الوجود لاختل ولا نهضت الأرض والسموات كما تخرب الدولة بسوء سياستها . فكيف يمكننا أن نعرف أن نظام الله لا يضارعه نظام إلا بهذه الموازنة إذ أننا نرى دولا تسقط سريعا بسوء نظامها وأما تبقى مئات السنين لحسن نظامها والتاريخ وعلوم السياسة كافلان بذلك . ثم أننا نجد نظاما ثابتا لا يتبدل ولا يتدور ولا يتداعى ولا يسقط فاذا هو نظام الله فقلنا ان هذا النظام بديع فوق كل نظام . أننا ونحن على هذه الأرض ضعاف مساكين جهال فاذا ادعينا أن نظام الله عظيم يقال لنا وكيف تحكمون بذلك وأنهم عبيده قصار الأعمار فلتحكمم بالتأني ونوازن ملككم بملكنا ونظامه بنظامنا فاذا وجدنا دولنا تتسارع الى الفناء وملككم قائم شامخ لا ينقضي ولا ينهدم ولا ينساقط ووجدنا شمسهم وقرهم وكواكبهم ساطعة رائحة غادية دائرة ساهرة جادة لانام ولا تغفل عرفت أن ذلك الملك الدائم دال على نظام فوق كل نظام وبهذا وحده نفهم هذه الآية . فاذا قيل لنا انه له ملك السموات والأرض ولوالده ولانده له وانه خالق كل شئ فهذا كله لا يعطينا أن الملك دائم فلما قال - فقدره تقديرا - عرفنا دوامه ولا يستبين لنا ذلك إلا بما قدمناه وبهذا نعرف قوله - تبارك الذي بيده الملك - فهذا معنى تكاثر خبره ومعنى دوام خبره

فلما سمع صاحبي ذلك قال اقد أحسنت صنعا وأجدت معنى وأرينا ما نكن لتوقعه وكأنتك بذلك ترينا أن مثل هذه الآية داعية الى النظر في أمور الأمة . قلت ولم لا يكون ذلك ونحن أمرنا أن نتخلق بأخلاق الله وقد جاء في القرآن - إن ربي على صراط مستقيم - فهذا من صراطه المستقيم وقد أمرنا ان نقول في الصلاة - اهدنا الصراط المستقيم - والسكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فكأننا أمرنا أن نسير على صراط الله المستقيم . ولقد صرح بذلك في آية أخرى فقال - وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله - فهذه الآية تدعو حثنا الى أن نأخذ وحذو خالق العالم في حسن النظام والتقدير واعلم أن فهم مثل هذه الآية يحتاج الى علوم الأولين والآخرين فان قوله - وخالق كل شئ فقدره تقديرا - تدعو الى البحث في كل شئ . تدعو الى البحث في الأنهار . في المزارع . في أضواء الشمس . في نفس الشمس وفي القمر وفي الكواكب . انظروا انظروا وتعبوا . انظروا الى الدائرة التي سبق ذكرها في كلام (أرسطاطاليس) فانظر كيف جعل الأمة قد ارتبط بعضها ببعض وأنت متى تأملت العالم كله وجدت على مثل هذا النظام والتقدير

ترى ضوء الشمس يحرك البخار من البحار ويحرك الهواء في الجو فيصير الهواء ريحا هاية ويحمل البخار ويسير به بين جبلين يحفظاه وهو جار حتى يحمل البخار الى عشرات الأميال بعيدا عن البحر فيسقط مطرا على الأرض ويكون هناك الحب فينبث . والشمس التي أثار البخار وحركت الرياح هي بعينها تلح على الحب وعلى الأرض فتنبث ونخرج حبا آخر والشمس لانزال تلح بأشعتها فيخرج الحب فيأكله الناس . ولا حياة للناس ولا للنبات ولا للحيوان إلا بالماء والرياح التي تهب من وقت لآخر ثم يصير الماء الذي في أرض الزرع وفي أجسام الناس بخارا يصعد الى الجو فيرجع مطرا وهكذا تلك الرياح لانزال دائرة . ولقد تقدم أن تنفس الحيوان لا بد منه في بقاء النبات وتنفس النبات لا بد منه في بقاء الحيوان فهناك تبادل سبق ايضاحه بحيث لا يعيش الحيوان ولا يعيش النبات إلا اذا كان كل منهما موجودا على الأرض . وهكذا أيضا غذاء الحيوان لا بد من أن يكون نباتا والا هلك وسداد النبات يكون من الحيوان والانسان متوقف عليهما والجميع متوقفون على الرياح والماء وهما متوقفان على الشمس والشمس لا بد من سيرها وسيرها متوقف على شمس أخرى تدور حولها والشمس الأخرى تدور حول أخرى وهنا انقطع علم الناس . فاذا قال (أرسطاطاليس) هنا ثمان كلمات قلنا هناك كلمات لانعصى . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا .

بمثل هذا فليدرس هذا القرآن وليدرس الناس هذا النظام العجيب والافلامعنى للحياة . فبمثل هذا فليعرف الناس تقدير الله لملك وكيف قال تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - فالتقدير يعرف في الكلمات وفي الجزئيات . فأما الجزئيات فقد تقدم في هذا التفسير ما فيه مقنع لليب . ولقد ذكرنا فيه نظام الانسان والحيوان والسموات والارض وكلها في من كل فن ولم نذكر النحل ولا النمل ولا العنكبوت إلا كتبنا في عجائبا فبعضها قد كتبناه فيما مضى وبعضها سيكتب إن شاء الله ان دامت الحياة في حينه متى وصلت اليه ومن درس الدوائر التي في الانسان من دائرة العقل الى دائرة التنفس الى الدائرة الدموية الى الدائرة الغذائية رأى تعاونها بديعا جدا فان العقل به يدار نظام الجسم فاذا مست النار الجلد أسرع الانسان الى مجانبته وذلك بالحواس وهي هنا حاسة اللمس واذا جاع الانسان احتال في طلب الغذاء وذلك بالعقل والحواس والجوارح . ثم ان دائرة التنفس تدخل الهواء في الرئتين فيصلح الدم ثم يخرج من الفم حاملا الكربون أي للمادة الفحمية ليدفعها الى الهواء وهذه المادة الفحمية تذهب الى النبات فتغذيه فهي ضرر في الانسان منفعة في الحيوان . ثم ان الدائرة الدموية التي أصلحها التنفس عبارة عن دم يجري في الأذين الأيمن والبطين الأيمن والأذين الأيسر والبطين الأيسر في القلب فالقلب عبارة عن (أربع تجاويف) اثنتان أعليان واثنتان أدنيان . ويقابل في الرئتين الهواء الجوي فيصلح ويرجع للقلب ويتفرع للشرايين الممتدة في أعلى الجسم وفي أسفل لكل منهما بعرق غليظ مفرع الى فروع تمتد وتغور في سائر أطراف الجسم . فانظر كيف احتاجت الأعضاء الى الدم لتأخذ منه ما يعوض ما فقدته من المواد التي صارت خفا وكيف احتاج الدم الى الهواء لينقي من المواد الفحمية وكيف احتاج الهواء في دخوله الى أن يكون في الرئتين وكيف كانت الرئتان لا بدخولهما الهواء إلا بعد مروره بالقصبة الهوائية ولا يمر بها إلا بعد دخوله في الخنجر ولا يدخل فيها إلا بعد دخوله من الخيشوم ثم إن الدم لا يكون إلا من خالص الغذاء وخالص الغذاء يكون في الأمعاء وخالص الغذاء في الأمعاء يكون آتيا من المعدة والغذاء في المعدة جاء من المريء والمريء أخذه من الفم والفم قد مضغه بالأضراس وقد تلقاه عن الشفتين وهما عن اليد واليد تناولته من المائدة والمائدة مدينة للخباز والطباخ وهما مدينتان للفلاح والفلاح يزرع الأرض . فالزرع متوقف على الفلاح المتوقف على الطعام فصار الطعام متوقفا على الطعام والفلاح متوقفا على الفلاح وهذه الدائرة هي عين التي قلنا (أرسطاطاليس) انما هذه أطول وأطول . وقد قدمنا لك أن هذه الدائرة لانهاية لها بل هي متسلسلة تسلسلا يفوق ادراك البشر . فدوائر الناس في مدنهم على متنضي دوائر الله في نظام ملكه

بهذا فلتفهم كيف قال تعالى هنا - تبارك الذي نزل الفرقان على عبده - الخ ثم قال - الذي له ملك السموات والأرض - كأن الله يقول لنا أنا أنزل القرآن على محمد ليفرق بين الحق والباطل والحرام والحلال وإذا كنت أنا الذي أنزل القرآن على محمد فأنا الذي قدرت كل شيء تقديرا ووزنته بميزان عدل . فأنا الذي وزنت السموات والأرض فلتزنوا نظامكم على نظامي . فأنا إذا أنزلت الفرقان على عبدي فأني أقصد أن تجعلوا نظامكم على وفاق نظامي أي أن تجتهدوا أن يكون نظامكم أكمل نظام على قدر الامكان . ألسنت أنا القائل - والسماء رفعها ووضع الميزان * ألا تطغوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان - فأنا وزنت السموات والأرض لأجل أن تسعروا على نظامي في الوزن والعدل أي لأجل ألا تطغوا في الميزان أي لا تزيدوا فيه وليكن وزنكم بالحق ولا تنقصوه على مقتضى نظامي . هكذا هنا يقول الله تعالى أنا أنزل القرآن على عبدي ليكون للعالمين نذيرا . ثم وصف نفسه سبحانه بصفات الملك الدائم الذي هو على أحسن تقدير وبهذا تجلى المعنى في أحسن زى وأبهى جلال وأبدع صلة وأوفى بيان

(حكاية عجيبة بديعة سارة شارحة للصدور في اللطيفة الثانية وهي قوله تعالى - فقدره تقديرا -)
لقد سبق الكلام على التقدير في اللطيفة الأولى بما لا مزيد عليه . ولأذكر لك حكاية بديعة شارحة لصدرك وإن كانت دقيقة المعنى فأقول

بينما أنا أكتب في هذا التفسير إذ قرأت في الجرائد المصرية يوم الثلاثاء (٣) فبراير سنة ١٩٢٥ الموافق (٩) رجب سنة ١٣٤٣ هجرية خبر رجل أفرنجي ألقى محاضرة في بلادنا المصرية وهو ألماني الجنس . وتلك المحاضرة مناسبة لهذه الآية فأردت أن أثبت المقصود منها لتكون من عجائب العلم وبدائع القرآن والمصادفات التي تدهش القارئين الأذكياء فأقول

إن هذا العالم اسمه البارون (ولدمبراسكول) ألماني الجنس وهو روسي المنشأ وقد ساح العالم وألف كتابا عن بلاد شتى . وقد دعاه أهل القوقاز وهم مسلمون فعاش بينهم أمدا طويلا وأعجب بهم ثم توجه إلى إسوج ووقع في يده كتاب في جامعة (استوكهلم ولوند) عن مصر مشتمل على حكم (توت) المعروف باسم آخر هو (هرمس تريس ماجستس) والحكم التي وردت في ذلك الكتاب جاءت في اثنتين وعشرين صورة رمزية كانت مرسومة على جدران هيكل بمنفيس تهتم ولكن بقيت أوصافه فألقى محاضرات شيقة من هذا الكتاب في إسوج وفي ألمانيا وفي الدانمرك وجعلها في كتاب . ولهذا الصورت اتصال بعلم الأرواح والمهم ما ذكره في إحدى محاضراته بمصرنا مما يوافق هذه الآية . قال

(إن المصريين القدماء كان عندهم من الحساب (نوعان) نوع عام يعرفه الناس ونوع خاص لا يعرفه إلا رجال الدين . أما النوع العام فهو الجمع والطرح والضرب والقسمة . وأما الذي يختص برجال الدين فهما الجمع المقدس والطرح المقدس . وبيان ذلك أن واحدا ليس من الأعداد وإنما هو خاص بالله تعالى لأن العدد كلمة دالة على التعدد والواحد لا تعدد فيه فهو خاص بالله تعالى وجميع الأعداد مركبة من الواحد فإذا زال الواحد زال العدد وإذا زال العدد لم يزل الواحد وهكذا الكسر لا يكون إلا بالواحد فلا نصف ولا ربع ولا جزء من (١١) ولا جزء من مئات الألوف إلا إذا كان الواحد فالواحد هو الأول وهو الآخر وهو الظاهر وهو الباطن وهو كل شيء . ثم اننا إذا أضفنا إلى الواحد ٣ ثم ٣ على طريقة المتوالية العددية التي تكون بزيادة ٣ فنقول (١ - ٣ - ٧ - ١٠ - ١٣ - ١٦ - ١٩)

هذه المتوالية العددية فيها سرّ تكوين هذه الدنيا عند قدماء المصريين بل فيها سرّ المبدأ والميعاد . فيها سرّ الأولين والآخرين . فيها سرّ الدنيا والآخرة . فيها الرفع والخفض والموت والحياة والعمارة والخراب فيها سرّ الله وسرّ الخلق . فيها سرّ كل شيء . وبيانه أنك إذا أضفت ٣ إلى واحد بطريق الجمع المقدس فإن

ذلك اشارة الى آثار الله في الطبيعة . فترى الفصول الأربعة وترى الصبح والظهر والعصر والمغرب يكون من مجموعهما الليل والنهار . وترى أكثر الحيوانات الظاهر على أربعة أرجل . وترى هناك جهات أربعة ورياحا أصلية أربعة وهكذا من كل ما هو أربع . فإذا أضفنا (٣) أخرى صار العدد (٧) وهو الكمال في كل شئ في الفرد وفي المجموع . فأما عشرة فهو رمز الى متقلبات الحياة من رفع وخفض في الأفراد والأمم ورقم (١٣) اشارة الى الموت موت الأفراد وموت الأمم ورقم (١٦) اشارة الى الدمار العام والهلاك التام ورقم (١٩) اشارة الى الحياة الناقصة ورجوع جميع الاحياء الى حياة كاملة . هذه هي الرموز التي كانوا يقولون انها تدل على هذه المعاني وكأنها صور رمزية دينية تقرب للمعاني البعيدة . وأما أزيدك على ما قاله ان هذه المتواليات العددية اذا أضفنا أولها الى آخرها صار المجموع عشرين نصفها عشرة أى ان الحد الأول والحد الأخير منها يساويان الحد الأوسط مضروباً في اثنين إن كان واحداً أو الحدين الأوسطين مجموعين معا اذا كانا اثنين كما اذا ابتدأنا بواحد وختمنا باثنين وعشرين فانك تضيف الواحد فيكونان (٢٣) وهما يساويان الحدين ١٠ و ١٣ متضامين الى بعضهما لأن الحدود في هذا عددها ثمانية فيكون الوسط حدين فأما فيما قبله فان عدد الحدود سبعة ووسطها عدد (١٠) فيضرب في اثنين . ولعلك تقول وما لآية ولهذا المحاضرة * أقول إن الآية أفادتنا أن الله واحد لا شريك له وأنه لا أول له . وكل هذه المعاني يرمز لها بعدد واحد لأن الواحد منه كل شئ وأما قوله - نزل الفرقان على عبده - فقد رمزوا له بآثار الله في الطبيعة . ومعلوم أن الله أثربن اثراني الخلق والتقدير وأثرا في الهداية فهذا له الرمز عندهم بعدد أربعة . وأما كونه تعالى له ملك السموات والأرض وخلق كل شئ فقتره تقديراً . فذلك رمزوا له بالعدد سبعة كما تقدم وبالعدد (١٠) لأن الخفض والرفع من أنواع التقدير وبعد (١٣) وبعد (١٦) لأن الهلاك والدمار من نوع التقدير وأما عدد (١٩) فهو الرمز له بإعادة الخلق بعد العدم (بهجة العلم في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - وخلق كل شئ فقتره تقديراً - وفيه « ثلاث ياقوتات » الياقوتة الأولى « في قوله - ليكون للعالمين نذيراً - مع قوله - ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك - « الياقوتة الثانية « في نظام الآية من حيث ترتيب جملها إذ قدم تنزيل الفرقان في الذكر على خلقه للسموات والأرض مع أن الترتيب العدمي يخالف ترتيب نظام الآية « الياقوتة الثالثة « في قوله تعالى - وخلق كل شئ فقتره تقديراً - ﴿ الياقوتة الأولى في قوله تعالى - ليكون للعالمين نذيراً - مع قوله - ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك - ﴿

اعلم أن الحكماء من الأمم العظيمة أجمعوا أن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وبرهنوا على ذلك بأن الزمان انما جاء من دوران الشموس والكواكب والمكان انما حصل بترتيب هذه العوالم . إذن الزمان يحكم علينا أما خالق العالم فالزمان حادث بفعله ولا حكم له إلا علينا . إذن الله لا يحكم عليه زمان ولا مكان وقد تقدم هذا في بعض هذا التفسير والزمان بالنسبة للأفراد يعد بالسنين وبالنسبة للأمم يعد بالقرون . إن الله يعد للطفل قبل ولادته كل ما يحتاجه حاسباً زمانه فلا يكاد يكمل خلقه في الرحم حتى ترى دم الأم يأخذ في التوجه لنديها وهناك يأخذ ذلك الجهاز الندي في تحويل الدم الى لبن شيئاً فشيئاً وترى هناك أهل الطفل قبيل ولادته قد أعدوا له القابلات والثياب التي تكون وقاية له والحجرة التي يعيش فيها . فهنا يكمل الاستعداد لاستقبال ذلك الضيف الحبيب فاللبن يبذل والدم يصير لبناً والحكومة تعد الدفاتر لقيده . كل ذلك لطفل قادم من الرحم نازل بهذه الأرض المباركة الطيبة . هذه أفعال الله في طفل قادم اليها . إذن الحكمة التي دبرتها هذا العالم لا تنصرف الى أحاطته برحة واحدة لها . فلننظر للأمم فنقول

علم الله قبل أن يخلق هذا العالم أن هذا الانسان الذي يخلقه على وجه الأرض لا يقدر عقله أن يفهم أن

إله العالم بعيد عن المادّة متعال عنها فأُنزل أنبياء وعلم حكماء قديما وقال لهم قولوا اننى لا ترائى العيون ولا تعيط فى
الظنون فقال ذلك (بوذا) و (خريستا) بالهند وقها (يو) و (كونفسوس) بالصين وقها موسى
وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام فما كان من الأمم إلا أن اخترعت ﴿أمريين الأول﴾ أنه خيل لهم أن
الإله كالآب والمادّة كالآم وأن أحد القديسين كالابن فقالوا إن الله له ولد وولده بين ظهراينا وقد أرسله
وصلب لأجلنا ورفع وذلك ليسهلوا للناس أن لهم إلهاء والافكيف يكون إله لا زراه ولا زرى له ابنا . أليس الله
مثلنا ولد . أليس يجب أن يرسل ابنه لنا كما يرسل الملوك أولياء العهد فى البلاد التى يحكمها ﴿الأمريين الثانى﴾
أنهم لم يقدروا أن يتصوروا موجودا لا يرى فعبدوا الكواكب ثم الأصنام التى ملأت السهل والوعرفى العالم
الآن . وقد تقدّم هذان الأمران فى (سورة البقرة) عند قوله تعالى - فلا تجعلوا لله أندادا - وفى (سورة
المائدة) فى آخرها وفى (سورة إبراهيم) عند ذكر الأصنام وفى (سورة مريم) عند ذكر المسيح وفى (سورة
الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه - الخ

علم الله أن الانسان هذه ستكون حاله وعلم أن دين المسيح الذى أصله توحيد سيقبله أهل الأرض
ويجعلونه كأديان الآشوريين والبابليين وقدماء المصريين وأهل مكسيكا القدماء وهكذا إذ جعلوا أباء وابنا
وروح قدس . العالم الانسانى كله كجبن فى بطن أمه وهذا الجبن عاش فى هذه الأرض إما (٥٠) ألف سنة
واما أكثر الى (٣٠٠) ألف سنة . هذه الآلاف يمكننا أن نحسبها شهورا بالنسبة للأُم فنقول إذن الأمم لا تزال
طفلة وهذا الطفل يريد أن يتعلم فسمع حروفا من كلمات العلم قديما وبقي جاهلا لأنه لم يستحكم عقله ودخل
معابد الأصنام النابتة عن الإله وفرحوا بما عندهم من العلم . فإذا فعل الله للناس ؟ أرسل لهم رسولا من
أمة جاهلة وهو لم يتعلم مثلهم فقال لهم لأصنام ولأبناء وكسر الأصنام وذم عقيدة الأبناء ورفع سيفه آونة وأعلن
السلام فى الأرض ثم فارق هذه الأرض الى ربه . مضى على إرسال هذا الرسول ﷺ ١٣ قرنا فلما أن نحسب
هذه القرون أعواما باعتبار آخر غير الاعتبار السابق ونقول إن هذا الانسان لا يزال مرافقا وأن أهل هذه
الكرة لم يتم التواصل بينهم ولا عرفوا تمام المعرفة حقائق الأشياء وهامهم أولاء الآن أخذوا يدرسون . فإذا
تم فى ذلك . نقول أذكر لك ﴿حادتين اثنتين﴾ لا ثالث لهما ﴿الحادثة الأولى﴾ معابد بلاد الصين
والاسلام المنتشر فيها ﴿الحادثة الثانية﴾ كيف انتشر الاسلام فى جهات أفريقيا المظلمة على نهرا النيل والنجف فنقول
هذا الطفل الذى أرسل الله له معلما بعد الأزمان السابقة قد صنع الله معه ما صنعه مع الطفل المولود حديثا .
فكما أن الطفل الحديث الولادة نرى الاستعداد له على ساق وقدم . هكذا هذا الانسان الذى أخرجه الله فى
هذه الأرض قد هيا له اليوم نبيا ليخرجه من جهالتة لأنه علم أنه أخذ يستعد للارتقاء فقد مضى ١٣ عاما
فقط بعد نزول القرآن باعتبار أن القرآن عام . وهذه الأعوام بالنسبة لعمر هذا الطفل قليلة جدا لأنه سيعيش كثيرا
الآن أخذت الحقائق تظهر فى أهل الأرض فانظر الى أمة الصين . إن للصين آلهة معبودة يقدرها الشيوخ
ويحقرها ويستهزئ بها الشبان . فترى هناك فوق جبل (تايشان) فى تلك البلاد القاصية معابد يحجج اليها
المتدينون بها بمشقة عظيمة لأن ارتفاع الجبل (٥٠٠٠) قدم فوق سطح البحر وترى السلم الموصل الى المعبد
له (٧٠٠٠) درجة وترى الحاج لا يبلغ هذه القمة إلا بمشقة عظيمة ولذلك ترى هناك جالين يحملون الحاج الى
الأصنام فوق الجبل وفى الطريق زوايا صغيرة للآلهة الصغيرة وزوايا كبيرة للآلهة الكبيرة ويحجج الحاج بيونا
للشاي ليسترخ فى الطريق من مشاق الصعود ، فهذه الآلهة (التي اذا حجج اليها المؤمن بهارجع بعد طول
الشقة ووعاء السفر والجهد والنصب قرر العين لا يخشى الموت) قد باتت معابدها اليوم معرضة للاحتقار والاستهزاء
والسخرية من الشبان الذين قرؤوا الحكمة والعلم وتوترت بصائرهم إذ يرون انها أحجار لا تضر ولا تنفع كما نطق
به القرآن وتراهم يذهبون اليها لتنجسها تحقيرا لشأنها وذلك العقل مطابق للقرآن

(الحادثة الثانية . كيف ينتشر الاسلام في أفريقيا المظلمة)

جاء في الأخبار المنشورة في الصحف في أيامنا هذه أن (تشارلس ريد) السائح الانجليزي يقول انه وجد زنجيا في (نيجيريا) يعرفون اسم (أرسطاطاليس) ويجادلون في فلسفته . وذلك بسبب ما قرؤه من الكتب الاسلامية التي دفعهم الاسلام الى قراءتها وأن الاسلام بدخوله بين القبائل يزول نظامها المجحف القديم والعسف والظلم بسبب نظام اسلامي جميل فيه الولاة والمحاكم وكل امرئ من هؤلاء الحكماء يشعر بأنه مسؤول أمام ربه . وهؤلاء الزوج في حال همجيتهم ووثنيهم يقيمون على عادات جاهلية فيأكلون لحم الميتة ولا يبالون بالأقذار ولا يعرفون المحارم في الزواج وقد يأكل الابن أمه اذا ماتت فاذا دخلوا في الاسلام رأيت الأمر غير ذلك فيعرفون معنى النظافة ويتفقهون في الدين ويقرؤون الكتب التي ألفها المسلمون

فهمان الحادثنان من الحوادث الكثيرة اخترتها لتقف أيها الذكي على مقدار جهل هذا الانسان اليوم . فها هو ذا الصيني العريق في المدنية والصناعة والعلم لما ظهرت بوارق اشراق شمس العلوم أخذ يدنس الأصنام محفرا بها معابده . وها هو ذا الافريقي المتوحش لما باغه دين الاسلام بطريق مقبول تدين به وانقي ربه وهذا في آخر الدنيا شمالا وهذا في آخرها جنوبا . ثم ان هؤلاء المسلمين عند (نهر النيجر) لا يخجلوا اسلامهم من خرافات تبعاء لوائدهم . ولقد يسمع الانسان كثيرا بحجاج يسمون (التكارنه) فهم هؤلاء أنفسهم يمشون على أقدامهم الى مكة يسألون الناس تكسفا ويموت أكثر من نصفهم في الطريق . ثم ان سلطان الزوج في (بوموه) في (نيجيريا) الفرنسية مسلم لاتقوته صلاة ولا يهمل فرضا ولكنه مقيم على عوائده الافريقية فهو يأكل تحت شجرة من أشجار (المنجة) ورعاياه لا ينظرون اليه ولا يخاطبونه إلا اذا ولاهم ظهره والجوقة الموسيقية كذلك لاتعزف إلا اذا ولت ظهرها اليه

هذا هو الاسلام يهدي الافريقي . وها هو ذا في بلاد الصين الكثيرة الأصنام . تلك الأم التي عند أهلها آثار من العلم وقد اتضح العلم لهم الآن خفروا الأصنام . فبالت شعري ماذا يصنعون الآن . أقول ان لهم ملجأ ياجئون اليه كما أن للطفل عند ولادته ملجأ يلبأ اليه . فلبأ الطفل القابلة وابن أمه والعطف العام عليه وملجأ هذه الأم الوثنية وحشية كانت أو متمدينة إن ربها ليس بغافل عنها كما لم يغفل عن الطفل . وهؤلاء الأطفال وهم أبناء آدم في الشمال والجنوب قد أعد لهم الله الفانف قبل ظهورهم أو الأساندة قبل زمن تمييزهم غاية الأمر اننا نعقل عمل الله في الطفل لأنه أمر سهل ولنا نعقل عطفه على الأم فنظن أن عطف الله على الطفل قد بلغ النهاية وعطفه على الشعوب قليل ولكننا عند النظر بالحكمة نرى عطفه على الأم أبلغ من عطفه على الطفل لأن الأم مجموع أفراد . أفلا ترى انه أنزل القرآن وقال للمسلمين اقروا فقرؤه ونشروه . ولما انتشر في بلاد الصين لم يف هذا الدين الاسلامي بحاجات تلك الأم لأنهم قوم علماء وحكماء حكماء قديمة غامضة والمسلمون هناك (٧٠) مليوناً ودين الاسلام الشائع بينهم لم يخرج عن الأحكام الشرعية التي اجتهد فيها أبو حنيفة ولذلك تجد الوثنيين الذين يحفرون هذه الأصنام يقولون للمسلمين إن دينكم لم يخرج عن كونه دين طلاق وفسخ واجارة وعقد وما أشبه ذلك . أما الحكمة والعلم ونظام الله في الأرض ومعجائب الشمس والقمر وما أشبه ذلك مما نعرف نحن فان دينكم خال منه فلا فكر لكم معاشر المسلمين إلا في الصلاة والوضوء والغسل والحيض والنفاس والولادة وأحكام ذلك كله وأنتم أيها المسلمون عن العلم محجوبون

هذا هو الذي أخبرني به العالم الصيني المسمى (وان وين كين) حينما زار مصر وقد ذكرت خبره في مواضع من هذا التفسير وقال ان أربعة قواد من قواد الجنود الصينيين المسلمين أرسلوني لأبحث في أقطار الاسلام لعل هذا الدين حقيقة عدو للعلم كما يقول علماء الصين وهم حنفية المذهب أم الأمر على خلاف ذلك ولقد قال لي : لقد وجدت في مصر حركة عظيمة وقد اطلع والحمد لله على تفسير (سورة الفاتحة) وعلى تفسير (سورة البقرة)

ولقد قال لى انه سيجرم الفاتحة وكتاب القرآن والعلوم العصرية ، وسافر وأنا لأدري الآن ما فعل
 إن هذا الدين الاسلامى لما انتشر فى الأرض وأخذته أمم بعد العصر الأول لم تفهم ما يراد منه فأخذوا
 يتلونه بلا عقل وحسروا العقل الانسانى فى أحكام الفقه وفروعها . إذن هذه الأمم انى جلت هذا الدين بعد
 العصر الأول ليسوا كفؤا لهذا الدين . ولما أدرك الحقيقة الامام الغزالى فى القرن الخامس الهجرى ألف كتاب
 ﴿ الإحياء ﴾ وقال اننى أريد أن أحيى به عصر الصحابة أولئك الذين كانوا يفهمون من الاسلام ما لا يفهمه
 من بعدهم . ذلك أنهم كانوا يعلمون أن معرفة الله بالنظر فى الجباب والمخلوقات هى أصول هذا الدين وهكذا
 علم الأخلاق وتهذيب النفس تهذيبا عمليا وذم أهل زمانه ذمًا شنيعا ونقل ما قاله ابن مسعود يوم موت عمر
 ﴿ قد مات تسعة أعشار العلم ﴾ فقالوا له نحن أصحاب رسول الله يحمل العلم فقال لست أريد هذا ولكن أريد
 العلم بالله تعالى

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صاحبى العالم الذى اعتاد أن يناقشنى فى معضلات هذا التفسير فقال لقد
 أظلت المقال فإملخصه . فقلت

- (١) ان الأمم كلها أطفال
- (٢) وأن رحمة الله تشمل الأمم كما تشمل الأفراد
- (٣) وأن الله مهد طولاء الأمم بدين الاسلام كما يهد للصبي ندى أمه
- (٤) ومن ذلك انه نشر الاسلام فى الصين عابدة الأصنام وفى نيجيريا المتوحشة
- (٥) وأن المسلمين فى الصين كبقية المسلمين ليسوا يعرفون من الدين إلا ألفاظ القرآن فهم له قراء والا
 الأحكام الحنفية والشافعية الخ

(٦) وأن هذه الأمم استعدادهم لحل هذا الدين ضعيف فلم يكونوا كالصحابة فى العصور الأولى ولا التابعين
 (٧) وأن الامام الغزالى رحمه الله أدرك هذه الحقيقة فنادى فى الناس بكتابه الاحياء يقول : أيها الناس
 دين الاسلام أن تعرفوا جميع العلوم فى هذا الوجود وأنتم ما علمتم اليوم إلا القليل جهالة وبلاهة . وقد مضى
 بعد قوله ما يقرب من ألف سنة والمسلمون نائمون ولذلك لم يقدرُوا أن يهدوا أكثر الأمم الضالة التى تعبد الأصنام
 فقال وما دواء هذا الداء . فقلت دواؤه فى ﴿ الياقوتة الثانية ﴾ وهى انه ذكر تنزيل الفرقان قبل قوله
 - له ملك السموات والأرض - . فقال وأى شئ فى هذا التقديم والتأخير وهل لهذا أهمية فى هذا الموضوع
 فقلت إن الدواء فى هذا التقديم والتأخير . فقال اذكر حادثة توافق هذه حتى نستأنس بها . فقلت قد تقدم
 فى هذا التفسير أن بابكر رضى الله عنه وقف خطيبا فى سقيفة بنى ساعدة وقال لا أنصار أسلمنا قبلكم وقدمنا
 فى القرآن عليكم فنعن المهاجرون وأنتم الأنصار فعن الوزراء وأنتم الأمراء . فهذا التقديم فى الآية حكمت
 قريش العرب وأم الاسلام قرونا وقرونا فكان منهم العباسيون والأمويون والعلوية وهكذا . كل هذا لتقديم
 كلمة على كلمة . وهكذا ترى الامام الشافعى يقول ﴿ يجب فى الوضوء تقديم الوجه على اليدين ﴾ ولماذا هذا لأن
 الله قدمه فى الذكر فى آية الوضوء واستدل بالحديث ﴿ ابدؤا بما بدأ الله به ﴾

فلما سمع صاحبى ذلك قال أما الآن فقد آن أن أسمع ما نقوله فى هذه الآية من حيث التقديم والتأخير
 لأن الحجة قائمة . فقلت ان الله خلق السموات والأرض قبل أن ينزل القرآن . قال نعم . قلت ولذلك يقول
 - الذى له ملك السموات والأرض - . وهذه جملة اسمية تقتضى الثبوت والدوام أما نزول القرآن فقد ذكره
 بجملة فعلية تقتضى الحدوث . قال هذا حق . قلت فلو أن نظم القرآن منى على سنن آية الوضوء وعلى سنن
 آية المهاجرين والأنصار ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ لو أن نظم الآية هنا اعتبر فيه مجازة ما هو موجود لكان هكذا
 تبارك الذى له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا

ونزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا . الله لم يفعل ذلك هنا مع انه مقتضى الترتيب الوجودى وانما عدل الله عن ذلك بسر ظهر في عصرنا وحكمة بهرت في أيماننا . ذلك هو ما عليه المسلمون الآن . المسلمون الآن يقرؤون القرآن ولا يعرفون إلا التنزيل فهم يتدنون بحفظه عن ظهر قلب ثم يقرؤون الأحكام الشرعية فلذلك صاروا أجهل الأمم مع أن القرآن من كلام الله وملك السموات والأرض فعله وقول القائل يفسره ويبينه فعله ونحن نسمع حديث النبي ﷺ ونسمع فعله وقوله . أفلا نفعل مع الله ما نفعله مع نبينا ومع الناس . نحن ننظر لأفعال الناس أكثر مما ننظر لأقوالهم . أفلا نجد في تتبع أفعال الله كما قرأنا أقواله . وبناء عليه يجب في اصلاح المسلمين أن نخرج قول الله بفعله في التعليم . ان قول الله أشبه بما يحيى الجسد الانسانى من الدم وهذا الدم الجارى في جسم المرأة لتغذية الجنين ولكنه لا يفيد الطفل كقدمنا آتفا فاقضت الحكمة أن يكون هناك جهاز يصنع فيه الدم فيكون لبنا ليشر به الطفل الذى كان جنينا . هكذا الأمة الاسلامية التى كان أهلها أجنة يحيون بالقرآن حياة الجنين في رحم أمه فلذلك لم يصلحوا لقيادة الأمم العظيمة ولا تفهم الناس الحكمة حتى ان المسلمين في الصين لم يغفوا عباد الأصنام بمعرفة حقائق الدين الحكيمية لجهلهم بها فهم يتخبطون في عبادة الأصنام يائسين من دين حق في الارض

المسلمون أصبحوا اليوم غيرهم بالأمس . فاذا كانوا بالأمس أجنة فهم اليوم في حال الرضاع فحق لهم أن يعطوا الدين مصحوبا بالعلم وذلك هو المعبر عنه بدين الفطرة وهو الوارد في الحديث إذ خير ﷺ بين الخير واللين ليلة الإسراء فاختار اللين لأنه الفطرة وانما عبر بأنه الفطرة لأن الفطرة تقتضى التسريح في الترية . فقال صاحبي هذا القول غامض أى تدرج تريد وكيفيه هذا التدرج . فقلت إن الأمة إما أن تفظ القرآن وتعرف الأحكام وهى تجهل العلوم كلها فهذه أشبه بالجنين واما أن تعرف ذلك كله بمنزلة بالعلوم . فهذه أشبه بالطفل يرضع ثدى أمه وهذه ليست حالا غريبة على الطفل فقد كان بالأمس يتغذى بدم أمه فلما ولدته أخذ يتغذى بنفس اللبن الذى كان يتغذى منه بالأمس ولكنه بحال جديدة فهو لم يغير غذاءه إلا عرضا ولولاه أعطى بعد الولادة خبزا لمرض ومات . هذه حال الطفل فاذا كبر أخذ يأكل الخبز وغيره . هكذا حال الأمة

(١) حفظ عن ظهر قلب

(٢) ثم دين مع العلم

(٣) ثم دين مستقل عن العلم وهذه هى الحال الثالثة

فدين الفطرة أن يمزج العلم بالدين وهى الحال الثانية . فأما الحرة فهى غير موافقة لمزاج الجسم فهى ضارة به . فهذه الأحوال الثلاثة أشبه بأحوال الانسان الثلاثة في التغذية . فقال صاحبي إذن أنت تقول ان قوله - له ملك السموات والأرض - بعد قوله - نزل الفرقان - أشبه باللين وذلك يمزج العلم بالدين بالطريق التى اتبعناها أنت في التفسير (وبعبارة أخرى) الملك الآن تقول نزل الفرقان أشبه بحال المسلمين العادية وبرز العلم بالدين هى الحال التى ينقلون اليها الآن . فقلت نعم . فقال ولكن فإنا أن مصطفى كمال باشا نقل تركيا من حال إلى أخرى وقال (العلم شئ والدين شئ) أعنى انه فصل العلم عن الدين كما فعلت فرنسا ويطهره بجمع في ذلك بدليل أن الأمم كلها تهافت الآن . فقلت هذه طريقة نافعة ولكنها خطيرة والطريقة التى أقولها الآن لا خطر فيها وما هذه الطريقة إلا كطريقة أطباء عصرنا الذين يستعملون المسهلات والمركبات فى الأدوية ولا يسعون على النظام الطبي وأحسن الطب ما كان جاريا على الناموس الطبي فاذا أكل الانسان الفواكه والخضر وترك ما يضر استعماله وبرز في الهواء والشمس فان ذلك أفضل من استعمال الادوية التى تنفع مؤقتا ثم ترك اثرها في النفس تتبعه آثار ثم ينتهى بالموت . ومماثل المسهلات والأدوية المركبة فى المرضى إلا اكتمل الاشكال فى الدين على المجزآت وخوارق العادات كما تقدم فى (سورة طه) فكما أن الشفاء فى المسهلات والمركبات وقضى

يعقبه مرض آخر هكذا الانتكال على خوارق العادات يعقبه رد فعل ويقول الله تعالى - أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم - إذن فإلهم يطلبون خوارق العادات . قال صاحبي إذن هنا ﴿ ثلاث مسائل ﴾ مسألة فصل الدين عن السياسة كما فعلت فرنسا وبركيا . ومسألة الأدوية المركبة والمسهرات . ومسألة خوارق العادات . ولقد جعلت هذه المسائل ثلاث من وأد واحد . وهنا مسائل ثلاث مقابلات لها وهي إعطاء الأمة الدين مع السياسة فهو إذن كاللبن وهو موافق للفطرة كما في الحديث وإعطاء المريض الأغذية اللطيفة بدل المسهرات وتعليم الأمة العلوم العقلية مع الدين بدل الانتكال على خوارق العادات كالمسألة الأولى . فقلت نعم هو كذلك وأريد أن أوضح مسألة هنا وهي مسألة الطب فقد قال

(١) الدكتور (غرايشتان) الذي هو من أقطاب الطب في ألمانيا ﴿ إن الضعف في درجاته إنما هو نتيجة العلاج بالعقاقير سواء أكانت رديئة أم طيبة فهي إذا استعملها الطبيب بحذق ومهارة تغلبت على المرض حقا ولكن ترك هناك بقايا تظهر عاجلا أو آجلا في الجسم فلا تقبل الشفاء ﴾ فهذا هو الضعف العلاجي ونسب ذلك الضعف إلى المركبات مثل (حض البروسيك) والراصص والزرنيخ والكبريت الخ
(٢) ويقول الدكتور (كيسر) ونقله عنه الأستاذ (بنز) ﴿ إن الحكمة القديمة القائلة بأن الدواء قد يكون شرا من الداء والطبيب شر من المرض هي صحيحة في أكثر الأحوال ﴾
(٣) وقال نحو ذلك (الدكتور سميت) الذي قال ﴿ إن كل دواء يدخل الجسم يعطي الدورة الدموية سماً كما يعطيها السم تماماً ﴾

(٤) وهناك نحو ثمانين عالماً من الأطباء الرسميين نقل عنهم الأستاذ (ولز) وقد قالوا مثل هذه الأقوال فقرر هؤلاء جميعاً أن الصحة في الاقتصار على استخدام قوى الطبيعة كالهواء الطاهر والغذاء الجيد الصحي وترك اللحم والمهيجات وأن يعمل الإنسان عملاً جسدياً معتدلاً وأن يستحم بالماء الفاتر والبارد وهكذا مثل ماتقتم في (سورة طه) في أواخرها

فقال صاحبي ما الذي أصاب الناس من استعمال الأدوية . فقلت يقول (كيسر) المتقدم ذكره ﴿ إن الأطباء يرضون المرضى ويتبعون شهواتهم ويحققون نظرياتهم ووسوستهم فيعطونهم الأدوية ولا يقفون عند حد أبعاد المؤثرات القاتلة للمريض فلذلك تحدث أمراض مزمنة بهذا الفعل وسببها هم نفس الأطباء ﴾ فقال وما الذي يناسب ذلك من أمر سياسة الأمة إذا عزلت الدين عن السياسة . فقلت إن عزل الدين عن السياسة دواء خطر كالأدوية المركبة يستعمله المستعجل لرقى أمة ولكنه يكون عرضة للاعتراض عليه وقيام طائفة وراء طائفة كلهم يريدون أن يثوروا في وجهه فن الملوك من يفوز ومنهم من لا يفوز وإذا تم الفوز فالأمر لا يزال خطراً يعقبه رد فعل بعد حين وخير السياسة ما كانت بطريق الطبيعة . فالأمة الإسلامية اليوم تقرأ الدين ولا علم عند كثير منها فدمج العلم بالدين كما فعلت في هذا التفسير فيكون لنا خلاصاً سائلاً للشاربين وبه يبتهج العلماء في أمة الاسلام ويحبون رقى أممهم ويعاونون الملوك والأمراء ولا يشيرون الشعوب عليهم . فهذه هي الطريقة المثلى لاسيما أن علماء الاجتماع يقولون ﴿ إن الإصلاح الديني أعظم أثراً في رقى الأمة من الإصلاح السياسي ﴾ فإصلاح مصطنع في كل باشا نافع ولكن هذا الإصلاح الذي اتبعناه عاقبه حيدة وهو سريع الأثر بعيد المدى يرح الملوك والأمراء ويجعل الأمة روحاً واحدة . هذا هو الذي هداني الله إليه وأريد به إراحة ملوك الاسلام والمصلحين منهم بعدنا فذلك خير من الثورات والدسائس - وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب - ومن العجائب أن الأخبار وردت اليوم ١٦ يناير سنة ١٩٣٩ أن ملك الأفغان المتقدم ذكره لاسراعه في الإصلاح تنازل عن العرش . وقد قدمت في (سورة الحجر) منذ سنة أنه زار مصر إذ ذاك وأنى أشعر بكرامة الشعب له لاسيما العلماء وقد حصل هذا فعلاً الآن

فقال صاحبي وأى دخل لمسألة خوارق العادات هنا . قلت إن خوارق العادات تقدم شرحها في (سورة

طه) وأن فعلها وقى إذ عبد بنو إسرائيل الجبل بعد أن رأوا العصا والحية والله يقول - وما نرسل بالآيات إلا تخويفا - والتخويف إنما يكون للأطفال والقرآن يراد بنزوله أن يكون لأهم تعقل وتفهم لا أنها تخوف كالصبيان

(حكاية)

كان لي صاحب وهو مجاور لي في المنزل وهو شيخ طريفة مشهور في مصر وكنت أجلس معه في بعض الأيام وقد علمت أنه إذا توجه إلى بلاد الصعيد تلقوه أفضل مما يتقبلون الملوك ويجعلون يومه عيداً ولاعتقادهم فيه كان المصوص يخافون منه فلا يسرقون . وقد حدثه أحد اخواني في ذلك فقال لي إذا وصلت إلى البلد فانه يأتي إلى واحد فيقول لي يا سيدي أنا أخطأت ويسرد له كل ما حصل من السرقة ويدكر جميع الذين كانوا معه فإذا حضر واحد منهم قال له أرجع لا تدخل على فيعتقدون أنه يعلم الغيب فهذه الحال اشتهرت بخاف الناس من الشيخ لامن الله . وهذه حال لا تفيد الأمة إلا مؤقتاً وإنما هي أشبه بالخطرات أو المسيلات أو الأدوية المركبات وإنما السبيل لرق المسلمين حقا أن يعمل العلماء بمعنى هذه الآية فانه قال - نزل الفرقان على عبده - وأنبه بذكر أنه له ملك السموات والأرض - . فبمزج العلم بالدين ترتقي الأمة . أما الأدوية الوقية للأمة كذكر معجزات الأنبياء أو كرامات الأولياء حقا كانت أو باطلا كما في صاحبنا الذي ذكرناه سابقا وكالتأثير بالخطابة وحسن البلاغة بدون اقناع عقلي فانه لا يدوم أثره في الأمم مالم تصبح الفضيلة لها عادة ولكن يقون في العلوم والمعارف عالة على الأمم فلا بد حتما مما قلناه . وإلى هذه الحال يشير قوله تعالى - فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه - فعبير بتم للإشارة إلى تأخر زمن البيان عن زمان التنزيل وبيان القرآن - حق البيان قد ابتدأ في هذا الزمان الذي عبر عنه بتم في الآية . وكذلك قدم الله تنزيل الفرقان هنا على قوله - له ملك السموات والأرض - وعبر بالفرقان ولم يعبر بالقرآن لأن الفرقان للفرق بين الحق والباطل ولن يكون كذلك إلا بإدراك الحقائق التي تعرف بملك السموات والأرض فالأهم الإسلامية السابقة أكثرها قرآنية والأهم الإسلامية اللاحقة أكثرها فرقانية . فاقرا هذا التفسير وبعده تعرف هذه الحقائق والجدد لله رب العالمين كتب ليلة الجمعة ١٤ ديسمبر سنة ١٩٢٨

(الياقوتة الثالثة في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا -)

من اطلع على هذا التفسير أو أكثره استقر في ذهنه أن الله عز وجل مشرق نوره مطلع بعلمه على كل مادي وجلي وما مثل الحكمة والظلم والتقدير في هذا العالم إلا كمثل ضوء الشمس واشراقه . اننا نرى كل بيت في هذه الأرض ان لم يشرق عليه النور ويشمل جميع حجراته تكون سكتاه ضارة بالصحة ، فعلى مقدار اشراق نور الشمس في أركان البيت تكون صحة سكانه . وعلى مقدار ابتعاد نورها عن الحجرات في المنزل أوعنه جميعه يكون المرض والموت . وعلى قدر المرض تكون قلة العلوم والعبادات والأعمال والرق والفلاح هذا حكم نور الشمس . فلتنظر إذن لنور الله وحكمته . الله عز وجل كما جعل نور الشمس عاما وجعله محيطا بالكرة يدخل في كل منزل وثقب وحجرة . هكذا نراه في الاحكام والاتقان بل الاتقان أعم وأبعد وإذا أردنا أن نذكر هنا مثلا نوردت آلاف وآلاف من الأمثال . فأى الأمثال نضرب والعالم كله مضرب أمثال من ذراته الصغيرة إلى شموه العظيمة ومن الدقائق والجواهر الفردة إلى المجرات وأنواع السدم في أقطار السماء فلا كتف (بمثالين صغيرين) مثل النحلة ومثل العنكبوت وإنما ضربت هذين المثالين لتعجب من جلال واتقان وإبداع وحسن وجمال وكمال ونظام وما شاء الله كان في حيوانين حقيرين منبوذين صغيرين قد اختلفا وصفا وتباعدا طبعا وفيهما من دقة الصنع ما يجبر العقول

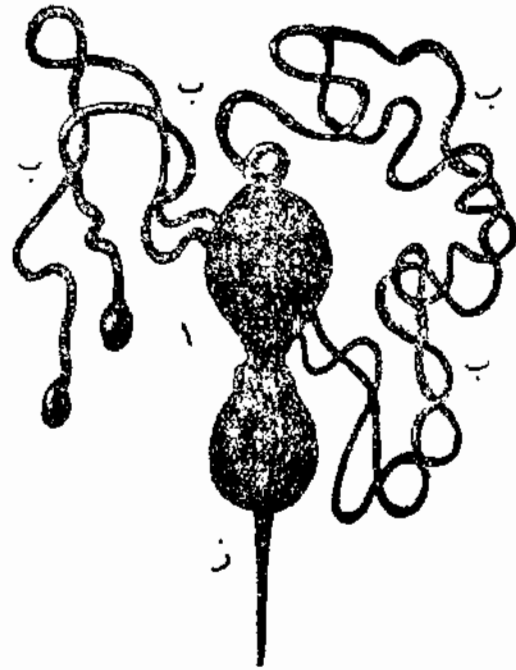
(حكاية)

لنا مزرعة ببلدة (البركة) في الأرض التي تقرب من الجبل الشرقي المصري فاقتضت الحال أن أخرج من القاهرة أنا فأتنا لأجل هذه المزرعة والنظر في أمرها . ولقد عزمنا يوما أن أتوجه إليها ماشيا على القدم من

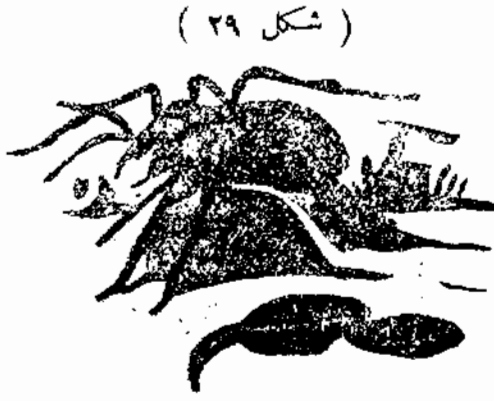
بلدة المرج لأتبع بمنظر أرض واسعة خالية في طريقى الى المزرعة . فهناك آلاف من الغدادين لائزح وانما
هى مسرح البهائم ترعاها فلما توسطت تلك المزارع وجدت أرضا ذات حشائش قد عمها كلها نسيج العنكبوت
هناك أدهشنى هذا الصنع وقلت فى نفسى اذا ترك الناس هذه الأرض فلابناء ولازرع أرسل الله لها سكانا
نصبوا خيامهم فيها وأخذوا يصطادون أنواع الذباب وهم فى أمن ودعة وسعود . فهنا أذكر صفة العنكبوت
وصفة النحل اجالا . أما العنكبوت فانها هى والعقارب لها ثمانية أرجل . وأما النحلة وما مائلها وهو جميع
الحشرات كالذباب والناموس فلكل منها ٦ أرجل . إذن العنكبوت ليست من الحشرات ثم أكثر الحشرات
غير سامة وأقلها كالنحلة والزنبور سام . ولكن العناكب والعقارب وأبو شبت كلها ذوات سم وإبرة الحشرة
السامة تكون من خلف . أما إبرة العناكب فى الأمام . وحيوان العنكبوت ينسج بيته ومتى مرت به ذبابة فعل
معا (أمرين * أولهما) انه ينسج خيطه عليها لئلا تفلت منه (ثانيهما) انه يفرغ فيها سمه بطريق الحقن
فيخدرها أو يميتها . ولانبت سم قوى ولكنه غير مميت كما هو المشهور . أما النحل فوظيفته صنع العسل .
فهنا (حيوانان) حيوان يتغذى بالذباب وهو غزال نساج وحيوان يتغذى بالنبات وهو عطينا العسل .
هذان الحيوانان فى كل منهما مصنع . هذا للعسل وهذا للنسج . وفى كل منهما مصنع آخر أيضا للمادة السامة
إذن الحيوان الصغير قد أعطى صناعة المواد السامة قبل أن يصنعها الانسان فى الحرب العامة الكبرى وذلك
لمنفعة هو وكل منهما قد ألهم صناعة تنفعه فهذا له مصنع للعسل وهذا له مصنع للغزل والنسج . إذن الحيوان
سبق الانسان الذى استخرج العسل والسكر من القصب والبنجر وأوجد مصانع للغزل وأخرى للنسج . كل
ذلك فى حشرات حقيرات ملأت بيوتنا وحقولنا . هذه العنكبوت التى نراها فى المنزل متى قل كنسه وتنظيفه
ورأيها فى الحقول التى فى ضواحي القاهرة أعطيت هذه الصناعات قبل الانسان . يراها الجاهل فلاتهمه ولكن
الحكيم المستبصر يرى فيها جالا كالذى يراه فى الشمس والقمر والزهر والشجر بل يرى الحكمة هنا واضحة
بعد الدراسة . فللنحل (مصنعان) مصنع لجلب المنافع ومصنع لدفع المضار وهكذا العنكبوت . ولاجرم
أن الأرض اليوم امتلأت بالمصانع وهى إما لدفع المضار وهى مصانع الذخيرة والآلات الحربية من مدفع
وسفينة حربية وطيارة وسوائل أوغازات ضارة وما أشبه ذلك . وهل هذا كله إلا تكرار لصنع السم فى النحلة
والعنكبوت . واما جلب نافع كمصانع النسج والغزل والخبز وما أشبه ذلك . وهل هذا إلا تكرار لصنع العسل
والنسج فى النحل والعنكبوت . فهل لك أن ترى رسم إبرة النحلة مكبرة وجهاز الغزل فى العنكبوت مكبرا
كذلك (انظر شكل ٢٧) و (شكل ٢٨) و (شكل ٢٩)



(شكل ٢٧ - رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا)



(شكل ٢٨ - رسم إبرة النحل مكبرة جدا)



(شكل ٢٩)

(شكل ٢٩ - رسم العنكبوت وله إبرتان في طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة وإلى يمينها الغدة التي تفرز السم)

انظر الى هذين المصنعين . مصنع السم في جسم النحلة ومصنع الغزل في جسم العنكبوت وأعجب مخزن النحلة الذي امتلأ بها وللأنايب التي تفرز السم وترسله اليه ثم لإبرة دقيقة منها يخرج السم . أنايب خمسة خارجات من الجهات الثلاث وهي تفرز السم ثم ترسله الى المخزن والمخزن يوصله الى الإبرة والإبرة تدخله الجسم عمل والله عظيم واحكام وتدير ليس له نظير . وأى فرق بين هذا المخزن ومعداته وبين مخازن الذخيرة ومصانعها إن هذا والله أدق وأدق وأعجب فان هذا كله لا يشاهده البصر ولا تصل اليه آلاتنا مع دقتها ورقبها وانتظامها وانظر الى جهاز الغزل ؟ فإذا في جسم العنكبوت من الابداع الذي حول الغذاء الى غزل ينسج ؟ وما الذي في هذا الجهاز حتى قلب الغذاء فجعله خيوطا بديدة . ثم ماذا في مصنع السم الذي تشاهده الآن في جسم النحلة وما هذا الذي جعله يحول الغذاء الى سم . فانظر لمصنعين أمامك . مصنع لسم ومصنع لغزل . هذا مهلك وهذا معين على الحياة بها بصطاد الذباب . فيايت شعري ماذا جرى في أجسام تلك الحيوانات وما هذا التدبير ؟ ذلك التدبير الذي به قدرت النحلة أن تؤذي عدوها وقدرت العنكبوت أن تنسج بيتها وكيف ألهمت كل منهما أن تفعل على مقتضى ما وهبت من المصانع . فهذه ألهمت اللدغ وهذه ألهمت النسج . ومثل هذا يقال في مصنع العسل في النحلة ومصنع السم في العنكبوت . هذا شرح الحكمة الالهية المعدة في هذين الحيوانين

(الحكمة العملية)

علمت مما تقدم معنى قوله - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - فهذا هو التقدير . هأنذا يا صديقي أصبحت تراه بعينك . هأنذا تراه فافرح بالعلم . إن الأمم حولنا درست هذه العوالم وتحن نزل القرآن بلساننا فقرأناه وقد كنا عند قراءته كسائر الأمم عند نظره العنكبوت والنحل فكنا نقرأ - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - ونحمر عليها مرور الجهلاء على أمثال الحقل الذي قلت لك انه مملوء عناكب . فإذا كنا نحن نمر على هذه الجلة مرور الجاهلين فهكذا نحن وسجيع الأمم كان أكثرنا يمر على العناكب وأمثالها غافلين . ولكن هذا هو الزمان الذي فيه ظهرت أنوار الله - وأشرقت الأرض بنور ربها - ونشرت العلوم . فالآن نفهم آي القرآن على قدر الامكان ونرى حكمة بديعة وآيات جليلة جلية . هذا ملخص الحكمة العلمية

أما الحكمة العملية التي عقدنا لها هذا الفصل فاعلم أن أعظم الأمم هي التي تقتدى بالله عز وجل . فإذا كان الله قد علم العنكبوت النسيج فلم تنكّل على نبات ولا حيوان بل كانت صنعها من نفسها هكذا يجب أن يكون الإنسان . وأعظم الأمم اليوم هي التي تستغنى بصنعها واتقانها . فهم يكونون في نوع الإنسان كنوع الإنسان في سائر الحيوان . والأمم الصانعة تستعبد الأمم التي لا صناعة عندها وقد اكتفت بالزراعة . إن الحرير اليوم يصنع من الخشب ويباع في القاهرة أنسجة حريرية رخيصة مصنوعة من خشب التوت والقطن وهي أرخص من الأنسجة المصنوعة من دود القز . وإذا دامت هذه الحال انقرضت دودة القز من الدنيا . إذن الإنسان يقصر أن يستغنى عن دود القز بصناعاته . والناس عادة يصبغون (بالنبيلة) وهي مادة تستخرج من نبات في الهند يزرع في مليون فدان . فابتدع الألمان طريقة بها استخرجوا مادة الصبغة من الفحم ونحوه فبارت تلك الأرض . إذن الصناعة أغنت عن الزراعة وكأن الله يقول أيها الناس إن رقيقكم يكون بعماسكم لا بما أودعته أنا في الطبيعة . وإذا قام قائم واستخرج مادة قطنية كالقطن المصري أصبح قطننا لا فائدة منه الله الآن يسوق الناس إلى استخراج ما يحتاجون إليه بالصناعة ويقول لهم افعالوا ما يفعلها الحيوان يستخرج منافعه بمصانعه فأنا فعلت ذلك له فلتفعلوا ذلك أنتم باجتهادكم . أنا قشرت كل شيء تقديرا وإذا تشبه في الناس في التقدير والنظام كان قريبهم مني على مقدار ما نالوا من دقة في العمل واتقان في الصنع وفي الأثر ﴿ إن الله يحب الصانع المنقن عمله ﴾ وفي القرآن - إن الله يحب المحسنين - وفيه أيضا - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - وإذا كان الله يرى عملنا فهو لا يجب إلا ما كان متقنا

﴿ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما ﴾

قلت لك إنني شاهدت آلافًا من الأفدنة في ضواحي القاهرة ليس فيها من السكان إلا تلك العناكب قد نصبت خيامها لأنها لما خلقت من عمل الإنسان شغلها الله بجنوده فنصبوا خيامهم واستعدوا لاصطياد الذباب . علم الله العنكبوت صناعة الصيد وأعطاه جهازا يستخرج منه الخيوط وأعطاه فكريا به تدبر ما فيه من صناعة ولم يهمل ذلك كله بل خلق له الذباب . هذا الذباب إنما خلق ليظهر الأرض من القاذورات والرطوبات والعفونات فتحال تلك في جسمه من حال الضرر إلى حال لا تضر وهذا الذباب ضرره على الإنسان أقل من ضرر الرطوبات التي تحال فيما بعد إلى جسمه ولكن لا تزال بعض المضار عالقة بتلك الحشرات . ألم تر أنها هي التي تنقل العدوى من المريض إلى الصحيح . وألقد تقدم شرح هذا في (سورة الأعراف) وأن الذباب ينقل جراثيم (الرمم الصيدي) من العين المريضة إلى الصحيحة وجراثيم الاسهال و (الجي التفوذية) و (الطاعون) و (السل) و (الدودة الوحيدة) . إذن الذباب وإن منع ضررا كثيرا وهلاكًا عاما هو والحشرات بأحالة الرطوبات والعفونات إلى جسمه بتي حافظا لأصله ناقلا للمرض فسلط الله عليه أمثال العنكبوت ليقتضه . إذن العنكبوت نعمة لأنه أزال عناشرا وببلا والذباب نعمة لأنه أزال عناشرا كثيرا . إذن العنكبوت مساعد للإنسان في حياته الله أكبر . يا الله أنت جعلت هذه الدنيا جنة المفكرين ونارا على الجاهلين . اللهم اني وأنا أكتب هذا أحسن بأن نفسي في جنة عرضها السموات والأرض . وكيف لا يكون كذلك وأنا أنظر الجمال واضحا في الحشرات الحفريات فضلا عن الكواكب في السموات . يا الله هاأنذا وهام أولاء قراء هذا التفسير معي ها نحن أولاء نشاهد التقدير والابداع فيما يزدريه الناس ويحقرونه ولا يباهون له

يفشى الطالب حلقات العلم ويرى خشوعا وكمالا وأدبا عند المستمعين . ولكن العجب أن يكون طلب العلم في مضرة هذه الحشرات المنبذات عند المفكرين أعظم أثرا وأبهج حكمة وأقوى تصديقا . وكأنهم يشاهدون المبدع في ابداعه ويرون الحكيم في حكمته . يضعك الناس منهم وهم ينظرون - وإذا مرّوا بهم

يتغامزون * وإذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكمهين * وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون - . كلا . كلا .
نظام محكم وابداع متقن . ذباب يحيل الرطوبات . وعنكبوت تقتل الذباب وخيام فيها آلات صيد الذباب .
بهذا يخاطب الله الناس وكأنه يقول أيها الناس كل امرئ منكم له ﴿ حالان ﴾ الأولى ﴿ والحال الأولى ﴾ وهو طفل يرضع
ندى أمه ﴿ الحال الثانية ﴾ الاستقلال في طلب الرزق وأكل الحلال وآخرها خيرهما هكذا للأُم ﴿ حالان ﴾
حال الارضاع من أنداء الطبيعة . فمن الزرع يلبسون ومنه يأكلون . وحال الاستكمال في الصناعة إذ يكون
الإنسان في تمام كماله كالحيوان في نشأة حاله

هاهم أولاء أهل الأرض الآن ﴿ فريقان ﴾ فريق عرف الصناعة وفريق بقي على الزراعة والمواد الأولية
وقد غلب الفريق الأول الثاني . انى أنا الذى سلطت الأولين على الآخرين فغلبوهم وأمرتهم فقهرتهم .
هاهى ذه الأمة المصرية وأمثالها من الأمم الزراعية التى لأعلاقة لها بالصناعة إلا قليلا . هذه أم بقيت فى
حضنة الطبيعة كما تحضن الأم ولدها ولكنى أيها الناس لأأريد منكم أن تكونوا أطفالا بل أريد أن تكونوا
رجالا وذلك بالصناعات . لذلك أنزلت لكم فى القرآن - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . فكل من كان
أقصر على النظام والاحكام وكان أقرب الى العمل بهذه الآية فهو منظم مقدر محكم عمله وأنا أحب المتقن عمله
وأسلطه على من بقي فى حضن الطبيعة لا يبرحها . لذلك غلبت الأمم الصناعية الأمم الزراعية . ومما شل الأمم
الصناعية إلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا . وهذا البيت وإن كان أوهن البيوت وأضعف الحصون قد علمكم
درسا متقنا . إن أهل الصناعة يغلبون من لا صناعة عندهم . فتكت العنكبوت بالذباب . هكذا فتكت الأمم
الصناعية بالأمم التى لا صناعة عندها . أفلا تعقلون

لبس كل من كان موفور الغذاء مكرما . وليس كل مكدود منهمك فى العمل شقيا . كلا . بل الأمر
بالعكس . إن الذباب موفر الغذاء فى كل مكان ولكنه مهان . الذباب لا يعوزه صناعة ولا زراعة ولا تجارة .
يأكل من رطوبات الأرض ولكنه ذليل . والعنكبوت حكم عليها أن لا تأكل كل إلا من كذبدها وأن لا تعيش
إلا من صناعتها لذلك مدت الشباك فاصطادت الذباب

لله ﴿ كتابان ﴾ كتاب مسموع بالوحى وآخر مشاهد بالبصر والكتاب المسموع بوحى الأنبياء على
مقدار عقول الأمم فيكون فيه الكناية والمجاز والإيجاز . وأما الكتاب المشاهد فهو نص صريح يشهده
المقرَّبون فيعقلون عن النحل والذباب والنمل من العلم ما تحرَّ له العقلاء سجدا وهم موقنون

لله أكبر . إن الأمم التى أضحت فى خفض العيش ودعت موفورة الرزق تصبح ذليلة كما ذكرناه سابقا
فى خطاب أرسطاطاليس والاسكندر . والأمم التى تألب عليها الأعداء وذات أنواع النصب والتعب يظهر فيها
المحتزعون والمفكرون . أولئك الذين لا ينبغيون إلا حيث تكون الأحوال مضطربة والأجواء مكهربة وقد
أحيط بالأمم من كل جانب وبهذا يظهر سرُّ قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول
ربى أكرم - . وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهان - . كلا - فالذباب ابتلاه ربه بنعمه
ولكنه مهان والعنكبوت اضطر الى صنع البيت لصيد الذباب وهى أرقى من الذباب . الذباب لا صنعة له
والعنكبوت صانع ماهر وآخرهما أرقى . هكذا فلتكن الأمة الإسلامية أمة صناعية زراعية تجارية والا ذلت
للسانين وخضعت للغاصبين

لقد عرف هذه الحقيقة (السلطان سليم) لما حلَّ بساحات مصر فاغتصب منها رجال الصناعة وهم نحو
ألفين وأخذهم منها كرها لبلاد الترك فرجعت الأمة المصرية زراعية لا تعرف الصناعة . ذلك لتبقى ذليلة للترك
كذل الذباب للعنكبوت

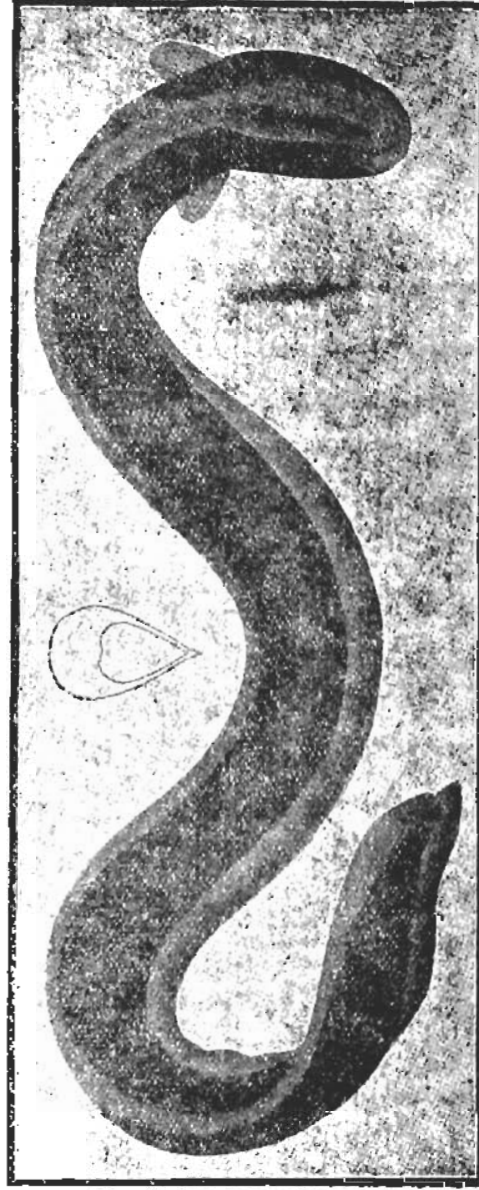
أيها المسلمون . ألم تقرأ نبي إبراهيم عليه السلام إذ وُجِّح قومه على ما يعبدون فاحتجوا بأنهم وجدوا

آباءهم لها عابدين فكسر الأصنام احقاقا للحق ونبذا لآراء الآباء . هكذا فليفعل الجيل المقبل من أمم الاسلام فاذا وجدوا آباءهم عكفوا على جهالة أو نبذوا أمرا نافعا أقلعوا هم عن الضلال . فاذا بعد الحق إلا الضلال . هذه عجائب العلم والحكمة في حشرات ثلاث النحل والذباب والعنكبوت . علم الله ذلك قبل أن ينزل القرآن . وعلم أن المسلمين ستمضي عليهم قرون وهم مغمضون عيونهم عن هذه العجائب في هذه الحشرات فقال . إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين . وقال في (سورة العنكبوت) . وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . بكسر الهمزة ودا على الكفار الذين كانوا يقولون ماذا أراد الله بذكر الذباب والعنكبوت . يشير بذلك الى ما تراه في هذه العجائب في النحل والعنكبوت فان هذه لا يعقلها إلا العلماء الدارسون لهذه الدنيا العارفون بنظامها . ومن عجب انه سبحانه سمي سورتين باسم النحل والعنكبوت ولم يسم سورة باسم الذباب مع ذكره في القرآن تذييها على أن المسلمين يجب أن يكونوا أمة ذات صناعة وذات بأس وقوة فان كلا من النحل والعنكبوت لهما قوة بأس كما تقدم ولهما صناعتان قد علمتهما فيما ذكرناه . والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . هذا ما فهمته اليوم من قوله تعالى . وخلق كل شيء فقدره تقديرا . انتهى ليلة الجمعة ١٤ سبتمبر سنة ١٩٢٨

﴿ نور على نور في قوله تعالى أيضا . وخلق كل شيء فقدره تقديرا . ﴾

هذا تقدير الله وخلق فوق الارض بالعنكبوت وفي الجو بالنحل . ويقول الله تعالى . ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت . فالتقدير الذي نراه على وجه البسيطة هو بعينه الذي نراه في قاع البحار وعلى سطح الماء وفي الجو . فهناك لذلك أمثلة ثلاثة حتى تكون لنا نموذجا ودليلا على غيرها فنقول كما نرى النحل قد أعطى قوتين قوة للنفع وقوة للدفع أى العمل والسهم وكذا العنكبوت الغزل والسهم . هكذا نرى الحيتان في قاع البحار وأولى بعضها قوة الكهر باء بحيث يهجم على فريسته فيقتلها بها وذلك مخلوق فيه قبل أن يعرف الناس الكهر باء على وجه الأرض وأولى قوة الجري حتى يفر من عدوه اذا فاجأه . وهكذا نرى هناك حكمة وعلمها بهما ظهر التدبير والنظام على وجه الماء في الحيوان (صاحب السفينة) المسمى (نوتيلوس)

ها هو ذا صاحب السفينة الذي يديرها على وجه الماء كما تقدم في (سورة طه) عند قوله تعالى . قل ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فقد ذكرت لك هناك نحو (٤٠) نوعا من أنواع الحيوان قد أعطيت صناعات تعلمها الانسان ومنها هذا الحيوان الذي اتخذ له سفينة في البحر قبل أن يصنع نوح عليه السلام سفينه . ولكن القول هناك كان بلا رسم فلأترك هنا شكل السمك الذي جعل سلاحه الكهر باء وشكل الحيوان صاحب السفينة (انظر شكل ٣٠) و(شكل ٣١)

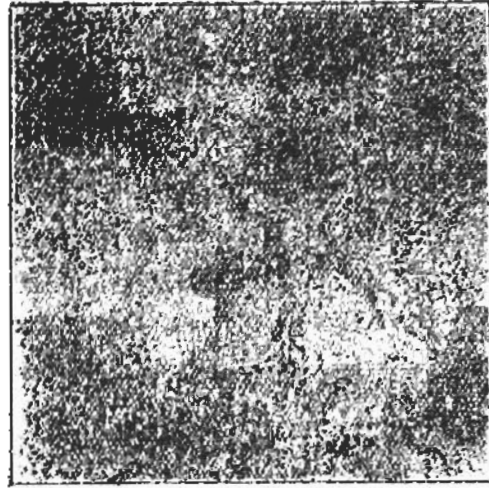


(شكل ٣٠ وشكل ٣١ - هذان الشكلان قفلا عن القطب)

سمك كهر بائی من نهر الكنفو سمك كهر بائی يكون في البرازيل ويشبه الانكليس

اعلم أن السمك الرعاد قليل جدا ومنه ما يسمى عند الفرنجة بالتريد وهو كثير في بحر الروم والاقويانوس الهندي والاندلسي وهو قد يصرع الانسان بقوة الكهر بائية . ومنه ما يسمى (الانكليس الكهر بائی) وهو أقوى السمك الكهر بائی ويكون في البرازيل وغينا ويقتل السمك والحيوان الصغير بكهر بائته . ومنه سمك القط الكهر بائی وهو في النيل ويكثر في بحيرات ارييقية . والكهر باء المذكورة في السمك تتولد من صفائح عضلية منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالساطر المستدة الأضلاع بعضها منضم الى بعض بينها نسج ليفي وأوعية دموية وأعصاب وهذه القوة أعدت لقتل الحيوان الصغير لكاه هذا السمك . وتذكر ما تقدم في سورة الرعد فقد شرحت لك هناك البطارية الكهر بائية . فانظر كيف ترى هناك شكل البطارية وانها طبقات بعضها فوق بعض مرسومة هناك أشبه بهذه الطبقات التي في هذا السمك . فانظر وتعجب كيف وصل الانسان بعد

الجهد الجهد في العلم الى ما أعدت السمك وان البطارية هناك تراها مشروحة كالبطارية هنا طبقات بينها مواد موصلات كما هنا سواء بسواء . والعجب كيف يعطى كل حيوان سلاحه الخاص . وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم . فبعضك بكت شبكته المناسبة لاصطياد الذباب والكن السمك الرعاد لانفعه الشبكة فأعطى قوة الكهرباء ذات البطارية المتكتمة . أفليس هذا من العجب أن ينهر سر قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - في سمكة في البحر وفي نحلة في الجو وعنكبوت فوق الأرض . وترى الأمر غير ذلك في صاحب السفينة (انظر شكل ٣٢)



(شكل ٣٢ - صورة النوتيلاس أو صاحب السفينة)

هذا الحيوان المرسوم أمامك من الحيوانات التي لا فقرات لها . إن الفقرات تكون في الانسان وفي الهائم والسباع والأنعام والسمك والزحافات . والذي لا فقرات له كالمحار والدود والحيوانات الرخوة . وهذه الأخيرة لها كساء من الخارج وهذا الكساء قد يكون جانياً تتصل به عضلات الحركة ونحوها وقد يكون غضروفاً وقد يكون (كاسيا) أصلب من العظم . فهذه هي الحيوانات ذوات الصدف ومنها الاخطبوط والقواقع التي منها الخزون الصغير والبوق العظيم المائل . فمن ذوات الصدف (صاحب السفينة) المرسوم أمامك فيه استقر الحيوان المتقدم المسمى باليونانية (نيوتس) أي سفينة . معلوم أن صاحب السفينة بالعربية يسمى (نوتي) فهما متوافقان يونانية وعربية . وهذا الحيوان يستخدم هذه الصدفة كالنوتي سواء بسواء . فيها يعوم على سطح الماء ويديرها بأصابع الست فيرساها الى الجانبين كالجاذيف وقد استعمال العضوين العشائين كأنهما شراع السفينة . ففي أراد السير جذف بأصابعه هذه وأدار السفينة يمينا وشمالا وحول الشراعين نحو الريح كما يفعل الرابان سواء بسواء فإذا أحسق به الخطر بأن أنه التوء مثلا قبض بأصابعه وشراعيه ودخل الصدفة ونص في قاع البحر فينجو من الخطر . ومن العجب أن يكون جسمه غير ملتصق بيئته . وهذا الحيوان يكون في بحر الهند بالقرب من (جزيرة ملقا)

فانظر كيف كانت سفينة نفعاً له في أسفاره ودراً لا يخطر عنده وهذا قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - فلم يعط صاحب السفينة نسج العنكبوت لأنه لا ينفعه ولا الكهرباء كالسمك ولا العسل لأن هذا كله لا يلائمه بل أعطاه ما يناسب سطح الماء وما هو إذن ؟ هو السفينة - إن ربك هو الخلاق العليم - وكما رأيت في البحر ماله سفينة فإن فيه ما هو طيار حتى تتم الحكمة فله في جنبه زعانف كالأجنحة وهو

أشبه بشكل أسفل السفينة وزعاقفه كالشرع ودوله يزيد على نصف متر وهو في البحار الجنوبية من أوروبا وفي البحر الأحمر وعلى شواطئ البرازيل والولايات المتحدة وبعضه لونه زاه بين أزرق سماوي وفضي وتطير أسراباً ثم تخوض الماء وتعود فتطير ولحمه لذيذ وصيده سهل لأنه كثيراً ما يطير ويقع في المراكب أفليس هذا من العجب أن يكون النظام في قاع البحر وفوق سطح الماء وفي الجو . ومن العجب أن العنكبوت كما ينصب بعنقا الخيام على الأرض فتنتخب الذباب هكذا ترى مئات منها في يوم العواصف طائرات في الجو في طيارات من غزلها قد صنعها كما تصنع الشبكات على الأرض . ومنها ما تتخذ من الورق ومن غزلها سفناً تجرى بها على وجه الماء ومتى لمحت حشرة فوق سطح الماء أسرعت لالتقاطها وجعلتها في سفينتها وأكثها بهسوء وسكينة

هذا هو التدبير والنظام العجيب . فاعجب اسمك بطير ولاخر يصنع السفن والعنكبوت كذلك صنع السفن وصنع الطيارات قبل أن يعرفهما الانسان . والعنكبوت شأن عجيب استعملت سفن الصيد في البحر قبل أن يصنع الانسان سفن صيده . فإذا رأينا نحن الصيادين بجوار الاسكندرية قد اخذوا سفنهم وجدوا بها في الصيد فقد سبقتهم بها العنكبوت . وهكذا اذا رأينا الأمم الحاضرة تصنع العوصات لإهلاك سفن العدو فقد سبقها السمك فصنع ذلك وأخضع فريسته

فهذه نبذة يسيرة جيلة في قوله تعالى - وخلق كل شيء فقدره تقديراً - فاقرواها واقرأ ما تقدم في قوله تعالى - الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وانظر مواضع أخرى تناسب هذا المقام كالذي تقدم في سورة البقرة عند قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض - ونظيره في آخر (آل عمران) في نفس هذه الآية هناك وهكذا في (آل عمران) أيضاً عند قوله تعالى - وترزق من أشاء بغير حساب - وفي (سورة الأنعام) عند قوله تعالى - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مفرطاً في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون - وفيها أيضاً عند قوله تعالى - انظروا إلى ثمره اذا أثمر وينعه - وفي (سورة هود) عند قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - وفي سور أخرى . كل ذلك مناسب لما كتبناه هنا في آية - وخلق كل شيء فقدره تقديراً -

ولما اطالع صاحبي على هذا المقام قال لقد أبنت في هذا المقام الخلق والتقدير في قاع البحر وفوق سطح الماء وفوق الأرض وفي الجو واستبان السمك ذوالالكهرباء والحيوان صاحب السفينة والعنكبوت وشبكاتها في البر وسفنها في البحر وطياراتها في الجو والنحل وما أودع فيه من غسل وسم زعاف . وهذه المجموعة التي كتبناها هنا بديعة وصورها مشوقات للباحث العلمية فهل خطر لك هنا خواطر تدعو إلى هدى أو ترد عن ردى فإني أرى هذه سطورا سطرت في لوح الطبيعة والله أني أتيخيل إلى تلك الطيارات التي طارت بها العنكبوت وتلك السفن التي أدارها بأصابعه الست صاحب السفينة وبالشرعين الذين بهما تجرى في البحر وذلك السمك الطيار في الجو بلونه الزاهي الزاهر الفضي . أقول انه يتخيل إلى انها تحمل حكمة تلوح لأولى الألباب فهل خطرت لك خطرات في هذا الجلال . فقلت نعم ههنا

(بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة)

وهي (ثلاثة فصول في الفصل الأول) في خطاب الله للأمم (الفصل الثاني) في خطابه تعالى للمسلمين (الفصل الثالث) في خطابه تعالى للأمم الاسلامية المتحبرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكران . فلما سمع صاحبي ذلك قال نحن الآن في مقام جلال العلم والحكمة (وبعبارة أخرى) في علم اليقين لا في ظنون وأوهام . فقلت ما الذي رايت في قولي هذا . قل رايت انك قلت خطاب الله للأمم وخطاب الله للمسلمين وخطاب الله لمن لا يفرقون بين الأولياء والسكران . فهذا التعبير يوهم أن الله يخاطب الناس مع

أن هذه أفعال الله وأفعال الله ليست خطاباً . فهذا التعبير من أول وهلة يشعر بخروج عن المألوف . فأنما يخاطب بالكلام الموحى به على الأنبياء ولاوحى هنا . فقلت خبرك أن تصبر حتى أتم هذه الفصول الثلاثة ثم أبرهن لك على أن ما أقول مأخوذ من القرآن . فقال - ستجدني إن شاء الله صابراً - حتى تتم هذه الفصول الثلاثة . فقلت

﴿ الفصل الأول في خطاب الله للأتم ﴾

الله خلق الحيوانات الفقرية كالسمك والانسان والزواحف وما أشبهها وخلق الحيوانات الصدفية التي منها (صاحب السفينة) وخلق النحل والعنكبوت . كل هذه في هذه المقالة . وهذه جمعت أنواع الخلق ان الناس اعتادوا أن يبنوا بيوتهم محاطة بخائط متين قوى يدفع عنهم الطوارئ والحيوانات المفترسة وأقرب الحيوانات الى بناء منازل ذوات الأصداف فكان القياس أن يكون على هذا المنوال كل حيوان ولكن الله بحكمته خاطب الناس قائلاً أيها الناس ه اننى لا يحكم على نظام ولا حال فانكم اذا فكرتم بعقولكم وجدتم أن الحيوان إما أن يشتمل جسمه على جسم صلب أو لا يشتمل فان لم يشتمل على جسم صلب فهو الحشرات ونحوها فكلاهما أجسامها مخلخلة لا عظم لها من داخلها ولا من خارجها جسم صلب والذي له عظم إما أن يكون من داخله وإما أن يكون من خارجه فالذى عظمه من داخله هي ذوات الفقرات كالانسان والسمك وذوات الأربع والطيور وهكذا . والذي يكون جسمه الصلب من خارجه فهي ذوات الأصداف ومنها ذوات السفينة المتقدم ذكره وهذه قسمة عقلية . فاذا ظن الناس أن حياة الحيوان تتوقف على جسم صلب قلنا لهم كلا فهذه النحل ونحوها لاصلاية لها فان قالوا إن الجسم الصلب يكون من خارج كما في منازلنا قلنا لا فهذه عظام ذوات الأربع فانها من الداخل والنجم والجلد من الخارج والحكمة العليا هي التي قضت عكس ما نصنع في بيوتنا وقيل لنا انظروا هذه بيوتكم وبلدانكم يحيط بها حوائط وأسوار متينة البناء لحفظها من الخارج ولكن أجسام الانسان وذوات الأربع ونحوها جعل الجسم اللطيف خارجا وحافظنا عليه بالخواص والحفاظة عليه مع ان القياس كان يقتضى أن يكون يحيط الجسم صلبا كهية ذوات الصدف حتى يتسنى للجسم أن يقاوم الجو والطوارئ وهذا هو السر في قوله تعالى - خلقنا المصغرة عظاما فكسونا العظام لحما - الخ ثم أعقبه بقوله - فتبارك الله أحسن الخالقين - وإنما قال - فتبارك الله أحسن الخالقين - بعد قوله - فكسونا العظام لحما - الخ لأن كسوة العظام باللحم تخالف المألوف من أعمال الخلق لأنه أشبه بمن يبنى منزله ويجعل مخزن الطعام والملابس وحجر النوم خارج - ور المنزل - فالعظام الصلبة يجب أن توضع محيطة بالجسم لتحميه كالحيوانات الصدفية لأن يجعل اللحم الطرى والجلد الرقيق حافظين للعظام . كلا فلما كان هذا الوضع خلاف المألوف المتعارف وكان مع ذلك متقنا وأفضل من العكس علم أن هذه الصنعة أكثر اتقاناً من صنعة البنائين في الأرض فلذلك جاء في القرآن - فتبارك الله أحسن الخالقين - وبهذا تبين أن الأحوال الثلاثة للخلق قد ظهرت في عالم الخلق وكأن الله عز وجل يقول أى عبادى أنا لم يعنى عن الخلق شئ فلا عظم من معنى الخلق ولا وضعها داخل الجسم مع لطافته وصلابها . ولقد فعلت في أجسامكم وأجسام الحيوانات هذه التنوعات كلها كما فعلت في ثمرات الشجر فتارة أجعل الشحمة في التمرة وهي طرية خارجا والتواة الصلبة داخل الخلق السمك والانسان . وتارة أعكس فأجعل الصلب خارجا واللطيف داخل كاللوز والجوز فأنا لا يحجبني شئ . وهذا درس لكم لتعلموا أن سعادكم لا تتوقف على حال . فاذا كانت الحياة لم تتوقف على وضع ما بل جميع الأوضاع ظهرت فيها الحياة فهكذا - عادتكم لا تتوقف على حال واحدة فكونوا ملوكا أو سوقة وكونوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء فكونوا كما تشاؤون . فهذه الأحوال لا تحجب السعادة عنكم كما لا يحجب الحياة نوع من أنواع الصور والأوضاع . انتهى الفصل الأول

﴿ الفصل الثاني في خطاب الله للمسلمين ﴾

يقول الله للمسلمين ها أنتم أولاء رأيتم العنكبوت قد صنعت لها طيارة في الهواء وسفينة في البحر ورأيتم السمك يطير في الجو والصدف يسير سفينة في البحر . فيا أيها المسلمون أنا لم أرسل رسولا إلا يرشد عبادي إلى الأعمال الصالحة وأي سنة أعظم من سنتي وأي سبيل أهدى من سبيلي . إن سبيلي تنويع العمل وإبراز أجل الصناعات وأبداع الحكم فإذا رأيتم لظني في ابداع الخريز في جسم العنكبوت وتعليمها أن تطير به وفي جسم النحل في ابداع العسل وفي جسم السمك في اظهار الكهر باء وفي حيوان السفينة في اعطائه سفينة فعناه انكم يجب أن تبرعوا في الصناعات لاسيما اذا رأيتم الأمم حولكم قد برعت فيها فأى نبي من أنبيائي يأمر أو يبيح لعبادي أن يحرموا على أنفسهم اتباعي في الابداع وفي اتقان الصنعة . فليلبس المسلمون لكل حال لبوسها وليبرزوا للناس صناعات تناسب أزمانهم والافهم الأخسرون أعمالا - الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا -

برعت الأمم في غزل المنسوجات وفي تدبير الحرب وفي نظام الحياة . فعلى المسلمين أن يكونوا أرقى في سائر الصناعات . انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث في خطاب الله للأمم الاسلامية المتحبرين في خوارق العادات ﴾

فلا يفرقون بين الأولياء والكهان

إن الله يخاطب المسلمين بهذه المخالقات وصنعها . يقول أيها المسلمون لبس امتياز طائفة من أهل دينكم بالاخبار بالغيب فرضا أو بظهور بعض الخوارق على يديهم تفضيلا لهم عن سواهم . ان الاخبار ببعض الغيب مشوب بالكذب لم تخل منه أمة . ألم تروا المؤمنين تنوعا معنطيسيا . ألم يثبت يقينا انهم يخبرون ببعض الغيب ألم تظهر بعض الخوارق للعادات في مجالس تحضير الأرواح (اقرأ في كتاب الأرواح تاليفي) ونقدم بعضه في (سورة البقرة) وفي سور أخرى وأن غلاما صير فيا جاهلا أتم رواية ديكنس بعد وفاته والانشاء هو هو لم يتغير وهذا الغلام غبي لا يعقل شيئا مما كتبه ، فهل هؤلاء الوسطاء في التنويم المغناطيسي أفضل من أنبيائكم وعلمائكم . كلا . ثم كلا . ومماثل هؤلاء إلا كمثل الهدهد إذ قال لسلیمان - أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ نبأ يقين - فهل هذا الهدهد أفضل من سلیمان ، أو كمثل الخضر مع موسى فالحضر عرف حال السفينة وأمر الغلام والجدار وعلم موسى ولكن موسى أفضل من الخضر وهكذا محمد ﷺ يقول الله على لسانه - ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء - . إذن الأنبياء لا يعلمون الغيب وعلمهم بالغيب في مثل هذا نقص وكيف لا يكون نقصا وهم اذا علموا الغيب أصبحوا ولا عمل لهم ولا فكر . إذن كيف يقتدى الناس بمن لا يفكر لهم ولا تدبير وأين العقلاء إذن . فالأنبياء مكافون وهم لا يعلمون الغيب وانما يوسى اليهم الشرائع والتوحيد وما عدا ذلك هم فيه مجتدون . ومماثل الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وجرت على أيديهم بعض الخوارق فرضا أو أخبروا ببعض الحوادث (إن صح) إلا كمثل العنكبوت طارت في الجو بلا أجنحة . فهل أدهش هذا سائر الحيوانات فعدتها سيدتها جميعا . كلا . إن امتياز بعض السمك بأن يطير أو بأن يكون فيه كهر باء وبعض العنكبوت بأن تطير وأن تجري المراكب يشابه امتياز بعض المسلمين بخوارق العادات إن صح ذلك فليس لمن خرق له العادات فضل إلا كفضل العنكبوت على سائر الحيوانات مثلا . فهذه صناعات وخواص لا أثر لها في الفضل . وكأن الله يقول أيها المسلمون لما علمت انكم تركتم سبيلي وجهلتم قدرى ولم تعقلوا قولى - وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة - سلطت عليكم شيوعا جاهلين فجعلوا الدين شركا واتخذوكم ذبائبا واصطادوكم بهذا الشرك فهم عنكبوت وأنتم سيدهم أيها المسلمون مادمتم جهالا فاقى أرسل هؤلاء ليجتصوا دماءكم لأنكم نسيتموني فأنا أيضا أنساكم وأترككم

في أيدي الجهال منكم وهم لكم أعداء وجعلتهم قناطر يمر عليها المستعمرون لبلاد الاسلام فيكون أولئك الشيوخ سلما يصل عليه المستعمرون الى رقاب أهل البلاد واستعبادهم . ألا ساء مثلاً الماسعون المغفلون الجاهلون (اقرأ ما تقدم في سورة الحج عند قوله تعالى - وما أرسلنا قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى - الخ من كلام الشيخ الخواص والشيخ الدباغ)

إن من فتح عليه بسبب العبادة ثم نصب نفسه لقيادة الناس وجعل هذه الخوارق باباً للرزق فهو من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وهو عند المستعمرين لبلاد الاسلام أشبه بالمثل المشهور ﴿أكل بيد القط﴾ وسببه أن الفرد استعمل يد القط في أخذ الفاكهة المسماة (فروة) من النار المتقدة فصرخ القط فسمع صاحبه الصراخ والولولة فجاء فوجد هذه الحال فذهبت مثلاً افرنجياً . فهؤلاء الشيوخ استعملهم الفاتحون لبلاد بعض أئم الاسلام يأمرونهم بالأوراد ليلاً ونهاراً ولا يأمرونهم بالتفكير والتعقل ليظلموا لهم خاضعين . هنالك قال صاحبى لقد تم القول الآن في الفصول الثلاثة فأرجو اجابتي على ما سألت من قولى لك كيف تقول قال الله مع ان القائل أنت . فقلت قد آن أن أجيبك عليه . اعلم أن الله عز وجل يقول - ووضعت الميزان - ألا تطفئوا في الميزان - فأنه وضع النظام في السماء والأرض المعبر عنه بالميزان لنزن نحن بالصدق بلا زيادة ولا نقص وقد وضع هذا في أول (سورة يونس) فأرجع اليه فانك ترى هناك حساب هرم مصر الأكبر وكيف كان حسابه على مقتضى حساب الدائرة الشمسية السنوية وهذا الحساب على مقتضى بنى الهرم وعلى مقتضى الهرم عرفنا الوزن والكيل والمساحة بالدقة . إذن الناس يقلدون ربهم في فعله ولولا هذا ما عرفوا رطلا ولا فداناً ولا أردباً . قال صاحبى هذا حسن ولكنى أريد أقرب من هذا . قلت في موضوعنا . قال نعم . قالت قال الله تعالى في (سورة هود) - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - فها هو ذا سبحانه بعد أن ذكر تربته لكل حيوان وأنه آخذ بناصيته أبان أن هذه التربية في غاية النظام ولم يقف عند هذا الحد بل أمرنا في (سورة الفاتحة) أن ندعوه فنقول - اهدنا الصراط المستقيم - والنكرة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فهو يقول اهدنا صراط الله المستقيم المعروف وكيف نهدي الى طريقه إلا بدراسة نظامه في خلقه . فكما درسنا نظام الأفلاك وسرنا في سفننا على مقتضى في البحر وفي القطارات على وجه الأرض ووزنا ومسحنا وكننا . هكذا ندرس نظام الحيوان لتتسع عقولنا لنظام حياتنا . إن الحياة الحيوانية مقدمة للحياة الانسانية ومن جهل المقدمة جهل النتيجة إن العلامة (سبنسر) يقول ﴿إن الناس قرؤوا قبل أن يكتبوا﴾ فليعلم الأساتذة التلاميذ القراءة قبل الكتابة مشاكسة للطبيعة ليكون النجاح . فعلى المعلمين أن يتدثروا بالقراءة ثم بعد ذلك يكتبون . هكذا نرى الله خلق الحيوان قبل الانسان . فليدرس الناس الحيوان وتشرح الانسان وتاريخ حياة الأمم وتاريخ أممهم أنفسهم . فمن جهل تاريخ أى علم فقد جهل نفس العلم ومن جهل علم الحيوان وعلم النبات فقد جهل نظام الانسان لأن دراستهما أسهل من دراسة الانسان ومتى درسهما الانسان استحق أن يفهم عالم الانسان إذن الله تعالى بخلق هذه العوالم يخاطبنا كما قلت لك لأنه أمر أن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهو نفسه على صراط مستقيم في خلق عالم الحيوان وغيره فلا بد من دراسة هذا الصراط ثم ندعوا الله أن نسير عليه . إذن ظهر لك أن قولى إن الله يخاطبنا بمصنوعاته حق فكيف ندعو الى صراط مستقيم نجعل بعضه وصراط الله المستقيم يتبع

فلما سمع صاحبى ذلك قال أنا لا أجادلك في هذا القول بل أقول انك أنبت بحجة وقطعت بصدق وقول حق فان قوله تعالى - والسماء رفعها ووضع الميزان - الخ وقوله - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - بعد هذا البيان دلانا على أن هذه العوالم كلها طرق ذلت لتنهجها وسبل لنسير عليها

ولكن هذا كله كلام اجالى فان مسألة العنكبوت والنحل والسمك الكهرباى وكل ما ذكر فيها كلام عام واستتاج اجالى فاذا ذكرت لنا مثلا بعض هذه العوالم وتشرحه شرحا جيدا من العلم ثم نجد القرآن نص عليه ايضا فان ذلك يكون نموذجا لجميع العلوم ويصبح المسلمون بعد قراءة ذلك مسرعين الى أن يتخصصوا في العلوم ويوقنوا ايقانا تاما بأنهم في قراءة الحشرات والنرات في أجلّ عبادة ويكفون على أعمال التجربة في الأعمال السكمانية والأعمال التشريعية وهكذا . فقلت ان الله تعالى يقول في قوم فرعون - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين -

انظر العجب . انظر كيف يقول الله في الطوفان وفي الجراد وفي القمل وفي الضفادع . ماذا يقول ؟ يقول - آيات مفصلات - فجعل الماء الذى يفرق أرض مصر وغير أرض مصر آية مفصلة وجعل الحشرات التى منها الجراد والقمل - آيات مفصلات - وجعل الضفادع من الحيوانات الزاحفة ذوات الفقرات - آيات مفصلات - ألا تعجب معى كيف جهل المسلمون هذا الدين . الله يقول - كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون - فهو كتاب مفصل الآيات باللغة العربية ولكنه انما يفهمه أهل العلم والله هو نفسه يجعل الماء والحشرات والضفادع - آيات مفصلات - . إذن الآيات المفصلات كما تكون قولنا تكون فعلا ومن الفعل الحشرات والماء وهكذا ولم يكلف الله تعالى بذلك بل قال عند الكلام على العنكبوت - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) فالعالمون جمع عالم . إذن الله يقول ان القرآن وآياته المفصلة نزل لأولى العلم ويقول ان العنكبوت وأمثلة الحشرات أمثالا لأولى العلم . إذن ظهر الأمر واتضح وأصبحت الحشرات وأمثلة الحشرات آيات كما ان القرآن آيات . فقال صاحبي هذا أمر عجيب وبديع . إن الناس يشاهدون الجراد والقمل والضفادع ويحسون بالدم في أجسامهم ويشاهدونه في ذبائحهم فلا يأتهمون لها ولا يقيمون لها وزنا وغاية الأمر أن يدفعوا الجراد والقمل عن زرعهم وأجسامهم . أما كونها تحتاج الى علم وانه لا يفهمها إلا العلماء فهو غريب على المسلمين وهكذا الآيات المقروآت المتقدّمات فاذا سمع المسلم قوله تعالى - فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد - الخ مرّ عليها كما يمرّ على أكثر القصص يحترمها احتراما دينيا . أما انها تحتاج الى تعقل وفكر فهذا بعيد وغريب سل عاتمة المسلمين من علماء وجهال وقل لهم ؟ هل الجراد والقمل والضفادع والدم المذكورة في القرآن تحتاجون في فهمها الى عقل وعلم ؟ وهل نفس هذه الحيوانات يحتاج الناس في فهمها الى علم وعقل فانهم جميعا يجيبونك بلسان واحد . هذا أمر معقول مفهوم نحن نعرفه ونفهمه ولا نحتاج الى علم ولا تعقل . فقلت سترى الآن كيف يحتاج ذلك كله الى علم وأن أكثر المسلمين مخدوعون وأن مثلهم مع أمثال هذه المباحث كمثل رجل سار في أرض عراء فلمح جبلا فظن انه يصله في عشر دقائق ولكن الجبل المرتفع يوهم الانسان انه قريب وهو بعيد كما يرى الناس أن الشمس قريبة رأى العين وهى بعيدة فيظل المسكين سائرا أكثر يومه حتى يصل اليه بعد طول الشقة . فالمعلومات قد أبرزها الله للناس وجعلها تحيط بهم فظنوها معلومة كما ظنوا انهم عرفوا حقيقة الشمس بالنظر الى ظاهرها ولكنهم عند الامتحان يتحققون انهم جاهلون وأن هذه أمثال والأمثال لا يعقلها إلا أولوا العلم

فهاك الطوفان المذكور في الآية . يقول الله في قصة موسى انى أرسلت الطوفان على أهل مصر ؟ لماذا ليخافوا الله ويؤمنوا . فهنا (أمران) اعظام الله بسبب ظهور جبروته وسطوته والايمان به فارسل الطوفان يهلك الأمم فهذا التمهيد يورث القلوب اعظاما واجلالا لله وينتج منه الايمان به والتصديق وهذا مثل من الأمثال التى لا يعرفها إلا العلماء فلم ينزل الله القرآن إلا لنا نحن ونحن ننظر فنقول ان الماء ينزل من السماء في خط الاستواء ويجرى في النيل سائرا الى البحر الأبيض المتوسط فاذا زاد زيادة فوق العادة أغرق البلاد فكان آية مفصلة . هذا ظاهر الآية ولكن الحقيقة أن هذا النيل وأمثاله كدجلة والفرات وسيحون وجيحون والنيجر

في السودان وأمثالها وكالطونه وفلجا والتميس في أوروبا . كل هذه اذا تركت وشأنها أهلكت الحرث والنسل في كل سنة فلولاً أن الناس يعملون لها جسورا وقناطر وكانت وبالا عليهم فتغرقهم تارة وتجعل أرضهم فقراء تارة أخرى (والدليل على ذلك * أولا) ان نهر النيل الذي يجري في بلادنا المصرية ما كان ليعيش به قبل أيام محمد علي باشا أي نحو سنة (١٨٠٠) ميلادية وما قبلها الا نحو أثنى ألف انسان (مليونين) لا غير وذلك بسبب اهمال الحكام وجهلهم إذ ذاك أيام انحطاط الأمم الاسلامية فكان هذا النيل يفرق البلاد تارة ويتركها أرضا فقراء تارة أخرى . فأما في هذه الأيام (سنة ١٩٢٨ م) فان البلاد تعدادها نحو (١٤) مليوناً وماء النيل لا يزال قابلاً لسقي أرض أوسع مما يسقي الآن فيفتدى بالزرع عشرة ملايين أخرى على طول الزمان . إذن الله عز وجل ذكر الطوفان في الآية وقال انه آية مفصلة وقال انه لا يفهمه إلا العلماء لهذه الحكيم العجيبة

أليس من العجب أن تكون أرض اليمن ملك أمة اسلامية وقد سمى الله سورة باسمها وقال انه كان فيها سدّ العرم وانه كان فيه جنتان . فيأليت شعري أين ذهبت الجنتان الآن وأين السدود الأخرى هناك . إن هذه البلاد وبلاد حضرموت وغيرها قد أنزل الله لأهلها مطرا في فصول السنة وهم لا يحفظونه فيترك الأرض قاعا صافصفا لا تنبت نباتا . أليس من العجب ومن المؤلم أن تكون هذه الأمة الاسلامية لم تصل في عمران بلادها الى ما وصل اليه أم قبلهم عباد أوثنان في اليمن وفي حضرموت وفي غيرها والله يذكر الطوفان في الآيات ويذكر سد العرم ويقول - فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - وما الاعراض المذكور إلا جهل العلوم التي بها اصلاح السد كما حصل في مصر قبل أيام محمد علي باشا كما تقدم . فهل يتفكر المسلمون حتى يكونوا من الذين قال الله فيهم - وما يعقلها إلا العالمون - . اللهم انك أنت المعلم والهادي وعلى من اطلع على هذا أن يرشد الأمة الى سواء الصراط (ثانيا) ان الحشرات التي ذكر منها الجراد والقمل في الآية ليس يعرف الناس منها إلا أن الأول يهلك الزرع والناس يطاردونه * ويقول شاعرهم

مرّ الجراد على زرعي فقلت له * لا تأكلن ولا تشغلن بافساد

فقام منهم خطيب فوق سنبلة * انا على سفر لا بد من زاد

وأن الثاني يؤذي الناس في فراشهم فينظفون ثيابهم ليعبده عن أبدانهم لأجل صحتها . ويقرون في كتاب (كناية ودمنة) أن البرغوث حل ضيفا عند القملة في فراش رجل غني فلدغه البرغوث ليلا ففتر البرغوث وبحت الرجل فلم يجد إلا القملة فقتلها وجعلوه مثالا لمائة الرجل المجهول فانها ترجع على الانسان بانثر بال هذا ما يعرفه الناس في القمل واخوتها البراغيث ولكن الآية لا تنقف عند هذا الحد فان هناك فرقة بين الخيال والحقيقة . فالذي في (كناية ودمنة) ضرب مثل خيالي والقرآن يقول إن هذه حقائق علمية أي انه لا يعرف هذه الا العلماء . وأما هذه فهي أمثال سهلة يعرفها العلماء والجهال متى ألفت اليهم . فقال فما علم هذا عندك . فقلت ان البراغيث المذكورة يظن الناس ايذاءها قاصرا على لدغهم في الفراش ولكن العلم اليوم أثبت بعد البحث والتنقيب أن البراغيث تجلب الطاعون والأمراض العتقة . ولا جرم أن القمل المذكور في الآية لا يراد بها خصوصها بل المراد هي وأمثالها من مؤذيات الحشرات وأقربها اليها البراغيث التي قرنت بها في كتاب (كناية ودمنة) فأمثل القمل كالطوفان سواء بسواء . فكما أن الطوفان يهلك آلافا دفعة واحدة هكذا البراغيث تفعل ذلك . وكما أن ماء النيل وأمثاله معرض في كل وقت اذا أهمل أن يكون اهلاكة علما وأن يكون طوفانا هكذا نحو البراغيث تفعل ذلك اذا تركت وشأنها . قال فاذكري برهان ذلك من العلم . قلت اعلم أن الله عز وجل قد أمّنه هذا التفسير بالعلم وأيدني فيه تأييدا لم يكن ليخطر لي . ومن عجب اني لا أنكلف ما أكتبه بل تساق الى العجائب من حيث لا أحسب . فانظر كيف أصدرت مصلحة الصحة المصرية نشرة في هذه الأيام يوم السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٢٨ م أثناء كتابة هذا المقال وفيها أن البراغيث رسل الموت إذ تنقل

الأمراض المهلكة من الفيران الى الانسان تبينا لما قلناه وهذا نصها

﴿ خطر الفيران ﴾

(تاريخ حياتها)

تعيش الفأرة سنتين تقريبا وتبلغ سن الحمل قبل أن تصل الى الشهر الثالث من عمرها ومدة حملها ٢١ يوما وقد تلحق بعد بضعة ساعات من الولادة والفأريولاد عاريا من الشعر وأعمى وآذانه مغلقة ويستمر كذلك مدة أسبوعين ويكبر حجمه في الأسبوع الرابع من عمره . وتحمل الفأرة من ثلاث الى خمس مرات في السنة وفي كل مرة تلد من ٦ الى ٩ فيران وقد يصل عدد ما تلده في المرة الواحدة الى ٢٣ فأرا ويتوقف ذلك على مقدار غذائها وملاءمة الجو فكلما ازداد الغذاء وكان الجو ملائما ازداد عدد مرات حملها وعدد ما تضعه في كل مرة

﴿ طبائع الفيران ﴾

الفار لا يخرج من حجره إلا بالليل ويقضى معظم يومه نائما داخله . والفيران تخزن ما كولاتها داخل حجورها حتى اذا وجدت صعوبة في الحصول على قوتها في وقت من الأوقات أمكنها أن تعيش بما خزنته حتى تجد موردا آخر للقوت . وهي تحفر حجورها قريبا من الجهات التي تحصل منها على طعامها ولكنها في بعض الأحيان قد تقوم برحلات طويلة للحصول على غذائها وتبع في رحلاتها طريقا خاصا لا تحيد عنه عادة . ومن طبائعها التنقل في فصول السنة المختلفة فقد تهجر المنازل في الربيع الى الغيطان حيث يمكنها الحصول على غذاء أشهى مما تجده في المنازل في ذلك الوقت ثم تعود الى المنازل في الخريف لتقضي فيها مدة الشتاء . وهي كثيرة الدهاء وشديدة الاحتراس من وقوعها في المصائد وتصبح أحيانا مفترسة سيما اذا قل مورد غذائها وقد تأكل صغارها أو الضعاف من ذريتها وقد تهجم في بعض الأحيان على الانسان بتوحش خصوصا اذا كان نائما وتنهش الجثث في مقابرها وتهجم على بعض الحيوانات فتنهش لحمها . وقد عثر عليها تفعل ذلك مع الفيلة فتعض أرجلها ومع الخنازير فتأكل من آذانها وأبدانها . وهي تقتل صغار الأرانب في حجورها وتستولى على بيض وصغار الطيور لتأكلها ولها قدرة غريبة على سرقة البيض وقد تسرق البيضة من تحت الدجاجة بدون أن تشعر بها

﴿ الخسائر التي تسببها الفيران ﴾

ان الأضرار المادية التي تسببها الفيران لا تخفى على أحد فاذا حسبنا أن مقدار ما يأكله الفأر الواحد في اليوم يقدر بربع ملجم فقط وأن عدد الفيران الموجودة بالقطر المصري (١٤) مليوناً أى بنسبة فأر لكل شخص (وهذا التقدير قليل بالنسبة للواقع) لبلغ مقدار ماضيع سنويا في غذاء الفيران فقط مليون ونصف مليون جنيه تقريبا . هذا فضلا عما تسببه من الخسائر والأخطار بحفر حجورها في جدران المنازل وبين السقوف فقد تداعت مبان كبيرة الى السقوط لهذا السبب وقد نتجت عن قرضها لمواسير المياه والغاز حوادث خطيرة . ومن أضرارها انها تحمل عيdan الكبريت الى حجورها وتقرضها فتسبب أحيانا حرائق كبيرة

﴿ الفيران والأمراض ﴾

فضلا عما تسببه الفيران من الخسائر والأضرار والحوادث الخطيرة نحمل جرائم عدة أمراض فتاكة تنتقل الى الانسان بواسطتها . وأهم تلك الأمراض الطاعون وهو الأصل يصيب الفيران ويقتل منها عددا كبيرا وينتقل منها الى الانسان بواسطة لدغ البرغوث . وداء الاسيرونيتا المصعوب بيرقان وزيف والتولاريميا والمرض بالدودة الحيطية وعدة ديدان معوية أخرى والحجى المنسبية من عضه الفأر

﴿ طرق إبادةها ﴾

(١) يجب احراق القمامة (الزباله) والفصائل المنزلية يوميا أو وضعها في وعاء له غطاء محكم

(٢) يجب بناء المحلات التي تخزن فيها المأكولات والتي تغشاها الفيران عادة من مادة تمنع دخولها إليها كالأسمنت

(٣) يجب سد المجور بقطع من الزجاج ثم بقطع من الحجارة والأسمنت حتى لا تقوى الفيران على قفها
(٤) يجب سد نوافذ البديونات السفلى والفتحات الصغيرة التي تدخل منها الفيران بقطع السلك أو الزنك
(٥) استعمل مصائد الفيران في المحال التي تغشاها هذه الحيوانات ويجب غسل المصيدة جيدا بعد كل مرة وتغيير الطعم يوميا

(٦) استعمل طرق التسميم للفيران وأحسنها خلط ملح كربونات الباريوم بقطع من الخبز أو الدقيق أو السردين أو البيض أو البطيخ أو الطماطم . ولكن يجب الاحتراس من وصول هذه السموم الى الحيوانات والطيور والأطفال

(٧) يمكنك الاستعانة بالحيوانات الأليفة لصيد الفيران وأهمها الكلاب والقطط فانها تقتل عددا كبيرا منها
(٨) انشردطعا من النفتالين أو مسحوق الكبريت في الأماكن التي تغشاها هذه الحيوانات فان الفيران تتركه رائحة هذه المواد ولا تقترب من الأماكن الموجودة بها انتهى

فانظر الى مرض اليرقان والتزيف ومرض الدودة الخيطية والديدان المعوية والطاعون فهذه كلها أمراض مهلكة تنقلها البراغيث الى الانسان . فالبراغيث من الحشرات ذوات الأرجل الستة كالجراد والقمل والفيران من ذوات الفقرات والدم والعظام . فانظر كيف اتحدت كلها على اهلاك الانسان

ألا ترى أن هذا لا يعقله غير العلماء به . كلا . وهل تظن أن الناس وهم على حالهم بدون قراءة العلوم يعرفون خطر الفيران وخطر البراغيث . كلا . إذن هذا هو الزمان الذي تظهر فيه حقائق القرآن ويعلم الناس لماذا ذكر الله الجراد والقمل والطوفان والعنكبوت والذباب ثم لماذا يقول ان هذه الأمثال لا يعقلها إلا العلماء إن هذه الأسرار هذا زمان ظهورها . والفضل كل الفضل لظهور هذه الأسرار في زماننا انتشار العلوم في الأمم حولنا . فهذا هو الزمان الذي يظهر فيه معنى . وتلك الأمثال نضر بها للناس وما يعقلها إلا العاقلون . فهذه من مبادئ العلوم التي سيعرفها المسلمون بعدنا وهم الذين يدرسون هذه الدنيا ويعرفون أن هذه المخاوف آيات مفصلات . فاذا درسوا حشرة كالنمل أو النحلة أو الجراد أو أمثالها تبينوا (أمرين * الأول) أنهم يتقون الخطر الناشئ من الحشرة بسبب دراستها كما يتقون عذاب الله بالإيمان فلا يفرقون بالطوفان في الآية ولا تسلط عليهم الحشرات (الثاني) أنهم بسبب هذه الدراسة قد وقفوا على الحقائق وأدركوا عجائب الحكمة ففرقوا ربههم وبهذه المعرفة غرسوا لهم رذائل في جنات العلم والحكمة وعاشوا في سعادة علمية لا يحظى بها سواهم . فلانعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون . وهالك مثالا آخر وهو

❖ مرض الدنج ❖

(أعراضه . جراثيم المرض . أسباب انتشاره . وصف الستيجميا . أنوار حياتها . مقاومة الدنج)

(بقلم الدكتور سامي بك كمال)

لم نعتز على وصف لهذا المرض قبل (الشيخ الجبرتي) الذي ذكره في تاريخه المشهور وصفا دقيقا حيث قال بالحرف الواحد ما يأتي

(في منتصف شهر رجب سنة ١١٩٣ هجرية الموافق سنة ١٧٧٩ ميلادية ظهر بمصر وضواحيها مرض سموه (بأبي الركب) وفشا في الناس قاطبة حتى الأطفال وهو عبارة عن حمى ومقدار شدته ثلاثة أيام وقديريد

على ذلك وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ويحدث وجعا في المفاصل والركب والأطراف ويوقف حركة الأصابع وبعض ورم ويبقى أثره أكثر من شهر ويأثى الشخص على غفلة فيسخن البدن ويضرب على الانسان دماغه وركبه ويذهب بالعرق والحمام وهو من الحوادث الغريبة ﴿ انتهى ﴾
وكذا الدنج هذه لا يعرف أصلها وكل ما قيل فيها تخمين . ويغاب على الظن أن وطنه الأصلي (عدن) وما جاورها . وربما سموه الدنج تحريفا واشتقاقا من عدن . ثم انتشر هذا الوباء الى جميع العالم في المناطق الحارة والدافئة ولم تخل قارة منه . لذا سمي باسماء كثيرة وجعلوا له في كل بلد اسما . أما في مصر فسموه (بأبى الركب) ومن بعدها (بحمى الباج) حيث يتفشى في أوائله واستوطن بممالك مختلفة ويمكن اعتبار مصر موطنه . ومن خواص هذا الوباء سرعة انتشاره وتعطيله في أسابيع قليلة لحركة الناس وأعمال الشركات والجماعات والحكومات ويأثى زمن لا يخلو منه بيت فيه مريض أو ناقة من مرض

﴿ أعراضه ﴾

آلام بالرأس والمفاصل وارتعاش الجسم ثم حى مرتفعة مصحوبة بطفح أو باحمرار في الوجه ومن خواص تلك الحمى انها لا تسير على وتيرة واحدة ولذا يمكن اعتبارها متقطعة ومدتها أسبوع يظهر على الجسم في خامس أو سادس يوم منه طفح ثان عبارة عن نقطة رقيقة جراء على الأيدي والذراعين والساقين وقد ينتشر على كل الجسم وقد يصحبه تميل وحكة . وقد تختلف هذه الأعراض من مريض الى آخر اختلافا جوهريا فلا يرى الطفح مثلا وقد لا تظهر الحمى مطلقا أو تكون مدتها بسيطة أولا تبدأ بارتعاش الجسم وتفقد شهية الطعام وتتضخم العقد اللمفاوية أو يعثرى المريض أرق أو نزيف وقد تتورم المفاصل . انما الذى لا يختلف في جميع الحالات هو شدة الآلام في المفاصل والعضلات . يعقب كل هذا انحطاط في القوى في الاسبوع الثانى للمرض وفقد شهية الطعام يدخل بعدها المريض في دور النقاهة الصحيحة

﴿ جرثومة المرض ﴾

لم يعثر للآن على جرثومة هذا الوباء وهى موجودة بالفعل حيث أخذ دم المريض وحقق به الصحيح فأحدث المرض (تجارب كريج) وهذه الجرثومة دقيقة جدا للدرجة انها تمر بالمرشحات الدقيقة التى تحجز غالب الميكروبات حتى الدقيق منها . وقد اتضح ذلك بما كان أحداث المرض بعد ترشيح دم المريض وحققه الى السليم بواسطة (الدكتور كريج)

﴿ أسباب انتشاره ﴾

برهن بعض العلماء على أن البعوض هو ناقل المرض وقد أظهر ذلك بوضوح الدكتور (كيلاند) الذى نفح أنواعا مختلفة من البعوض بتغذيتها من دم المرضى ثم اطعمها من أشخاص فنجحت العملية ونقل مرض الدنج بواسطة النوع المسمى (ستيجوميلا فاسيانا) وهو كثير الانتشار في مصر . والبعوض الملقح يحدث الدنج بعد خمسة الى تسعة أيام من اطعمته دم المريض به . وتظهر على المصاب علامات الدنج في مدة تتراوح بين خمسة وثمانية عشر يوما ووجد أيضا أن دم المصاب يجرى فيه جراثيم الدنج مدة أسبوعين كاملين من ابتداء المرض يمكن البعوض أثناءها أن ينقل مرض الدنج الى الأشخاص

﴿ وصف الستيجوميلا وحياتها ﴾

هو بعوض أسود أرجله بيضاء مسكنه البيوت ويعيش من دم الانسان وفي حالة سكونه يوجد في مواضع الظلام خلف ستار أو باب أو تحت الأسرة . يمضى حياته بقرب من المياه وفي درجة حرارة تزيد على (٢٣) سنيجراد ولا تنقل عن ١٧ ° وله طيران قوى بدون أزيز ويقع بغتة على فريسته ويحدث ألما أشد من الألم الذى يحدث من البعوض العادى . لا يطارده الريح . يعيش على الفاكهة وقد ينقل بواسطتها الى مسافات

بعيدة فينتقل معه المرض . يتغذى هذا البعوض من دم الانسان ولا فن دم الحيوان
داخل المنازل أو خارجها اذا احتجبت أشعة الشمس وليلا في النور . والستيجوميا تتعاطى طعامها كل ثلاثة
أيام تقريبا من دم الانسان ولا فن دم الحيوان

﴿ أدوار حياتها ﴾

لاتبيض الستيجوميا بعد تلقيحها إلا اذا تغذت بالدم وتضع بويضاتها في أى آنية أو حوض فوق سطح
الماء بقليل فإذا علا الماء فقس البيض . ويوجد البيض في الآبار والبراميل وفي أى شئ ملقى كعلبة صفيح
أو غلاف فاكهة وفي دور المياه والمراحيض وفي بقايا الزجاج أوفى أواني الأزهار وتجويقات الأشجار وبجوار
الأنهار وفي تجويقات الأرض بعد الأمطار . وعدد البيض يتراوح من ٧٠ الى ١٥٠ بيضة لكل بعوضة
ويمكنه أن يعيش ثمانية أشهر كاملة أو أزيد وقد يقاوم البيض مدة الشتاء فيفقس في الربيع وربما كان
الفقس حاملا جراثيم المرض فينقلها بدوره الى الانسان . أما مدة حياة العلق (فقس البعوض) الى أن
يصير بعوضا كاملا فتتراوح بين ١١ الى ١٨ يوما في درجة ٢٦ سنتيجراد وهذا العلق يعيش في الماء ولا يموت
اذا نزل الى قاعه . أما حياة البعوضة فتزيد على خمسة أشهر وربما كانت حاملة جرثومة المرض أثناءها

﴿ مقاومة الدنج ﴾

ذكرنا حياة البعوض بالتفصيل لتقدير مقاومتها فالاحتياطات التي تتخذ لمنع انتشار الدنج هي منع انتشار
ذلك البعوض . وحيث ان هذا المرض صار مهددا لمصر في كل عام فيجب على مصلحة الصحة اصدار تعليمات
خاصة بحياة وعادات ذلك البعوض بعد درس عميق ثم استصدار قانون يجب اتباعه في جميع المنازل لإبادته
تماما وتقرير غرامات لمن يخالف تلك القوانين ويوجد البعوض في منزله بعد التفقيش الدقيق . انتهى
وقد نشرت مصلحة الصحة العمومية المصرية بلاغا عن حى الدنج وهاهوذا

﴿ بلاغ عن حى الدنج المعروفة للجمهور بأبى الركب ﴾

ليكن في علم الجمهور أن البلاد مهددة بمرض الدنج وأن معاونة الأهالى لمصلحة الصحة هي من أفعال
الوسائل في مقاومة هذا المرض . فعلى كل فرد من أفراد الأمة أن يسترشد بالتعليمات الآتية في أداء واجبه نحو
نفسه ومواطنيه

﴿ مرض الدنج ﴾ إن مرض الدنج هو من الأمراض المعدية وهو ينتشر بسرعة فائقة وربما كان أسرع
الأمراض المعدية كلها انتشارا

﴿ الأعراض ﴾ وأعراض هذا المرض تظهر فجأة وهى وجع في الرأس وقشعريرة وآلام حادة في المفاصل
والعضلات والظفر مع ارتفاع في الحرارة ووسخ في اللسان وفقد الشهية للطعام واحتقان في العينين وآلام
شديدة في حبيتيهما وفي بعض الأحيان يحصل نزيف من الأنف أو من فتحات الجسم الأخرى . وتستمر هذه
الأعراض مدة تتراوح بين يومين وأربعة أيام ثم تنخفض الحرارة ويبتدىء المريض في التحسن مدة يومين
أو ثلاثة . وبعد ذلك تعثره نكسة فتعود اليه أعراض المرض ثانيا وتستمر يومين أو ثلاثة ويظهر على الجسم
في بعض الحالات طفح يشبه طفح الحصبة . ومتوسط مدة الإصابة بهذا المرض هو نحو أسبوع وبعد زوال
أعراضه يظل المريض مدة طويلة ضعيف البنية منهوك القوى الجسمية

﴿ طريقة نقل العدوى ﴾ ينقل عدوى المرض نوع خاص من البعوض المنتشر بكثرة في أنحاء القطر المصري

﴿ طرق الوقاية ﴾ لما كان نقل عدوى المرض لا يحصل إلا بواسطة البعوض فانه من الواجب توجيه

جميع الجهود لمقاومته وإزالة أماكن توالده . وهو يتوالد في الماء الراكد كماء البرك والمستنقعات وخزانات
المراحيض ونحوها ولكي تبقى نفسك شريفا هذا المرض يجب عليك اتباع الارشادات الآتية

(١) أبذل كل الجهد في عدم تمكين الناموس من الدخول في منزلك بتغطية جميع النوافذ والشبابيك بسلك دقيق أو بشاش رفيع

(ب) وجه كل عنايتك لإعدام جميع الناموس الذي يدخل منزلك

(ج) غط سريرك بناموسية كلما أمكنك ذلك وضع أطراف الناموسية تحت الفراش بإحكام

(د) لا تترك مياه راكدة في البراميل أو الأبار أو الأواني الأخرى دون تغييرها مرتين على الأقل كل أسبوع

(العلاج) إذا أصبت بالأعراض السابق وصفها فلصالحك أن تستشير أحد الأطباء . ويجب أن يعزل المريض في غرفة خاصة متوفرة فيها شروط التهوية والضوء مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمنع وصول الناموس إليه وذلك بتغطية النوافذ بسلك دقيق أو شاش رفيع كما سبق القول . وبقاء المريض على الدوام داخل ناموسية حتى تيسر وقاية الأشخاص الذين يقيمون معه في منزل واحد من تسرب عدوى المرض إليهم

وانما نقلت لك كلام الأطباء ونصائح الحكومة للوقوف على إبداع الله وحكمته . أفلا تعجب من حيوانات لانراها تدخل في أجسامنا لاعدد لها ولا تراها العيون والذي ينقلها هو البعوض (الناموس) فهذا الناموس الخاص هو الذي ينقل تلك الحيوانات من جسم الى جسم . ولا ينبغي من خطر الحامل ومحموله إلا بالرسالة وبارتقاء الطب ولا ارتقاء للطب إلا بدراسة كل علم ومنه علم الحشرات الذي لا ارتقاء له إلا بالآلات دقيقة والآلات الدقيقة لا بد لها من صناع يصنعونها وهكذا . فالعلوم والصناعات دائرة واحدة والأمة التي يجب عليها الدراسة والصناعة أمة واحدة والناس أشبه بجسم واحد على الأرض - وكل أعمالوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبشكم بما كنتم تعملون - انتهى يوم الثلاثاء ٢٥

ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وبهذا تم الكلام على اللطيفة الثانية

(اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا -)

قد علمت في تفسير الآيات أن الله ذم الكفار لأنهم اتخذوا من دون الله آلهة لم يخلقوا شيئا بل هم مخلقون ولا يدفعون عن أنفسهم ضرا ولا يجلبون نفعا ولا يحيون ولا يميتون ولا يعيدون الأموات للبعث فهذه سبع صفات جردتهم من كل كمال يليق بالالوهية . فالإله يكون خالقا لا مخلوقا ولا يضره أحد ويحيي ويميت وإذا أمات أحدا أعاده هذا هو الإله وهذه الأصنام لا قوة لها على ذلك والذي بهم في هذا المقام قوله - ولا نشورا - ومثل هذا القول يمر على أكثر الناس وهم نائمون كأنهم لا يعملون . يذم الله الكافرين لأنهم عبدوا أصناما انصفت بصفات لا تليق بالالوهية ومنها أنهم لا يحيون مامات من المخلوقات . ولعمري إن هذه هي بيت القصيد انظر وتعجب كيف يذكر ذلك في هذه الآيات . ذكر الله ذلك ليفتح لنا باب التفكير في الألوهية . لا يثبت إله في العالم يخلقه مالم يكن حكما والحكيم لا يفعل العبث . ومن العبث العظيم أن يخلق خلقا ثم يدعمه بلا فائدة فهذه قسوة ولا حكمة فيه . وأي حكمة في عمل لا قيمة له . يخلق مخلوقات ثم يهلكها ويتركها ولا فائدة منها إلا أنها تعذب وتهان لغير ذنب جنته ولا تظلم اقترفته فان لم يكن لهذا العالم وجود بعد العدم وكان العدم هو النهاية فلا إله للعالم وانما هو تركيب وتحليل لا غير يأتي بالمصادفات . فالالوهية تستلزم البعث فين الألوهية وبين البعث تلازم اذا ثبت الإله ثبت البعث لأنه يكون حكما وإذا لم يثبت فلا بعث ولا ثواب ولا عقاب ولا الجنة ولا النار ولا حكمة في وجود العالم ولذلك تجد ان قرآن يقرن فيه الله باليوم الآخر فتسمع فيه - الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر - في آيات متعددة وسور كثيرة من القرآن . فانظر إذن في عدد (١٩) الذي مر ذكره في اللطيفة السابقة إذ جعله قدماء المصريين رمزا للبعث . فانظر كيف جعلوا مبدأ العالم والعلة الأولى مرموزا له بالواحد وجعلوا بقية الأعداد ما بين ارتقاء للعالم وموت وفناء ثم رجوع وهذا الرمز بعينه هو ملخص هذه الآيات من

قوله - تبارك الذى نزل الفرقان على عبده - الى قوله - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - فالذى له ملك السموات والأرض الخ

كل هذا قد اوضح في هذه المقالات و - الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق - فانظرأيها الذكى كيف جاء عند قدماء المصريين نفس ما جاء في الفلسفة القديمة والحديث والديانات جميعها أن الموت يتبعه البعث والقدماء والمحدثون على هذا متصدون . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة - وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الأسواق - الخ ﴾

اعلم أن النوع الانساني درج على هذه الطريقة وسار على هذا الناموس فلا يعظم إلا من كثر ماله وحشمه وخدمه ولا يعظم من أمر هذه الحياة أعظم خطرا إلا ما كان نادر الوقوع مخالفا للعادة وذلك لقلة فطنة هذا الانسان الساكن هذه الكرة . تراه لغفلة وعدم فطنته لا يأبه بالامور المعتادة ولا يعقل إلا ما هو خارق للعادة إذ أتاح الله لهم أنبياء فأتوا لهم بالغرائب والمجانب . ولما دار الزمان دورته وأراد الله أن يخلق أمة حديثة العهد عظمة النفع عالية القدر مفكرة أرسل محمدا ﷺ فطلب القوم منه أن لا يكون كالمجوس من الناس فلا يأكل الطعام ولا يمشى في الأسواق أو يأتي لهم ملك من السماء فيقول للناس هذا نبي الله وينذر الناس معه أو يعثر على كنز حتى يكون غنيا غنى غير معتاد حتى يقول الناس إن الله حبه له وتعظيمه وتقريبه منه أمده بهذا الكنز فلا يحوجه الى معالجة التجارة ولا يضطره الى مزاوله الأعمال مع الناس وهذا من تلك الشئنة المعروفة في الانسان إذ رأى أن نعم الله على عباده تكون على مقتضى المال والولد والغضب من الله على مقتضى قلة المال والولد والنعم . ومن أتى للناس بحال معروفة لهم ولم يكن معه أمر نادر حقروه وقالوا أنت مثلنا . وذلك لأنهم يتركون مواهبهم وآراءهم وهذا الأمر اليوم هو السارى في نوع الانسان . فالتناس على وجه هذه الكرة كلهم على هذه الحال لا يستمعون القول إلا بمن يروونه بحال تدهشهم فان كانوا من العامة صدقوا المجاذيب وأمثالهم وان كانوا من الخاصة لا يتقادون الا لرجل أوروبى معه السلاح والحرب والظفر على الأعداء . ولذلك قرر ابن خلدون ان الناس تابعون لدين ملوكهم وهم أبدا مولعون بالغالب لأن الغالب بهر عقولهم بالجوش الجرارة . فلذلك ترى المصريين أهل بلادى أى المتعلمين منهم لا يبالون بالعبادات ولا الامور الدينية إلا قليلا منهم لأنهم ينظرون الى الدين والمتدين نظرا كفارق ريش الى رسول الله ﷺ فيقول الرجل منهم لو كان هذا الدين حقا لم يدخل الفرنج بلادنا وهم لا يعتقدون هذا الدين . فتراهم بهذا البرهان العامى الجاهلى السفطائى يابون وجوههم عن الدين ويفترون منه فرارهم من الأسد ويصبح في نظرهم كما كان صاحب الشرع ﷺ في نظر كفارق ريش . فهم يقولون أليس الشيوخ الذين يقرؤون هذا الدين بين ظهرانينا . ألسنا نحن القائمين بأمر هذه البلاد . فما شأن هؤلاء وما شأن دينهم يمثل هذه القضايا الكاذبة . يترك المتعلم أعمال دينه جهلا وغباوة لأن أهل دينه لا سلاح بأيديهم ولا قوة عندهم فكان الدين لما كان أهله أقوياء كان حقا فاما ضعفوا صار باطلا . وهذه هي القضايا التى ضل بها نوع الانسان وعلى ذلك يسمى ﴿ السيف في يد الجبان عصا وفي يد الشجاع سيفاً ﴾ وهذا القول لا يعقل ولكنه يعقله الجهلاء الذين لا يعقلون . ولقد أجاب الله على ذلك هنا باجابة عامة فقال - انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضالوا فلا يستطيعون سبيلا - فوصفهم بأنهم ضالون وهذا وصف عام يشمل الخلل في القضية التى احتجوا بها كما قدمناه وانما لم يذكر خلل هذه الحجة لأن الضلال كما يشملها يشمل غيرها كما سيأتى في هذه السورة إذ يقول الله للأصنام - أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل ﴾ قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن منعتم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا -

فانظر كيف قال الله للمعبودين - أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء أم هم ضلوا السبيل - فتبرا المعبودون وأسندوا

الضلال لما تمتعوا بهم وآباؤهم من قبلهم - حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - هللكي . فانظر وتجب كيف جعل المعبودون الضلال ناشئا من التمتع الحاصل لهم ولآبائهم من قبلهم حتى أنساهم ذكر الله وهذا التمتع هو الذي ذمه الله في قوله - وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا - فالتمتع يورث الفسوق والهلاك في هذه الآية ويورث الهلاك في آياتنا التي نحن بصددناها مع الضلال ونسيان الذكر فيكون الأمر هكذا نسيان ذكر فضلال وهلاك وفسوق وهلاك وهذا هو قوله تعالى - فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربني أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربني أهانن * كلا - الخ وقوله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون -

فانظر وتجب من أي القرآن وعجايبها وارجع الى ما نحن بصدده من الآيات فان قوله تعالى - فضلوا فلا يستطيعون سبيلا - لم يعين فيه الضلال بفساد الحجة الذي يظهر عند النقد بل ترك الأمر لفظنة القارئ ثم أعاد ذكر الضلال لما سأل الأصنام فقالوا له نحن ما أضللناهم بل هم ضلوا وذلك الضلال لثمتهم بالخيرات وغفلتهم والغفلة متى استحكمت بكثرة اللذات والشهوات أوقعت الناس في المهالك . فاتباع الناس لأهوائهم وجهالاتهم ناشئ من الترف والتمتع . فترجع الى الأنبياء فلأنهم كانوا مترفين منعمين لكانوا ضالين وحينئذ يقال انه لو أنزل على الأنبياء كنز أو استغنوا عن الأسواق وكانوا أغنى من كثير من البشر لم يكن ذلك دليلا على رفعة قدرهم بل هذه الامور تورث الغفلة فهي ان لم تدنسهم بالغفلة فليست برافعة لهم شأننا وليس أكثر الأنبياء بأصحاب ملك كداود وسليمان بل أكثرهم كانوا يزاولون الحرف والصنائع ويرعون الغنم تنشيطا لهم وتقوية لأبدانهم وتدريباً لهم على الأعمال المقتوية للبدن المنشطة للفكر المبعدة عن الكسل المدرجة على المشاق حتى اذا سادوا الناس أزموهم العمل وساسوهم سياسة تحفظ جامعهم . انظر وتجب من بدائع القرآن كيف يقول الله تعالى بعد ذلك بآية واحدة - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - ثم قال - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا -

فانظر كيف أتى الله أولا بالاجابة على قولهم بأنهم ضالون ثم أتبعه بفصول انتهت بالجواب الثاني وتلك الفصول ان الله قادر أن يعطيه جنات وقصورا وانهم كذبوا بالساعة وأن لهم السعير وأن جهنم تنفيظ وأن لها زفيرا وانهم اذا ألقوا في مكان ضيق منها دعوا بالهلاك وانهم من اللائق لهم أن يدعوا هلاكاً كثيراً ثم وازن بين الجنة والنار وأن الجنة للأتقيين ولهم فيها ما يشاؤون ثم يحشر المعبودين والعابدين ويسألهم مسبب ضلال العابدين ؟ فهذه أحد عشر فصلا ختمت بفصل هو الاجابة الثانية لقولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - وكان ينبغي أن ينزل اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فقال لهم هنا إن التمتع باللذات ينسي الذكر ويورث الهلاك فليس في ذلك مجيزة ولذلك قال بعد آية كما تقدم - وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق - وأما قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - الخ فهو في

(اللطيفة الخامسة)

وذلك أن قوله تعالى - لولا أنزل اليه ملك - أجاب عنه بقوله تعالى - وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - الخ فانظر كيف كانت الاجابة على المشي في الأسواق وأكل الطعام وانزال الكنز وأن يكون له بستان بأنهم ضالون وبأن التمتع ينسي الرب فليس من شأن الأنبياء . وكيف كانت الاجابة على انزال الملك بقوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - الخ وقوله تعالى - لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - معناه انهم ليسوا أهلا لمقابلة الملك ولا لمقابلة الله وهل يقدر الناس وهم في أجسامهم وفي شهواتهم وفي أضواءهم أن يلاقوا الملائكة فضلا عن الله تعالى . إن الملائكة

منزهون عن المادّة والناس في الأجسام فكيف يقدرون أن يقابلوهم والمقابلة بين العالمين اللطيف والكثيف متعذرة ما لم يصبح الكثيف لطيفا فاذا لطف أمكنت المقابلة وذلك لا يكون إلا حيث يصبح الناس مسلوخين من البشرية عارين عن أحوال الجسميّة . ويقول علماء الأرواح في كتبهم ﴿ إن الأرواح العلوية لا ينسني لها أن تسلم إلا نفوسا تنزّهت عن المادّة وتعالّت عن أحوال هذه الأرض وصارت علوية النزعة ميالة للأموال العالية الشريفة . شفقتها عامّة ورحمتها عامّة وشهواتها متنوعة ولذاتها مفقودة لامطعم لها ولا مطمع إلا في الأمور القسسية والمعارف الإلهية ومقابلة ربّ البرية ﴾ فهذه هي التي تشتاق إليها الأرواح العالية وتتنزّل عليها في المنام تارة وفي اليقظة أخرى وترى علماء الأرواح يحتالون على محادثة الأرواح بطرق منها المائدة بحيث يجلس جماعة واضعين أيديهم عليها فتطرق طرقات على حسب المصطلح عليه بين الروح الحاضرة وبين الحاضرين من الانس . ومنها أن تكتب الحروف الطجائية في ورقة وتوضع كأنها إطار أو دائرة محيطة بالمائدة أي فوق دائرتها ويضعون أيديهم على فنجال وذلك الفنجال يمرّ على هذه الحروف متحرّكا بالسيال الذي ينزل من الأبدى وأصحابها لا يعلمون من الروح الحاضر ويمتزج السيال الحيواني الآتي من الأحياء بالسيال الآتي من الروح وبهذا الامتزاج بدور الفنجان ويمرّ على الحروف وباجتماعها تكون كلمات ذات معنى كما رأيته بعيني رأسي . ومنها أن يضع الانسان قلما في يده ويستمرّ ربع ساعة كل يوم حتى تحضر روح وتكون سببا في انتقال يده بالكتابة فيكتب جملا مفيدة وهكذا من الطرق التي تقدم بعضها أو أكثرها في الذي مضى من هذا التفسير وهي كلها مذكورة في الكتاب الذي ألفته في هذا العلم المسمى ﴿ كتاب الأرواح ﴾ وآخر الطرق طريقة التنويم المغناطيسي بحيث ينوم (يفتح الوار) انسان وتأتي روح فتتكلم بلسانه وهذه كلها تقدّمت في (سورة الاسراء)

هذه هي نموذج الطرق التي يكلم بها الناس عالم الأرواح وهذا علم منتشر في الأرض ولكن كلام الناس معهم ظهوره أنه يدخل فيه الصدق والكذب والحق والباطل والصحيح والفساد فتبين حقائقه لأفائدة إلا في علو الأخلاق وكلما علت الأخلاق اقترب الناس من الملائكة والملائكة - إذن يقتربون من الناس بالإلهام مثلا . أما أكثر هذه الأرواح التي يخاطبها الناس خطابا صاعيا فانما هي أرواح سفلية قريبة عقولها من عقول البشر فيكذبون كما يكذب البشر ويضحكون كما يضحكون وهكذا . فأما الأرواح العالية فانها ملتزمة الفكر لا تحب إلا ما كان عاليا شريفا ولا تخاطب إلا نفوسا بعيدة عن الشهوات قدسية النزعة . ولا سبيل لهذه الصفة إلا بمحاسن الأخلاق والآداب والمقاصد النبيلة وحب العلم وحب الانسانية . فالنفوس المنصفة بهذه الصفات هي التي تستأهل للتكلم مع الملائكة ومن سواهم منهم ليسوا أهلا لهؤلاء وهذا هو معنى قوله تعالى هنا - لقد استجبوا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا - فلقاء الملائكة لهم لاهلاكهم لا لإرشادهم

﴿ اللطيفة السادسة في قوله تعالى - أنتم أضلّتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل - ﴾

قد تقدّم شرحها في اللطيفة الرابعة

﴿ اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - الخ ﴾

اعلم أن الله عز وجل خلقنا في الأرض ليرينا . واقد جعل التريية ﴿ بأمرين ﴾ نعمة ونقمة فلانرى نعمة إلا كان معها نقمة وقد جعل الضدين يتسابقان لخبرنا سواء أعلمنا أم لم نعلم وفهمنا أم لم نفهم . فانظر كيف جعل للضدين في كل شئ المائل والنهار والصيف والشتاء والشباب والشيب والموت والحياة والإيمان والكفر وترى الزرع يصاحبه الانسان والماء والشمس ويفسده الآفات العارضة . وترى الانسان يعتره المرض والصحة والفقر والغنى والعلم والجهل . وهكذا نرى له العدو والصديق ويظن أن كثير الناس أن العداوة ضرر محض وماعلموا أن الآفات والعوارض مقويات لمن ترد عليه جسما أو عقلا وروحا . فكم من مريض كان المرض

سبب توبته أو سبب اتقائه الماء كل الضارة فعاش سعيداً قري العين . وكمن فقير صار الفقير من أهم أسباب ثروته وغناه أو تهذيبه أو تقوية عضلاته أو تقوية ملكاته الفكرية أو ما أشبه ذلك . وترى الأرض تنبت حشائش مهلكة للزرع تكتفي بالهواء والماء والأرض وتكون وبالاعلى التمتع والقطن والذرة فيسعى الناس في إزالتها بتعب وشقاء وذلك دلالة على أن كل ما فيه نفعنا لا يتم كله إلا بعد الشقاء والتعب في المحافظة عليه والدأب في حفظه وإبقائه سليماً . ومن عجب أن المزارع التي نحتاج إليها ضعيفة يعوزها قيامنا عليها وحفظها وتسميدها وسقيها . فأما التي هي ضارة فإنها لا يعوزها شيء من ذلك بل هي قوية متينة . هكذا نرى أجسامنا فيها حيوانات صغيرة في الكرات الدموية الحمراء والكرات البيضاء . وهذه الحيوانات التي تعدّ بالآلاف الألوف حافظة لأجسامنا معدة لمقاتلة كل حيوان داخل لأجسامنا من حيوان الوباء والجدرى والحصباء والتيفوس والتيفود وأنواع الحى الكثيرة . فإذا دخلت تلك الحيوانات الضارة المحدثه لهذه الأمراض لتسكن أجسامنا وتخربها وتلفها وتهدمها قاتلتها تلك الجيوش الحرارة خاربها فحصل في أثناء العراك والصدام واشتداد الوبطيس والتقاء الجيوش واحتدام الوغى أن ترتفع الحرارة في الجسم من ذلك الصراع فيقال إن المريض ارتفعت حرارته . فإذا غلبت الجيوش المهاجمة المهلكة مات المريض وإن غلبت الحيوانات التي في كرات الدم الحمراء والكرات البيضاء شفى المريض . ولذلك نجد الأطباء يعمدون إلى الأطفال وإلى بعض الرجال والحيوان فيلقحونهم . ومعنى التلقيح أن يؤتوا بمادة تشتمل على حيوانات صغيرة تعدّ بالآلاف فيدخلونها بالإبر في الأجسام كالمادة التي فيها حيوان الجدرى . فإذا سرت تلك المادة في جسم الطفل أخذت تلك الحيوانات تحارب ما في الجسم من الحيوانات الدورية في الكرات الدموية فترتفع الحرارة ويموت بعض تلك الحيوانات أو أكثرها فتقوم ذريتها حافظة ما كان لأبائها من قوة على النضال وجراءة على القتال وشدة في الحرب حتى إذا جاء مرض الجدرى حقيقة كانت ذرية تلك الحيوانات واقفة له بالرصاد لأن أجسامها قوية بمحاربة الأعداء وقد ورثت تلك القوة عن الأجداد وأجداد الأجداد

هذا ما يقوله العلماء في الحيوانات الدورية في أجسامنا وفي حيوان المرض الذي يفتك بنا . فانظر كيف أصبح العدو هو النافع القوي وكيف كانت الراحة هي السبب الأقوى في الضعف والجور وانظر كيف يقول الشاعر الحكيم

عدائي لهم فضل على ومنه * فلا أبعد الرحمن عني الأعادي
هم يحثوا عن زلتى فأجتنبها * وهم نافسونى فأجتنت المعالي
فلست بهيباب لمن لا بهابنى * ولست أرى للمرء ما لا يرى ليا
كلانا غنى عن أخيه حياته * ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وقد خست هذه الآيات وذكرتها في سابق التفسير . فانظر في الطير في جوار السماء وفيه الصائد والمصيد فالصقر يصطاد الخفاف والخفاف يصطاد العصفور والعصفور يأكل السود والسود يأكل الانسان والانسان يأكل الأنعام . فالعالم كأنه دائرة يأكل بعضها بعضا والعداوة متواصلة والصدقة كذلك . فانظر كيف خلق الله الضدين وخلق بينهما عداوة وصدقة في كل شيء . فالعداوة كنار محرقة والنار مهيتة لكل شيء ففراها تطبخ النباتات فتجعلها أجرا هكذا العداوات مكملات لنوع الانسان فهو إن قام جسمه باللين والغذاء وتربية الوالدين فإنه تقوى عضلاته ويقوى بالخاصات والصبر في المشاحنات والمنافسات . فعلى الرحمة انشاؤه وعلى القوة الغضبية النارية بالتنافس والعداوات تقوية مذكاته . هذا هو السر في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون - فانظر كيف أمرنا بالصبر فالصبر هو المطلوب من هذه كلها وهذا هو السر في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين - لأن عداوة المجرم للنبي تقوى نفسه وترقى أخلاقه بالاحتمال والصبر

ولذلك سمي بعض الأنبياء أولى العزم . وهذا هو الجواب الثالث عن قولهم - مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق - الخ فقد أجابهم بأنهم ضالون وبأن التبع بالخيرات يدعو إلى الهلاك كما تقدم وختمها بقوله ان المهتدين فتنة للضالين والضالين فتنة للمهتدين فكلاهما امتحان للآخر . فأنتم أيها الكفار قد فتنتم بمحمد ونبوته وامنتم لنظركم هل تصبرون في التفكير والتعقل فتعرفون أن المشي في الأسواق وأكل الطعام لا يخل بالنبوة وفتن محمد وامتن ليصبر على شدايدكم وكفركم وايدائكم هذا هو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون - قالني أمر بالصبر على أذاهم وهم مأمورون بالصبر على التعقل والتفكير وعلى أن يهملهم من يأكل الطعام ويمشي في الأسواق . انتهت اللطيفة السابعة

(اللطيفة الثامنة في قوله تعالى - وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا -)

يقول الله ان الكافر ينعمد سبحانه إلى عملهم فلا يقيم له وزنا ويجعله مفرقا لقيمة له . وسبب ذلك أن كل شيء لافع فيه إلا بالعزيمة ولا عزيمة إلا حيث يكون الصبر وحفظ القوى النفسية (وبيانه) أن الذي لا عقيدة له في إله لهذا العالم تكون أعماله موزعة على حسب المرامي التي يرمى إليها فيكون عمله تارة رياء وتارة خوفا وتارة شهوة وتارة لغضب وتارة لأنه جبان وتارة لأنه متبع للعادة وهكذا . فأما إذا جعل الاتجاه لأمر واحد فان جميع أعماله تنجى إلى وجهة واحدة فان نال خيرا صرفه لله أوقوة صرفها في عمل نافع أو خاف التجأ إلى الله وهو مجتهد في عمله وهكذا في كل أطوار حياته وما هذه القوى النفسية الانسانية إلا كضوء الشمس فانه يكون في الجو متفرقا مشتنا لظهوره في الهواء ولا ضوء له في الأجواء والطبقات العليا فاذا مالامس الأرض اجتمعت ذراته وقويت حرارته وأنعش الانسان والحيوان والماء . ذلك شأن ضوء الشمس . فلولما اجتمع ذراته الضوئية على الكرة الأرضية ما أثمر ولا أزهى زرع ولا درت ضرع ولا كانت فيه منافع . هكذا نبات الانسان اذا تركت وشأنها وهكذا كل ما يعثر به اذا لم توجه رغائب الانسان ومقاصده فيها إلى وجهة واحدة تطايرت وزهبت كل مذهب ولم يبق لها منفعة ولا خير ولذلك يقول علماء النفس وعلماء الأرواح (إن الانسان اذا وجه فكره إلى الامور التي يقصدها بهمة فان همته تستبق إلى المقاصد متى كانت على ثقة بمقاصدها) ولذلك كان أشرف الأنبياء يسمون أولى العزم لأنهم يجتهدون للعرض الذي يقصدونه ويسمون بأنفسهم إلى ما يقصدون . وهكذا يقولون (إن الانسان متى وضع صورة ما أمام عينه واتجه بقلبه إليه فان تلك الهمة تحرك من صاحب تلك الصورة همة تتجه إلى من قصدها) وعلى هذه النظرية بنى فن من العلوم السحرية ويقول الله تعالى - يحبههم ويحبونه - ويقول (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي) ويقول - فاذكروني أذكركم - فأصبحت القاعدة واحدة في نفسها من اتجه بقلبه للخلق فنته صادقة فيما اتجه إليه وهكذا من توجه لله كان الله عوناً له . وعليه يكون التوجه لله حافظاً للأعمال من التفرق والتشتت . فأما ترك الآراء والأعمال بلا عنان يسكنها فذلك ضياع لها والله هو الولي الحيد

(جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا -)

كنت على شاطئ النيل الشرقي يوم ١٠ يناير سنة ١٩٢٩ فرأيت شابا بيده كراسة فيها دروس يقرؤها فسلمت على وأخبرني انه من مدرسة (دارالعلوم) وأخذ يسألني في أمور يشك فيها وأهمها (مسألان) المسألة الأولى (إن الله خلق العالم وكيف تتصور وجوده وعقولنا لا تعقل كيف كان هذا الوجود) الثانية (كيف يعذبنا وهو المقتدر لجميع ما نفعه . فقلت أما سؤالك الأول ففي الحديث « تفكروا في خالق الله ولا تفكروا في ذات الله » . فقال نعم ولكن أود أن أكون حرا معك فلا تقيدني بالحديث لأن عقلي لم يقف عند الحديث وهو يطالبني فأنا أطلب منك إيقاف هذه الحركة الفكرية . فقلت له ما نتائج ضرب ٥ في ٥ قال ٢٥ فقلت و ٢٤ أليس حاصل ضرب ٥ في ٥ قال . كلا . بل هو مستحيل . قلت إذن هنا (أمران) واجب وهو

٢٥ - ومستحيل وهو ٢٤ وغيره من جميع الأعداد فكلها يستحيل أن تكون حاصل ضرب ٥ في ٥ قل نعم قلت ما الذي تساويه زوايا المثلث الثلاث . فقال زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين . قلت أيقين هذا . قل نعم . قلت ما تقول في الامور الهندسية ؟ أياها من تقوم أم تقوى بالخارج . قال بالذهن . قلت هل أنت فاهم ما تقول . فقال أفهم اجبالا . قلت اعلم أن علماء الهندسة يقولون ان الأشكال الهندسية تقوم بحسب معنى ينطبق على الجسم المشاهد فهي صور في النفس تظهر آثارها في الخارج وهكذا جميع العلوم الرياضية ترجع في تصورها الى الذهن ولا تتوقف على الخارج بخلاف العلوم الطبيعية كهذا النبات وهذا الحيوان فهذا لا تتصوره إلا في مادة خاصة . أما المثلث والمربع والكرة فهي لا تحتاج الى مادة خاصة فأى مادة تصورهاها أدركنا بها تلك الأشكال . إذن العلوم الرياضية تحتاج في تصورها الى مادة تقوم بها في الذهن لا في الخارج لأننا نتصور الأشكال ولا يهمننا من أى نوع تكون صورة الشكل بخلاف نبات القطن أو القمح أو هذا المعدن فانا لا نتصوره إلا بمادة خاصة نحضرها في أذهاننا . أما المسائل الإلهية فهي لا تتوقف على مادة أصلا لا في الذهن ولا في الخارج . فقال هذا كلام الفلاسفة وهو عسر الفهم وان كنت أنت أوضحته فاني لم أستفد فائدة في موضوعي . فقلت هذه مقدمة لموضوعك . ألم تر أني سألتك في زوايا المثلث . قال بلى . قلت هذا المثلث أنت تصوره في ذهنك وانه يجب أن يكون مساويا لقائمتين . قل نعم . قلت هل هذه النظرية موجودة . قال نعم فانها ان لم تكن موجودة كيف تتصورها . ثم قلت أواجبة هي أم جائزة أم مستحيلة . قال بلى واجبة . قلت إذن هناك أمور واجبة في ذاتها فقضايا الحساب والهندسة والجبر هي قضايا صادقة في ذاتها ولذلك يقولون حقائق الأشياء ثابتة ، فهذه أشياء ثابتة في أنفسها . فاذا كانت أمثال القضايا العلمية ثابتة في أنفسها أفلا تكون هذه مقربة لموضوعنا أى اذا تصورنا نوعا من الوجود للقضايا العلمية . قلنا ان هذه القضايا ثابتة في أنفسها ؟ أفليس هذا يسهل لنا أن نفهم وجود الله بدون وجود . ثم انى أذكرك (بأمرين * الأول) ان عقولنا بالنسبة لهذا العالم أشبه بالعدم بالنسبة للوجود . ألا ترى رعاك الله أن أرضنا أصبحت اليوم بعد الكشف الحديث ماهى إلا كجوهر فرد اذا نسبت الى جميع العوالم (وبعبارة أخرى) أن الأرض لو صغرت الى جوهر فرد وصغر العالم كله على نسبتها لوجدنا الكواكب والشموس التى تصور وجودها العلماء تساوى (ألف مليون أرض) إذن أرضنا أشبه بالعدم ونحن جزء صغير على هذا العدم ؟ فاذا تصور في عقول قوم أمثالا ؟ هل يعقل أن هذه العقول تقدر أن تحيط علما بهذا الكون فضلا عن خالقه . إن هذا غير معقول فاذا كانت أرضنا ماهى إلا أشبه بالصغر ونحن (جزئ) صغير جدا على هذا الصغر فكيف يقف عقل هذا المخلوق المعلوم على خالق هذه العوالم كلها . قال حقيقة أنا مقتنع بما تقول وحقا ان العقل يقضى أن هذا الضعيف وهو الانسان لن يقدر أن يعرف حقيقة الله . قلت هذا قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - وقوله (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله فان التفكر فى ذات الله إشراك) وقوله تعالى - ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم - فاذا كان هولم يشهدنا خلق أنفسنا فهل أشهدنا وجود ذاته . إن هذا مستحيل ومستحيل لعدم الاستعداد والضعف المستمر فى الانسان هذا هو الأمر الأول (الأمر الثانى) إن هذه الدنيا التى نسكنها لم نعرف فيها عدما البتة فأين هذا العدم . إن هذا العالم كله وجود لا عدم فان كل نبات وكل حيوان وكل معدن وكل كوكب اذا انحلت أجزاؤها رجعت فى نبات آخر وحيوان آخر وكوكب آخر وهكذا كما هو معنوم فى العلوم التى تقرأها اليوم . فالنبات والحيوان ترجع أجزاؤها الى مخلوق آخر منها والشمس والقمر والنجوم كلها اذا انحلت ترجع الى كواكب أخرى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار - . يموت الميت فيكون عليه ولم يكن الميت عند الناس وهو حى - إلا بالصورة الجسمية المفكرة فاذا مات لجسمه موجود لم يخرج من ملك الله . إذن هو موجود لا معدوم

وبكاثرتهم عليه لأنهم لا يشاهدونه بعد ذلك واليبكاء في الحقيقة على روحه التي لم يشاهدوا إلا أفعالها وأقوالها بواسطة هذا الجسم والروح أيضا موجودة فأين العدم إذن . فقلت لقد نقلت أنت عن العلماء في هذا التفسير أن المادة تنعدم وانها ترجع الى عالم الأثير . فقلت وعالم الأثير موجود في نفسه وان لم تره حواسنا إذ رؤية حواسنا ليست شرطا في الوجود فليس العدم مالم تشاهده حواسنا ولا الوجود موقوفا على رؤية حواسنا وإذا حكمنا بأن عالم الأثير موجود ونحن لم نشاهده بل عرفناه استنتاجا في زماننا بسبب آثار الضوء والكهرباء والمغناطيس والحرارة القائمة به فلم يصعب علينا فهم أن القضايا العلمية والنظريات الرياضية موجودة في أنفسها وكيف يصعب علينا بعد ذلك أن نعلم بأن هناك موجودا قائما بنفسه هو موجود هذه المخلوقات وان كنا نحن ضعفاء في الأرض . فقال حقا انه قد نلج صدرى وانشرح لهذا البيان المحكم في المسألة الأولى . فقلت إذن أجيبك على المسألة الثانية وهي كيف يعد بنا الله وهو يعلم أفعالنا . أولئك ذكر انه رحيم ولكن هذا التذكري لا يغني فيه أن نقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين » الرحمن الرحيم ، لأن القراءة شيء والعلم شيء آخر . القراءة مبذولة للعالم والجاهل وللغبي والذكي والله قبل أن ينزل القرآن خلق هذه الأرض ومن عليها والسماوات العلى فلا تغني القراءة بل لا يغني معنى اللفظ وحده بل لابد من التفكير ولا تفكر في أمثال هذا إلا بدراسة نفس الأجسام الانسانية التي هي أقرب اليها من السماوات والأرض . اذا درسنا أجسامنا أدركنا لماذا كرر الله الرحمة في أول كل سورة ولماذا كررت الرحمة في ثلثي القرآن ولماذا يقول - كتب ربكم على نفسه الرحمة - ففهم الرحمة في أجسامنا هو الذي به نعمل . معنى بسم الله الرحمن الرحيم . وأقرب شيء لما نقوله الآن نظام العين المركبة من (٧) طبقات ومن ثلاث رطبوبات موضوعات كلها وضعا منظما . فترى القرنية محدبة الشكل وترى العدسية محدبة الوجهين وكتاتهما مطبوعة على جمع النور . ذلك النور الذي يجري من الكواكب الى الأرض وأقربها اليها الشمس التي يحتاج نورها الى (٨) دقائق و (١٨) ثانية حتى يصل اليها وهناك كواكب اطلعنا عليها بالنظار المعظم وصات في تباعدها عنا الى أن نور بعضها لن يصل الى أعيننا إلا بعد مضي (١٠٠) ألف ألف سنة بسير النور وهذا الكشف جاء في سنة ١٩٢٨ م قبيل كتابة هذه المقالة . أقول فاذا وجدنا أن طبقات العين وضعت بهذه الدقة والحكمة والوضع البديع الذي به تمكنا من رؤية الشمس التي تبعد عنا بسير قلة المدفع (١٢) سنة و بسير القطار (٣٦٠) سنة و بسير النور (٨) دقائق وتمكنا من رؤية كواكب متباعدة بحيث يصل بعدها الى (١٠٠) مليون سنة بواسطة الآلات المعينة على الابصار . اذا ثبت هذا فقد دل على رحمة لاحد لها . فأى رحمة وأى رافة من أم وأب وحبيب وصديق توازى هذه الرحمة . هذه رحمة تفوق الوصف . قال أنا الآن موقن بهذه الرحمة ولست أشك فيها بعقلى لا بمجرد السماع ولا بفهم المعنى بل بدراسة جسمى . قلت فالآن أتسكلم معك على الجنة والنار والثواب والعقاب فأقول الله خلق فينا اللذة والألم والمحبوب والمكروه فالمكروه مهماز يسوقنا الى فعل المحبوب . وما مثل الناس مع ربهم إلا كمثل المعادن في أيدي أرباب الصناعة من حداد وصائغ . فهؤلاء يذبيبنها في النار لتكون طوع أيديهم فيما يقصدون منها . انظر رعاك الله الى ما سيمر عليك في آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - فهناك سترى أن الناس من قبل لم يكن عندهم إلا نار الفحم وبنار الفحم تصرفتوا في المعادن الى حد ما . أما الآن فان السكر بائنة قد مكنتهم من أن يصنعوا فرنا يسمى (الفرن الكهربائي) والفرن الكهربائي تصل درجة الحرارة فيه الى (١٤٠٠٠) درجة وقد رأى (فرنهيت) أن درجة الصفر تقف عند الدرجة التي وصل لها ممزوج الملح مع الثلج وهي (٣٢) درجة تحت درجة الثلج وهو الذي كشف ذلك . ولكن سترى هناك أن الفرن الكهربائي قد تصرف القوم به في المواد فنزلت درجة حرارتها متى أرادوا عن الدرجة التي وصل اليها (فرنهيت) نحو (٤٤٩) تحت الصفر الذي عينه هو وبهذه

الدرجات الواسعة البالغة (١٤٠٠) ونحو نصف ألف أصبحت المادة في أيدي الناس أشبه بالشمع يفعلون بها ما يشاؤون حتى أنهم أمكنهم فصل (الاوزوت) وهو (البيروجين) من الهواء ثم جعلوه متحدا مع (الهيدروجين) فصل لهم نشادر كما اتحد الأكسجين مع الأودروجين فصارا ماء

ههنا بان لنا جبال الله ورجته . هواء نحس به أصبح جزاء يتصرف الناس فيهما بالحرارة . فجزه نجعله نشادر بائعاده مع عنصر آخر وهذا النشادر يدخل في السباد فيسمل الزرع وتكون المفرقات والمهلكات الحربية . من أين هذا ؟ من نفس الهواء . إذن الهواء أمكننا أن نفعل فيه ما فعلت البرودة بالماء إذ حوّلته إلى ثلج . فهكذا هذا الهواء جعلناه جامدا واستعملناه سبادا للزراعة واهلا كالكبريت وللدين

هذه هي الحرارة وهذه هي العناصر والمعادن . الحرارة ارتقت والعناصر ذلت وخضعت بسببها وبهذا كانت قدرتنا على ارتقاها أوسع وأعظم . فأنه عز وجل خلقنا في الأرض وخلق فينا (غريزتين) لذة وألما وجبا وكراهة واستعمل الألم واللذة لسوقنا إلى الكمال . فقال إذن كل صائرون إلى الكمال لجميع أهل الأرض صائرون إلى السعادة . فقلت ماذا تريد بهذه الجملة . فقال إذن الله هو الذي يتصرف كما قلت لك ونحن في يده كالمعدن في يد الصانع في الفرن الكهربائي وهو بهذه الآلام وازديادها يهتد بنا ليعتدنا إلى أحوال أخرى وعوالم لا ندريها ، إذن فلماذا يعتد بنا يوم القيامة ، إذن فلنستكمل . قلت له هذه المسألة لم تقب عن أصحاب رسول الله ﷺ فإنه قال لهم ﷺ (جفت القلم بما هو كائن أو كان) قالوا له يا رسول الله إذن تتكلم فقال (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) وأيضا ما دخل الكلام على القضاء والقدر في أمة إلا كان سببا في هدمها وخرابها ، وقد قال ﷺ (إذا ذكر القدر فأسكوا) الخ فكان يتحاشى ما تقوله أنت الآن . فقال ولكن أنا بدأت حديثي معك بأن أكون حرا والحديث معك مع طوله أرجعنا إلى ما كنا فيه . قلت سنسمع الساعة ما هو أقرب إلى الطمأنينة وسرور النفس . قال نعم . قلت بقول ﷺ (كل ميسر لما خلق له) قال نعم . قلت (وبيناه) أننا في هذه الأرض بالبحث عرفنا أن كل مخلوق قد أعطى كل ما هو في حاجة إليه فالطيور والحشرات والإنسان سواء في هذه القضية (وقراء هذا التفسير موقنون بهذا) قال نعم . قلت والأمثلة كثيرة على ذلك . قال نعم قرأتها في تفسيرك وفي غيره . قلت وأنت موقن به . قال نعم . قلت الحمد لله إذن ندخل في المقصود أن مما يحتاج إليه هذا الإنسان أن يكون معه سوطان سوط من الجنة وسوط من النار (وبعبارة أخرى) أن يكون مع كل إنسان جنة ونار فالجنة والنار العاتتان يمتد منهما فرعان لكل امرئ في هذه الدنيا ففرع الجنة يهشون وفرع النار يعتدون . فقال وكيف يعقل هذا ، أنا والله لم أر الجنة ولم أحسن بالنار . فقلت له لا تخلف ستقر الآن حالا فاصبر ولا تهمل . قال إذا ثبت هذا يكون عجبا . فقلت أأنت أنت بمدرسة دارالعلوم . قال بلى ولكني أدرس في الخارج . قلت أفلم تری أن لك أصدقاء وأخوانا . قال بلى . قلت فإذا أكسبت وتأخرت فماذا ترى . قال أحزن ويحزن أهلي وأحجبل . قلت حسن ، إذن عندك شيء موجود يخزئك ويحزنك على تقصيرك . قال نعم . قلت أرايت لو أنك لعبت وكسبت طول السنة ثم سقت في آخر السنة ثم رأيت ضميرك يزجرك ويوبخك فهل يسكته ذلك أن تجيبه بقولك ان الله قضى على بذلك أفلم تستمع بكلمك بلا حرف ولا صوت بكلام مستمد من كلام الله القديم الذي ليس بحرف ولا صوت فيقول لك لماذا نمت عن دروسك وانبعت شهواتك وقد سبقك اخوانك ولم يحقبوا بالقضاء والقدر كما احتججت أنت أليست لك قدرة وذكا . ألم يرسل لك والدك النقود . قال بلى والله يحصل ذلك كله ولا تنفع الحجج ولا الأقوال ولا الاحتجاج ولا الاتسكال على القضاء والقدر . وهذا التأنيب والتوبيخ لن يحصل لمن هو بليد ولان هو لامال عنده بتفرغ به لطلب العلم . قلت إذن عرفت أن العذاب مقتر بقدر الذنب فكل من قدر مكلف بما قدر عليه لا يكاف الله نفسا إلا وسعها وهذا هو قوله تعالى جوابا على احتجاج المشركين على القضاء والقدر

- كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - فهذه المسائل فرغ منها القرآن ولم يتركها مشركوا العرب اليان بل تكلموا فيها فأجيبوا بما سمعت . فقوله ﷺ (كل مبسر لما خلق له) معناه ما نحس به في نفوسنا فهاهي ذه ضماثرنا توبحننا وتضني أفئدتنا اذا قصرنا . قال نعم . قلت فمن أي البلاد أنت . قال من مديرية أسيوط . قلت قوم أهل شهامة ومروءة وكرم . أفرايت ان وقعت في فعل فاحشة وشاعت عنك هذه في قريبتكم وأنت شاب ومن أسرة شريفة ومن أهل العلم فاذا ترى من أمرك إذن . قال آتني الموت وأختني عن أعين الناس اذا قدرت . قلت فاذا عصمك الله من هذا العار جلة ثم رفعك بالعلم وجعلك من عظماء بلادنا . قال أجد في نفسي سرورا وغبطة وأسرأ أهلي بذلك . قلت فهل تحس بذلك الخزي الذي تحس به النفس في الحال الأولى . قال لا ومن أين يأتي . قلت هذان هما الفرعان المستدان من النار والجنة في عقول الناس الآن . وهذا التوبيخ وهذه العترات على الخيبة وعلى النجاح بلاحرف ولا صوت هما المستمدان من كلام الله الذي ليس بحرف ولا صوت . يكلم كل امرئ بكلام خفي - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابعهم ولاخسة إلا هوسادسهم ولاأدنى من ذلك ولاأكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينهيم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شئ عليم -

﴿ غرائب تبكيت الضمير ﴾

كان خياط اسمه (شيوارد) في مدينة (نورويتش) بانجلترا قتل زوجته (وكانت تكبره بأعوام كثيرة) باحدى آلات مهنته سنة ١٨٥١ ثم فرق مابين لجها وعظماها ودفن الرفات الباقي في مكان بضاحية البلدة وبعد ذلك ببضعة اشهر صادف أن كلبا نبش مكان الرفات واستخرج منه عظمة آدمية ظهرت على أثرها بقية العظام فذهبت الاشاعات في البلدة عن أن رفات زوجة (شيوارد) قد كشفت . ولكن أحد أطباء البلدة وكان على شئ من الشهرة صرح مؤكدا بعد فحصه العظام أنها ليست من رفات المسز (شيوارد) في شئ بل هي لامرأة في ميعة الشباب قد لاتتجاوز العشرين من عمرها فذهب هذا الرأي القطعي بكل الشكوك التي حامت حول (شيوارد) وانقضت عشرون سنة كان (شيوارد) قد أثرى في خلالها وأصبح في بلهنية من العيش وقد تزوج مرة ثانية بعد تلك الأعوام الطوال فصادف انه ذهب الى مدينة لندن لقضاء بضعة أيام وفيها هو يطوف بها في إحدى الليالي ولاغرض له يرمى اليه إذ تصادف انه مر بالشارع الذي كان قد تعارف فيه لأول مرة منذ ثلاثين سنة بزوجه التي قتلها ومثل بجثتها أشنع تمثيل فاستولى عليه تأنيب الضمير فجأة ولم يستطع له دفعا ولاعليه تغلبا وفي نفس تلك اللحظة أبصرت عيناه أحد رجال البوليس واقفا في الجانب الآخر من الشارع فهرع اليه واعترف له بجريمته اعترافا مفصلا فقاذه الجندي الى محضر البوليس ولكن (شيوارد) بعد اعترافه هناك أيضا بساعات قلائل أراد أن يجحد اعترافه بيد أن الوقت قد فات إذ أن الاستعلامات التي قام بها البوليس في خلال تلك الساعات كانت قد أثبتت لرجاله أن لابد في الأمر من شئ . وعلى الأثر استخرج رفات زوجته الأولى وخضع جهابذة الأطباء بكل وسائلهم الطبية المستطاعة وكان تقريرهم يقضي بادانة (شيوارد) بالجريمة لإدانة لا افلات له منها . وكان لابد من أن يدفع ثمن الجناية فأعدم شنقا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨٧٠ م

فقال حسن جدا ولكن هندي سؤال واحد ليم به الموضوع . قلت قل . فقال إن الله جعل العذاب في الآخرة ولم يجعله في الدنيا . فقلت . كلا . العذاب في الدارين معا وهذه غفلة دخلت على المسلمين أدخلها الجهل وقلة العلم . قال أفى كتاب الله تعالى . قلت نعم بل كتاب الله هو الذي أوضحها . ألم تر الى قوله تعالى - فلا تنهيك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون - انظر أفليس التعذيب في الدنيا بعضه هو الذي قرره معك . قال نعم . قلت ان الانسان متى كانت وجهته المال والولد

وليس لنفسه سوى المال والولد كانا سبب ذل نفسه في الدنيا وهذا عذاب آخر غير العذاب الذي تسكنا فيه .
 إن نفس الانسان خلقت في الأرض لتعلم وتعمل ولكن الجهل يفهم لمرء أن الحياة في الدنيا للتمتع بالشهوات
 وهذه الشهوات نفسها تؤذيه لأنه سجن نفسه فيها مع اسها من السماء أى من عالم أوسع فالتحصارها في المال
 والولد ذل لها فيسلطان عليها فتذل بهما كما ذلت بالكسل في حديثي معك . قل ثم ماذا . قلت ان جميع
 قصص القرآن أنت بالعذاب في الدنيا أولا مثل - أغرقوا فأدخلوا ناراً - ومثل - لهم عذاب الخزي في الحياة
 الدنيا وللعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - ومثل - سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم -
 وجميع الحسف والفرق وإرسال الحاصب المذكورات في القرآن عذاب دينوى وهكذا قال في الثواب - وآتيناه
 أجورهم في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين - والقرآن كله طافح بذلك ، وكفى دليلاً على ذلك أنه ﷺ
 وقف على قلب بدر ونادى قائلاً يا أبا جهل يا فلان يا فلان - لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد
 ربكم حقاً - فقال الصحابة له ﷺ كيف تسكلمهم وهم قد جيفوا (بتشديد الياء) فقال انهم لأسمع لما
 أقول منكم ولكنهم لا ينطقون . فهذا منه ﷺ ليمتحن لنا باب العلم في هذا الزمان لأن هذه آية في القرآن
 - ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قلوا نعم
 فأذن مؤذن بينهم - الخ وهذه الآية مسوقة للآخرة لا الدنيا . فوقوفه ﷺ على قلب بدر ومناداته لقتلى
 فريش تعليم منه لنا أن الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة والمناداة في الدارين بدليل أنه ﷺ ناداهم وهو
 في الدنيا وأصحابه معه . ذلك كله دليل على أن الثواب والعقاب يبتدئان من الدنيا بالعقل والنقل والنبوة هي
 التي وضحت ذلك . ومن ذلك مسرات المجتهدين باجتهادهم وحزن المقصرين من أجل تقصيرهم ومن ذلك
 بواعث الجِدِّ والاجتهاد بما في الأفتدة من الولوع والخوف من التعبير والدم والحجل أمام الناس في هذه الدار
 كما أوضحناه هنا ، ولذلك يقولون اليوم كما قدمناه في (سورة الحج) عند قوله تعالى - ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم
 من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمر - أن النابغين في الأمم تحدث لهم صفة تورثهم الضعة فيجذبون في العلم
 والعمل حتى يزيلوا تلك الوصمة فذلك انما هو خوى وضع لهم في أفئدتهم امتد لهم في أنفسهم فحفزهم للرفى والسعادة
 فقال أريد ايضاح مسألة الخزي على شريطة أن تكون من نفس القرآن بما هو أوضح مما تقدم . قلت
 يقول الله تعالى في (سورة آل عمران) - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه ففنا عذاب النار - فذكر عذاب
 النار بعد بيان أن هذا العالم ليس مخلوقاً باطلا بل بحكمة وذلك يستدعى أن تقف النفس على عجائبه وبدائعه
 فأردفه بطلبهم من الله أن يقيم عذاب النار . وقد قل علمائنا كما أوضحته هناك في تفسير هذه الآيات ان
 عذاب الخزي أشد على النفس من عذاب النار . ولذلك تسمع العاقبة يقولون في أمثالهم (النار ولا العار)
 وتقول مريم - ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً - فالحياة بلا شرف يكون العدم أفضل منها والجهل
 أقبح شئ عند الناس وهذا واضح هناك فافترأه فانك ستجد أن نفوسنا خلقت لتعرف هذا الوجود وتدرسه
 وأن الجهل عار عليها ولا تزال مضطربة للجهل به حتى تعرف والافهمي في عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولهذا
 قال بعدها - ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيت - فكأنه أبان أن عذاب الخزي أشد من عذاب النار
 ثم أظهر الحقيقة واضحة بعد ذلك فقال - ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة لأنك لا تخلف
 الميعاد - وهذا كقوله - لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أخزى - كما ذكرنا وعذاب الخزي
 الآن ظاهر في أمم الاسلام . أحاط بها الخزي لأنها جهلت ما خلق الله في السموات والأرض فلم تعلم ما أبدع في
 الكائنات فعلمها الخيرات المحبوة في أرضه لأنه تعالى لا يرضى أن يعطى النعمة إلا لمن يطلبها باستحقاق ويشتاقي
 إليها . فانظر كيف تلازم العذابان عذاب الخزي وعذاب الأجسام ، فقلوبنا نحن المسلمين تخزي أمام الاوروبي
 بسبب الجهالة وبسبب أنهم ينظرون اليها نظرك الى الحيوان لجهلنا وأجسامنا متعبة معذبة لأنهم أحاطوا بأبناء

العرب من كل ناحية يرسلون اليهم طيارتهم ومدافعهم ويقولون لنا في مصر ياكم أن تحملوا سلاحا ياكم أن تعملوا مالانا مكرمكم به والاضر بناكم بالسلاح وقد قتلوا منا قوما وأخذوا منا ألف ألف أيام الحرب العنة فعرضوهم للنار وقتلوا منهم كثيرا فقتل هذا عذاب جسدي مصاف لعذاب الخزي بجهل ما أبدع الله في السموات والأرض فلما أتممت هذا القول رأيت هذا الشاب ظهرت عليه أمارات السرور والانفعال وقال الحمد لله قد نلج صدري وأسأل الله أن يطيل حياتك ومن ذا الذي كان يحيل له أن ما نسمعه سماعا سنصبح ونحن نحس به في أنفسنا عملا كأنه مجسم أمامنا . فقلت الحمد لله رب العالمين . كتب يوم ١٤ يناير سنة ١٩٢٩

﴿ جوهرة باهرة في ذكر ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح ﴾

اللهم لك الحمد . قد تجلى نورك في الآفاق وظهر دهر في حسنه واشراقه وجماله . ضربت لنا الأمثال في أنفسنا وفي الآفاق وأبدعت عالم الصور وعالم الأرواح على وفاق ونظام ابتهجت به القلوب وأشرقت به النفوس فلاح له بحر الفلاح في عالم الأشباح ولحمت من ظواهر الأنوار خوافي الأسرار

﴿ البناؤون والجوهر يون ﴾

رأينا يا الله أن فطرنا نجلت لها مواهب من لديك فعرفت كيف تضع الأشياء مواضعها . نظرت في الجبال فرأت في ظواهرها الاحجار وأنواع الجير والسكر والى الأرض فوجدت فيها الطين والرمل فألهمتها أن تجمع هذا وذاك وأن تبني بها المساكن والحصون لحفظها من الحر والبرد والعدو والوحش في القفار . ثم هي نظرت نظرا أدق فوجهت نظرها الى مافي باطن الجبال وأعماق البحار فاستخرجت الأحجار الكريمة والمعادن الطريفة من المس والياقوت والزبرجد والذهب والفضة والدر والمرجان فرأتها جيلة بهية وعلمت أنها قليلة الوجود لاتناله إلا بمشقة فأدركت هذه الأنفس التي أترتها بنورك وأفضت عليها من سناك وشمس اشراقك لأنك نور السموات والأرض ان هذا الجبال لا يناسبه إلا الجبال وأن ما يعوزه العناء والنصب في الجد والطلب عزيز ثمين فلم تضع تلك الأنفس هذه النفائس إلا فيما يوافقها ولم تهدها إلا لمنافعها . فإذا صنعت ؟ أهدهت للفوضى وزينت به الجوارى الحسان . هذه أفعال البنائين وأعمال الجوهر بين كل اصطناعي ما يوافق مشربه ويوافق صنعة فوضعه في موضعه وقرأ - وكل شيء عنده بمقدار -

﴿ رجال السياسة ونظام المدن ﴾

ثم رأى رجال السياسة وعلماء الديانات من سائر الأمم والأجناس أن بناء الأمم وحفظ كياناتها واستقامة أمرها لا يتم إلا بظواهر التشابه والنسأ كل فأمرؤا الجمهور أن يتباعد عن الزنا والسرقة والدم والقتل والايذاء والإضرار بالناس وأن يكون الجميع على مشرب واحد ورأى متناسب فكان مثلهم كمثل البنائين الذين يضعون الأحجار مع ما يناسبها والطين والأجر كذلك غير ناظرين الى مافي بواطن الجبال من الجواهر ولا الى مافي أعماق البحار من الدر والمرجان فيسجنون السارقين ويقتلون القاتلين وقيمون الحق و يعدلون بالقسط ويفعلون مع الشعوب فعل البناء مع الأبنية بحيث اذا اختل حجر من أحجار البناء أوليته من لبناته أو مدمرة أو آجرة من حائط أسرع في اصلاحه وضبطه أورمى به وكسره وأتى بأخر فخل محله . هنالك يقوم الحائط وهكذا يقوم نظام الأمة وتبقى الى حين حتى اذا غفل الحكم ونام الوعاظ وعلماء الدين تداعت الأمم الى السقوط وهوت الى الخفيض كما يتداعى البناء الى الانهيار ويسقط اذا أهمله القائمون بأمره وهم ساهون لاهون

﴿ حكماء الأمم والجوهر يون ﴾

وههنا جاء دور الحكماء والمفكرين من الأمم الذين نسبهم الى علماء ظواهر الديانات ورجال القضاء والفقهاء ورجال السياسة كنسبة الجوهر بين الى البنائين . فكما أن البنائين يكتبون في بنائهم بوضع أحجارهم

وتناسبها وضبطها بالملاط أو بانتظام اللبنة بضبطها بالطين المخلوط بالطين الحافظ لها من الاختلال والسقوط هكذا رجال الشرائع الدينية ورجال السياسة المدنية يكتفون من أهمهم التي هم قوامون عليها بطواهر الأخلاق و بوادر الأحوال وحسن المعاشرات وترك المذازع والقتل والسرقة وهناك الأعراض وما أشبه ذلك وأن يروهم قد اجتمعوا في الأعياد والمواسم والمواكب والصلوات والجماعات فيكتفون منهم بذلك ولا يبالونهم بأكرمهم ولا يفتشون عن قلوبهم ولا يسألونهم عما في ضمائرهم يقولون ﴿لنا الظواهر والله يتولى السرائر﴾

أما الحكماء والمفكرين فانهم يقولون أيها الناس نحن لانكتفي منكم بالظواهر ولكننا نذكركم بأن الجواهر غير الأحجار ومن ذا الذي يقيس الصدف بالجواهر أو القشربالب أو الحجر بالمعدن والأحجار الكريمة . فكما لاتناسب بين الجواهر التي تتعلى بها الحسان وأحجام الأحجار هكذا لاتناسب بين عالم أرواحكم وظواهر أخلاقكم لأن اكتفى البناء بتناسب الأحجار وضبطها والرجل السياسي والقاضي بطواهر المدنية والمعاشر ليططن الحكيم مطلباً أسمى من هذه النفوس الانسانية وليقولن لكم ماصورته ﴿إن عالم الأرواح بعد مغادرة الأبدان أشبه بالأحجار الكريمة والمعادن النفيسة فهذه لها مقام أجل وأسمى ولن تكون إلا فيما يناسبها وما يشاكلها ثم يقولون لهم ستفرزون فرزا ويصطنى كل من كان أجل وأسمى ويجعل في أجل مكان وكل من كان منكم غير مصطنى ولا منتقى ولا بهاء فيه ولا جلال يرجع القهقري إذ لاتناسب بين البهرج والذهب الصرف

وهل ذهب صرف يساويه بهرج ؟ والجلال هنا والصفاء ﴿بأمرين * اثنين﴾ لثالث لهما ﴿أحدهما﴾ العلم ﴿وثانيهما﴾ العمل . فالأرواح التي جلت بالعلم وصفت بالفهم وانتظمت بالحكمة وأشرقت بنور ربها وتحلى لها هذا العالم على قدر طاقتها فهذه تكون شموسا مشرقة تجاور الملائكة والنبين للشاكلة والمناسبة - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين - الخ - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم - ويشترط مع ذلك أن تكون أعمالها مطابقة لذلك العلم قائمة بواجبها . فالعمل مطابق للعالم والظاهر للباطن فهو هؤلاء هم الذين يصطفون ليكونوا أبرارا ويعيشون مع الملائكة الأعلى - في مقعد صدق عند مليك مقتدر - ﴿ هذا هو الذي تجلى لنفسي وانشرح له صدرى يوم الثلاثاء ٢٢ يناير سنة ١٩٢٩

ولقد رأيت مقاما يناسبه في كلام (عمانوئيل) الذي حدثتك عنه أيها الذكي في سورة التوبة وأسمعتك تاريخ حياته وإن أباه كان أسقفا في الدين المسيحي وأنه هو كانت له منزلة رفيعة في الدين وفي الدولة ولكنه لما اطلع على عالم الأرواح تغيرت عقيدته في نظام هذا الوجود وأخذ يهدم ما بناه الجهل في أدور با بأيدي صفار رجال الدين الذين شوّهوه فقال يقوم والله لاتثليث وإنى رأيت المسيحي بعد الموت يبحث عن إله ثان وثالث فلا يجد إليهما سبيلا . ولقد تقدم ذلك في (سورة التوبة) وفي غيرها فارجع إليه إن شئت . ثم انظر ما يقوله في كتابه المسمى ﴿السماء والعالم﴾ مما يناسب هذا المقام فقد جاء في صفحة ١٩٤ من هذا الكتاب وما بعدها ما ملخصه أن الانسان يجب أن يعرف العلوم الإلهية والعلوم الدنيوية وعلى مقدار ذلك يعرف ذكاؤه وحكمته وقسم الذكاء ﴿قسمين﴾ قسم كاذب وقسم صادق فالذي أدرك الحقائق ادراكا نفسيا لاتقليديا وأحببه وامتلأت به نفسه وأشرقت بها اشراقا وصارت من جوهرها فهذه أرواح حكيمة تكون مع الأرواح العالية أما الأرواح التي قرأت ظواهر العلوم وإن كثرت وروتها أو فهمتها ولكن لم تتأثر بها ولم تعشقها ولم تخرج بها نفوسها فهو هؤلاء وإن اشتهروا بالحكمة فهم ليسوا من الفضلاء ويكونون كالعامة وبوضعون في منازل الجهلاء وهكذا أولئك الذين يفعلون الخير لا لنفس الخير بل لأجل الصيت والذكر أو من خوف القضيعة والعار والخوف على المال ونحوه ولو خلو وأنفسهم لأهلكوا الحرث والنسل . فهو هؤلاء بوضعون هناك في المنازل التي تناسب نفوسهم لاظواهرهم لأن المدار على البواطن لا الظواهر فالعلم بهذه الدنيا وجاها وعمل الخير إن لم يكونا محبو بين حبا حقيقيا مخرجين بالنفس بحيث يصحان صفة لها فان صاحبهما لا يكون من المقربين

ولما اطلعت على هذا القول وجدته يناسب ما في (إحياء علوم الدين) للامام الغزالي من حيث خفواه وتذكرت ما قاله في الإحياء ان عليين لأولى الأبواب وهم الذين هذا وصفهم . أما المحبة المحسوسة فانها تكون لقوم ظهروا بالصلاح وبواطنهم مشغولة فهو لاه يدخلون الجنة ولكن أولئك يرفعون الى الملأ الأعلى وقد تقدم في (سورة البقرة) في أولها عند ذكر الجنة والنار فقد نقلت النص هناك فأرجع اليه ان شئت فلما سمع صاحبي ذلك قال ان هذا القول وان كان في ذاته حسنا وجيلا فقد ذكرت العلم والعمل وأبنتهما ولكن مقام الكلام انما هو أمر الضمير قد جاء الرجل الانجليزى قائل زوجته الذي أزعجه ضميره فقلت ان ما كتبت الان انما هو مقدمة لما سيأتى . اعلم أن هذا الانسان حين تضعه أمه من بطنها لا يجب إلا نفسه فهو يطلب كل شئ لنفسه وكل شئ قليلا أدرك أن غيره له حقوق . فكل ما تراه في نوع الانسان من حقد وغضب وطمع فهو راجع الى حال الطفل الأولى (وبعبارة أخرى) هذا النوع الانساني كله فيه أخلاق الأطفال وعلى مقدار الترقى في العلم الحقيقي لا المزيف يعرف الانسان هذا العالم ويحب الانسانية . هذا أول الأمر وآخوه . هذا النوع الانساني لو كشف الغطاء عن عقول أفراده لأدركوا أن الذي غرس الكراهة والطمع انما هو الجهل وأن الذي ينقذهم انما هو العلم الحقيقي إذ لا سعادة لهم إلا بأن تستخرج ثمرات قواهم وعقولهم . فانظر الى رزق الانسان لماذا لم يكن من الأرض وحدها ولماذا نراه مأخوذا من السماء والأرض معا . قل من يرزقكم من السماء والأرض . ولماذا نرى له عيين بهما يبصر السماء والمطر حتى يعرف أن رزقه اشتركت فيه السماء والأرض . أتمن بملك السمع والأبصار . أقول أيضا لماذا كان رزقه منهما وحواصيه ترى ذلك فأذنه تسمع الرعد المؤذن بالمطر وعينه ترى نفس المطر والزرع . نحن علمنا علما لاشك فيه مما ذكر في هذا التفسير أن صانع هذا العالم حكيم متقن . فانظر الى شجرة التين للرسموة في سورة الحجر وتأمل فيها وفيما شرحته هناك . ألم تر أن كل خس ورفات كؤوت دائرة وبين كل ورقتين (٧٢) درجة من الدائرة ؟ فلماذا لم يحصل خطأ في هذه الهندسة ولو في درجة واحدة من درجات تلك الدائرة المشتملة على دائرتين حلزوينيتين . هذا هو فعل صانع الكون في أمر نراه أمامنا في نبات ؟ فهل يكون حكما متقنا في هذا ثم هو يغفل عن الاتقان في رزق الانسان . أى لماذا لم يجعل رزق الانسان من الأرض وحدها على قدر طاقة الانسان كما فعل في (حشرة الأرض) المرسومة المشروحة في (سورة النحل) فيما تقدم . ألم تر أنها خلقت عمياء فالملك والرعايا جميعا عمى العيون ومن مع ذلك يعمل أعمالا تهجز العقول وجعل الله قوتهم من داخل بيوتهم وطمع قدرة أن يستخرج من الماء بحيث يستنبطن من الاكسوجين المندمج في المواد الغذائية مع الادروجين الكامن فيها ماء فلا احتياج الى ماء السماء قالوا بدليل انها تعيش في الصحراء والجدياء التي لا نبات فيها ولا حيوان ولا ماء ولا مطر وتبنى أماكن تعلو على الأرض نحو (٨) أمتار وتمتد أميال لا يقطعها إلا الديناميت . فهذه رزقت مما بين يديها فلا تحتاج الى مطر من السماء ولا الى أعين بها تبصر المطر . إذن فلماذا رزق الانسان من السماء والأرض معا ولماذا أعطى العين التي بها يبصر الانسان السماء والأرض . عجا أليس نفس هذا الخلق وهذا التقدير في جسم الانسان وحواصيه ورزقه دليلا على أن هذا الانسان خلق ليعرف العوالم كلها . وأيضا يرى الانسان انه كما استفاد رزقه من السماء والأرض لن يتم له ذلك إلا بمساعدة الانسانية كلها لاسيافى هذا العصر الذى ظهرت فيه الطائرات والطرق الحديدية والكهرباء والتلغراف (البرق) والتلفون وهكذا . إذن خلق الانسان وتركيب العالم الذى خلق فيه يوجب أن يعرف العالم الذى هو فيه وأن يحب الانسانية كلها والا فهو مذهب ظالم فهذه حكمة قوله تعالى . قل من يرزقكم من السماء والأرض أتمن بملك السمع والأبصار . كما تقدم . ههنا تنظر الى جزء هذا الانسان . جزؤه أن يعطى على الخير خيرا ويعطى على الشر شرًا وكما أعطى قوة بها يتناول الغذاء وينظر السماء والأرض أعطى قوة كامنة فيه تؤنبه على التقصير

وتحس على العمل الصالح وهذه القوة مستمدة من عوالم أخرى يعبر عنها بالجنة والنار . فهذه القوة الكامنة فيه تظهر آثارها في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أما في الحياة الدنيا فالتأني بحسن الصنيع وبالهدى على جهلنا بما حولنا وعلى تقصيرنا وهذا واضح في مواضع كثيرة من هذا التفسير . وأما فيما بعد الموت فاعجب كيف ترى في كتاب (السماء وجنهم) الذى حدثت لك عنه هنا وفي مواضع أخرى من هذا التفسير فإن مؤلفه رجس من علماء الأرواح فتراه يقول (إن الانسان إما أن يكون متصفا بالعلم والعمل المطابق له وإما أن يكون خاليا منهما وإما أن يكون عمله مطابقا لعلمه كثيرا أو قليلا) وهذه الصورة جامعة لكل أحوال الانسان فان كان عالما بالخير عاملا بالفضيلة فانه بعد الموت يرفع الى الجنة ولا يسأل . وان كان مولعا بالشر ولا يعمل سواه أخذته الملائكة الى جهنم بلا سؤال . فان كان على هيئة الصورتين الأخريين بحيث يعلم ولا يعمل (وبعبارة أخرى) تكون أقواله وظواهره خلاف باطنه فينطق بالحكمة ويضمّر الشر فهذا يمتحن ويبقى في عالم البرزخ مدة حتى تعرف أخلاقه وهناك تطلق له الحرية في الكلام فتغلب عليه الحقائق التى فى نفسه فينكسرون أولا قليلا بما فى باطنه ثم يزداد تنكسه بحقائق نفسه قليلا قليلا تدريجا بحيث يكون ذلك كالجنون المتقطع فى الدنيا . فمن الأحوال التى هى أشبه بالجنون يبين كل مافى نفسه ومتى أفاق ندم وحزن وعجب كيف يفضح نفسه وهكذا يزيد حاله حتى يعرف باطنه تماما وحينئذ يحكم عليه المفسنون من الملائكة الذين يمتحنونه ومتى تم الامتحان جعلوا فيه غلب عليه إما فى جنة إن غلبت على قلبه الفضائل أو فى نار إن غلبت عليه الشرور والامتحان يكون من دقيقة الى شهر الى سنة الى ثلاث سنين الى ثلاثين سنة . ويقول انه لا روح هناك يزيد امتحانها عن ٣٠ سنة وطول الامتحان راجع الى الخبث المستكن فى النفس فعلى مقدار المكابرة والكتمان تبقى الروح بعيدا عن الجنة والنار . هذا ما يقوله ذلك العالم الروحاني ومدار الكتاب كله على ذلك . ويقول فى صفحة ٢٧٦ ما نصه

(إن أعمال الانسان متى كشفت له بعد موته فان الملائكة التى أعطيت وظيفة التفتيش تنظر الى وجهه وتفحصه وتفحص جميع جسده وتجد الأعمال مرسومة على جميع الجسد وأوانها مرسومة على الدماغ . قال وهناك يظهر كل شئ فى ذاكرة الانسان ولبس المرسوم هناك الامور العامة فقط بل الامور الخاصة أيضا فكل فكرة وكل حكمة تسطر فى دماغ الانسان وعلى جسده) انتهى ما أردت تلخيصه من هذا الكتاب فقال صاحبي وهل كلام هذا الروحاني الا فرنجي منطبق على ديننا . فقلت انه مجزء للقرآن أرسلها الله فى آخر الزمان . يقول الله تعالى - خلق الانسان من عجل سأوريكم آياتي فلا تستعجلون - وقال - وقل الحمد لله سبريكم آياته فتعرفونها - فانه عز وجل يرينا الآيات فى كل شئ . قال وما الآيات هنا . قلت انظر الى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار - فانظر كيف عاتب على عدم التبصر فى النظر وفى العمل فى الدنيا وفى الآخرة . أما فى الدنيا فانه يقول - فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون - وقال فى الثواب - وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين - فهذه كتاب الله أرانا أن عذاب الناس فى الدنيا راجع لجهلهم وتقصيرهم وهذا العذاب الدنيوى يحسن به المسلمون ويحسن به الفرنجة وأهل الأرض اليوم قاطبة لأن أهل الأرض الغالب والمغالوب كلهم جهلاء بالحقائق وعلى قدر الجهل هم جميعا معذبون عذابا دنيويا ثم انظر الى الانسان بعد الموت فهذا علم الأرواح يحدثنا بما جاء به القرآن . ألم ترى الى قوله تعالى - ولورى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الى قوله - وضل عنكم ما كنتم تزعمون - . فانظر أليس معنى هذا أن العذاب

كما يقع في الدنيا يقع بعد الموت مباشرة والملائكة هم الذين يتولون هذا العذاب الذي قاله ذلك العالم الروحاني الأوروبي . ثم ان هذا الانجليزى الذى قتل زوجته قد وقعت له حال نادرة فأقرت بقتلها لما وصل الى المسكان الذى رآها فيه أول مرة وأحبها فانتقل الى عالم الروح ونسى الجسد كما يحصل بعد الموت إذ يظهر الانسان خفياها شيئا فشيئا وإذا فطن بعد الاظهار ينكر ما قاله ويجب كيف جن بهذه الدرجة . فهكذا هذا الانجليزى القاتل لزوجته بعد ما أقر أمام الشرطة رجوع وقال أنا لم أقتل ذلك كما يحصل بعد الموت في أول الأمر إذ ينكر الانسان بعد الاقرار ثم يتزايد الأمر وبعد ذلك يتعد الظاهر مع الباطن . إذن ضامنا في هذه الحياة مملوءة بالآراء المخزونة فيها وقد ختمت بخاتم وطبع على القلوب حتى يأتي يوم تظهر فيه الحقائق وهذا نفسه قوله تعالى - فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا مما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة * ولوألقى معاذيره - وقوله تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون * يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق - الخ

الله أكبر . إذن هذه العلوم الروحانية أصبحت في هذا الزمان تفسيرا للقرآن . إذن هذا هو الزمان الذى أخبر به القرآن إذ قال - سنريهم آياتنا - الخ وقال - سأوريكم آياتي - الخ . وإذا قال قائل من الفرنجة ومن المسلمين ان هذا القول من هذا الافرنجى خرافة . نقول له انظر بعقلك هذه الهندسة والنظام فكيف يرزق الانسان من السماء والأرض وكيف يعطى العقل والحكمة ؟ فهل هذا الصانع للعالم يتقن الحشرة وحواسها ويجعل كل حاسة محكمة ثم هو يجعل رزق الأرض على النهج المتقدم وحواسها ورزق الانسان على ما ذكرناه من السماء والأرض وهكذا حواسه أقدر وأجدر ولانكون هناك نتائج لحما على مقدار حالهما . إذن الانسان تحيط به عوامل وفي داخله غرائز كلها متحدات على انه ملزم أن يرقى رقىا متواصلا وأن تقصيره يرديه ويهلكه في كل مرحلة من مراحل حياته . هذا ما فتحت الله به صباح يوم الأربعاء ٢٣ يناير سنة ١٩٢٩ والمجد لله رب العالمين

﴿ المقال الذى ألقينه على مسامع ذلك الطالب ﴾

فقال لقد قوت عيني بما سمعت منك في أمر الجنة والنار عقلا ونقلا ولكنى لا أزال أطلب الافاضة في أمر الله سبحانه وتعالى فأنت قلت في أول الحديث ان الله عز وجل ثابت وحق واستدللت بأن القضايا ثابتة مثل القضايا الهندسية مثلا . وأيضا قلت لى ان الانسان والأرض التى هو عليها عالم ضئيل . كل هذا حسن ولكن لماذا يعاودنى الفكر فى كل حين للبحث ؟ ولماذا أجد عقلى لا يقف عند حد ولا عند ما سمعته منك . فقلت ان هذا رسول من الله تعالى لقلبك أن يستمر فى البحث حتى يقتنع . قال ولكن ليس عندى اقتناع للآن . فقلت فاسمع إذن . لقد علمت كما قدمنا فى (سورة النور) عند قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - فى مسألة قطرة الماء التى وجد العلماء انها تحوى من الذرات عدد (٥) على يمينه (٢٠) صفرا تقريبا وأن هذه الذرات متباعدات جدا ويكون مكان الذرات خاليا فينبها أبعاد كأبعاد ما بين الشمس والأرض أى بالنسبة لأحجامها وقد تقدم هذا هناك وأن هذه الأعداد تقرب من أعداد كواكب السماء التى عدت بقدر (٢) على يمينه (٢٤) صفرا . إن هذا العالم كله يرجع للجواهر الفردة والجواهر الفردة ترجع لأنوار كهر بائية فهاهى إلا ذرات ضوئية تدور منتهى واحدة حول الأخرى كما تدور السيارات حول الشمس والذرة الضوئية الدائرة يسمونها كهر بائية سالبة والذرة الضوئية الثابتة يسمونها موجبة وهذه الدائرة تجرى فى الثانية (٦) ملايين مرة حول الثابتة . وباختلاف مقادير هذه الذرات مع اختلاف مقادير الحركات فى الثانية تختلف العناصر المركبات منها وهذه العناصر بينها نسب عجيبية ستراها فى (سورة العنكبوت) قريبا

وهذه العناصر منها هذه المركبات من شمس وسيارات وأرضين وأقمار وإنسان وحيوان ونبات ومعادن
فكل ما نشاهده حولنا وبحيط بنا يرجع لأنوار تجري في أماكن خالية وكأنا نعيش في خيال وكأن الوجود
الحقيقي ما هو إلا موجود لانراه لأن ما نراه ظهر لنا من كلام علماء المادة أنفسهم أنه لا معنى لوجوده بل هو
نقط ضوئية في أماكن خالية وما هو الضوء؟ الضوء ليس شيئا سوى حركات في شيء سموه (الأثير)
وما هو الأثير؟ هو عالم عرفه الناس بقولهم لا غير . أما حواسهم فإنها لم تقدر على تصوّره . إذن اجتمع علماء
العصر الحاضر أظهر أن كل ما نراه ونسمعه ونشمه ونذوقه ونلمسه ان هو إلا حركات لعالم لا ندركه وأن أسباب
هذه الحركات وراء عقولنا . إذن الموجود الحقيقي غير ما أدركناه بحواسنا . إذن هناك وجود حقيقي أوروث
وجودا ظاهريا وهو الموجود الحقيقي . وهنا نقول أيهما هو الأصل العدم أم الوجود . فقال العدم هو الأصل
فقلت الناس اعتبروا التفريق علما فإذا رأوا إنسانا مات وتفرقت أجزاؤه أروا حيوانا هلك وأكله غيره
سموه معدوما وما هو معدوم بل هو مفرق الأجزاء والأجزاء موجودة لا معدومة . وإذا كنا على حساب اصطلاح
الناس بمقتضى حواسهم قد حكمنا بخطئهم في عدهم ما تفرقت أجزاؤه معدوما فليكن كذلك حكمنا على
حكمهم على الموجود الحقيقي الذي هو السبب في الوجود الظاهري المجازي . فإذا أخطوا في قولهم ان الميت
معدوم وجوابه أن يقولوا مفرق الأجزاء فقد أخطوا في حكمهم على الموجود الحقيقي بأن وجوده من الأزل
يحتاج الى البرهان لأن العدم هو الأصل . فقال نحن إذا حكمنا بخطأ الناس في قولهم عدم الميت لا نحكم بخطئهم
في قولهم وجد الإنسان بعد العدم فانه كان معدوما فإذا حكموا بأن الأصل هو العدم فقد حكموا بما يشاهدونه
فإذا قالوا إن الموجود الحقيقي الأصل فيه هو العدم والوجود يحوجه دليل فهم على حق . فقلت هذا الظن
أيضا منهم خطأ فان الذي وجد بعد العدم كالإنسان والحيوان والكواكب والشمس فهؤلاء جميعا كانوا
موجودين وانما الأجزاء كانت مفرقة فاجتمعت . فأجزاء الطفل التي نراها كانت موجودة قبل وجوده فهذا
اجتماع فقط بعد التفرق . ففضية أن العدم سابق على الوجود ناشت من اشتباه الناس في الأمر يظنون اجتماع
الأجزاء وجودا وتفرقها علما . والوجود والعدم راجعان للأوصاف والأوصاف أعراض . فقال إذن أنت
تحكم أن العدم لا يسبق الوجود . فقلت نعم . فقال وماذا تقول في أن العالم حادث . إذن في رأيك هو قديم .
قلت له لقد نسبت ما قلناه في هذا المقال . ألم أقل لك ان التحقيق في عصرنا الحاضر انه لا عالم موجود وانما
هذا العالم عبارة عن صفات لعالم يسمى الأثير إذ هو نور وما النور إلا حركات في الأثير فالعالم حركات لا غير
إذن العالم وجوده تبع لغيره وهو الموجود الذي عرفناه بقولنا فرجع الأمر الى مذهب أفلاطون القائل بعالم
المثال وهو الذي يسمى اليوم (عالم الأثير) وهو يقول ان كل ما هو حاصل الآن في عالمنا ما هو إلا ضرب أمثال
لعالم المثال (اقرأ جمهوريته فان هذا واضح فيها) . فقال اذا لم يكن العالم له وجود فكيف تقول ان النبات
أو الحيوان كانت أجزاؤه موجودة قبل وجوده هو . فقلت ذلك باعتبار مرتبة الحواس ومرتبة الحواس مرتبة
غير حقيقية فهذا التعبير راجع للوجود المجازي كما قدمته لك . فقال إذن أنت ترى أن العالم اليوم وجوده
باعتبار آراء علماء العصر الحاضر راجع لحركات لعالم لانراه . فقلت نعم والموجود الذي لانراه الأصل فيه الوجود
لا العدم لأنه لا دليل على عدمه فإذا كان موجودا من الأزل فهذا هو الأصل . قال ولكن أنت قلت ان العالم
حركات لعالم لانراه . إذن الله متحرك وهذا كفر . فقلت الله لا يتحرك وانما هو خالق للحركة في الأثير .
فقال إذن الأثير عالم قديم . قلت هنا يقف عقلي فعلى لا يدري ذلك العالم وإذا كان ذلك الأمر موجودا فلا
أدري كيف يوجد وكيف هو وأنا لا أتعنى طوري ولكن أقول الذي ثبت من أقوال علماء عصرنا الحاضر
أن عالمنا لا وجود له باستقلال والأثير الذي قالوه أنا لا أعرفه ولاهم يعرفونه فلنرجع الى نفوسنا ولنشهد عليها
بالجز (الجز عن الإدراك ادراك) لا يعرف الله إلا الله فالأولى أن نعبر بجزنا . قال فاضرب لي مثلا إذ

عجزت عن الحقيقة . فقلت نعم أضرب لك مثلاً لله في خلقه بنا فلقد ضرب الله مثلاً لنوره بالقنديل والمشكاة . اعلم أن الانسان منا في كل وقت يتصور صوراً بحيث يخیل له السماء والأرض والشمس والأقمار . قال نعم وهذا خیال . قلت نعم هو خیال ولكن أهذا الخيال موجود . قال . كلا . قلت بل هو موجود . ألم يكن للخیال نتيجة في الظاهر . أليس كل ما نفعله لا نتحرك له إلا بعد الصور التي أبرزتها نفوسنا في خیالنا . قال بلى . قلت وهذه الصور على مقتضاها نعمل فبنی بیوتنا وتفنن صناعاتنا . قال نعم . قلت فهل للمعدوم ينتج الموجود . قال لا . قلت إذن هذه صور موجودة ولكن وجودها ضعيف لسرعة زوالها . قال إی وری انه لحق . قلت إذن ثبت لك بالبرهان أن الخيال صور لها وجود بدلیل ظهور آثارها . قال نعم ولكن قد حكمت بأن عالمنا لا وجود له . قلت نحن الآن في الوجود المجازی فلا تخطأ أحدهما بالآخر . إذن فلنجعل نفوسنا مع خیالها ضرب مثل وضرب الأمثال جائز شرعاً وعقلاً ونقول إن هذا العالم هو نفحة من نفحات الله تعالى وقبسة من نوره فنسبناها إليه تعالى . ولله المثل الأعلى . كنسبة خیالنا الى نفوسنا . فإذا كانت نفوسنا الضئيلة أمكنها أن تحدث صوراً ثبت بالبرهان أن لها نوعاً من الوجود المجازی وهي انما ضعفت لضعف سببها القريب في نفوسنا . فهكذا تكون نسبة العالم الى الله تعالى فإذا قدرت نفوسنا على صور خیالية لأتراها حواسنا فأنه لعظمته وحكمته النامة وقدرته العظيمة یخلق صوراً عظيمة تراها حواسنا وتعظم عندها فضعف خیالنا نسبتنا الى قوة صور السموات والأرض كنسبة ضعف نفوسنا الى عظمة الله خالقنا وهذا المثل ينتج لنا أن العالم موجود وجوداً مجازياً وأنه مستمد من الله كل حين وأنه اذا تركه الله لحظة لم یبق له وجود كما أن صورنا الخيالية اذا غفلنا عنها طرفة عين لم یبق لها وجود . إذن العالم العالی والسفلی والجنان والسيران عوالم لا استقلال لها وهي بيد الله فنحن الآن موجودون وجوداً كوجود الخيال للتخیل . وهذا یوضح لنا قوله تعالى . لا تأخذنه سنة ولا نوم . لأن من تصور صورة وأخذته سنة أو نوم ذهب تلك الصورة ویوضح لنا أيضاً . ان الله یمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده . أى كما أننا نتخیل صوراً خیالية لا وجود لها إلا باستحضارنا فإذا تركنا هذه الصور أو غفلنا عنها فلامسك لها بعدنا (وهذا التخیل جائز كما مثل الله لنوره بالمشكاة والمصباح كما سبق) ویفسر لنا هذا أيضاً قوله تعالى . ما یكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم . ویفسر لنا قوله تعالى . وهو الله فی السموات والأرض یعلم سرکم وجهرکم ویعلم ما نکسبون . ویفسر لنا . وما من غائبة فی السماء والأرض إلا فی کتاب مبین . إذن العلم الحدیث وفق ما بین المذاهب كلها وأصبحت الفلسفة والتصوف وعلم الطبيعة كلها علماً واحداً . فنحن الآن موجودون في وجود مجازی وهذا الوجود المجازی نحن فيه مأمورون بالجد ولا نصل الى الوجود الحقیقی إلا اذا نصبنا وقبنا وحصلنا كل علم وكل فن واتحدنا وسخرنا كل ما أمامنا من الوجود المجازی وأصبحت الأمم اخواناً فاتحدوا ولوا اتحاداً مجازياً هنالك یرجعون الى ربهم وبشاهدونه وماداموا ناقصین یحبسون فی هذا الوجود المجازی ویعذبون ویذلون وهم فی جهنم خالسون وجهنم فی قبضته والنار فی قبضته وهولاینام ولا یغفل . هذا ما فتح الله به يوم السبت ٢٩ ینابر سنة ١٩٢٩ م

هذا وسأتبع هذا المقام ایضاً فی آخر (سورة النمل) عند قوله تعالى . وقول الحمد لله سیریم آیاته فتمرفونها وما ربك بغافل عما تعملون . فهناك سأذكر (مسألتین الأولى) تاریخ الفلسفة الذی اعتاد الناس فی زماننا أن یدرسوه أى انی أذكر النموذج الذی كتبه الاستاذ (سنتلته التلیانی) فی كتاب (تاریخ الفلسفة) وأین فی مذهب أفلاطون وسقراط وأرسطاطالیس وكيف كان سقراط یری أن العلم لا یتیم إلا بالعبادة والتعریف وأن السعادة للانسان لاتتم إلا بالعلم وأن الشقاوة لاتكون إلا بالجهل . إذن لابد من العلم الصحیح والعلم الصحیح بشدة العناية بالتعاریف . ثم أذكر أن أفلاطون تلمیذه قال (لا یسقل العلم إلا بأمر ثابت

والحدود والتعاريف لاثباتها في ذواتها ﴿ فهناك قال لابد من عالم يسمى عالم المثال فيه جميع صور الموجودات وعالمنا أنشئ على منوال ذلك العالم وحينئذ يمكننا أن نفهم كيف ثبت العلم لأننا وجدنا له شيئاً ثبت فيه . ثم نذكر مذهب (أرسطاطاليس) بعد (أفلاطون) واعتراضه على مذهب أستاذه وأن ذلك العالم المثالي لا يصح أن يكون محلاً للعلم لأنه لا وجود له ولكن الذي يركن إليه ويستند العلم عليه هي الصورة القائمة بالمادة كصورة الكرسي والميزل والشجرة والحيوان فهذه الصور هي المحل الثابت للعلم وأبين بعد ذلك كيف كان هذا الرأي أدخل في الضعف والفساد من سابقه ثم أذكر الحقيقة واضحة إن شاء الله بالعقل ثم أعرض عليها المذاهب بحيث يكون الرأي السائد في زماننا ثابتاً على قرار مكين من العقل في هذا الزمان

هذا ما سأذكره في المسألة الأولى هناك إن شاء الله ﴿ المسألة الثانية ﴾ تقسيم العلوم المعروفة في القرون الوسطى بحيث تمت إلى العلوم المستحدثة بسبب وهناك يكون أمام الأذكاء صفحة من العلم تبدو ظاهرة تفسيراً لقوله تعالى - سرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم - فهذا العلم عما في أنفسنا وقد أبرزه الله في زماننا وأدخلناه في تفسير الآية والله هو الولي الجيد انتهى

﴿ اللطيفة التاسعة في قوله تعالى - ويوم تشق السماء بالغمام - ﴾

لقد علمت فيما سبق من هذا التفسير أن الكواكب التي تبلغ مئات الملايين لها فيما يظن له البشر ويظهر في العلوم سيارات حولها والسيارات لها أقمار كما هي حال شمسنا وسياراتها وأقمارها وأن هذه الشمس العظيمة التي هي أعظم من شمسنا كانت قديماً عبارة عن غمام طائر في الجو يعبرون عنه بالسديم جمعه سدم وأن هذه الشمس يوماً ما سترجع إلى سيرتها الأولى أي أنها تهدم وتحلل وترجع في الجو كما كانت وتخلق بعد الملايين من السنين خلقاً جديداً وتتكون بهيئة كواكب جديدة يخلق الله فيها خلقاً جديداً . ولقد سبق في بعض السور السابقة دليل العلماء على ذلك أنهم شاهدوا في هذا العصر ستين ألف كوكب تتخلق من جديد فبعضها قارب أن يتم تكوينه وبعضها مبتدأ في تكوينه وبعضها بين بين وكلها تجهز لتكون عوالم كما نرى عالم شمسنا وسياراتها وأقمارها . فهذا هو الذي دل العلماء على أن هذه الشمس وما حولها كانت قديماً عبارة عن غمام طائر دائر كما يرون ذلك اليوم . ولقد ذكرت ذلك في (سورة إبراهيم) عليه السلام عند قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - وكذلك في (سورة الأنبياء) عند قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - فهكذا هنا يقول الله - ويوم تشق السماء بالغمام - أي أن شمسنا وكواكبها وبعض الشمس الأخرى وسياراتها تصبح أشبه بالغمام لأنها صارت نارا متفرقة في الجو . والسماء هي التي نشاهده من هذه العوالم اللطيفة التي تنتهي باللون الأزرق الذي نشاهده . ومستحيل أن يكون اللون إلا في المتلون والمتلون هو هذا العالم المسمى بالآثير الذي شرحناه في (سورة البقرة) وقلنا إن من ينكر السماء فأنما هو جاهل بجعل علوم المتقدمين وعلوم المتأخرين فإن المتقدمين والمتأخرين جميعاً ينكرون وجود الخلاء بل هم جميعاً يقولون إن الفضاء مستحيل بل هو محلول بما يسمى بالآثير وهو الذي يحمل ضوء الكواكب إلينا فارجع إليه هناك تراهين القدماء والمحدثين عند قوله تعالى - ثم استوى إلى السماء وهي دخان - الخ فانظر وتجب كيف سماها دخاناً وغماماً وقال إنهما كانتا رتقا ففتقنهما وكل ذلك دأب على هذا المعنى فتجب من القرآن وحكمه وعجابه وانظر كيف يقول هنا - ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة نزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن - الخ

﴿ اللطيفة العاشرة في قوله تعالى - ويوم يعض الظالم على يديه - الخ ﴾

هذه الآية مقابلة للآية المتقدمة في اللطيفة السابعة إذ جعل هناك سبحانه الناس بعضهم لبعض فتنه وأن العدو فتنه وامتحان لعدوه . فأما هنا فإنه يقول - ويوم يعض الظالم على يديه يقول باليتنى اتخذت مع

الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا - وهذا القول ينطق به الشاعر العربي إذ يقول
عدوك من صديقك مستفاد * فلاتسكتن من الصحاب
فان الداء أكثر ما يكون * تراه من الطعام أو الشراب

وفي المثل « عدو عاقل خير من صديق جاهل » واعلم أن الانسان اذا كانت فتنته بعدوه عظيمة فهمى
بصديقه أعظم وترى الناس مولعين بالأصدقاء جاذبين في مرضاتهم فيقعون في التهلكة والأصحاب هم الذين بهم
يتشبه الانسان في عاداته وأخلاقه وأحواله وأعماله وطباعه فالأصحاب هم جنة الانسان وناره . ولا ترى لصا
ولازانيا ولا فاسقا إلا وهو متشبه بصاحب له أو صديق قد تخلى بأخلاقه وسار على منواله . وترى الأصحاب
اذا وقعت الواقعة وظهرت الحقائق يتبرأ بعضهم من بعض ويلعن بعضهم بعضا كاللصوص والقتلة وما أشبه ذلك
فكل هؤلاء يصبحون أعداء متى وقعوا في الضيق وهذا قوله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
إلا المتقين -

الصدقة على (أربعة أقسام) صداقة تأتي سريريا وتذهب سريريا وهي التي سببها الشهوات فان الشهوة
سريعة الانقراض فإذا ما انقضى أمرها ذهبت حرارتها وانطفأت فلا صداقة إذن كما نراه في الزناة والسراق وقطاع
الطرق . وصداقة تأتي سريريا وتذهب بطبيئها وهي الصداقة العقلية فانك تحب العالم أول ما يهيجك قوله ولا تذهب
الصداقة إلا بعد أمد طويل وأسباب كثيرة . وصداقة تأتي بطيئا وتذهب سريريا كالصداقة مع التجار
فان الانسان لا يثق إلا بعد معاملة واختبار ولكن متى ظهر الغش حصل التنازع سريريا . وصداقة تأتي بطيئا
وتذهب بطيئا كالصداقة المركبة أسبابها من أشياء مختلفة فانها تأتي ببطء وتذهب ببطء فاذا أحب امرأة لأمور
كثيرة كالجاه والمال والجمال وكان لكل واحد من ذلك حظ من الحب قلن يذهب الحب إلا بطيئا
فتبين من ذلك أن صداقة الشهوة تذهب وأن الغش متى ظهر بين الأصدقاء فترتهم وذلك كله في الدنيا
وأحوال الآخرة تضارع أحوال الدنيا في أمور كثيرة . وعلى ذلك ترى الناس يتبع بعضهم بعضا في الأخلاق
والأعمال واذا ماتوا وعرفوا الحقائق أصبحوا كاللصوص اذا وقفوا أمام القضاة في الدنيا فان كلا يجعل الذنب
على صاحبه فيصبح الأخلاء أعداء . أما المخلصون الصادقون فلا ذنب ولا لوم فيقول الظالم الذي ظلم نفسه بترك
التعقل واتباع صاحبه - ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا * ياويلتى ليتنى لم آتخذ فلانا خليلا - وهذه الحال
كحال الرؤساء والرؤسين التي مرت في (سورة البقرة) - إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب
وتقطع بهم الأسباب - . فهمنا يقول الله تعالى إن الصداقة تنقلب شقاوة وحزنا وأسفا كما تنقلب اللذات
آلاما . وترى الانسان اذا مات اتقنت في قلبه نار الحسرات على قوات الشهوات التي اعتاد عليها فانقلبت
الشهوات آلاما هكذا هنا انقلبت المودات والمحبات شقوة وحسرة وندامة لأنها ضلال والضلal يتبعه الحسران
والهلاك فلا رؤساء يوم القيامة بنافعين ولا أصدقاء بنافعين بل كل مسؤول عن نفسه

(ضعف السياسة في الأمة الاسلامية اليوم)

واعلم أن قوله تعالى - ويوم بعض الظالم على يديه يقول ياليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا - الخ هي الحاصلة
اليوم فان لم يكن بلفظها فبمعناها (وبيانه) أن أم أوروبا أصبحت عريقة في اصطناع السلاح والكرام
والأعمال الحربية وأضافت الى ذلك قوة دهائها ومكرها وخداعها فلما رأت أم الاسلام نائمة جاهلة استعمالا
الصداقة خير سلاح لهم فترسل الدولة سفيرها الى الأمير المسلم فيوحى اليه أن قائد جيشك خائن وترسل رجلا
آخر الى القائد فيفهمه أن أميرك خائن ولا يزال الفريقان يجذآن ويحتالان حتى يفرقا بينهما ثم تتدخل الدولة
الأجنبية بالسلاح وتحتل البلاد فاذا تم الأمر ظهر الحق وعلم الأمير والقائد أنهما كانا مخدوعين فبعض الظالم أي
الأمير والقائد على يديه يقول ياليتنى تعقلت ونظرت في الأمر بدقة ياويلتى ليتنى لم آتخذ فلانا القريبجي خليلا

﴿ حكاية ﴾

لقد جاء في الجرائد المصرية أن الأمير عبد الكريم ببلاد المغرب الذي يحارب الأسبان قد سلب الأسبان عليه رجلاً من أمته يسمى الرسول له شوكة وقوة فقام الأمير عبد الكريم على الرسول وحاربه وغلبه وأسره فوقف وزير الأسبان في قومه خطيباً وقال نحن لا بهمننا الرسول ولا هو له قيمة عندنا فسواء خذل أم نصر فلان بالي . هذا كلام الوزير الاسباني فكأنه لما كان قوياً انتفع به فلما سقط في حومة الوغى خذله ولم يبال به وهذا هو تفسير قوله تعالى - وكان الشيطان للإنسان خذولاً - فهذا نوع الخذلان وهذا المثل يكفيك فقد ساقه الله لتفسره هذه الآية والله هو الولي الجيد

ولكن بعد ذلك سلم الأمير عبد الكريم نفسه لفرنسا لما عرف أن قومه قد أحيط بهم من كل جانب والله الأمر من قبل ومن بعد

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - ﴾ ومعنى هجره تركه وانصد عنه * وجاء في الحديث أنه عليه الصلاة والسلام قال ﴿ من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقاً به ويقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجوراً اقض بيني وبينه ﴾ هذا ما ذكره علماء التفسير رحمهم الله

ومن معاني الطبري اللغوية إذا سمعوه أوزعموا أنه هجر وأساطير الأولين فيكون أصله مهجوراً فيه والمعنى الأول ألقى بحال المسلمين اليوم وما بعده ألقى بحال الكفار . والمهم اليوم أن أحدثك أيها الذكي في حال المسلمين وكيف هجروا القرآن . واعلم أن المصحف قد شكاف فعلاً إلى الله وقد تعلق بالمسلم وشكالي ربه وقال اقض بيني وبينه وبالفعل قد قضى الله بين المصحف وبين المسلمين وعجل العذاب لكثير من الأمم الإسلامية هذا هو العذاب المجل . سلب الفرنجة علينا وأخرنا في مصاف الأمم وسيكون هذا من أسباب عذابنا في الآخرة وتأخرنا هناك عن دخول الجنة لأن المسلم اليوم محروم من القيام بشعائر دينه على الوجه الأكمل . محروم من التفكير . محروم من العلم وذلك لأنه لم يعقل مافي المصحف وزاد الطين بلة دخول أهل أورربا في بلاد الاسلام واستيلائهم على الأوقاف وعلى الامور الدينية فضعف المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وهذا عقاب مجل قبل المؤجل . إن الأنبياء إذا شكوا أجمعهم إلى ربهم عاقبهم وهذه شكوى من رسول الله ﷺ شكاً أولاً أهل مكة فعوقبوا بغزوة بدر وأسلم أبناؤهم وانتهى الأمر وشكنا نحن وإهمالنا التفكير في معاني المصحف . ولأذكر لك ﴿ مسألتين اثنتين ﴾ مما أهله المسلمون قبل ايضاح المقام فأقول

لماذا لا ينظر المسلمون في أول سورة نزلت . إيت أول سورة نزلت - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم * كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن إلى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى * عبداً إذا صلى * أرأيت إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى - الخ

أفلم ينظر المسلمون إلى الابتداء كيف كان . ألم تكن أول كلمة بعد البسملة - اقرأ - فكأن أول مطلوب لنبي هذه الأمة ﷺ ولأتمته القراءة . وبماذا يقرأ . يقرأ باسم الرب والرب فيه معنى الترية المذكورة في أول القامحة ثم أوضح الترية فابتدأها بقوله - الذي خلق - فالخلق كلهم في تربية الله تعالى والخلق إما بمعنى التقدير وإما بمعنى الإيجاد وهذا يعم سائر المخلوقين من ملك وانس وجمن وسموات وأرضين ثم خصص فقال - خلق الانسان من علق - وخلق الانسان نتيجة عوالم تقدمت أي نتيجة عوالم الشمس والقمر والأرض والسيارات والنبات والحيوان والماء والأرض والجبال والأنهار . كل ذلك مقدمات لخلق الانسان . والتعبير بعلق إشارة إلى ما ذكرنا في هذا التفسير من سلسلة الحيوانات الممتدة من أدنى مخلوق حتى إلى الانسان وإلى

الكشف الذي أظهر أن أصل الجنين علقه صغيرة جدا . وقد تقدم إيضاها وإيضاح تكوين الجنين وعلاقته بسلسلة الحيوانات وأن علم الجنين من العلوم الطبيعية الهجينة التي حض الله عليها فقل سبحانه - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - والنظر في النفس يتقدمه النظر في الجسم والنظر في جسم الانسان هو العلم العجيب والحكمة البديعة والآية الربانية والحكمة الصمدانية . إن جسم الانسان هو لوحه المقروء وآياته البينات فإذا عاش المسلمون وماتوا ولقوا ربهم وهم عمن أجسامهم جهلاء برهم فكيف يلقونه وقد أنزل عليهم أول ما أنزل - اقرأ باسم ربك الذي خلق * خالق الانسان من علق - وذلك يجرى الى علوم الطبيعة كلها . علوم الطبيعة التي يقرؤها أهل أوروبا كلهم في المدارس التجريبية والمسلمون مأمونون . علوم الطبيعة التي أنشأها الله بيده ونظمها بحكمته وألقاها لنا كتابا مقروءا وأنزل كتابه اللفظي مصداقا لكتابه العلمي

يا عجباً للمسلمين كيف يكون أول ما أنزل على نبينا ﷺ طلب القراءة وفهم التربية والبحث في الخلائق كلها والبحث في الانسان ثم يعقب ذلك بقوله - اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم - فأنه كرم لأنه خلق الخلق ورباه كما قال تعالى - يا أيها الانسان ما غرتك ربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك * في أي صورة ما شاء ركبك - ولكنه أكرم لأنه - علم بالقلم - فكرم الله عام على الانسان والحيوان فنعمة الشمس والقمر والنبات والحيوان وتسوية خالقنا ونظامنا . كل ذلك منه كرم ولكن الكرم الدائم هو نعمة العلم والحكمة لأن نعمة العلم والحكمة غذاء للأرواح وغذاء الأرواح أبقى من غذاء الأجسام والعلوم والمعارف عبارة عن جنات وأعنان وفواكه مما نشتهي وفوق كل لذة في عالم الأجسام فيبقاء العلوم بقاء الأرواح في هناء وبكثرتها قربنا من الله وهذا هو مقصود قوله تعالى - اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - نخلقه للعالم كرم ولكن القراءة والكتابة والعلم من الله زيادة في الكرم فالمسلمون اليوم رضوان الله بكرمه ولكنهم أبوا أن يتقبلوا زيادة الكرم وزيادة الكرم بالعلوم . فقوله - علم بالقلم - إشارة الى أن القراءة والكتابة ينبغي أن تعلم وقوله - علم الانسان ما لم يعلم - إشارة الى تعميم العلوم فإذا كان أهل أوروبا يعلمون أبناءهم جميعا تعليما إجباريا الى سن (١٤) سنة فالمسلمون أولى بهذه المكرمة وأحق بهذه النعمة وأولى بهذه المنة . وكيف نام المسلمون آمادا طويلة وكيف نسوا القرآن وهجروه وكيف ظنوا أن القرآن أغفل العلوم

(القرآن وتقصير المسلمين فيه)

اعلم أن المسلمين في غابر الأزمان أيام الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم نظروا في أحوال العصر الذي هم فيه فوجدوا الأرض يعوزها العدل والأخلاق والسيرة الحسنة فنظموا الدول وأقاموا الممالك وفتتوا العدل وبشوا حسن المعاملة بين الناس بقدر إمكانهم ففتتوا باب الحرية في الديانات ونظموا الأمم وفعلوا ما أمكنهم فعله فنشط علماءهم للتأليف وحكماؤهم للتدوين وقام الأئمة رضوان الله عليهم للتصنيف والتأليف وكان هناك مذاهب ومذاهب في الأحكام الشرعية والعلوم الفقهية وساروا شوطا بعيدا في العدل الى أن انقضت الدول العربية وجاءت الحروب الصليبية . في أثناء ذلك فرت الحرية من الشرق الى الغرب واستيقظت أوروبا من مرقدتها وهذبت تعاليم المسلمين الدين المسيحي فرجعوا الى عقولهم ونظموا مدتهم وانتقل العلم من الشرق الى الغرب وهنا رجعوا الى الطبيعة وقرؤوها والمسلمون في انحطاط

كانت في العصور الأولى (دولتان) فارس والروم وقد دالت الدولتان وانحلنا وحل الاسلام محلها وأظهر العدل ونام الناس في عدالته وأمنوا . فالقرآن إذن أقام العدل الذي وجد بعد أن أراد أن ينقض أقام الاسلام جدار العدل الذي أراد أن ينقض في الدولتين العظيمتين فارس والروم . أقامه وقضى أبدا طويلا وفتح باب الحرية كما قلنا فاستيقظت الأمم الشرقية والغربية فقرأت العلوم . فعلى الاسلام اليوم بعد تأليف هذا التفسير أن يقوم بسطوته ويهذب الأمم ويعلمها العلوم الطبيعية . فكما أقام العدل أيام الصحابة

والتابعين فليقم الاسلام العلم اليوم . فاذا قرأ العلوم أهل أوروبا على أنها واجبات فليقرأها المسلم اليوم على أنها قرى الى الله وليكن عدل المسلمين في العصور الأولى نبراسا لهم في العلم اليوم . إن الاسلام مهذب للأمة هذبهم في اقامة العدل سابقا فليهدبهم اليوم في نظام العلوم وليقم المسلمون بما عليهم ولتقم أمة العرب قبل الأمم بالحكمة ولتدرس الوجود حبا في ربها وأنسا بخالقها وقرى الى الله

ألا ليقم المسلمون بما عليهم ويسموا قول الله - اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم - فقله - علم الانسان ما لم يعلم - كلام عام يقتضى البحث والتنقيب وترقية العقول بالعلوم ثم أتبعه بقوله - كلا إن الانسان ليطغى * أن رآه استغنى * إن الى ربك الرجعى * أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى - فانظر كيف ذكر الصلاة بعد أن شرح العلوم . انظروا أيها المسلمون كيف جعل الاسلام مؤخرا عن الايمان . لم يذكر الصلاة إلا بعد ما استوفى العلوم . سيقول جاهل وما هذا التقديم والتأخير . أقول انه لم يعل هذا القول إلا لجهالة الكتعاء . واذا كنا نرى الأئمة رضوان الله عليهم يذكرون في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اذا قمنا الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم - أن ما قدمه الله يقدم وما أخره الله يؤخر ويرجعون في ذلك الى ما ورد في بعض الأحاديث فأوجب بعض الأئمة كالشافعى رضى الله عنه الترتيب فكيف صح التدقيق في غسل الأعضاء وأنها يقيم ولا يصح التدقيق هنا وأن قراءة علوم الطبيعة مقدمة على غيرها وتعليم القراءة والكتابة له القدح المعلى في الاسلام على غيرها . إن العدول عن مثل هذا جاء من اعراض العلماء في الاسلام عن هذه المباحث . ومن عجب أن تكون هذه السورة أول ما أنزل على رسول الله ﷺ فكيف يكون هذا أول ما أنزل على نبينا ﷺ ولا تنكفيه

﴿ سورة الفاتحة ﴾

واعلم أن هذا النظام بعينه هو الذى جاء في (سورة الفاتحة) فانه بدأ بالحمد لله لأنه ربي العالمين لأنه خلق العالم ورباه وهو كما قال - خلق * خالق الانسان من علق - والخلق من علق ثم الترقى شيئا فشيئا هو معنى الترية فكان هذه السورة تفسر معنى الترية المذكورة في الفاتحة والمذكورة في هذه السورة ولم يذكر العبادة ولا الهداية للصراط المستقيم ولا الاستعانة بالله في ذلك إلا بعد ما ذكر الترية ونظام العالم . فالفاتحة سار القول فيها على نظام يشبه نظام أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ وكان الله أمر بقراءة الفاتحة في كل صلاة لتذكرنا بأول سورة نزلت إذ أمرنا فيها بالقراءة والقراءة منصبة على أن نعرف ما ربه الله من الخلوقات وكما أخرت أحوال العبادات في الفاتحة أخرت أيضا في (سورة اقرأ) وملخص هذا كله تعميم التعليم

فيا ليت شعري كيف نام المسلمون عن قوله تعالى - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - . لقد علمت أن آباءنا هذبوا الأمم بعلم الفقه وأقاموا العدل وذلك من مائة وخمسين آية من القرآن ونحن اليوم رأينا الأمم تقرأ العلوم كلها وتنظم دولها فلتنم النظام الأرضى ولتقم بتعليم العلوم بنظام أشرف وهو أن يكون ذلك تابعا لأمر الدين أى أن يكون العلم عندنا أرقى مما عندهم كما قال ﷺ (اذكر الله عند كل حجر وشجر) فليعلم المسلمون العلوم اليوم وليكن لهم نظام أشرف من نظام أوروبا وليقم فيهم علماء يهذبون الأمم في علومها كما هذبوها في عدلها وأن تأخير المسلمين اليوم عن الأمم في العلوم لحكمة انهم هم المهذبون للأمم . إن نبينا ﷺ رحمة للعالمين رحم الله به الناس في العلوم الفقهية واقامة العدل وسيرجهم بالنظام العلمى الأعلى الذى سيكون على أيدي المسلمين . سيقروا المسلمون هذا التفسير وسيعملون بوصايا القرآن في سبعمائة آية وخمسين نصريحا وفي غيرها تلاويحا أن يقرؤا علوم العالم كله . سيقروا ذلك كله وسيقومون بما عليهم من نظام هذه الأرض ويحققون - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

﴿ القرآن كالبهر الملمح ﴾

القرآن أشبه بالبحر فيه الماء وفيه السمك وفيه الدر والمرجان وفيه مخلوقات بديعة عجيبة وقد أخذ منه أسلافنا علم الفقه وهو بعض ما فيه وما علم الفقه إلا كالسمك . فأما الدر والمرجان والماء الذي به حياة كل شيء فيكون في المستقبل . إن في البحر جوهراً وإن في البحر دراً . إن في البحر ماء يكون بخاراً بحرارة الشمس فيرتفع للجو فيصير سحاباً مطراً فيحسب به الله الأرض بعد موتها ويصكون منه الحيوان والنبات والانسان . هذا هو البحر وهذا هو القرآن . فليفسكر المسلمون بعقولهم وليستخرجن العلوم من مكانها كما استخرجت الحرارة الشمسية القطرات المائية من البحر المحيط فصارت أنهاراً سقت كل شيء . أخذ أسلافنا السمك منه وهو علم الفقه فلأخذ نحن من العلوم التي بها حياة العقول كما أن ماء المطر به حياة كل شيء ولنغص على الدر والمرجان كما غاص أكابر آياتنا ولكن بقي ذلك مدفوناً في الكتب بعيداً عن الأمة فليفسر ذلك للأمة ولتقم الأمة بما عليها لنفسها وللأمة وليقرأوا - وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - انتهت اللطيفة الحادية عشر

﴿ اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين - ﴾

قد تقدم شرحها في اللطيفة السابعة في قوله تعالى - وجعلنا بعضهم لبعض فتنة أتصبرون -

﴿ اللطيفة الثالثة عشرة في قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - الخ ﴾

اعلم أن الناس أشجار مقالوبة فروسنا مرفوعة الى أعلى تتعاطى بها الطعام والشراب ورؤس النبات الى أسفل ورؤس الحيوان متجهة الى الجهات الأربعة وإنما كان على هذا الخط لأن النبات لاحظله من الاستقلال إلا لاحظله من الانفصال عن الأرض فرأسه ملازم للطين لاحتراكه ظاهره . فأما الحيوان فإنه يتحرك الى سائر الجهات ويختلف في قبول الفرائض اختلافاً عظيماً وهو في ارتقاء درجاته على أقسام كثيرة يبتدىء من أدناه الى أعلاه . فانظر الى خلق الله وعجائب صنعه وتفكر في حكمته سبحانه وتعالى وانظر كيف خلق وكيف صور خلق النبات لازماً للأرض وخلق الحيوان على أنواع كثيرة وكل ازداد غرائز وقوى كان أبعد عن الانكسار على الأرض وكان أقدر على السعي وترى السباع والفجور أرقى من الطيأ والغزلان فهي تأكلها وترى القرد أرقى من الجمل لما لها من الذكاء والفهم والتقليد للانسان وترى الانسان انتصب قائماً فكانت رأسه أعلى ويداه ورجلاه لأسفل بعكس كل نبات فصدق قولنا ان الانسان نبات معكوس وهذا معنى قوله تعالى - والله أنبتكم من الأرض نباتاً - فنحن نبات ارتقى ارتقاء تاماً ولكن ننظر هنا معنى الآية التي نحن بصدد الكلام عليها وهي - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - فالحشر على الوجوه الى جهنم يراد به ميل النفوس الى الامور الأرضية وذلك أن الانسان يعيش في هذه الأرض ويصادف فيها لذات وآلاماً فإذا عاش ومات وهو لم يفهم منها إلا لذاتها وجهل اللذات العالية وهي حب هذا النظام العام وتكميل النفس الانسانية فان مثل هذا يوضع بعد الموت في عوالم منحطة على قدر عقله لأن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون فخل هذا يحشر على وجهه فليس من الذين ترتفع رؤسهم الى أعلى لأن ميلهم حيواني وشهوتهم نباتية فكانت مافهم الانسانية ولا عقل لذاتها العالية وعكف على الشهوات المعتادة عند الحيوان والنبات فترى من الحيوان ما يحب على الأرض حبواً فهؤلاء تكون نفوسهم راجعة منكوسة الى أسفل . والأخلاق الشهوية النباتية ترجع الى الماء واللبس والسكن والزينة والنساء والمال وجميع ما هو من هذا القليل والأخلاق السبعية ترجع الى القوة الغضبية من الحسد والكبر والظلم وما أشبه ذلك . فهذه الصفات كلها التي تبلغ ما يقارب المائة كفاي علم الأخلاق تحط قيمة المرء في الآخرة ويرى نفسه متعلقة بتلك الأخلاق فتبقى محبوبة فيها عن ربها كما قال تعالى - بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون - وكل امرئ يعرف

من نفسه اذا فكر هل نفسه متأهله للقاء الله فان عرف أن هذه الدنيا ولذاتها تبهجته وتنسيه ذكر الله فليعلم أنه بعد الموت يكون معلقا بما كان معلقا به في الدنيا ويبقى محجوبا عن ربه ظالما لنفسه وذلك جزاء الجاهلين وهذا من نتائج قوله تعالى - الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم - اى انهم يملأون الى أسفل الامور فلا يملأون أعلاها ويحجبون عن ربهم وهم الذين خسروا أنفسهم لأن النفوس الانسانية عالية الرأس مرفوعة لها خسيصة منخفضة وانما وجوههم - يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة - وأما الآخرون فليست وجوههم ناضرة ولا الى ربها ناظرة لأنهم يحشرون عليها وتلصق بالأرض كما يلصق النبات لأنهم يملأون الى العوالم الأرضية محبوا لولون على حبها لم يعشقوا ما أدركته العقول من الجلال

﴿ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تديرا - ﴾

اعلم أن الله ضرب الأمثال لهذه الأمة وللأمة السابقة . فأما ضرب الأمثال للأمة السابقة فهو المذكور في هذه الآية . وأما ضرب الأمثال لهذه الأمة فمثل قوله تعالى - مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت لبنت البيوت لبنت العنكبوت لو كانوا يعلمون - الى أن قال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون -

يقول الله في الأمثال لا يعقلها إلا العلماء ويقول في اختلاف الأنسنة والألوان لا يعقلها إلا العلماء كما سيأتي في (سورة الروم) إذ يقول تعالى - ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين - (بكسر اللام) ويقول في سورة أخرى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض - الى قوله - انما يحشى الله من عباده العلماء - إذن الذين يعرفون اختلاف الألوان والأنسنة ونحو ذلك هم الذين يعرفون آيات الله وهم الذين يحشون الله فهكذا لا يعرف الأمثال إلا العلماء بها . واعلم أن الأمثال كثيرة في كل لغة وعند كل أمة ولها مقاصد تقال لأجلها ألف لها (الميداني) كتابه (الأمثال) ولأذكر لك مثالا سهلا لنقيس عليه ونشرح هذا المقام شرحا بقدر الطاقة وبما يفتح الله فأقول

(١) من الأمثال قولهم « قال الخاط لالوتد لم تشقني قال سل من يدقني فان من ورائي لم يتركني ورائي » ومعلوم أن الخاط لم يقل للوتد شيئا ولا الوتد رد عليه شيئا وانما هذه جملة يراد بها اظهار العجز عن اقترب ذنبا باكره غيره عليه . إذن المثل هو قول منقول من معناه الى معنى آخر وهو في علم البيان استعارة تمثيلية وهذا معلوم لمن درسوا ذلك العلم ولذلك كان هذا العلم وأمثاله من العلوم التي لا بد منها لمن يريد تفسير القرآن

(٢) وقولهم « الصيف ضيعت اللبنة » فهذا قول نطق به رجل كبير السن لامرأة كانت زوجته فأحببت شابا وتزوجته في زمن الصيف وجاءت لهذا الشيخ تطلب اللبنة على عادتها في زمن الشتاء فأقارها انك ضيعت اللبنة في زمن الصيف . ولكن هذا القول نطقه نحن الآن على من ضيع فرصة فاته فأتى ليطلبها بعد أن فاته . فاذا طلبنا من رجل أن يشاركنا في أرض ايزرعها أو في تجارة لديرها ثم تمنحني عن ذلك وشاركنا غيره ثم جاء وقال أريد ما كنت طلبته فانا نقول له « الصيف ضيعت اللبنة » نخاطبه بهذا وهو لم يطلب لنا ولم يكن ذلك التصبيع في زمن الصيف بل مرادنا انك أضعت الفرصة فعليك وحدك يكون اللوم لاعتينا . اذا فهمت هذه المقدمة فاسمع لما ألقيه عليك الآن . اعلم أن الأمم السابقة كانت تضرب الأمثال بالقصص والأحاديث المستملعة وتعطى أبناءها الحكم تارة على ألسنة الحيوانات وآونة على ألسنة الأنبياء وأخرى على ألسنة الملائكة وطورا على ألسنة الملوك وهكذا فترى

(١) كتاب « كليله ودمنة » يجعلها على لسان الحيوانات

(٢) وكتاب « ألف ليلة وليلة » على ألسنة الملوك والجن والغفاريت

(٣) وكتب اليهود على ألستة الملائكة نارة والأنبياء نارة أخرى

وهكذا أهل بابل وأهل الهند وأهل أوروبا يجعلون الأمثال على ألستة العشاق كما في كتاب (ألف ليلة وليلة) ومن عجب أن الأمم كلها توغلت في القدم كانت أمثالها غالبا ترجع الى الملائكة أو الآلهة التي اخترعوها على مقدار تلك العقول وليس عندهم في ذلك مضض وكلما اقترب زمان الأمم كانت أمثالها أقرب الى العالم الأرضي كالأنبياء والملوك وأهل زماننا لما أصبحوا أقرب الى (الديموقراطية) جعلوا الأمثال على ألستة العشاق فالمداري في كل عصر على ما غلب على أهله فان كانوا صابئين أو ما أشبههم كالأمم القديمة ذكروا الملائكة والآلهة المخترعة وان كانوا شديدي الخضوع للملوك أو متعلقين بالأنبياء ضربوا بهم الأمثال وهكذا وسأبين ذلك واضحا الآن . واعلم أن ضرب الأمثال منهج عجيب ومقام عزيز يظنه العامة طريقا معبدا وأمرأ سهلا وما هو بمعبد ولا سهل ولكنه يحتاج الى إعمال الروية والفكر والنظر وليس يدرکه إلا أهل العلم والبراية والحكمة وسأريك برهان ما أقول الآن فهناك أسمعك (ثلاثة أمثال) تجمع أهم أمثال الأمم الشرقية والغربية لتطلع على الأمثال التي ضربت لتلك الأمم حتى تعرف كيف كانت عظائمهم ولتفهم بنوع ما قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنيرا - ولأقتصر لك من أمثال المنود على (مثلين) ضربوهم ليفهموا النوع الانساني كيف نخدعنا الشهوات وتضلنا اللذات وتغوينا الأهواء وتسحر عقولنا فنون الجبال وزينة الحياة الدنيا ثم ألقى على ذلك بمثل ضربه أهل (بابل) ونقله اليهود عنهم . وهذه الأمثال ضربت على غلط القدياء في توجيه النصح على ألستة الملائكة كما هو دأب تلك الأمم لأنهم لا يجدون في هذا ذنبا ولا خروجا عن الأدب بخلاف ديننا القويم فانه فيه لا يجوز وان كان القول مجازا وانى أردت بهذا

(١) أن أبين حقيقة الأمثال

(٢) وأن يفتح للمسلم مجال اتساع دائرة العقل

(٣) وأن يفهم المقصود من الكتب القديمة اذا اطلع عليها

(٤) وأن يعرف أن الاسلام يتفق في المعنى مع العلوم ومع كل دين وان اختلفت الظواهر

(٥) وأن يكون المسلم مستأنسا بكل علم فلا يأنف من قراءة العلوم القديمة التي نقلت عن الأمم لأن حصر

العقول يضيع مجد الأمم وبذلها

واعلم أن الله عز وجل طبع هذا الانسان على خصلة لا تنفارقة وخلة تلازمه وهي أنه لا يتعلق إلا بما بعد

عنه ولا يحب إلا ما تمنع عليه وهو يحتقر كل مبذول له ولا يرغب فيما عنده . ألا ترى رعاك الله أنه قد بذلت له

نجوم السماء كي ينظرها كل ليلة وهي أجل وأبهى من الجواهر والخلي ولكنك تراه يفضل قطعة (الماس)

على هذه النجوم الجلية . لماذا هذا ؟ لأن النجوم له مبذولة ولو أنها كانت غير مبذولة لدفع من النظر اليها

غالبا ولكانت النظرة اليها تشتري بمال وفير . ومن هذا ما نشاهده من نهافت التجار على الآثار القديمة

المدفونة تحت الترى فما ذلك إلا لندرتها . ومن ذلك اننى في هذا اليوم أعني يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨

زرت (دار الآثار العربية) بمصر فأخبروني هناك بأنه يؤمها كل يوم من السائحين (٤٠٠) نفس كل واحد يدفع

(١٠) قروش . لماذا هذا ؟ لأجل أن يشاهدوا شيئا ممنوعا عنهم ولو كان مبذولا لهم لاحتقروه . من ذلك أنى

رأيت (سجادة) تاريخها (٥٠٠) سنة اشتراها أحد أغنياء مصر بثمانية آلاف جنيه . ومنه أيضا قطعة قماش

من ثوب ابن هارون الرشيد رأيته بعينى رأى - بلغ ثمنها (٣) آلاف جنيه . وهكذا اناء من العقيق رأيت

هناك كان يأكل فيه بعض ملوك الممالك في مصر فدفع فيه الحاكم الانجليزي (١٦) ألف جنيه فلم ترض

الحكومة المصرية . هكذا أخبرنى العمال في المصلحة . فهذا التغالى في الأثمان للفرابة لا غير

اذا عرفت هذا فلتنظر فى الأمثال انها إنما جعلت أداة للتعليم لغرايتها وبدائع تنوعها واتصرف فيها

حتى ان الانسان اذا سمعها وفكر في أصل المعنى وفي المقصود منه كان لهذا أثرا في نفسه . ففرق بين قول القائل فلان كريم وبين قوله كثيرا الرماد وجبان الكلب وحب الذراع وهكذا فاضرب الأمثال أبلغ من الحقائق هذا أهم الأسباب في قوله تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - بكسر اللام وذلك لأن الجهال من سائر الأمم اذا سمعوا أى قصة صدقوا لفظها ووقفوا عنده ولكن العقلاء هم الذين يفهمون الحقائق وما يقصد من الكلام

الآن سأغ لي أن أقص عليك قصص الهنود لتعلم كيف كانوا يضربون الأمثال لتعليم شعوبهم - وكيف يحترسون من خداع الدنيا - ولأذكر لك قبل ذلك كما تقدم في هذا التفسير وشرحته في غير ما موضع أن الأمم القديمة كلها موحدة بالله باطنا وسرا ومشركة أمام الشعب فعند الهنود كما عند قدماء المصريين كان التعدد من طبع العادة وهكذا جميع الأمم السالفة

فلما وصلت الى هذا المقام قال لي ذلك الصالح العالم الذي اعتاد أن يحادثني في التفسير فيما مضى ؟ لم كل هذه المقدمة . الأمثال جعلتها ولم تريد ضرب ثلاثة أمثال من أمثال الأمم القديمة في هذه الآية . فقلت أردت بذلك إزالة تلك الفسادة التي طمست على عقول كثير من الأمم الاسلامية إذ حرموا من العلم الذي طبق آفاق الشرق والغرب والناس جميعا انتهوا منه . فقال ما هذا العلم الذي تزعم أن الناس انتهوا منه وحرم منه المسلمون فقلت علوم الأمم القديمة والحديثة في رواياتهم التي أودعوا فيها علومهم . ألا ترى رعاك الله أن بني اسرائيل ذكروا قصصا أودعوا فيها حكمهم وضمنوها علومهم ومواعظهم وهكذا اليونان وأهل الهند أودعوا قصصهم الحكمة وحشوها في حكاياتهم فلما قرأها العلماء أنكروها وقالوا هذه خرافات . واني لأعجب كل العجب من أمة تقرأ علم البيان ولا تطيقه . قال وكيف ذلك ؟ فهل علم البيان يعلم الناس الخرافات . إن الخرافات ضلال العقول . فقلت على رسلك إن علم البيان فيه الاستعارة التمثيلية كما تقدم والاستعارة يقصد منها المعنى المنقول اليه اللفظ لا غير فحجت كل العجب من أمة تفهم قول القائل ﴿ الصيف ضيعت اللبن ﴾ وتخطب به جماعة الرجال ولا ترى فيه بأسا ثم تراهم يهلعون ويجزعون اذا سمعوا مأسأته من قصة هاروت وماروت التي وضعت بهيمة مثل أو رواية لم يقصد منها إلا مفزاعها على طريقة الاستعارة التمثيلية والخرافة إنما تكون فيها اذا قصد لفظها فأما المعنى المنقول اليه اللفظ فليس خرافة بل هو موعظة حسنة . اللهم إن هذا هو الذي قصده النبي ﷺ في قوله ﴿ حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج ﴾ كما في البخاري وقال الشراح لأن سند أحاديثهم منقطع فنحدثت بلا سند . ولعمري لم يقصد ﷺ أن يعلمنا الخرافة بل قصد أن يجعلنا أمة نعرف أحوال الأمم ومواعظها فترتقي . إن الأمم جميعها لم تقدر أن تصور الفضيلة والذيلة إلا بهذه الوسيلة وهي تشويق القراء بطريق القصص بهيمة تأخذ بلب القارئ والله يقول - ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطرا سوء أفلم يكونوا يرونها - وهذا في هذه السورة ويقول سبحانه في آية أخرى - أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعصى إلا بصار ولكن تعصى القلوب التي في الصدور -

ولاجرم أن علم الآثار والحديث الذي عرفه العالم المتمددين وقرأوا كتب الأمم القديمة أفادهم وعرفتهم وساعد في رقي أممهم والمسلمون بقوا مكتوفي اليدين أمام الأمم فالأمم يسمعون ويعقلون والمسلمون لا يريدون أن يسمعوا أو يعقلوا ويقولون قد استغنىنا بالقرآن ويقول الله لهم في القرآن . كلا . ان قارئ القرآن بلا علم بالمعنى ولا عمل بالعلم كهية الحمار يحمل أسفارا بذس مثل القوم ؟ فهل يجيبكم أيها المسلمون أنت تعرفوا القرآن كله وتنكروا قوله - أفلم يسيرا في الأرض - فهل السيرا في الأرض ونظركم عواقب الأمم من كتبها وآثارها والاحتراس مما وقعوا فيه والأخذ بالأحسن من أعمالهم مخالف للقرآن وهو الذي حض عليه بنفس هذه الآية ووجه التاركين له ؟ فهل النظر في الأرض وتعلل أحوال أهل الأرض والنظر في السموات . كل ذلك

لا يهيككم مع ان القرآن يأمر به . فقال صاحبي هذا عجب ثم عجب كفى كفى * إن من البيان لسحرا *
فاذكر لي المثل الأول من أمثال الهنود حتى أعرف كيف كانوا يعظون فقلت عندهم قصة تسمى (قصة
العابد المفتون) وملخصها أن عابدا يسمى (كنسو) على شاطئ نهر جاماني اشتهر بالعبادة في غابة كثيرة
الأشجار يخاف أرباب السماء (الملائكة) أن يشاركهم في العظمة عند الله ويسكن معهم السماء فأوعزوا الى
واحدة من الحور العين وهي (براموتشا) أن تظهر جلاله فنزلت الى الأرض وفي طاعتها الربيع والنسيم فلما
رآها العابد بهره جالها وبقيت معه ليلال وأياما تعد بالثبات فاستيقظ قبل الفجر ليلة فقال اني لم أصب ليلة
والفجر قرب فسخرت منه وقالت أنت معي منذ مئات الليالي فدهش وقد كان يظنها ليلة واحدة فعرف أن
المرأة خدعته وفرح الملائكة الذين حسدوه بذلك

فلما سمع صاحبي هذه القصة قال كيف يقرأ هذا المسمعون وكله كغفر صراح مثل المعبودات الثانوية ومثل
الأرباب الهندية . ولا جرم أن ذلك يفيد (أمرين اثنين * الأول) ان الآلهة الصغيرة معبودة (وثانيا)
ان اتصافهم بالالوهية فيه تعدد للآلهة والأمراض ظاهر البطلان . وأيضا الآلهة كما اتصفت بحسد العابد اتصفت
بالاحتيايل في الافساد فهؤلاء شياطين لا آلهة . فقلت له قد قدمت في هذا التفسير مرارا أن العلماء منهم
موحدون واستباحوا التعدد على حسب زمانهم وهذا عندنا كفر وأما كونهم آلهة فهذا مجاز يراد به الملائكة
وأما كونهم يحسدون ويخادعون ويفتنون العابدين فخفا هذه صفات الشياطين ولعلم هذه الشعوب بأنها صفات
الشياطين قبلوها على أنها ضرب أمثال وكان هذا مباحا عندهم . ولا جرم أن هذا الحسد موجود بين الناس
وما ضربوا الأمثال بالملائكة إلا ليفهم ذلك الناس لاغير فقرأتها ومعرفه مغزاها شيء والاعتقاد والكفر شيء
آخر . ولا جرم أن هذه الأمثال ليست الأمثال التي ضربها الله لهم . كلا . بل هي أمثال تبعت أخلاق القوم
وأزلت آلهتهم الصغيرة فجعلتهم في مصافهم فلذلك صار الحرب والخداع في عموم النوع البشري عاما تقليدا للآلهة
التي ضربوا بها الأمثال وهذه طرق أبطلها القرآن فهذه أمثالهم لا أمثال الله وكل دين نزل من السماء خلطه
الناس بأهوائهم كما سأوضحه قريبا في هذا المقام . ثم قلت وفي هذه القصة مصداق القرآن ، ألا ترى رعاك
الله أن القرآن ذكر أن هذا الدين تقدمه أديان . قال بلى . قلت أفلا ترى أن هذا من أقدم الأديان وقد
ذكر الزهد في الدنيا والعبادة بالليل واضلال الشهوات للناس وخداع الهوى لهم وذلك كله شرحة القرآن شرحا
وافيا . إذن كان الناس من قديم يصلون بالليل وتتجافى جنوبهم عن المضاجع وكانوا يقولون إن تارك
الدنيا يقرب من الملائكة ويحب في السماء ، إذن هذه القصة مصداق لدين الاسلام فأنه يقول - قل ما كنت
بدعا من الرسل - ويقول - كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم - إذن القصة أفهمتنا أن
هذا القرآن لم ينزل فيه ما ليس من طبع الديانات التي تناسب أهل الأرض وان ضلوا في التعبير فقد كان قبلنا
أهم يصلون ويتركون الشهوات . إذن هذه أمور عامة لخاصة وهذا من أجل البراهين على صدق النبوة

فلما سمع ذلك صاحبي قال حسن فها القصة الثانية . فقلت كما أن القصة الأولى مثلت فتنة العابدين بالنساء
الجيلات . ولا جرم أن الدنيا كلها فتنة تمثل بالمرأة . هكذا القصة الثانية الآتية جعلوها مظهرة مضار لعب الفرد
(الطاوله) ان طاولة الزهر كانت معروفة منذ القرن العشرين قبل الميلاد فقد ورد ذكرها في رواية (نال
ودامان الهندية) وهي من فصول كتاب (مهابهاراته) الشهير أحد أسفار الهنود المقدسة عند الهنود وقد
وضعه قبل الميلاد بعشرين قرنا . وذلك أن الناسك (قباسا) الذي عاش آلاف السنين على الأرض في
زعمهم نظم ديوانه (مهابهاراته) وهو ٢٢٠٠٠ بيتا وهو من أفند المؤلفات في فصاحته وقصصه ونوادره
وانباء الحروب والمعارك اشترك فيها الآلهة مع الناس وهو مثل (الالياده) لهوميروس وهذا الكتاب (١٩) فصلا
وفي الفصل الثالث منه رواية (نال ودامان) وهي ترمي الى تقييح لعب القمار وهي (٥٠٠) بيت وذلك أنه

كان وراء نهر السنج في بلاد الهند مملكة (نيشاه) ومملكة (فيدونه) وملك الأولى يدعى (نال) والثانية يدعى (قيم) وابنته جميلة فتاة اسمها (دامان) اشتهرت بالجمال حتى خطبها الآلهة في السماء وعلم بها ملك (نيشاه) وعرف جلالها فغالج قلب (نال) حبها ولما مر به سرب من الأوز اصطاد منه واحدة فقالت له ان أطلقني اذهب الى (دامان) الجميلة لتتزوج بها ففرح نال وبات صريع غرامها فذهبت الأوزة الى فيدونه ورأتها (دامان) الجميلة فقضت عليها فقالت لها أنا جئت لأعرض عليك زواج (نال) فاطليه فباتت دامان موهلة ومرضت وأخبرت أباه بذلك فدعا (نال) فتزوجها . وكان لنال أخ اسمه (بوسكار) فأوحى اليه أن يلعب مع أخيه الزهر وإله الشر يساعده فاعب مع أخيه خسر (نال) كل مملكته ثم زوجته فاستولى بوسكار على الملك وطرده هو وزوجته لأنها أثبت أن تكون مع (بوسكار) فسارا في البرية يأكلان العشب ثم لقيا ركباً أوصلهما الى (مملكة فيدونه) فعاش مع صهره هناك ثم أعطاه صهره جندا فتوجه به الى مملكته فسلم أخوه له بالاحب وتولى الملك ثانياً وأصدر أمره بعدم لعب الزهر (الطاولة) على مال وإنما يكون ذلك للتسلية فلما سمع صاحبي ذلك قل فاذا كرى القصة الثالثة التي ذكرها أهل (بابل) ونقلها بنو اسرائيل في رواياتهم فقلت تلك القصة على طراز روايات الهند (وماخصها) أن الملائكة في زمن ادريس عليه السلام لما رأوا ذنوب بني آدم عيروهم وقالوا هؤلاء خبيثاء فقال الله لهم اختاروا منكم ملكين لأنزلهما الى الأرض فأركب فيهما الشهوة وأنا أقول لكم انهما لن يصبرا عن الشهوات فاختارا (هاروت وماروت) فنزلا وصارا قاضيين يحكمان بالعدل وعند المساء يصعدان الى السماء وحضرت لهما امرأة فارسية يقال لها زهرة تشكو زوجها فأعجبا بها وطلبا منها شيئاً فقالت لا حتى تشريا الخمر لأنها خيرتهما بين الخمر وعبادة الصنم فرضيا بالخمر لأنه أهون فوقهما في الزنا ولما رآهما رجل قتلاه خوف الفضيحة فلم يقدر بعد ذلك على الصعود الى السماء وعذبهما الله الى يوم القيامة في (بابل)

هذه الرواية مثل سابقتها لاسيا الأولى . فانظر كيف كانت هذه الروايات كلها ترجع الى أن الملائكة أو الآلهة في عرفهم هي التي تفتن بالنساء ويحصل وقائع للملائكة أولاً لآلهة كوقائع الملوك الأرضية مع الرعية ونسائهم الجليات

هذه (ثلاثة أمثال) من أمثال الأمم التي أشار لها الله وهي في خواها كالقرآن من حيث تحريم الخمر والانصراف الى اللعب وان اختلطت بأهواء القوم من حيث العقائد الزائفة كما سأوضحه قريباً وإنما ذكرتها هنا لمناسبة قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - فالله كورهننا يدلنا على نوع الأمثال وسرّها وكلها راجعات الى تقويم الأخلاق واصلاح النفوس البشرية وان كانت محرقة فان الانسان اذا سمع أن العابد في القصة الأولى فتنته حوراء مرسله له من الجنة ثم ندم بعد معاشرتها مئات الأيام وهو في حال الاستغراق في جلالها ثم ندم بعد ذلك . واذا علم أن لعب (الترد) قد أزال ملك ملك من ملوك الهند ولم يرجع له ذلك إلا بعد العناء . واذا علم أن نفس الملائكة الطاهرين قد فتنتهم الدنيا فانه إذ ذاك يعتبر ويحترس . هذه من نوع الأمثال التي كان يضربها الناس اتباعاً لما جاء في دياناتهم وان أزاع عقائدهم وكانوا بها يصلحون أمهم . أما عندنا فهذا ممنوع منها باتاً . ذلك لأن ديننا يستد طريق الفساد . ذلك أن هذه وان كانت أمثالا قد يظنها الجهلة انها حقائق وينادي الزمان بتبصير عقائد للعموم فيقولون إن الملائكة يعصون الله وهو كافر أو أن هناك في السماء آلهة وهذا كافر فسد الله هذا الباب منعاً للشر والجهل في العقائد . ولما كانت الأمثال لا يعقلها جميع الناس قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) إشارة الى أن أكثر الناس جهال لا يعقلون أن هذا ضرب أمثال وحقيقته ممنوعة والذي يعرف المقصود منها إنما هم العلماء ودين الاسلام للعلماء وللجهلاء . فاذا رأيت بعض المفسرين نقل أمثال هذا في تفسيره فاعلم انه اتبع في ذلك الحديث

الشريف ﴿حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج﴾ ولما كان الناس يحملون هذا على الحقيقة لاعلى المجاز أخذوا يذوقون تلك الروايات ونسبوا للفسرين انتخريف في القرآن وماهم بمخترفين إلا إذا اعتقدوا صحة هذه الروايات على لفظها فأما المغزى فهو للتهذيب والعجب ثم اعجب هذه الروايات الثلاث كيف دلتنا على آراء الأمم الهندية والمصرية والبابلية وأن آراءها متشابهة . فهذا تعرف سبر تلك الأمم وأمثالها وتفهم معنى قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال وكلا تبرنا تنبيرا - وانما تبرهم لأنهم حزنوا في نفس الأمثال . ومن عجب أن يوجب الله أهل مكة وأمثالهم فيقول - ولقد أتوا على القرية التي أخطرت مزار السوء أفلم يكونوا يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا - يوجب الله أمة الدعوة ناعيا عليهم عدم اعتبارهم بتلك القرية التي أهلكت وهي بطريقهم هكذا ينعي الله على المسلمين الحاليين ما يرون من الأمم التي خربت بذنوب أهلها وتقصيرهم كأهل الأندلس من المسلمين كأهل أمريكا الأصليين وكما يرون من الذل في مصر والشام وبعض بلاد العرب فهو لاه مكبلون في الذل أفلا يعتبرون فيحترسوا من التقصير ؟ فإذا قال قائل نحن مؤمنون فنقول له - أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون -

ومما يؤسف له أن الأمم الغربية اتخذت الروايات الأدبية بابا لرقبها كما فعل الألمان إذ ألف أحدهم في القرن التاسع عشر ﴿رواية وردة﴾ التي تعرف آداب قدماء المصريين وحريتهم قبل ثلاثة آلاف سنة قبل المسيح فكانت هذه الرواية سبب النهوض الأدبي في (ألمانيا) والمسلمون لا يفكرون في الأمم ولا الدول ولا الممالك ولا يثيرون العزائم والهمم ولا يفكرون في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - أليست هذه هي أيام الله تعالى وهي ماضيه بالأمم أمة بعد أمة . اللهم إن القرآن نزل لرقب الأمم . وإذا رأينا الله يذكر لقمان عليه السلام ويسمى سورة باسمه ويقول - ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر الله - فليس معنى هذا أن الحكمة خاصة بلقمان فلا تقرأ إلا حكمته . كلا . فإن الله يقول - فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه - ولم يخص القول بقول علماء الاسلام ولا لقمان . وقال في آية أخرى - يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب - فالحكمة ليست خاصة بلقمان بل هي نور من الله نستضيء به من أي حكيم فالسليم يقرأ كل حكمة وكل علم . هذا تمام المقال في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ . انتهى صباح الثلاثاء ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٨

﴿الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون -﴾

لقد خيل الى هذا الانسان وهيكلة المنصوب وقد أشرقت النجوم ليللا والشمس نهارا على الأرض وأضاءتها وزدهرت بالمزارع والأنهار والحيوان وانتظمت الأحوال وعمرت الأرض وأشرقت بنور ربها فبرز هذا الكتاب ليقراء المفكرون ويدرسه المستنبصون . هذا الهيكل أمره عجب . نراد قد جعل منار الحكمة والعلم والفضائل والذائل . فانظر ماذا ترى

(١) ترى طعاما يزدرده فيهضمه فيكون الدم فينظم الجسم انتظاما

(٢) وما بقي من هذا الطعام بعد الذي حوّل الى دم يصير فضلة غليظة أورقية فينزل على الأرض فيكون سم الزرعنا ونحيا به أرضنا فتبارك الله الذي لم يضع من الوجود شيئا فالتى بقي ولا منفعة له في أجسامنا بعد الدم رجع الى الأرض حتى يحوّل فيها الى طعام آخر نهضمه مرة أخرى فما أشبه هذا الطعام الذي لم يصلح دما في أجسامنا ونزل سنادا بالتلميذ بقي في فصله سنة أخرى حتى يعقل دروسه ثم يرتقى الى أعلى في الدراسة العلمية ثم إن هذه الفضلة منزلتها أسفل فلذلك خرجت من السبيلين أسفل هذا الهيكل المنصوب

(٣) أما الدم الذي استخرج من هذا الطعام المهضوم فانه يدور دورته في الجسم كما تراه مرسوما موضعا في (سورة المؤمنون) عند قوله تعالى - وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون -

هو يدور في الجسم كما يدور الماء سواء بسواء فهو يخرج من البحر بخارا ثم يكون سحبا ثم مطرا فأنهارا ثم يجري الى البحر ككرة أخرى وذلك ليحدث في البحر على طول الأزمان والآماد وآلاف السنين قارة أخرى ينشأ في قاع البحر سنة فسنة حتى تظهر تلك القارة بعد مئات آلاف السنين . هذه حال الماء فهو يدور ليحدث قارة على أقل تقدير اذا ترك مهملًا . وهذه القارة لا تظهر إلا بعد الآماد الطوال لا في الحال ولكن هذه الأنهار في حال دورتها كدورة الدم في الجسم لها آثار أخرى حالا فهي تسقي الزرع وتدر الضرع ويكون الانسان والحيوان وأنواع النبات ويكون ذلك أتم اذا جعلت للنهر سدود وحبوس فهناك ترى العمران أتم والنظام أكمل كما ترى في نيل مصر وغيره من الأنهار التي نظمها نوع الانسان

(٤) فلننظر إذن في دم الانسان ماذا فعل ؟ رأينا يدور كما يدور الماء في الجو والأرض وفي أثناء دورانه في الجسم يغذى الأعضاء المختلفة كما يفعل مثل ذلك الماء في الأرض ثم نرى الدم من جهة أخرى قد حصلت منه فصلة وتلك الفصلة أعدت ليجاد هيكل آخر كهذا الهيكل الانساني ومثله أكثر الحيوان في ذلك . إن الانسان يكون من دمه تلك الفصلة المثوية ليكون منها انسان آخر كأكثر الحيوان كما رأينا الأنهار تختلف منها في البحر طبقات ستكون قارة على مدى الزمان تشبه القارة التي يجري فيها الماء أو تختلفها بعد حين اذا استدار الزمان وتغيرت الأحوال

(٥) لم تكن الذكورة والانوثة في الانسان والحيوان شرطاً لبقاء النوع . كلا . إن بقاء النوع قد يكون بالانقسام أو غيره وقد تكون الولادة بلا أب كما تقدم في (الحمار) في البحار وذلك مشروح في أول (سورة صريم) بمناسبة ذكرها وذكر عيسى . لعمر الله لم يكن الذكران والاناث شرطاً في الذرية . كلا ، فهذه مسألة المسيح التي قصت لنا باب (الحمار) فرأينا الأتي تلد الآلاف بلا ذكر وهكذا تلك الحشرة التي رأينا بعيننا تضر بالأشجار وقد ذكرت في أول (سورة الأنفال) موضحة أيما إيضاح فهذه قد تقوم الأتي فيها مقام الذكر فلا تحتاج اليه وتبيض آلاف البيض الذي لا يرى إلا بالمنظار المعظم فانقسام الانسان وأكثر الحيوان الى ذكر وأتي ليس ضرورياً للتناسل ولكن هي الحكمة العظمى والآية الكبرى في التكوين قضت الارتقاء فكان الذكران وكانت الاناث

(٦) هنالك تجلي لنا هذا الانسان بمنظر بهيج فظهرت الذكورة والانوثة على مسرح الوجود وهنا تجلي العمل الإلهي والابداع والجمال فكان العشق والنقش والتصوير والشعر والموسيقى وتغريد الطير وعلوم القضاء في سائر الأمم بين النساء والرجال وأحكام العقد والطلاق والنفقات وقصائد الشعر وروايات الحب والغرام وكثير وعزة وقبس ولبنى وتوبة وليلي . ثم كان هناك الزهاد والرهبان والمجاهدة لكبح جماح هذه الشهوة خففت فذكت العقول وحفظت العلوم وظهر العباد وهنالك علوم أيضاً وعلوم فهذه الشهوة بارسالها كانت علوم في الفقه والحب ونحوهما وبحبسها كانت علوم التصوف والعبادة وهكذا

لا يكاد الانسان يشعر بقوة الشباب حتى يشعر كل من الصنفين الذكور والاناث بالحاجة للآخر فإذا يحصل تبهج النفوس وتشرق الوجوه وتحاط الملابس وتنفق تجارتها وتعمر الأسواق ويكثر الشارون والبائعون وتنصب الزينات ويعتني الذكران والنساء بأجسامهما وينسقون ملابسهما ويفقهون دروسهما وينظمون الأشعار ويؤلفون الروايات ويتصفون بالفضائل وتقام المراسم وما أصل هذا كله إلا أمر واحد هو الذرية أصل هذا الحب وهذا الغرام وهذا الجمال وهذا النقش وهذا التصوير وهذا الغناء وهذه الموسيقى وهذا الشعر . كل ذلك لأصل واحد هو التناسل

فالعجب لتناسل جاء بغير أب ولا حب في (الحمار) قد أصبح في نحو الانسان مبدأ لكل زينة وجمال وشعر وتصوير . له ألفت كتب الفقه في النفقات ونصبت المحاكم وبنيت السجون للذين من الرجال الذين لا ينفقون

وقام القضاء في الديانات من مسيحيين ووثنيين ويهود ومسلمين وقد ألفوا كتباً لذلك

عجب لهذا الانسان ولهذا الوجود . نرى له نفساً داخلاً وخارجاً لاصلاح الدم ثم هو نفسه يكون في أثناء ذلك مبدأ الكلام . النفس انما جعل لاصلاح الدم ولكن الحكمة عظيمة جداً فقد جعلت له حكمة أخرى وهي الكلام وفهم العلوم هكذا هنا التناسل أمره سهل لا يحتاج لذكور ولكن بخلق الذكور والاناث ظهرت علوم وصناعات وقضاة وحب وغرام وشرائع وديانات . جلّ الله وجلّ العلم . أصل تفرّعت منه فروع شتى كما تفرّعت المادة الى كواكب وشموس وأقمار وهي عناصر محدودة معلومة

(٧) بعد ذلك تعالى الانسان وتعالى وأخذ يبحث في العالم العلوي ونظر في أمر الملائكة وأخذ يتخيل الملائكة والأرباب وأنزلهم جميعاً الى حظيرة الانسانية ؟ فإذا قال . قال انهم جميعاً يأكلون ويشربون ويتزوجون ويعشقون ويحاربون ويهلكون الأعداء

الانسان يقيس كل شيء على نفسه فلما رأى أنه هو أحب وعشقى وحارب قال ان الآلهة تحب وتعشقى وتحارب هذا هو السبب في ضرب الأمثال في الروايات الهندية السابقة والبابلية . إن الانسان قديماً لم يعقل الإله إلا كما يعقل نفسه . إن العشقى الذى بين الذكور والاناث الذى خلق لأجل التناسل قد جعل وسيلة لاتساع دائرة الوجدان والعقل ولارتقاء الانسان عن هذا المستوى الحيوانى ولذلك قال العلماء (الحب ثلاث درجات دنيا وهو الحب للمعتاد ووسطى وهو حب العلوم وحب أعلى وهو حب الله تعالى) إذن الذكورة والانوثة في الحيوان التى ليست ضرورية للتناسل قد جعلت سبباً لارتقاء الانسان درجات بعضها فوق بعض في العلم وفي حب الله (٨) قلنا ان الانسان الأول لم يعقل الله إلا على مقدار عقله وعواطفه حباً وعشقىاً وحرباً واستعباداً

ولذلك لا نجد أئمة من الأمم السالفة إلا والحرب من طباع دينها . الآلهة عندهم يحاربون آكلون شاربون متزوجون عاشقون والدون فيقولون الأب والابن ولكن جاء الاسلام فقال . كلا . ثم كلا

آيتها الانسانية قفى قفى يا محمد قل لهم . الله أحد . فلا كثرة في الالهية . الله الصمد . فلا خوف له فأذن لادم له وبناء عليه لا يلد كما قال . لم يلد ولم يولد . فلا زوجة ولا حب ولا عشقى ولا غرام . إياكم أن تقبسوه عليكم . فأما الحرب فانه لا يحارب . ولم يكن له . أى وليس له . كفوا أحد . فهذه السورة ضاعت الروايات المتقدمة وغيرها وتجلت الرحمة واستعبد الانسان حديثاً الى التعاون تدريجاً . وهناك يظهر انسان جديد لا يمجّد ذلك الإله العاشق المحارب الذى يلد ويشارك البشر فيلد عيسى كما يلد ملوك الياپان ونحوهم ولا يحارب بل هو رحن رحيم . فاذا لم يكن الإله محارباً فمن الذى يقلده الانسان . إن الناس قديماً أغرموا بالحرب لأن أرباب الديانات القديمة وصفوا آربابهم بالحاربة والقرآن أمر بالحرب حتى تضع أوزارها ومتى وضعت أوزارها يكف المسلم عن الحرب وهناك لا يمجّد ذلك الإله المحارب بل الإله الرحن الرحيم الموصوف بالقدس والسلام . اختفت تلك الروايات الحربية الغرامية وتستحل محلها الروايات التى تحدث عواطف الرحمة وانتشال الضعفاء وارتقاء الشعوب . إن القرآن جاء في مقدمة أهم ستكون أرقى من هذه الأمم يجدون لهم ربا لا يأكل ولا يشرب ولا يتزوج ولا يلد ولا يغالبه أحد بل هو الغالب وأذن يكف الناس عن الحرب والضرب لأنهم سيكونون أئمة واحدة وأسرة واحدة يربى بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض وهذا قوله تعالى . وكلا ضربنا له الأمثال . على ألسنة الأنبياء فزين للقوم الشيطان أعمالهم فأتوا بأمثال غير أمثال أنبيائهم وأنزلوا الدين على حسب عقولهم فتبرناهم تنبيراً . والدليل على ذلك تلك القرية التى أمطرت مطر السوء وهم يمرّون عليها ولا يعتبرون بها كأنهم لم يروها وإذا رأوك يا محمد استهزؤا بك لأن ما جئت به لا يلائم ما تلقفوه عن آبائهم فاعتبروا الحق ضللاً وتعادوا في غوايتهم وجروا عليها . إن هؤلاء لم يصبوا الا أهواءهم . ان أكثر هؤلاء عطلوا أسماءهم وأبطأوا عقولهم بل ما هم إلا كالأنعام بل الأنعام خير منهم . انظر الى الظلال كيف تمّدها وكيف تقبضها وكيف

كانت آثارا للشمس المشرقة المنظمة المسير التي جعلناها دليلا على الظل - فأبها أضاءت بنورها تركت آثارا من الظلال تابعة لها مدًا وانقباضًا وطولًا وقصرًا بحيث يتبع حساب الظل حساب سير الشمس صباحًا ومساءً ثم اتنا نسلخ النهار من الليل فيكون الظلام وذلك ان أضواء الشمس تكسو الجو ووجه الأرض بنورها فلما مالت إلى الغروب سلخنا ذلك وبقى الظلام على حاله فنام الناس وكان الليل لباسهم سائرًا لأجسامهم واستراحوا بنومهم فاذا طلع النهار نشرناهم في الأرض لطلب الرزق الخ

هذا ملخص المعنى من قوله تعالى هنا - وكلاضربنا له الأمثال - الى قوله - وجعل النهار نشورا - ذكرته بمناسبة ضرب أمثال القدماء الذين أنزلوا الديانات على حسب عقولهم وجاء الاسلام مغيرة وجهة نظر الانسانية الى سبيل تؤدى الى المحبة والاخاء واتحاد الأمم والصفاء العام والرحمة التي اتصف بها الخالق وسيدنا محمد (ص) الناس لهم نبراسا فأنه واحد ورحيم والناس سيتحدون ويتراجعون و - الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم - الذي لا يحارب ولا يعشق - مالك يوم الدين - وحده - إذن فمن ذا يحاربه ؟ فله العبادة وبه الاستعانة والهداية

ومن الأمثال عند القدماء ما جاء من الحكم في نصائح (بتاح حن) من علماء المصريين القدماء فيها « لا يحملنك غمك على التكبر واستقم مع الجاهل والعالم لأن الباب لم يغالق دون الفن ولأنك أستاذ ما يدعيه من الكمال لنفسه » ومنها « ما أعظم العدل الثابت الأركان الذي لم يكد صفوه منذ أمد قديم » ومن ذلك ما ظهر من الروايات أيام ارتقاء هؤلاء القدماء منهم في الأسرة الثانية عشرة واتصالهم بالأمم المجاورة لهم مثل لبنان وسوريا والصومال والنوبة وجزيرة كريد - فقد كانت إذ ذاك عندهم هذه القصة (قصة البحري الغريق) ذلك انه ركب سفينة كبيرة فيها (١٥٠) ملأها من نخبة المصريين الذين امتازوا بالشجاعة كالأسود فينبأهم جاذون في الاقتراب من البر إذ اشتدت الرياح وارتفعت الأمواج من كل جانب ففرقت السفينة وهلك من فيها أما هو فآلقته موجة على جزيرة فوجد فيها ما يقتات به وسمع صوتا كصوت الرعد اذا هوى ثعبان مبين يقترب منه طوله (٣٠) ذراعا وطول لحيته ذراعا وجسمه كالذهب وبعد محادثة قص عليه البحري قصته فأكرمه الثعبان وبقى معه مدة مكرما ثم حضرت سفينة جلته الى بلاده ثم إن الجزيرة بعد أن غادرها رجعت لجة بحر . وأعجب من أن هذه القصة أشبه بقصة (السندباد البحري) التي لخصتها لك في أول (سورة يوسف) وكذلك تشبه قصة (حي بن يقظان) التي ذكرتها في (سورة البقرة) عند قوله تعالى - واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تنجي الوثى - وما قبلها من الآيات . وتشبه أيضا رواية (رو بنسون كروزو) الانجليزية التي نسجت على منوال رواية (حي بن يقظان) وتشبه ما جاء في كتاب (ألف ليلة وليلة) من أن ابن ملك مصري قد أدخله أبوه حلة فيها صورة فتاة جميلة وجعلها في خزانة وأقفلها ولم يأذن بأن ابنه يراها اصفر سنه ولكن هذا الابن اطلع عليها بواسطة الخازن سرا فوجد صورة الفتاة مرسومة في حلة من الحرير الأخضر جميلة جالا فائقا وانها صورة بنت ملك الجان فأخذ يسعى وسافر مع جند من جند أبيه وساروا في السفن في البحار وهلكوا إلا هو ودخل جزائر كثيرة وقاسى أنواع العذاب ثم وجد ابنة ملك الجان ونال مراده ورجع بها الى أبيه سالما غانما بعد ما قارب الموت

فهذه الروايات والقصص يتبع بعضها بعضا وقد ألقاها الله على قلوب الأمم . فانظر كيف اتصلت القصص من أيام قدماء المصريين وتشابهت الأمثال عند قدماء المصريين وعند الأمم الاسلامية والانجليزية . إذن الله مع كل الأمم ومع كل أحد - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم - فهو لم يدع أمة إلا ألهما ووعظها على السنة أنبيائها وعلمائها ولم يهلك أمة إلا بعد ما أبان لها سبيل الرشاد

ومن الأمثال المضروبة للأمم ما جاء عن الملك (جورجى) عام سنة (٢١٠٠) ق م في مدينة (بابل) الذي

هزم أهل (عيلام) سنة (٢١٠٠) ق م في تلك المملكة وملك البلاد وقد عثر المؤرخون في زماننا على خمس وخمسين رسالة من رسائل عمله وأهم ما عثروا عليه القوانين التي سنّها في زمانه وقد جمعها من قوانين أسلافه وسطرها على لوح من الحجر ورسم صورته فوقها وكأنه ينسأها من الشمس التي كانوا يتقربون إليها وقد وجد هذا اللوح في معبد قديم . واعلم أن الكشف الحديث كله مصداق لهذه الآية فإلله ضرب الأمثال لكل أمة من الأمم - وما كنا عن الخلق غافلين - ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم - ألا ترى أنه علم أن الفأر مضطهد من الناس فلقنه بالسواد ليشابه سواد الليل حتى لا يقع فريسة لأعدائه من الآدميين وغيرهم . وهو الذي لما أعطى الزناير لونا براقا أعطاهم سلاحا تدافع به عن نفسها ما يفاجئها من الطيور فلذلك صارت آمنة . وهو الذي أعطى السمك الذي في قاع البحار هيئة جبلة عبقرية بهجة أشبه بما في قاع البحار من الحشائش والأشجار البهجة والأزهار البهية ليختفي عن قاصديه بالأذى . أنظر هذه العجائب في أول (سورة المؤمنون) عند آية - وما كنا عن الخلق غافلين - هذه هي العناية الإلهية بالحيوانات فهكذا عنايته بالإنسان فهو سبحانه عدل وعنده شامل لم يترك أمة بدون مرشدين - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - وهذا معنى اسمه الهادي ومعنى - إن ربي على صراط مستقيم - وهذا تفهم آية - ألا يذكر الله تطمئن القلوب - فإن الإنسان ربما يخطر له أن الهداية خاصة بأمة فيقول في نفسه إن تلك الأمم لا هداية عندها فيظن سوء المعاملة فيذكر الله ومعرفة نظامه تطمئن النفس وتعلم أن العدل جار مجراه في كل أمة من الأمم وكل جيل من الأجيال وحيوان ونبات - فبارك الله أحسن الخالقين -

(اللطيفة الرابعة عشرة في قوله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا -)
لعلك عرفت أن الواحد من أهل الجاهلية كان يعبد الحجر فإذا مرّ بحجر أحسن منه ترك الأول وعبد الثاني . ولعلك فهمت ما ذكرناه عن الحسن أن الآية واردة في كل متبع هواه . وقل ابن عباس في معنى الآية « أرايت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عنده » ويقال أيضا « الهوى إله معبود » أفلا ترى أن أكثر الناس يعبدون هواهم . أفلا ترى أن الناس مغمورون في هذا العالم الموزون المنظم الذي صنع بحكمة وهم في أنفسهم إلى الآن لم يصلوا إلى تلك الحكمة في أنفسهم بل هم للهوى عابدون أما صنع العالم من حكمة فانههم يرون الأشجار والأوراق والأزهار والكواكب والنجوم والأقمار وأجسام الإنسان والحيوان كلها مركبات بحكمة . أفلا يرون هذا كله ثم دم عن أنفسهم غافلون . نعم نظم الإنسان ماحوله وما أحاط به اتبع في أكثره العقل والحكمة وهم عن أنفسهم في غفلة جاهلون . انظر كيف وزن سير الشمس وحسبه بعلم الفلك والجداول الحسابية واتخذ له من المعادن ما يمثل له سيرها . وبعض الناس صنع ساعة تبين سير الكواكب جميعها والساعات والدقائق والثواني والسنين . كل ذلك حسن . وقد كال الناس الأبحار ووزنوا الأثقال وقاسوا الأطوال وضبطوا حساب ذلك كله بل انهم فوق ذلك قاسوا علو ماء الأنهار ونقصها وحسبوا الضغط الجوي والرياح وسرعتها والأمطار ومقدارها على وجه الأرض ومقدار ماؤها بالوزن طول السنة أو الأشهر وقننوا سرعة القطرات الجارية على وجه الأرض وعرفوا مقدار الحرارة في القطرات والكهرباء والنور والماء ووزنوا ذلك كله بما لا يفلت منه شيء ولا قطمير ولا كثير ولا قليل فالوزن عم كل شيء عند الناس مما قلّ وجلّ وعظم وصغر فلم يدر الحرارة والنور للطفهما ولا الفحم والحجر لثقلهما ولا الشمس والقمر لعظمهما بل تراهم ضبطوا أبعاد كل كوكب عرفوه وحجمه ووزنه والعناصر التي تركب منها بما رأوا بالماظير العظيمة من ضروب أنواره وفنون أشعته التي تماثل الأشعة الناشئة من المعادن التي على الأرض والعناصر المعروفة بهذه الأشعة الواردة إلى الأرض مع ضوء الشمس والكواكب أمكنهم معرفة العناصر وردوا كل شعاع إلى عنصره وبذلك عرفوا أن عناصر الأرض من عناصر الشمس بل انهم أدركوا أن عنصرا في الأرض كشفوه في

عنصر الشمس قبل أن يكشفوه في الأرض ثم وجدوه . كل ذلك عرفه الانسان وعلمه وضبطه ولكنه مع هذا كله جهول في أمر نفسه فهو مضيع لقواها وملكاتهما مطير لذلك في الآفاق ظانا انه لا وزن لأقواله ولا آرائه ولا خطراته ولا لوائياته ولا لنظراته كلا ومن فلق الحب والنوى لا - يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين - . فإذا كنت أيها الانسان قدوزنت الضوء وحسبته ووزنت الحرارة الجوية وحرارة جسمك بدرجات فعرفت الصحة والمرض بها وعرفت كل طائر يطير وحيوان يسير وكوكب يحمر ورسمت ذلك في جداولك ؟ فهل تظن أن نفسك التي هي أرقى وأعلى من كل مآثر وما تسمع مهملة الحساب ليس لها كتاب . وإذا كنت ترى أن لكل شيء ميزانا فلنفسك ميزان في داخل جسمك كما للكهرباء وللضوء وللحرارة وللماء ميزان يزنها وأنت لا تشعر وهذا الميزان بين جوانحك تظهر لك ثمراته ولا تعرف إلا علاماته . فكل كلمة تقولها ونظرة تنظرها وفكرة لك خاطرة ترفع نفسك أو تخفضها والتجارب تعلمك والنهيب يريك . ألم تر أنك إذا أمسكت عن الكلام فيها لا يعينيك أياما وغادرت ماعتاده من ذلك أمدا طويلا وجدت النفوس اليك مائلة والعقول تحوكم متجهة لأن ميزان عقلك ارتقى درجات فأحست نفوسهم بما لديك وشعرت بما ارتقيت وما ذلك إلا أنك أعرضت عن كل مالا فائدة منه ولم تقطع هوائك وتركزت القول الذي فيه الافتخار والحديث عن نفسك حفظت في النفس آثارها وأبقيت فيها أنوارها فجذبت النفوس إليها وألزمها العطف عليها فحنت إليها وهي ساكنة وعطفت عليها وهي ساكنة وأصبحت نفسك أشبه ببرج الحمام حفظت فيه آراء كادت تطير فجذبت سواها من أمثالها وهي تسير كما قدمناه في هذا التفسير . ولا يعلمك صدق هذا القول إلا التجارب فاحفظ لنفسك آراءها واكتم فيها أخبارها بضعة أيام ولا تنظر بها لديك من المفاخر تجدد النفوس حنت اليك والقلوب عطفت عليك . فأما إذا مزنت حجباها وهتك ستارها وأزحت خايرها فإن كل امرئ يقول ما لها فتصبح ألعوبة في يد الجاهل

هذا مثل ضربه لك في اتباع الهوى وعبادته وكيف يصح الناس عبيده إذا أطاعوه . وإذا كانوا عبيدا للهوى فانهم اليه بذلون . فأما من ملك هواه فقد علمت ماذا من العزجناه . أفلمست ترى أن هذا يفهمنا قوله تعالى في أول السورة - وخلق كل شيء فقدره تقديرا - وقوله - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

أفلمست ترى أن الذي أطلق العنان لسانه أولبصره أولجانه فتكلم بلا استبصار ونظرا غير اختيار وتفكر فيها ليس له اعتبار قد عبد هواه وأتى فرق في العبادة بين هذا وبين من صنع التمثال فاتخذ معبودا فالأول سلم حواسه وعقله لهواه والثاني أبرز من هواه صورة وسلم لها قياده في العبادة فسمينا الأول فاسقا وسمينا الثاني كافرا وهما في شرعة الجهل سيان صنوان لا يفرقان غاية الأمر أن الأول ضل في الفروع والثاني ضل في الأصول ولكن الضلال عجمهما والجهل لزمهما . كل ذلك لأن أعمال النفس اليوم موزونة كما وزنت الأمور المحيطة بها وتناجح الزنة ترسم على جبينها وتظهر في أحوالها وأخلاقها وآدابها ومعاشرتها - ومن لم يجعل الله له نورا فلا نور -

(الانسان اليوم أكثر في جهالة كما قال تعالى - إن الانسان لظالم كفا -)

إذا أردت أن تعرف ما عليه الانسان اليوم في الكرة الأرضية وتفهم حقيقة الناس في الأمم الشرقية والغربية فاقرأ كتابي (أين الانسان) الذي ألفته وأرسلته الى مؤتمر الأجناس في انكلترا وجعل في جلة المقررات الرسمية وهذا الكتاب قدم لها في سنة ١٩١١ قبل الحرب العامة بنحو (٣) سنين وأبنت فيه أن الدول كلها يغالب بعضها وقد ضاعت قواها العقلية كما أضاعت الأنهار ماءها في البحر الملح لا يابى ماؤها على المزارع والرياض والبساتين إلا قليلا وأكثرها ينصب في البحر بلا فائدة هكذا عقول الناس تذهب هباء

منشورا في الهواء مع الجهل الناس انهم أعضاء جسم واحد وانهم لو اتحدوا لاستخرجوا ما في الطبيعة من علم وما في الأرض من حكمة وما في البحار من عجائب ولكنهم خائبون خائبون لبعضهم فهم يدبرون المكائد لبعضهم فتضيع القوى والملكات فيما لا فائدة فيه وهم بذلك ضائعون تائهون صم بك عمى فهم لا يفهمون انما مثل اقوى الانسانية والعقول البشرية اليوم كتل البخار وكتل الكهرباء . كان الناس قديما يرونهما ولا يلتفتون اليهما فقلوا اليوم قائدتهما واتفعوا بهما . فأما العقل الانساني اليوم فانه مهجور متروك منبوذ مجهول يضيعه الناس في الحيل السياسية والأخلاق الأسدية والحروب الدولية ولوانهم اجتمعوا لخاربوا به الطبيعة وكانت تلك الحيل لاستخراج كنوز الأرض لأصبح الناس في نعمة وهم سعداء . ذلك هو تفسير قوله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه - وأمثالها من الآيات . فهذه هي عبادة الهوى وكيف يكون الهوى إلهام معبودا ويظهر أن أهل الأرض مخلوقون ليرتقوا في العالم الذي بعده لأن أهواءهم اليوم غالبة والعقول سيكون لها السلطان شيئا فشيئا كما نرى الشيوخ أقرب الى التعقل من الشبان لطلبه الهوى على الآخرين . انتهى

(اللطيفة الخامسة عشرة في قوله تعالى - إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا -)
هذه اللطيفة مفهومة من سوابقها . انتهى الكلام على المقصد الأول من (سورة الفرقان)

(المقصد الثاني)

أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا * ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا * وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا * لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مِثْلًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْآسِيَّ كَثِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كِفُورًا * وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا * وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * قُلْ مَا أَسْتَأْذِنُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُذُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا * الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا * تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ

بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَرًّا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا

التفسير اللفظي

قال تعالى (ألم تر إلى ربك) ألم تنظر إلى صنعه (كيف مد الظل) بسطه نعم الأرض من حين طلوع الفجر إلى وقت طلوع الشمس فلا هو ظلمة الليل ولا هو وقت اشراق الشمس (ولو شاء لجعله ساكنًا) دائماً لا يزول ولا يذهب الشمس (ثم جعلنا الشمس على دليلاً) فإن الأشياء تسدين بأضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل (ثم قبضناه إليها) أخذنا ذلك الظل الممدود إلى حيث أردنا (قبضاً يسيراً) سهلاً غير عسير أو قليلاً قليلاً جزءاً بجزء بسبب ضوء الشمس الذي ينسخه (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) جعل الظلام كاللباس فإن كلا منهما ساتر لما أحاط به (والنوم سباتاً) راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم وأصل السبت القطع ويطلق على الموت لأنه يشبه قطع الحياة ومنه المسبوت لبيت وقال تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل - (وجعل النهار نشوراً) وهو في مقابلة الموت المذكور في أحد المعنيين السابقين فكأنه سبحانه يقول جعلنا سباتكم أي موتكم بالنوم في الليل وجعلنا نشوركم أي انبعاثكم من النوم الذي يشبه الموت بالنهار ففيه ينشر الخلق للعاش كما ينشرون بعد الموت للحساب * قال لقمان لابنه « كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشأ » فالنوم واليقظة نموذج للموت والنشور (وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) البشرجع مخفف بشر بالضم جمع بشور بمعنى مبشر أي مبشرات بأقدام المطر * وقرئ - نشر - أي ناشرات للسحاب جمع نشور وهو إماعلى وزن فـعل مخففاً وإما على وزن سـحب جمع سحاب (وأنزله من السماء ماءً طهوراً) أي بليغاً في طهارته وهو في اللغة إما اسم لما يتطهر به كالوضوء لما يتوضأ به والوقود لما توقد به النار وإما صفة كما ذكرناه هنا وإما مصدر بمعنى التطهر تقول تطهرت طهوراً حسناً * وقال عليه الصلاة والسلام « لا صلاة إلا بطهور » بفتح الطاء أي بطهارة . وأما قول أغلب « أنه ما كان طاهراً في نفسه مطهراً لغيره » وهو مذهب الشافعي فذلك زيادة بيان للطهارة وليس هذا معنى الطهور لأنه لازم وصيغة المبالغة من اللازم لازمه فطهور لا يفيد التطهر لأن اللازم لا يفيد معنى متعدي (لنحيي به بلدة ميتاً) أي لنحيي بالمطر باداً أو مكاناً لا نبات فيه فنجعله مزديناً بالشجر والنبات والأزهار والأشجار وذلك للأرض أشبه بالحياة للإنسان والحيوان (ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وإناساً كثيراً) أي ونسقي الماء أنعاماً وهي البهائم وأناساً مما خلقنا وسقى وأسقى لغتان * قال الشاعر

سقى قومي بني نجد وأسقى * نيمراً والقبائل من هلال

والإناسي جمع أنسي كالكراسي جمع كرسى أوجع إنسان وأصله أناسين كسرحان وسراحين فأبدلت النون ياء وأدغمت الياء في الياء . يقول الله أنزلنا الماء فأحيينا به الأرض للنبات وخلقنا الأنعام لنا كل النبات وتشرب الماء وخلقناكم لتشربوا الماء وتأكلوا النبات والأنعام وهذا المعنى يفيد ترتيب الذكر فقدّم الأرض ثم الأنعام ثم آخر الإنسان لاحتياجه إلى ما تقدمه (ولقد صرفناه بينهم) أي صرفنا المطر بين الناس مرة ببلدة ومرة بأخرى وجعله ثلجاً أو برداً ومطراً أو مخزونا في باطن الجبال ينزل شيئاً فشيئاً ليمد الأنهار على طول السنة وجارياً في نهر ونازلاً في بحر وبخاراً مرتفعاً من البحر الملح وغيره وسحاباً تصرفه الرياح وإذا صار ثلجاً كبر حجمه وإذا كبر الحجم كان سبباً لتكسير الأحجار القائمة فوقه فيكون من ذلك العيون النابتات ويفتح الماء لنفسه طريقاً إلى الخارج ويكون في مجارى تحت الأرض إما في غورها البعيد كالسيل الباطني الذي يخرج من جبال القمر وراء خط الاستواء ويمر في مجارى تحت الأرض المصرية جارياً إلى البحر الأبيض وهذا النيل

صالح للشرب لصفاء مائه . وأما في غورها القريب كالماء المعدني الذي يستخرجه الناس لسقي أرضهم بالنواعير والسواقي والآلات الرافعة فإن ذلك الماء مخلوط بمعادن قد اتصف بأوصافها كالكبريت والفلح والفضة والنوشادر وما أشبه ذلك والناس يسقون منه زرعهم ويستشفون به ونحو ذلك . أما الذي في الغور البعيد فهو بعيد المنال جدا يحتاج الى عمق يصل الى (١٠٠) متر أو (١٥٠) أو نحو ذلك وماؤه يرتفع أكثر من القسم الثاني لأنه ينزل من مكان أعلى وراء خط الاستواء في مكان ينزل منه النيل اظاهر الذي لا يصح شرب مائه إلا بتصفيته وفي بعض الأيام يحرق غلبه لئلا ما فيه من المواد الضارة . فهذا كله داخل في قوله تعالى - ولقد صرفناه بينهم - فهو جامد يشبه الحجر وسائل يشبه الزيت وسائر المائعات وجسم بخاري يشبه الهواء وهو غادر رائح في الجو وفي النهر وفي الغدران وفي أجسام الحيوان والنبات والانسان ومنفصل عنها سائر في الجوّ طائر للسحاب وهكذا دواليك وهو مع ذلك في البحار صقيل يظهر فيه كل كوكب من شمس وقر والناس يتطهرون ويشربون وهم غافلون عن جلاله فيتركون قلوبهم حجرة وهم يتطهرون كل يوم من المياه الحسنة الأشكال البهجة الزينة والمنظر المعطية للأجسام حياة وطهارة . يقول الله ولقد صرفنا المطر بين الناس على أنحاء شتى فلا يمر ساعة ولا ليل ولا نهار إلا كان لنا فيه آثار فنزله على قوم ونحجبه عن آخرين بحيث يتبع أحوال الجوّ والشمس التي تجري بحسب ما يرى في الحس ويكون هناك صيف وشتاء وربيع وخريف وفي كل ذلك أطوار شتى للمطر والشتاء عند قوم صيف عند آخرين وهكذا الربيع والخريف في نصف الكرة الشمالي والجنوبي فنحن صرفنا المطر بينهم كما صرفنا الليل والنهار فالشمس جارية من عند قوم ذاهبة لآخرين . هكذا المطر والسحاب - صنع الله الذي أتقن كل شيء - . فعلمنا كل ذلك التصريف (ليذكروا) ليتذكروا ويتفكروا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أو صرفناه بينهم ليعتبروا أو يعرفوا حق النعمة فيشكروا فأبى أكثرهم إلا كفر النعمة وبجودها وقلة الاكتراتها (ولوشئنا ابتغنا في كل قرية نذيرا) نبييا ينذر أهلها فتخف عليك أعياء النبوة ولكن بعثناك الى القرى كلها وحانك قلل النذارة لتستوجب بصبرك ما أعدنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومدايحتهم (وجاهدكم به) بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا (وهو الذي مرج البحرين) فلهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها (هذا عذب فرات) قاطع للعطش من فرط عذوبته (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة أو مر ملح زعاق لا يصلح لقطع العطش بالشرب منه (وجعل بينهما برزخا) حاجزا من قدرة الله تعالى (وحجرا محجورا) وتنافرا بليغا أو سترام نوعا فلا يبغي أحدهما على الآخر ولا يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشرا) جعله جزءا من مادة البشر ليجتمع ويسلس ويقبل الأشكال والهيئات بسهولة أو من التطفة (جعله نسبا وصهرا) أي جعله ذا نسب وصهر والنسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه وقد حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وبجمعهما قوله تعالى - حرمت عليكم أمهاتكم - الآية فالرجع اليها في سورة النساء أو قسمه (قسمين) ذوى نسب وهم الذكور ينسبون اليه وذوات صهر أي اناثا يهاجر بهن كقوله تعالى - فجعل من الزوجين الذكر والأنثى - (وكان ربك قديرا) إذ خلق من مادة واحدة بشرا عجيب الصنع بديع الخلق (ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم) يعني الأصنام وكل ما عبدوه فليست تنفعهم ان عبدوها ولا تضرهم إن تركوها (وكان الكافر على ربه ظهيرا) مظاهرا ومعينا على معصية ربه فهو يعاون الشيطان على معصية الرحمن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للمؤمنين (ونذيرا) منذرا للكافرين (قل ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الرسالة المأخوذ من قوله - مبشرا ونذيرا - (من أجر إلا من شاء) إلا فعل من شاء (أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي أن يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالإيمان والطاعات وهذا من أحسن الأساليب التي جاءت في علم البديع كقول الشاعر ولا عيب فيهم غير أن سيفهم • بهن فلول من قراع الكتائب

يصف الشاعر المدحون بأنهم لاعيب فيهم إلا عيبا واحدا وهو أن سيوفهم مغلولة من مقارعة الأبطال هكذا يقول لأسالك عليه أجرا إلا شيئا واحدا وهو أنكم تقرّون إلى الله فهذا هو أجرى وإذا كان هذا هو أجره فهو دليل على غاية الاخلاص والصدق في الدعوى وذلك دليل على أن السعادة القصوى أن يكون العمل محبوبا لذاته لا لغاية أخرى فكأنه جال . وإذا كان الجلال مطلوباً لذاته فهو خير مطلوب فالنبوة لتكميل الخلق فأجرها لا يكون عرضا دنيويا بل سعادة النبوة في نفس النبوة أي في نتائجها . والأنبياء بالنسبة للناس كالآباء بالنسبة للأبناء فالأب لا يطلب من تعليم ابنه إلا رقي ابنه وسعادته هكذا لا يطلب الملائكة من الناس والأنبياء من الأمم ولا الحكماء ولا العلماء المخاصون إلا هداية الناس ويرون في نفوسهم لذة لا تضارعها لذة ولا يفرحون بجمال ولا بعقار . ومن هذا الحديث الشريف ﴿لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم﴾ وهذا كلام إذا سمعته صغار أهل العلم ظنوا أن المقصود ثواب الآخرة وحده وما دروا أن قاتل ذلك يستلذ بإيمان رجل أكثر مما يستلذ بحمر النعم فلا تنتظر يا محمد إلى ما عندهم من مال ليعطوك أجرا ولا تخف من شرهم فلا هم رازقوك ولا هم مؤذوك مادمت قائما بهدايتهم فحنن نعطيك ما يكفيك ونكفيك شر من يؤذيك ونفعل ذلك مع كل من هو على طريقك سائر وهذا معنى قوله (وتوكل على الحي الذي لا يموت) فأما الأحياء الذين يموتون فانهم إذا ماتوا ضاع من توكلت عليه منهم (وسبح) نزهة عن صفات النقصان (بحمده) مثنيا عليه بأوصاف الكمال طالبا مزيد الانعام بالشكر على سوابقها ومن صفات النقصان التي ينزه عنها أن يكل إلى غيره من توكل عليه (وكفى به بذنوب عباده خيرا) أي كفى الله خيرا بذنوب عباده فهو خير بأحوالهم كاف في جزاء أعمالهم (الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش) قد تقدم الكلام على هذا فيما سبق مودة حاجي مرض الله بهذا عباده على التوكل عليه إذا قاموا بما وجب عليهم من الدقة في العمل والثبات فيه فيقوم على الوجه الأحسن فإذا فعلوا ذلك فليستوا على الله في نتائجهم ويفرحوا بما يحس به القدر لأنه هو الحسن كما أن خلق السموات والأرض حسن . نخلق السموات والأرض في ستة أيام والاستواء على العرش عبارة عن النظام البديع وإدارة شؤون الملك الموضح في سورة ﴿يونس وهود﴾ فنخلق بأخلق الله على قدر طاقته البشرية في الأعمال الأرضية من الأفراد والأمم فهو حري أن يتوكل على الله والله كافيه لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا وأتقن صنعا وقوله (الرحمن) فاعل استوى وقوله (فأسأل به خيرا) أي فأسأل عما ذكر من خلق السموات والأرض في ستة أيام واستواء الرحمن على العرش وعن الرحمن علما يخبرك بحقيقته لأن خلق السموات والأرض في ستة أيام معناه أمر غير ما يفهمه العامة لأن اليوم يطلق على ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر من ذلك . والاستواء على العرش ليس معناه الجلوس عليه فذلك مستحيل بل هو يفهم مما ذكرناه هناك في سورة ﴿يونس وهود﴾ فليس كل امرئ يعرف ذلك فليبحث الناس في العلم وليجتدوا في البحث ولا يقفوا عند ظاهر اللفظ فالضلال في الوقوف فمن كان جاهلا فليقف عند ظاهر اللفظ ويترك البحث في معناه ومن كان ذكيا فعليه بالبحث والدراسة بسؤال العلماء فإن العلماء إذا قرؤوا مثل هذا فهموا غير ما يفهمه العامة . وأيضا كان القوم لا يعرفون الرحمن فإن هذا الاسم المشتق من الرحمة الذي هو أبلغ من الرحيم لم يكونوا يعتادونه بل يعرفون الرحيم والراحم والرحوم . ولما كانت هذه الأمور الثلاثة تحتاج إلى العلماء بالعلوم المختلفة كعلم الأرتماطيق حتى يعرف لم يختص عدد الستة بالذكر مع أن العوالم خلقت في آلاف آلاف آلاف الآلاف فلم اختار عدد (٦) وكل علوم جيعها من فلكية وطبيعية حتى يعلم كيف يكون الاستواء بطريق الاجمال وكلم اللغة العربية والاطلاع الواسع فيها حتى يعرف الرحمن . ولما كان الأمران الأولان قد تقدم بحسبهما في ﴿يونس وهود﴾ وغيرهما من هذا التفسير . وسنزيد الأول منهما بحثا وتنقيا في لطائف هذا المقصد إن شاء الله . لم يبق إلا الثالث الذي ذكره الله تعالى بقوله (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) اخضعوا

له (قالوا وما الرحمن) أى لا نعرف الرحمن فنسجد له بل نعرف الراحم والرحيم وأما الرحمن فليس يطلق عندنا على الله . فهذا سؤال عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم أو سؤال عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم (أنسجدوا تأمرنا) أى أنسجد للذى تأمرنا بالسجود له أو لأمرك بالسجود يا محمد من غير علم منا به (وزادهم) قوله - اسجدوا للرحمن - (نفورا) تباعدا عن الإيمان ولما كان الرحمن مشتقا من الرحمة وهو أبلغ من الرحيم أردف ما تقدم بيهجة رحته ونور جلاله وسعة ملكه ليعرف معنى الرحمن فقال (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً) البروج فى اللغة القصور العالية أو القصور فيها الحرس وهى هنا أما البروج الاثنا عشر وهى الحمل والثور والجوزاء والمسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والنفس والجدى والدلو والحوت . وأما النجوم الكبار التى عدّها المتقدمون نحو ألف وعدّها المتأخرون أكثر من مائتى ألف ألف . وإنما سميت البروج المتقدمة بهذا الاسم لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها . واشتقاق البروج من التبرج لظهورها (وجعل فيها سراجا وقرا منيرا) أى شمسا متوقدة وقرا مضيا (وهو الذى جعل الليل والنهار خلقة) يخلف كل منهما الآخر بأن يقوم مقامه عند مضيه والخلقة فعلة من خلف كالركبة من ركب وهى الحالة التى يخلف فيها كل واحد منهما الآخر أى جعلهما ذوى خلقة وقوله (لمن أراد أن يذكر) متملق بقوله - جعل - أى لمن أراد أن يعظ باختلافهما ويتذكر آلاء الله فيهما ويتفكر فى صنعته (أو أراد شكورا) أى شكر نعمة ربه عليه فيهما . انتهى التفسير اللفظى للمقصد الثانى وهنا (أربع لطائف)

(١) فى قوله - ألم ترالى ربك كيف مد الظل -

(٢) وفى قوله - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - الى قوله - وكان ربك قديرا -

(٣) وفى قوله - الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام -

(٤) وفى قوله - تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً - الخ

(اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ألم ترالى ربك كيف مد الظل -)

تقدم بحث الظلال مطولا مستوفى فى السور المتقدمة قبل سورة الكهف فننظرها نظرا آخر فنقول انظر أيها الذكى نظرة أوسع مما كتبناه وتأمل فى هذه الدنيا . انك لا تجد فيها إلا نورا على نور كما تقدم فى (سورة النور) إذ جاء فيها - الله نور السموات والأرض - ثم ضرب المثل هناك فأنت اذا تأملت لا تجد فى هذه الدنيا ظلالا وظلاما إلا قليلا جدا . ألا ترى أن الكواكب العظيمة المشرقة التى بلغت مئات الملايين كلها مضيت بأفئسها لظل لها بل هى مشرقة ليلا ونهارا لا انتهاء لنورها . واذا أردت أن تعرف جميع الشمس فانظر شمسنا هل تظل ليلا أو نهارا . لا ظلام لا ظلام . فاذا كانت شمسنا على صغر حجمها بالنسبة لشمس الأخرى لا تظلم فما بالك بالشمس الكبيرة التى شمسنا بالنسبة لها صغيرة فنبت أن الكون نور فى نور ولا ظلمة فيه اللهم إلا ظلا قليلا وما هو ؟ هو ظل الأرض التى نسينا . واعلم أن الأجرام على (ثلاثة أقسام) أجرام مضية وأجرام معتمة وأجرام شفاقة . فالأجرام المضية هى هذه الشمس فاعلم كله نور كما قلنا والأجرام المعتمنة هى الأرض التى نحن عليها والقمر الذى يجرى حولها وما شابه هذين الجرمين من كل سيار يجرى حول الشمس وقد أصبح متجمدا كتجمد الأرض سواء أكان فيه سكان كما فى أرضنا أم خلا من السكان كما فى قرنا الذى يقال انه قد خرب بعد أن كان يصلح للسكنى ويقال بطريق القياس ان حول الشمس الأخرى سيارات كأرضنا وأقمارها وكما فى الحكم كما فى سياراتنا فلنرجع الى أرضنا وفرنا فانا نجد أن الشمس متى أشرقت على وجه الأرض أضاءت وكان هذا نهارا ويكون الجانب الآخر ليلا ولا معنى لليل إلا أن الشمس حجبت عن وجه من الأرض فأصبح مظلم . هذا معنى الليل . ومعنى النهار أن تتجه الأرض الى الشمس بالوجه الآخر فالليل ما هو إلا ظل الأرض والنهار ما هو إلا ضوء الشمس وهكذا للقمر ليل ونهار كذلك ومن ظله يكون كسوف الشمس

لأنه يحجب ضوءها عنا فيقال كسفت الشمس . ولا معنى لخسوف القمر إلا وقوعه في ظل الأرض المخروطي ويكون ذلك في أنصاف الشهور لوقوع الأرض وقت الاستقبال بينهما . فأما الكسوف فإنه يكون في أواخر الشهور لوقوع القمر بين الأرض والشمس . إذا فهمت هذا عرفت قوله تعالى - ألم تر إلى ربك - أى إلى صنعه ومعجائبه واتقان فعله - كيف مد الظل - وراء الأرض من الناحية الأخرى المخالفة للناحية المقابلة للشمس . ومعلوم أن الدنيا كلها نور في نور لأن هذه الكواكب كلها نور مشرقا . وإذا كانت هناك سيارات للشموس الأخرى فهي في جانب الشمس ضئيلة لاندكرو ولا تؤثر ظلها فالدنيا كلها نور لأن - الله نور السموات والأرض -

يقول الله تعجب أيها العبد من صنع ربك كيف ابتدع أجراما قليلة جدا كالأرض وجعلها معتمة بسبب برودة ظواهرها وبهذه العتمة صار لها ظل من ورائها ولولا ذلك ما كان في هذا العالم ظلال يستريح الناس فيها ولا لهم وقت مناسب للنوم فيه . ولو كانت الأرض شفافة كالهواء وكالزجاج وكالماس وأشباهها لم يكن لها ظل فإنه هو الذى اخترع الأجسام المظلمة رحمة منه ليكون لها ظل فيكون الليل والنهار وفي النهار تختلف الظلال اختلافا كثيرا بسير الشمس فإنه لما خلق الشمس مثلا جعل الهواء وجعل الجسم الأثيرى الذى فوق الهواء شفافين وجعل الأرض معتمة فالشفاف واسطة لوصول الضوء والمعتم يمنع فيكون ظلام الليل والظلال الأخرى النهارية . ثم إن الأرض لو كانت ساكنة وكان وجهها المخاضى للشمس ثابتا لا يتحرك لم يكن ليل ونهار ولم تكن هناك رحمة بالناس والحيوان تأمة لذلك أعقبه بقوله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - فإن ضوء الشمس بحسب الظاهر يتنقل فيكون نور الشمس ناسخا لظلمة الأرض بحيث يكوّر الله كل واحد على الآخر . فقله - ثم جعلنا الشمس عليه دليلا - حكمة أخرى غير حكمة الظل فالظل نعمة وتغيره نعمة أخرى والمراد بالظل على هذا المعنى ما يملأ الظلام الدامس وقوله - ثم قبضنا اليها قبضا يسيرا - متم لما قبله لأنه بنسخ الشمس الظل يكون التدرج فيه وهو معنى - قبضنا اليها قبضا يسيرا - انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ﴾

اعلم أن هذه الآية وتركيبها من أعجب العجائب فإن لفظ - طهورا - هنا كقوله تعالى في (سورة الحجر) - وأرسلنا الرياح لواقح - كلاهما وضع رمزا لعلوم واسعة ولكن أكثر الناس عنها معرضون ﴿وبيناه﴾ أن قوله - وأرسلنا الرياح - إنما نزلت في مقام الامتنان بارسال الرياح وأنزل الماء من السماء انجاء به الأرض بعد موتها . فقله - لواقح - جاءت كفتاح لعلم لقاح النبات . وإذا كنت اطلعت على ما كتبناه في كتبنا أوماجاه في (سورة الحجر) في التفسير هناك . أقول إذا اطلعت عليه هناك رأيت عجبا عجائبا في بدائع صنع الله تعالى من الاقحاح ولولا هذه الكلمة لم يكن لذكر ذلك في التفسير معنى وعلم الاقحاح أهم ما في علم النبات لأن عدد الأوراق في الزهورات التى فيها أعضاء الذكور وأعضاء الاناث عليها مدار تقسيم هذا العلم . هكذا هنا فإن الله امتن على العباد بأنزال الماء من السماء وذكر هذه اللفظة وهى - طهورا - مع أن المقام مقام النعمة يسبق الأرض به وإخراج النبات وسقى الحيوان والانسان . فأما الطهارة فليس المقام لها فإذن يقال إن الماء أنزله الله حياة الأرض والنبات والحيوان والانسان ولنظافة الانسان وثوبه ومكانه . فالماء حياتنا ولنظافتنا . هذا ملخص ما يفهم من الآية . فأنه عز وجل له علينا المنة إذ جعل الماء حياة لنا ولزرعنا وحيواننا وطهارة لنا ولاجرم أن طهارة الظاهر تتبع طهارة الباطن فلا خير في ظاهر لا يتبعه الباطن . إن الله عز وجل جعل الماء شفافا تسطع فيه الكواكب والشمس والقمر فلورأيته في الليالى المظلمة لألفيت الكواكب فيه مرسومة فالله يحينا وينظفنا وإذا نظرنا إليه وجدنا جوهره يسع العالم الذى تقابله فهو مرآة للعوالم المقابلة له . الماء يكون بخارا ويكون سحبا ويكون ضبابا وتلجا وبردا كما تقدم . يقول الله - ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا فأنى أكثر الناس

إلا كفورا - ؟ بم كفرا الناس ؟ كفروا النعمة لأن الماء لو انهم فهموه وفقهوه لكان فيه للناس غنية ولكن كافيهم ولكنهم كفروا النعمة . نظروا الى الماء من حيث انه حياتهم وان كانوا متدينين نظروا اليه من حيث انه به نفاقة أجسامهم ولكن أكثر الناس كافرون بحقايقه فانحطت نفوسهم الى الدرك الأسفل . أفلم ير الناس الى اشراق الكواكب فيه واسما مرسومة . أليس هذا نبراسا لهم عسى أن يتذكروا أن أنفس الناس يجب أن تكون مشرقة . ترسم فيها العلوم كما ارتسمت الكواكب في الماء . الروح اللف من الماء والماء وسع الكواكب ؟ فلماذا لا يفهم الناس من هذا أن تشرق نفوسهم بالعلوم والحكمة والأخلاق وبالفقه كما أشرق هذا الماء بالكواكب وظهرت فيه ورسمت في خلاله . هذا كتاب كتبه الله بيده في الطبيعة وقال - ولقد صرفناه بينهم - وقال في القرآن - ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل - ولكنه شدد هنا فقال - فأبى أكثر الناس إلا كفورا - . هنا يقول الله - صرفناه - وفي القرآن يقال الله - صرفنا - وفي الماء يقول - فأبى أكثر الناس إلا كفورا - فكأن الماء كتاب وكأن الذي لا يفهمه ولا يعمل بما فيه كفور - . فهذا الماء صاف شفاف كما قدمنا بحسب طبعه وهو يسع الكواكب المقابلة له كما قدمنا . هكذا قلت كن قلوب الناس خالية من المعاصي والمطامع فتشرق عليها العلوم . ومن أظلمت نفسه بالظلم والذنوب لم يشرق فيها العلم كما لا تظهر صور النجوم في الماء الكدر . وأيضا ان النظر في أمر الماء يدل على بقاء الأرواح فاذا كان الصفاء والكدر في الماء يختلفان من حيث قبول انطباع الصور وعدم قبولها كما يحصل في أرواحنا هكذا يكون تصريف الماء حرارة وبرودة إذ يكون سائلا وبخارا وتليجا فاذا كان داخل في أجسام الناس والحيوان والنبات فانه يكون سببا في الحياة كما ان الأرواح في الأجسام كذلك واذا خرج من الأجسام بالبحر صار بخارا كما تخرج الأرواح بالموت الى عالم آخر وكما ان البخار يرجع فيصير سحبا فينزل مطرا على اليابسة فيدخل الأجسام ثانيا هكذا أرواحنا خروجا من أجسامنا لا يمنع بقاءها ورجوعها ثانيا الى عالم الحياة . فاذا كان خروج الماء من أجسامنا بصفة بخار لم يدل على أن الماء فني بل انما هو صار بخارا والبخار لم يفن بل هو موجود فعلا ويرجع ماء وهكذا فالتعالى بهذا التصريف يفهمنا أن الماء لم يفن بل الماء من آدم الى اليوم والى أن تنفى الدنيا هو هو لم يتغير فالله الآن هو الماء الى يوم تنفى الأرض هو الماء الذي كان منذ مئات الألوف من السنين وهو المطر وهو البخار وهو الأنهر وهو الذي يرجع الى البحر الملح وهو الذي يكون بخارا وفناؤه سيكون يوم تنفى الأرض فليس تحت الشمس من جديد فالله الذي شر به أجدادنا هو الماء الذي نشر به أو نظيره . ولكن ذلك لم يفن فلما أن يكون هذا منه واما أن يكون ذلك قد رجع الى البحر وهو فيه الى الآن وسيرجع بخارا يوما ما . هذا ملخص المعنى . فاذا كانت هذه حال الماء الذي هو مركب من أكسوجين وأودروجين فما بالك بأرواحنا التي لا تركيب فيها . إن الحكماء قرروا أن الجسم كلما كان أكثر تركيبا كان أسرع انحلالا وكلما قل تركيبه عسر انحلاله وطال أمد وجوده . ألا ترى الأشجار فانها أسرع انحلالا من الأحجار لأن الأحجار أقل تركيبا من الأشجار فالله أولى لأنه أقل تركيبا إذ هو مركب من الأكسوجين والادروجين ولا انحلال لهما إلا في أيام خراب الأرض وتبديلها أو بتحليله في المعامل الكيميائية وهذا لأن الماء قليل التركيب بخلاف النبات والحيوان والانسان فالروح التي لا تركيب فيها لا فناء لها . فاذن يكون في تصريف الماء عبرة لنا وهي بقاء أرواحنا بعد الموت والصفاء في نفوسنا المرموز له بصفاء الماء وهذا من أهم أغراض الرسالة فالرسالة انما جعلها الله لتهدب الأرواح وتذكيرها بمعادها ورجوعها الى عالم الأجسام مرة أخرى وهو يوم القيامة ولذلك ذكر بعد ذلك قوله تعالى - ولوشنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - وذلك لتذكير الناس بما يصرف الله في القرآن وبما يصرف في الماء وفي غيرهما لتصفو نفوسهم ويعلمو كبرهم في الحكمة والعلم . هذه هي المناسبة الداعية لذكر الرسالة مع الماء وأيضا الرسالة والعلم حياة للنفس والماء حياة للأجسام

❦ زيادة كشف وإيضاح ❦

(اتقان الصنعة من موجبات دوامها إما بأن تبقى هي أو بأن يتجدد أمثالها)
اعلم أن اقتران ذكر الماء والتصرف فيه بقوله تعالى - ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا - داع للبحث والتفكير والموازنة بين القرآن وبين الماء وكذلك الانسان . فهاهنا بعد أن ذكر ذلك بين كيف يتصرف في الماء بقوله - مرج البحرين - الخ وكيف يتصرف في الانسان فقال - وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ . ففهمنا قرآن وماء وانسان يتصرف فيها كلها . ولقد رأيت كيف تصرف في الماء فيما كتبناه هنا وأزيد عليه بأن أشير الى ما تقدم في (سورة الأنعام) من التصرف فيه بالاشراق والنور . ذلك ان هذا الماء المذكور في هذه الآية يكون مشرقا مضيئا جيلا سواء أكان في الأفطار الاستوائية أم في القطبية . ألا تعجب معي كيف ذوب الله فيه مادة الفوسفور كما تقدم في الأنعام . ذوبها من الحيوانات التي تموت في البحر من حيواناته . فلما أذاب الفوسفور اتقد نورا وظهر على هيئة شهب وذوات أذناب وقوس قزح وظهر وبهر وجل وكانت له أشكال باهرة مختلفة مزدوجة براها المسافرون في البحر . ألا تعجب معي كيف كان ذلك أيضا في القطبين ؟ ماذا فعل الله هناك . الجو هناك بارد والبرد جعل الماء ثلجا . فانظر ماذا ترى . ترى الثلج اذا أشرق عليه نور الشمس أوضوه الصباح هناك يلعب ويكون من لمعانه أنوار وبهجة لا تقبلها عما في بحار خط الاستواء . هذه هي الصنعة المتقنة . تقن وتفنن واتقان واتقان وأنوار . لم يحجب ذلك سر مفرد ولا برد شديد . ففي كليهما لم يعدم وسيلة يهر بها العقول ويحسن بها الأشكال في الماء فضلا عما تقدم من أنواع الصور والأحوال . هذا هو الماء وهذه تصرفاته المذكورة في الآية فانظر في أمر القرآن ثم قد اشتمل على حكم ومواعظ وأخبار وأحكام وأمثال ووعد ووعد وأنواع من البديع وتفنن في القول وحسن التعبير فدام على مدى الزمان دام هذا الوجود لحسن اتقانه . ودام هذا القرآن لحسن اتقانه فهذه الدنيا وهذا الوجود كان دوامها لحسن الاتقان في الصنعة كما ترى في الماء وهكذا القرآن واعلم أن الكتب يكون دوامها على حسب حسن التفنن والاتقان فيها فلي مقدار تفننها واتقانها تدوم كما دام الماء ونظام الوجود لحسن التفنن وعلى تفنن واصف فيه بحسنه * يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

بقي علينا أن ننظر في أمر الانسان فنرى نظامه فيه ذلك التفنن كما رأيت في نظام الماء . الماء يكون ممزوجا بالنبات مختلطا بحجم الحيوان يدور في دورة كل منهما وهو بخار وماء وثلج الى آخر ما تقدم وهو شئ واحد هكذا هذا الانسان ترى له روحا واحدة ومن عجب انها هكذا

مخيلة	في مقدم الدماغ	متكلمة	باللسان أيضا
مفكرة	في أوسطه	ماضفة	بالأسنان
ذاكرة	في مؤخره	هاضمة	بالمعدة
حافظة	في مؤخره	مجرية الدم	بالشرايين
كاتبة	باليد	مصفية الدم	بالرئة
ناظرة	بالعين	موزعة الدم	بالقلب
سامعة	بالأذن	طابخة السم	بالكبدة ونحوه
باطشة	باليد أيضا	حافظة القلب وما حوله	بالضلوع
ماشية	بالرجل	حافظة الماء	بالكلية
ذاتة	باللسان	مخرجة الفضلات	بالسبيلين وهكذا

فالنفس واحدة وهى الفاعلة الأفعال المختلفة فى كل عضو بحسبه فهى تنزل على حسب الآلات فهى فى الدماغ عقل وفكر وخيال وذكر وحفظ وهى فى الحواس سمع ونظر الخ وفى الدائرة الغذائية هاضمة وفى الدوائر التنفسية مصفية ومدخلة الأكسوجين ومخرجة الأديروجين فمن هذا عرفنا حسن النظام فى الماء وفى الإنسان وفى القرآن . هذا قوله تعالى - ولقد صرّفناه بينهم ليدكروا - وقوله - مرج البحرين - وقوله - وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا - الخ

إن دوام الأشياء على مقتضى حسن اتقانها . فأمثال الهرم بالبلاد المصرية بقاءه لحسن الصنعة وكذا الماء والكواكب وأمثال القرآن كذلك . أما مثل الحيوان والنبات فحسن اتقانها كان سببا فى تجدد الأشخاص فحسن الاتقان فى النظام كان سببا فى تجدد هذه الأشخاص وقتا بعد وقت والحمد لله رب العالمين

﴿ اللطيفة الثالثة فى قوله تعالى - الذى خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام - الخ ﴾
اعلم انى لما وصلت الى هذه اللطيفة قل لى أحد الفضلاء وقد اطلع على ما سبق ذكره فى سور مختلفة كسورة يونس وهود وغيرها وقرأ ما كتبت على قوله - استوى على العرش - وعلى ما ذكرته فى قوله تعالى - فى ستة أيام - فقال ان ما ذكرته هناك لا غبار عليه ولكن لا يزال فى النفس شئ مما قلته فى ذكر - ستة أيام - ومعلوم أن السموات والأرض لم يصنعها الله إلا فى ملايين الملايين من السنين واذا كانت الأرض لم يتم صنعها إلا فى مئات الملايين فما بالك ببقية العوالم كالشمس ونوابعها . واذا كانت الطبقة الصوانية التى هى فوق الكرة النارية التى هى عبارة عن باطن الأرض لم تكون على رأى بعض العلماء إلا فى نحو ثلثمائة مليون سنة فما بالك ببقية الطبقات . فإذن مسألة الأيام الستة لاجرم اسما مدد عظيمة . هذا هو الذى يؤخذ مما تذكره فى هذا التفسير . انما الذى يهمنى الآن أن أعرف لم اختار عدد (٦) ولم لم يقل عددا آخر مع انه لو قال أى عدد لصح لأنها أزمان طويلة فلتقدر بأى عدد . فقلت اعلم أن الجواب على هذا لا يعرف إلا بعلم الارتعاشات وهذا العلم هو أصل جميع العلوم الرياضية وهذا الفن قد كتبت بجملة فى كتابى ﴿ الفلسفة ﴾ التى جمعت فيه سبعة عشر علما هى مجموع العلوم التى كان يقرؤها القدماء فى الحكمة والمقام لا يسع التفصيل ولكن أذكر هنا جملة تعرف لم اختار عدد (٦) فى التوراة والإنجيل وهى عرفت ماسأذكره لك استفتدت سبب اختيار الستة فاعلم أن العدد كانه مركب من الواحد لأن اضافة واحد الى واحد يكون اثنين والاثنان أول العدد لأن العدد يشعر بالتعدد ولا تعدد فى الواحد فالواحد خاص بالبدء الأول الذى منه كل الوجود والاثنان أول العدد والثلاثة أول العدد الفرد وجميع الأعداد لا تخلو من الزوج والفرد إذن هى ﴿ قسمان ﴾ أزواج وأفراد . فاذا أضفت الى واحد ٢ و ٣ و ٤ وهكذا تكونت عندك الأعداد الفردية كلها الى ما لانهاية لها . واذا أضفت الى اثنين ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ و ٣٢ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ و ٤٨ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١ و ٥٢ و ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦١ و ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٦ و ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠ و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨١ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٨ و ٨٩ و ٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤

ناقص وأما كامل فالزائد مثل عدد ١٢ وهو عدد يزيد مجموع مضاربه عنه . فمضارب ١٢ هي ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٦ - والمجموع ١٦ وهي أكثر من (١٢) والعدد الناقص هو ناقص مجموع مضاربه عنه وذلك مثل عدد (٨) لأن مضاربه (١ - ٢ - ٤) وهذه عددها (٧) وهي أنقص من (٨) والعدد الكامل هو ما يساوي جميع مضاربه وذلك مثل العدد (٦) فإن مضاربه هي ١ و ٢ و ٣ اثني مجموعها (٦) وكذلك عدد (٢٨) فهو عدد كامل لأن مجموع مضاربه وهي (١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٤) هو عدد (٢٨) وهكذا قد توصل العلماء بقاعدة المتوالية الزوجية وهي المتوالية الهندسية التي أسسها (٢) وحدها الأول ٢ مع تكرار حدها الثاني وهو (٤) أن يستخرجوا الأعداد الكاملة التي هي قليلة العدد بحيث تكون في الأحاد العشرة عددا واحدا وفي العشرات كلها عددا واحدا وفي المئات كلها عددا واحدا وفي عشرة الآلاف الأولى عددا واحدا ومن عشرة الآلاف إلى مائة الألف لا شيء منه فيها . وهكذا رأى العلماء أن العدد الكامل نادر جدا وهالك جنوله

٦
٢٨
٤٩٦
٨١٢٨
١٣٠٨١٦
٢٠٩٦١٢٨
٣٣٥٠٣٣٦
٥٣٦٨٥٤٥٢٨
٨٥٨٩٨٦٩٠٥٦
١٣٧٤٣٨٦٩١٣٢٨
٢١٩٩٠٢٢٢٠٦٩٧٦
٣٥١٨٤٣٦٧٨٩٤٥٢٨
٥٦٢٩٤٩٩٣٦٦٤٤٠٩٦
٩٠٠٧١٩٩١٨٧٦٣٢١٢٨
١٤٤١١٥١٨٧٨٠٧٤٢٠٤٨٦
٢٣٠٥٨٤٣٠٠٨١٣٩٩٥٢١٢٨
٣٦٨٩٣٤٨٨١٤٣١٢٤١٣٥٩٣٦

فترى في هذا الجدول أنه من (١) إلى (١٠) لا يوجد إلا عدد كامل واحد وكذلك من (١٠) إلى (١٠٠) ومن مائة إلى (١٠٠٠) ومن (١٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠) ومع هذه القلة لا يصح اطراد القاعدة فلا نقول أنه من (١٠٠٠٠) إلى (١٠٠٠٠٠) تقريبا أو من هذا إلى واحد مليون يوجد عدد كامل لما ظهر من هذا الجدول أنه من (١٠٠٠٠) إلى (٨٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ونحوها لا يوجد إلا عدد كامل واحد ولذلك قال أحد علماء الرياضة كما قال أستاذنا للرحوم علي باشا مبارك وهو صادق في المقال ﴿ إن في ندرة الأعداد الكاملة لإعناء لندرة وجود الكمال ﴾ انتهى المقصود من العدد الكامل في علم الأرقام طبع

أفلا ترى أيها الذكي أن عدد (٦) في القرآن وفي التوراة في خلق السموات والأرض يراد به التنبيه على أول عدد كامل والعدد الكامل كما علمت عزيز الوجود . كيف لا وهما أنت ذا لم تر في الأعداد من (١) إلى مليونين عددا كاملا إلا خمسة أعداد وليس في الأعداد من (١) إلى (٣٣) مليون ونصف

مليون إلا هذا العدد وستة أعداد معه كما رأيت . ولا شك أن سبعة في ٣٣ مليون ونصف مليون تعتبر نادرة جدا جدا . فنبه الله به على أنه لما خلقه في ستة أيام راعى أكل الوجود وأنه بحيث أنه اختار من أنواع الوجود ما هو أكمل ولأريب أن صور الموجودات لانهاية لها فإذا خالقها الله على هذا النمط فهو أحسن وأجل الأنماط والاشارة لذلك بلفظة (٦) التي هي عدد كامل فهو يشير إلى الكمال المطلق في الوجود المعبر عنه بقول الحكماء ﴿ ليس في الامكان أبدع مما كان ﴾ فإذا اختار في التعبير أكل الأعداد وأولها في الكمال فلا بد أن يكون اختار في خلقه أكل الأوضاع وأولها وأحسنها في الكمال وهذا هو معنى قوله تعالى - الذي أحسن كل شيء خلقه -

فقال صاحب حسن ما تقول ولكن خبرني رعاك الله أليس يكتفي فيه بالآيات الواردة في حسن الخلق وجاله

ومالنا ولهذا الرمز . قلت له على رسلك أيها الاستاذ اعلم أن هذا حسن في العدد وحسن العدد مطلوب لحسن المحسوسات ، قال فهل جاء هذا في القرآن . قلت قل الله تعالى - والشفع والوتر - فأقسم الله بالشفع والوتر وهما جميع علم الارتعاطيق الذي هو أساس العلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وفلك وموسيقى فهي كلها مبنية على علم الارتعاطيق وهذا العلم راجع للزوج والفرد وهما المذكوران في الآية والله أقسم بهما ولا معنى للقسم إلا شرف المقسم به والمقسم به هو العدد وشرفه يقتضى البحث عنه من حيث دلالة على الإبداع والانتان كالكواكب التي أقسم بها والشفق والشمس والقمر والنجوم فهكذا أقسم بالأعداد جميعها فإذا ظن المسلم أن الله لا يعتبر العدد فقد أخطأ من زعم ذلك وعليه يكون اختيار ستة أيام لهذه الحكمة العجيبة ولولم يكن فيه سوى الخس على مزاوله هذا العلم الذي هو أس العلوم الرياضية لكفى . وإذا رأينا علماءنا رضى الله عنهم ألفوا الكتب الضخمة والأبواب الواسعة في تكفين الميت وغسله والصلاة عليه وفي الحيض والاستحاضة وفي الطلاق وأمثالها ولذلك آيات في القرآن محدودات ؟ أفلا ينبغي أن يؤلف في علم الأعداد الذي أقسم الله به ما يضارع تلك الكتب . عجبا وألف عجب لأمة الاسلام ، أيجوز أيتها الأمة العربية المجد الشريفة المنزع أن ينزل الكتاب علينا فتحفظون البعض وتنسون البعض

أيجوز يا أمة محمد الذي هو خاتم الأنبياء أن تفقروا بالنوع الانساني وقفة تزرى بشرفكم . خبروني في أي آية أقسم الله بالحيض والنفاس . خبروني في أي سورة من القرآن أقسم الله بالدين وبالطلاق . خبروني في أي آية أقسم الله بالبيع وبالهبة وبالميراث وأنتم قد قسم بما يطلبه الدين في هذه العلوم وأرضيتكم الله وخلقه فما بالكم تعرضون عما أقسم به الله فقال - والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر - وقال - والشمس وضحاها * والقمر اذا تلاها - وقال - والليل اذا يغشى * والنهار اذا تجلى - وهكذا . هذه هي الأشياء العظيمة التي أقسم الله بها ؟ هل أقسم بها لتصدقوه . كلا . والله انما أقسم بها ليحشكم على فهمها وادراكها والتأليف فيها أكثر من التأليف في الأحكام الشرعية . علم الله أن أمة الاسلام ستكون عالة على الأمم فانزل في القرآن هذه الأقسام وحرص أهل العلم على استخراجها وإظهارها للأمة ليقرأها اللاحقون كما قرأ الأحكام الشرعية السابقون وسيكون في هذه الأمة من يدرس العلوم كلها كما درست الشريعة سابقا ، سيكون في هذه الأمة من يقرأ - والشفع والوتر - ويقرأ علم العدد الزوجي والفردى ويعرف نظام الله في الأعداد التي هي سر الوجود عجبا وألف عجب يقول (فيثاغورس) الفيلسوف ﴿ إن العدد أول الموجودات ﴾ ويقول الفلاسفة بعده ﴿ إن الحساب في الطبيعة دال على حاسب والحاسب هو الله ﴾ فكأن الفلاسفة عرفوا الله من طريق علم العدد ولذلك جعلوا الواحد دلالة على الله عز وجل

﴿ حكاية ﴾

لما وفد الشعبي على ملك الروم من قبل عبد الملك بن مروان سأله مسائل منها ؟ كيف يتصور الانسان نعما في الآخرة لا ينفد ؟ وكيف يكون نعيم يؤخذ منه ولا ينقص ؟ فهل لهذا مثال في الدنيا فقال نعم السراج يؤخذ منه ألف سراج فلا ينقص . فقال ملك الروم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون هل لهذا نظير في الدنيا فقال نعم الجنين في بطن أمه لو انه بال أو تعوط لقتلها . قال ، الله واحد ليس قبله شيء فهل هذا معقول ؟ فقال نعم العدد أوله واحد وليس قبل الواحد شيء اهـ

﴿ رؤيا منامية ﴾

اعلم اني أيلم أن تخرجت من مدرسة (دارالعلوم) ووظفت مدرسا بالمدارس الأميرية كان اتجاه نفسي لما أنا فيه الآن وكان ذلك غالبا على فأخذت أفكر في هذا الوجود وبينما أنا نائم ليلة اذا جماعة أشبه بقوم من بلاد الغرب يقرؤون في قصة أبي زيد الهلالي فوفقت بجانبهم فقال أحدهم ؟ هل أنت تعرف هذه القصة فقلت

مالانهاية له ثم يقال له عند واحد الخ والاجابة عليه بأنه واحد كما أجبت هذا الجواب حق في علم ما وراء الطبيعة لأنهم قالوا إن الواحد مساو للوجود ، فكل ما يصح أن يقال عليه موجود يصح أن يقال له واحد حتى ان الكثرة مع بعدها عن طباع الواحد يقال لها كثرة واحدة فعلم الالهى ينظر في الواحد وأقسامه والكثرة ولو احققها كما ينظر في الوجود وأقسامه ولو احققه . وقد قسموا الموجود الى المقولات العشرة ، وأيضاً الى القوة والفعل والقديم والحديث والتام والناقص والعلة والمعلول ، وقسموا الواحد الى واحد بالجنس وواحد بالنوع وواحد بالعرض وواحد بالمشاركة في النسبة وواحد بالعدد الى آخره . وعلى ذلك تكون الاجابة التي أجبت بها أن العدد الذي لانهاية له يقال له واحد صحيحة في علم ما وراء الطبيعة لأن كل موجود كثيراً أو قليلاً يطلق عليه اسم الواحد فالواحد مع الموجود أينما كان . وأيضاً ان اضافة (٢) مكررة الى واحد تنتج أعداداً كلها فردية الى ما لا يتناهي فهما كان العدد فهو واحد وأيضاً هو فردى . انتهى ما أردته في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

وأما اللطيفة الرابعة فهي مفهومة مما تقدم من سابق التفسير . وههنا ﴿جوهرتان * الأولى﴾ في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين - الخ ﴿والثانية﴾ في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - الخ ﴿الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً -﴾

اعلم أن الله عز وجل قد ذكر البحر في مواضع كثيرة في القرآن ، فقرأه في (سورة الرحمن) يقول - مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان * فيأبى آلاهم ربكما تكذبان - وتراه يقول في (سورة النحل) - وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون - ويقول في سورة أخرى - هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرى بهم برىح طيبة وفرحوا بها جاءها رىح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم - الخ . فيأبى شعري ما هذا الوصف والتذكير وكثرة التكرار . يقول الله - ومن آياته الجوارى فى البحر كالأعلام - ويقول ان البحر يخرج منه الثؤلؤ والمرجان ، ويقول بأى نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان . فالبحار آيات والثؤلؤ والمرجان آيات وسير السفن فيه آيات ولما علم الله عز وجل قبل أن يخلق الناس على الأرض أن النوع الانسانى لاسيما المسلمين منهم سيشملهم الغرور ويعمهم داء الجهالة والبلاهة البتراء أنزل القرآن وقل فيه في (سورة يس) - يا حسرة على العباد - . يقول الله على طريقة الاسلوب العربى - يا حسرة على العباد - كما يقول الانسان يا حسرة على فلان قد فاتته الفرصة واعتزته الشبكة وحق به الويل والثبور ، فهو هنا يقول إن هذا النوع الانسانى حزين أن يتحسر عليه لما أصابه من الجهل فهم اذا سمعوا المذكورين لهم بالعلم من الرسل استهزؤا بهم ، ثم أتبع ذلك بذكر (١) هلاك الأمم (٢) وحياء الأرض بعد موتها بالنبات (٣) واخراج الحب منها (٤) وظهور الجنات من النخيل والأعناب فيها (٥) وتفجير العيون فيها (٦) وانسلاخ الليل من النهار (٧) وجرى الشمس (٨) والقمر (٩) وانه خلق لهم السفن فى البحار ثم ختم ذلك كله بقوله - وما تأتئهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين - وانما ذكرت لك هذا مع أنه فى (سورة يس) لأذكرك بأن هذا الانسان جدير بالحسرة عليه حقيقة بالشفقة لأنه جهول وكيف لا يكون جهولاً وهو لا يسمع النصيح اذا أتى له من رسول ولا يعقل ما يراه من عجائب الدنيا حتى قال الله عز وجل فى هذا الانسان انه مهما عرضت عليه آيات المنعم عليه بالترية فانه يعرض عنها ولا جرم أن المسلم يصدق عليه ذلك فانه يفتتر بأنه مؤمن بالله ويقول كفاي ذلك وهو يقرأ صباحاً ومساءً فى القرآن والقرآن نبي عليه الاعراض عن نفس الآيات . إن المسلم تسرح له سوايح البر وسوايح البحر فيعرض عنها ويقول أنا مؤمن بالله تعالى والبحار ومالى

والجبال ومالى وللاشجار وهذا دأب كثير من الفقهاء فى الاسلام وكثير من الصوفية وكل هذا غرور وهؤلاء جميعا قد سلمهم الغرور لأنهم أعرضوا عن الآيات التى أنتهم ؟ فهلبقى للمسلمين بعد ما بيناه فى هذا التفسير وغيره عذر فى الجهالة . كلا . ثم كلا . هذا جلال الله وهذه عجائبه تجلت فى هذا التفسير وفى أمثاله من كتب يؤلفها العلماء فى عصرنا . فانظروا واعجبوا . هذا (اللورد أفبرى) مؤلف كتاب (جبال الطبيعة) يصف عجائب البحر فيه من صفحة ٢٣٣ الى صفحة ٢٤٨ باحثا عن جلاله وعجائب الله فيه . فيا عجباً كل العجب . قوم من أوروربا يعرفون بعقولهم وحدها جبال البحار ويفرحون بحمال ربهم ويؤمنون بآياته ونحن لنا عقول ولنا دين يثبتنا الله بالأعراض عن آياته فيه ثم هم يسبقوننا لمعرفة ربنا . أفليس هذا مما تجزع له القلوب وتشقى له المرائر وترتعد الفرائص ولا أقول إلا ما أمر الله به فى المصائب - إنا لله وإنا إليه راجعون - ثم أرجع فأقول ، لقد آن زمان ارتقاء المسلمين وانتشالهم من الجهالة وارتقايتهم الى العلية . اللهم اليك المشتكى اللهم أنت البر الرحيم فخرج هذه الأمة المسكينة من النذل الى العز ومن الجهل الى العلم وأنا واثق ومؤمل بإجابة الدعاء فقد أجيب دعاء زكريا إذ طلب ولدا يتخلفه فى بنى اسرائيل ليقوم بأمرهم لأن الدعاء اذا كان لأجل المنفعة العامة استجيب . وهام أولاء المصلحون فى بلاد الاسلام يدعونك أن ترفع الأضرع من الأمة الاسلامية وأن تشوقهم للعلوم ، فهؤلاء يوقنون باستجابة دعائهم وأنا من هؤلاء الموقنين لاسيما أن أمتنا أكبر جدا من أمة بنى اسرائيل . إذن فلا ذكر البحار وعجائبها من كلام (اللورد أفبرى) وأبدأ بقول الشاعر الذى خاطب البحر

إن فى صدرك الرحيب رجالا * جمعوا البأس والتهى فى الصدور
أخستهم مدافع مرعدات * فأصموا عن داعيات النفير
وهم اليوم بعد طعن وضرب * فى قرار غير المقام القدير
لك ما شئت من نضار ودر * لم يك البحر بالعديم الفقير

(الحيوانات فى البحار)

(١) منها (الخطبوط) وهو يعيش فى ماء (نيوفونلاند) ويبلغ على صغريده (٦٠) قدما من طرف الى طرف

(٢) وهناك نوع من الحيتان المسالة يبلغ طول الواحد منها (٧٠) قدما

(٣) ومن آياته وعجائبه (الكاشولات) فهذا حوت يطوف فى أنحاء المحيط طولا وعرضا قد اتصف بشدة الرحمة على من ساله وبالعصب والبطش بمن عاداه وشاكسه وقومه وأنيابه محدودات يسطو بها على الحيوانات البحرية فيلتقمها ، ومتى مس بخدش صغير من ركاب سفينة اندفع اليها وعاونه على ذلك أهله وعشيرته وما أكثرهم وما أقواهم حتى ان هؤلاء يوما ما هاجوا مركبا أمريكية خطموها وأغرقوها فى البحر جزاء ما كانوا يفعلون

(٤) وأقوى من هذا وذاك وأضخم جثة وأعظم بطشا (الزوركال) ويبلغ طوله (١٢٠) قدما ، يقول وربما كان هذا مبالغة ، ولقد علم باليقين أن أكبر فصائل الحيتان جثة وأطولها فصيلة (سيدالد) والخوت منها لا يبلغ إلا (٨٠) قدما أو (٩٠) قدما

(٥) ذكر (سكورسي) ان قريص البحر يغطى من سطحه أميالا والليل المكعب من البحر لا يحوى أقل من (٢٣٨٨٨٨٠٠٠٠٠٠٠٠) أى (٢٣٨٨٨٨) ألف ألف مليون . ويقول إن هذه الخلوفا لا تعوض فى البحر كثيرا ولكنها تغطى مسافات من السطح لا يحصها الحصر ولا يحيط بها الحساب

وهذه الحيوانات الصغيرة تجعل ماء البحر ملوناً بألوان عجيبة يشاهدها النوتية والسالكون في طارق البحار (٦) الحشرات وبعض ذوات الشدى التي تعيش في الماء لا تبعد عن البر إلا قليلاً . ومن هذه (عجول البحر)

(٧) الحيتان العظيمة المسكخة للأمواج تسكن الأعماق بطبعها . ومن أعجب العجب أن طائراً بحرياً يسمى (الصخاب) قوى الجثة عظيم الصوت كأنه صوت الجار يبلغ طول جناحيه الممدودين معاً (١٥) قدماً وقد يبق ساعات متواليات طائراً لا يتقاع وقد ينال مخلقاً في الهواء . فهذا الطائر في ضخامته يشبه الحيتان في قاع البحار من حيث الضخامة كأن هناك مناسبة بينهما

(٨) ما أعجب منظر البحر لركاب السفن إذ يرصدون في ظلمات الليالي مناظر النجوم فيرون عجبا وجالا باهرا يأخذ بالألباب فإذا رجعوا إلى النظر فيما حولهم رأوا حول المركب عجائب وبدائع الأشكال والألوان في الحيوانات البديعة البهجة المتقنة الأشكال البديعة المناظر

(٩) إن جبال البرق قاصر على سطح الأرض فإن العجائب النباتية والحيوانية ليست تكون إلا على سطح الأرض . أما عجائب البحر فهي (ثلاثة أقسام) قسم منها في ظواهر الماء وقسم منها في قرار البحر وقسم ثالث بينهما . إذن جميع أقسام المياه في البحر مملوءة بالعجائب . أما الطبقة العليا من البحار فأمرها معلوم فيما تقدم هنا وفي مواضع كثيرة من هذا التفسير كالذي تقدم في (سورة آل عمران) وغيرها . فأما الطبقة الوسطى فإن فيها السمك المعروف بالسمك الهلامي (الدوزا) باللغة الإنجليزية (والحسك) وهي دويبات صغيرة كالذرة . أما الطبقة السفلى فقد كشف العلماء كثيرا من أنواع المخلوقات فيها فقد وجدوا سمكا يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة (القامة مقياس طوله ستة أقدام) وهذه يسمونها القرارية أو الدركية وهذه لا يصلها النور لأن ضوء الشمس معدوم على عمق ٢٠٠ قامة وبعد ذلك يكون الظلام الحالك وهناك لا يكون للحيوان عيون البتة . ومن عجب ما ذكره (سروليم تومسون) عن نوع من السرطان له عيون إذا عاش قرب سطح الماء فإذا عمق مسكنه وصار ما بين (١٠٠) و (٤٠٠) قامة من السطح فقد عينيه . وهكذا ما يعيش منه على بعد (٥٠٠) إلى (٧٠٠) قامة

(١٠) إن بعض الحيوانات البحرية لالون له بل هي شفافة وبعضها براق لماع في غاية العجب فسفوري الجسم وقد يكون له أعضاء ساطعة ذات شعاع يكاد يذهب بالأبصار . وترى السمك الذي يعيش في الأعماق فضي اللون جيلاً بهياً غالباً وبعضها أحمر وبعضها أسود ومتى حركت أعضائها الملمعة صارت بهية اللون جدا وهذا السمك قد جعل الله له هذه الأعضاء النورية تحت سلطانه فإن شاء أضاء بها ماحوله من الماء وإن شاء أطفأ النور ، فكما أن الله خلق شمسا وكواكب بهما استضاء أهل الأرض هكذا خلق سبحانه هذه الحيوانات الساكنات في الظلمات هذه الأعضاء المشرقة تنصرف بها على حسب مطالبها في المعاش ، فإن رأى الحيوان فرسته استعمل النور المعة لكشفها ، وإذا أحسّ بعدوه مفاجئاً أطفأ ذلك المصباح . ومن عجب أن هذا النور كما يستعمله السمك لاقتناص فرسته يستعمله أيضا لكره عدوه المفاجئ له على البعد عنه إذ هذا النور متى سطع وظهر لأعين الحيوان المهاجم بهر بصره فيكاد سنا نوره يذهب بتلك الأبصار فيفرّ المهاجم حالا . أقول فهذا النور عند هذا السمك فعل مافعله رائحة الظربان في حيوان البرق إذ يجعل الرائحة التي يطلقها على عدوه سببا في ازعاجه وبعض الحشرات التي لا تنجم من صائدها الذي أمسكها إلا إذا أنزلت عليه سائلا في جسمها كرية الرائحة فبتلك تعيش ولا تخاف من عدو يفاجئها فسبحان الخلاق العليم

(١١) وهل أتاك نبأ السمك المعروف بعفريت البحر ، ذلك الذي له زعانف شائكات ورؤس ضخمة يسكن قرب شواطئ البحار وله ثلاثة خيوط ألوانها تضرب إلى الحرة يطلقها في الأمواج ويجعلها كأنها حبال



(شكل ٣٣ - رسم المريجان بهيئة شجر)



(شكل ٣٤ - هذه صورة أخرى للمريجان)



(شكل ٣٥ - صورة غير المتقدمة للمرجان أيضا ظهرت فيها ثغور حيوانات ضاحكة مستبشرة كأنها أزهار النبات)
 وقسم هيئة الجزائر وهي إما بركانية حلقية مثل (شكل ٣٦)

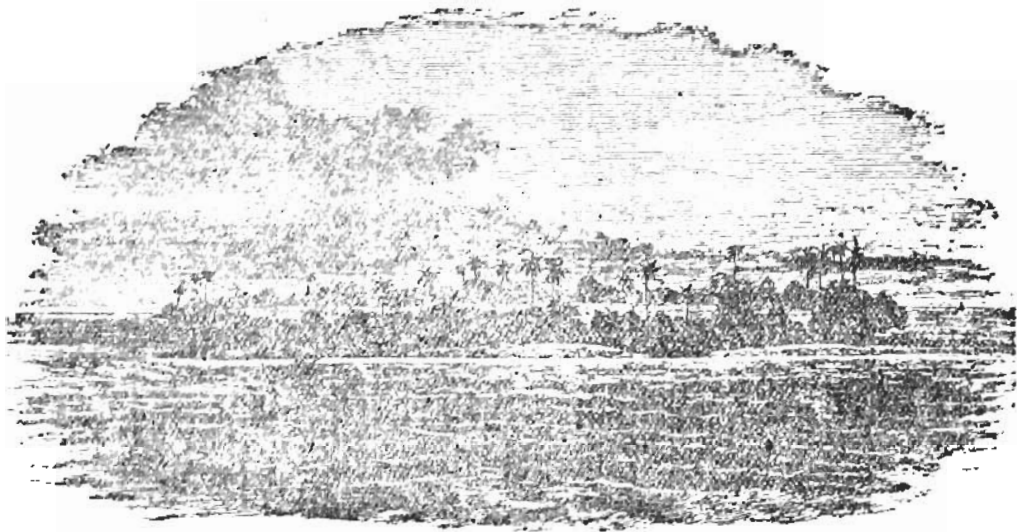


(شكل ٣٦ - رسم جزيرة حلقية من المرجان داخليا بحيرة عميقة قليل جدا)
 وأما جزء من جزيرة بركانية مثل (شكل ٣٧)



(شكل ٣٧)

واما جزيرة تمة بركانية مثل (شكل ٣٨)



(شكل ٣٨ - رسم جزيرة المرجان المسماة « جزيرة الرمل الأبيض » وترى فوقها شجر الشكلاته وهذه في غرب أمريكا الجنوبية في غرب كالو)
هذه الصور الثلاث من كتاب « علوم الجميع » تأليف العلامة (روبرت براون) وهو باللغة الانجليزية
(تذكرة)

يزعم بنو آدم انهم أكثر آثارا وأعظم أعمالا ؟ فهل صنعوا جزيرة واحدة عاش فيها الحيوان والنبات وانتفع بها الناس . فهذا المرجان بنى جزائر تعد بالآلاف ومئات الآلاف عاش فيها الحيوان والنبات والأشجار واستكن في بحيراتها أنواع الحيوانات فعاشت قرية العين سعيدة بعيدة عن هالك البحر المحيط . فأى عمل للانسان يضارع عمل هذا الحيوان الصغير - قتل الانسان ما أكفره - إنه كان ظالما جهولا - فكيف للفضول من عمل أعظم من عمل الفاضلين ، فكيف يفتر هذا الانسان بترعة يحفرها أو تنفق في الأرض أو هرم فوقها أو قصر مشيد - إن ربك هو الخلاق العليم - انتهى يوم الأربعاء ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٢٨

﴿ البحر المالح ﴾

اعلم أن الحكمة في كون ماء البحر ملحا انه بهذه الملوحة يحفظ ما فيه من جثث الحيوانات الماتة من ظهور الفساد فلولا الملح لأتلف الماء وفسد الجو ولم تصالح الأرض للسكنى فالملوحة في البحر حكمها حكم الملوحة في ماء العين ، فلولا ملوحة ماء العين لأتلفت الحديقة ، فهذا الملح يحفظ العين ويمنع تنفص ماء البحر ، وعسى أن أوفى الكلام حقه في (سورة النحل) عند قوله تعالى - وجعل بين البحرين حاجزا - ولكن أقول هنا من لطف الله عز وجل ورحمته انه جعل البحر ملحا للحكمة التي ذكرناها ، ثم هو تطفأ فأرسل شعاع الشمس الى ماء البحر فخرج البخار تاركا الملح في البحر صاعدا في الجو متراكما سحابة فيه ماء صالح للشرب ، فتبارك الله الحي القيوم ، جعل الماء ملحا عند الحاجة الى الملح . ولما احتاج الانسان والحيوان والنبات الى ماء عذب خلصه بحرارة الشمس فحصل الانتفاع به . فهذا هو البحر المالح وهذا هو العذب . ومن عجب انك ترى المطر ينزل على الأرض ويجري ينابيع تنبعث منها العذب ومنها الماء العذب ولا يختلط أحدهما بالآخر . وإذا جلست بجانب البحر المالح وحفرت قليلا في بعض المواضع أنفقت هناك ماء حلوا . أليس هذا عجبا ؟ حلوت تحت سطح البحر مرورا فوقه حلوا في البخار الطائر منه في الجو والسحاب والأنهار ، فالحلو يحيط بالملح من سائر الجهات

فلاماء البحر المالح يختلط بماتحت القاع للمانع الطبيعي ولا بما فوقه في الجو لأنه هرب منه وترك له ملحه وترى الأنهار كالنيل والفرات ودجلة تصب في البحر كالماء الأبيض المتوسط والخليج الفارسي ونحوها ومع ذلك لا يطنى البحر المالح عليها فيجعل ماءها ملحا ولا الأنهار الصابة في البحر نجسها حالوا . فهذه مجامع الحواجز التي دبرها الله لحفظ البحرين المتجاورين فلا ينفى أحدهما على الآخر بتلك الحركة الدائمة المحكمة ، تبارك الله رب العالمين ومن هذا القبيل أن المجارى المعدنية تحت الأرض لا يختلط أحدها بالآخر وقد تقدم هذا في (سورة الأنعام) مشروحا . وأعجب من هذا أيضا أن الهواء يجتمع فيه أصوات الانسان والحيوان والموسيقى والرياح الهابطة فلا يختلط أحدها بالآخر ، وكذلك يحمل الهواء أنواع الروائح كلها ، وأيضا نجد ذرات اللقاح التي تخرج من الأزهار وتسير في الجو من أعضاء الذكور الى الابات تتخذ مجارى لا يختلط أحدها بالآخر الى أن تقع على الأزهار التي هي من جنسها وقد تشاهد تلك الذرات طائرات كالسحاب من عشرات الأنواع وهي متميزة لا تختلط احداها بالآخرى . وهذا قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان -

وأعجب من هذا كله أن الشمس تحمل صور جميع المخلوقات وترسلها في كل مكان ونحن لانراها وانما الذي يحسن بها هي آلة التصوير (الفوتوغرافية) فتى سلطت عدستها على قوم جالسين التقطت تلك الصور وساعتها الى لوحة التصوير ورأها في الخزانة المظلمة . فهذا دليل على أن صور جميع المخلوقات على الأرض سائجة في الجو الهوائي لا يختلط أحدها بالآخر فصور بني آدم والحيوان والنبات والجبال والبلاد كلها طائرات طول النهار لا اختلاط فيها . كل ذلك يذكرنا به قوله تعالى هنا - وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - انتهى

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - وهو الذي خالق من الماء بشر - الخ مع قوله قبلها في الماء أيضا - واقد صرّفناه بينهم ليدكروا - وقوله بعد ذلك - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منبرا - ﴾

في يوم الخميس الخامس عشر من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ أي في مساء ذلك اليوم خرجت للرياضة كما قال توبة في محبوبته ليلي

وأخرج من بين البيوت لعاني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا فتوجهت الى شاطئ النيل الشرقي كعادتي ووقفت قبيل غروب الشمس فوق قنطرة عند النيل أمام مصر القديمة اذا الجوّ في حال لم أعهد لها ومنظر لم أشاهده من قبل ، نور أحر برتقالي يكاد يقترب من الأرض وأمر عجب فرفعت طرفي اذا السماء مغطاة بسحاب يمتد من الغرب الى الشرق أشبه بسلاسل الجبال المتوازيات فعددتها نحو عشرين جبلا سحاييا والشمس قد آذنت بالغروب وتلك الجبال مشرقة اللون حمراء وقد امتدت في أفطار السماء كلها وكلما كانت أقرب الى الشمس كانت أبهج لونا وأزهى جرة مشوبة بصفرة برتقالية وكلما تباعدت الى الجنوب أو الشمال رأيتها مسودة كأنها تندب حظها لبعداها عن الشمس . أما تلك المقتربة منها فما أجل طلعتها وما أبهرها وأحسنها . جبال وأى جبال . وبهجة وأى بهجة . تراها فتخال بينها أودية زرقاء اللون كرياض كستها الطبيعة أزهار البنفسج . وما أشبه ذلك المنظر البهيج الذي يكاد يضيء إلا بمنظر الجنود مصطفات لللك عظيم الشأن وقد أخذ يودعهم ليتفقد مملكتهم وهم صفوف وراها صفوف يهتفون له بالاجلال والاعظام أو كسنا ازدهت بالجبال وأشرق بالحسن وقد هرع لجأها المحبون بها - من كل حدب ينسلون - وهم بمنظرها فرحون

الله أكبر . منظر هذا العالم جميل غفل عنه صغار العقول . جهل الناس هذا الجمال في الأرض وفي السماء

ذلك أن كل حيوان قد حيل بينه وبين هذا الجلال بما أودع فيه من عمل لحياته وسعى لذريته ثم هم عن الأرض راحلون ؟ فأتى هؤلاء أن يبتهجوا بالجمال الذي يفنهم وهم لا يعلمون . منظر السماء في ذلك التاريخ كان بهجا وجيلا والناس غادون ورائحون وهم لا ينظرون فسكان الجمهور عى أمام أجل الفاتنات صم عند سماع أجل الأصوات . ذلك ان الناس أكثرهم عن الجبال محجوبون وعن المجانب معرضون . تحدثنا الشمس والقمر والنجم والفلك والماء في السحاب والبحار . يقطن كلهم بلغة فصيحة ويعقلها أولوا الآلباب إن في قلب الليل والنهار والصبح والمساء روايات تمثل لكم وأنتم لا تنظرون . شمس تشرق فتكسو الأرض جلبابا ذهبيا . وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع مختلفات الألوان فهي على الهواء زرقاء وعلى الزرع خضراء وعلى الزهر صفراء وأجواء وهكذا

أما البحار في (خط الاستواء) وما قرب منه حدثت ولا حرج . ترى الأمواج ترمى بالدرر اللامعات والماس الجبل والزبرجد الأخضر وللأزورد وقوس قزح وهيئات متنوعة من لحن ونضار ومن هيئات المصاييح المشرقة في أكفاف السماء . كل ذلك لما فيها من الفوسفور البديع المنبت في تلك الأرجاء (انظروا في سورة الأنعام) وهكذا ترى ما هو أعجب عند القطبين من جبال جاريات من الثلج بديعات عائمت فوق سطح الماء تمثل القصص الخيالية والأعمال السحرية وتصطدم تلك الجبال وتتدخل أجزاؤها وهناك تكون أنواع من أفانين الصور وبدائع الألوان مما لا يكاد يتصوره الخيال (انظروا في أول سورة الكهف عند قوله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها -) وهذه كلها صور للماء في حاله سائلا وجامدا تلجيا . الماء خلق لسقي النبات والانسان حتى يعيشا ولكن الحكمة الواسعة لاحد لا بداعها ولانهاية لصنعها . ماء ينزل للسقي وللحياة يستعمل هو نفسه زينة ونورا . فهو في ليلة ١٥ نوفمبر جنود تحي ملكة النهار الذاهبة الى ملكة الليل فكما ان الجيوش معدة لطرده الأعداء وقتلهم هي أيضا تحي الملوك اذا قدموا أو ودعوا . ذلك لسعة هذا الوجود وللتفنن في التصوير والابداع والجمال . الليل والنهار يشرفان معا . هذا بالماس المرصع في القبة الزرقاء . وهذا بالنضار السكاسي وجه الغبراء . نجوم مشرقات بهجات جيلات متلألآت ليلا تقول للنفوس المستعدة في الأرض هلموا الى وتعالوا أنل عليكم نأ الحكمة والعلم والجمال . تقول - هاؤم اقرؤا كتابه - فبرونها صفوفًا تتلوها صفوف و صفوفًا تتلوها صنوف قد اذيت للناظرين وحيرت المفكرين حتى اذا أفل الظلام وأقبل موكب الصباح أخذت تتغير المعالم وتبدل المشارق والمغارب وتهزم جيوش البيض سود الجيوش وكلما ازداد موكب النهار اقبالا ازدادت حجافل الليل إدبارا وأخذت تلك الفاتنات البهيات المطالع الناعسات الطرف المشرقات في الدياجي تنوارى بالحجاب تودع العاشقين وتعهدهم أن ساعود لتروا جالى ولا تزال مواكب الصباح ترد تباعا حتى اذا أقبل الجمع وتكامل أشرقت الغزاة اشراقا يهرا الجميع . هناك يتم سلطان النهار ويدبر تمام الادبار سلطان الليل وتوجه الأنظار الى مناظر الجبال والبحار والأنهار والحقول والرياض ويستبدلونها بالنجوم الزاهرات في الدجئات . وههنا يتجلى النهار في ثوب قشيب ويخونقو الطفل صار شابا ضحى كهلا ظهرا شيخا عصرًا ثم يودع الحياة عند الغروب . وهناك تسفر غايات الليل ويرفعن القناع ويبدون سافرات ضاحكات بهجات مشرقات ويقطن لعشاقهن بالأمس عوجوا اليها وأقبلوا علينا

هذه هي الرواية التي يمثلها الليل والنهار وهما لا يفتان يمثلان رواية وراء رواية والمناظر مختلفات وليس يعقل اختلافها من الناس إلا قليلا . ولما غفل الناس عن ذلك الجلال ألهموا أن يصنعوا هم لأنفسهم أعراسا وولائم وأعيادا فيها يفرحون وفي أيامها ينتهجون فهم كصناع في قصر ملك معه وزراؤه وخواص دولته وهم يشاهدونه كل حين مبتهجون بمنظره فرحون بقربه وفي القصر عبيد منكودون لا يرون الملك إلا في عربته سائرا أو في موكبه متجليا وفيه حيوانات ودواجن لا تعقل هذه الكرامة ولاتأبه لهذا الجلال . هذه

نظرات النفوس الحكيمة في بدائع السموات والأرض . فادارجعت الى أنفسها ونأملت أجسامها رأت في هذا الجسم المركب من أمشاج وأخلاط مظلمة أرضية مايفوق ما في الكواكب من جبال وما في الشمس من جلال وما في البحار من لآلئ وما في الجبال من نضار . ماذا يرون ؟ يرون جنودا بحاريون وجيوشا من أعدائها مجندلات وممالك عظيمة كلها في داخل هذا الهيكل الجثائي . فكما أن العقول الضعيفة غفلت عن الخيل الذي تمثله المشرقات والشمس في العوالم الأرضية والسموية هكذا نراها غبية جامدة أمام البهجة والعلم والجمال المودع في أجسامها . وكما يرى الحكيم منظر السماء فيعقل البهجة والجمال هكذا ينظر في أمر جسمه فيرى عجبا عجبا يذهله بل ينسبه منظر المشرقات في الدياجي البهجات المناظر . فيألت شعري من ذا الذي كان يعتقد أو يظن أو يتوهم أن في جسمي أنا آلافا في آلاف من الجيوش البيضاء شاكية السلاح الحاذقوى تصطف صفوفها وتحارب جيوشا تعد جنودها بالآلاف والآلاف وتجند لها في ساحات الوغى من (الحيوانات النرية وهي المكروبات) وهي أنواع مختلفة وتلبس جنودى أنا لكل حال لبوسها . فيألت شعري من ذا الذي يقول هذا ولا ينسب الناس الى الجهالة والجنون . وهل كان أحد في الأرض يعتقد أن الورم في الجرح ماهو إلا هذه الجيوش المتكاثرة اجتمعت لتهلك الجيوش الداخلة في جسمي لتحدث في مرضا . أليس هذا من العجب أن جسمي يكون فيه هذه الجيوش المسلحة الواقعة بالرصد لكل فاتك به ثم هي تهلكه وتنتصر عليه بل انها تأكل الأعداء أكلا وتصلح ما أفسدوا من جسمي ؟ هل كان لا عقل في هذا مجال . اللهم لا . لاجمال لعقولنا في هذا لولا تعليمك لنا في هذه السنين ثم ما هذه الدول والممالك والجنود المجندة ؟ أهذه كلها لجسمي وحده الجسمي هذا تخلق هذه الجيوش والممالك ؟ ألباقى أنا تكون تلك الدول والممالك والحيل والحروب والجوع والجيوش . اللهم حارت عقولنا في وضعك وأصبحنا لاندرى أمفردنا جمع أم جمعنا مفرد ثم كيف يكون جسمي مع أن علمي به قليل جدا يكاد يبلغ سعة السموات والأرض في التدبير والكثرة . بمالك جسمي لاحصر لها وبمالك الوجود لاحصر لها فتساوى الكبير والصغير في العظمة والجرأة . ثم أقول بامن تجلبت بجلايب الكبرياء وتردت بأردية الجلال ونثرت أرواحاني هذه التربة ودفنت نفوسنا في هذه الأجسام الترابية وأحطتها بكل لطف ورحمة قد خنت أرواحنا إليك وشاقتها باسم الاصباح وبواهر الامساء ؟ فتى تكشف لنا عن جمالك لقد لحنا من خلال الحجب المسدلة علينا لوامع من نورك ففعلنا انك رجتنا بالحجاب وأنعمت علينا ببصيص من نورك ولواننا كوشفنا به تمام الكشف لطاحت أرواحنا وصرنا الى العدم مادمننا لم تكمل فينا المواهب العالية التي بها نستطيع ادراك ذلك الجلال ولكننا تشرق في نفوسنا الذكرى بعد الذكرى والشوق يقبه الشوق ثم بعد هذا كله ما أنا إذن . أنا أقول بأعلى صوتي أنا أجهل نفسي جهلا تاما وأنتظر من الذي أبدعني أن يرزني في عوالم تكشف القناع لي عن نفسي وعن هذا العالم . نعم من ذا الذي كان يحظر له أو يهيجس في نفسه أن كل حيوان وكل نبات ترجع الى ما يسمونه خلية فخلية منها منشأ جميع الأحياء . إذن الوحدة ظاهرة في هذا الوجود منها تركب كله كما ان الأعداد تركبت من الواحد . إذن هذا توحيد عملي والديانات توحيد قولي واعتقادي . وان آيت باصاح إلا الافصاح فهاك مقالا لـ دكتور مصري في (طبيب العائلة) تحت العنوان الآتي وها هو ذا

﴿ سر من أسرار نظام الحياة ﴾

انك لتجد يد الله وقدرته البليغة رامية كل شئ في الوجود جل أودق وزاهم لمعتبتين على الأخص في الحياة ونظامها وتطوراتها منذ الخليقة . هذا النظام وما به من غريب ومدهش هو ما أقصد الى تبيان جانب منه بهذه الكلمات القليلة لأن المقام لايسع التوسع على الرغم من خطر الموضوع خطرا هوفوق ما تتصوره العقول . إن ظهور الحياة على الأرض كان لغزا من الأغغاز الغامضة التي تعبت في حلها الأجيال وعظماء البشر

من حكماء وعلماء ولكن شغف الانسان بالتطلع والاستقراء لخفايا الوجود وأسرار الطبيعة جعله لا يعمل ولا بكل من السعي حتى ظفر بكثير مما نصبولة نفسه وخصوصا فيما كان له مساس بكيفية ظهور الحياة على الأرض فقد ظل يفكر ويستعين بعقله ومداركه ثم تدرج في بحثه واستقصائه الى أن ظفر بنتائج باهرة سارة قربته كثيرا من الحقيقة التي نشدها منذ القدم وإذا تقرب منها اتخذها عماده في تقرير العلم الراهن وتوسع فيها الى الدرجات الباهرة التي وقف عند حدها في أيامنا الأخيرة وتتلخص هذه الحقيقة فيما يلي

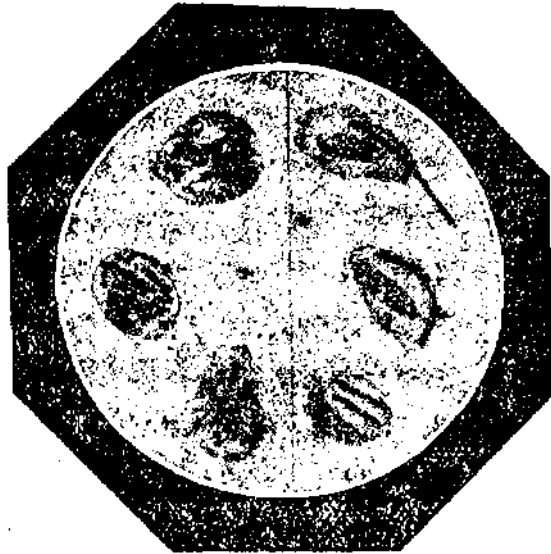
ظهرت الحياة على الأرض لدى الخليفة باليسيط وانتهت بالمركب . ابتدأت بخلية واحدة وانتهت بملايين الخلايا مندمجة في شبح واحد . ابتدأت بالشيء الذي لا يقوى على الإدراك والعقل وانتهت بالانسان الذي هو أكمل مخلوق . واعتقد أن الله الذي جلت قدرته وتعالى حكمته عندما شاءت مشيئته إبداع هذا الوجود أراد لكمال هذا الوجود أن يظهر فيه من يدركه ويدرك صنعه ويدرك قوته فأبدع الفكر وأودعه الانسان الذي انما كانت الغاية من اظهاره أن يكون أقوى أداة مفكرة في العالم . فالحياة ابتدأت بصنع الله للخلية وانتهت بصنع الله للفكر وبه انفصل المخلوق بالخالق . نظم الله الخلية ودبرها على نسق تدريجي وبسط لها بقوته أسباب التدرج والرقى والتوارث والتسلسل والتفرع والتشعب والتجنس وأعد لها صور مختلفة وأشكال وأوضاع ووظائف وغايات متعددة مختلفة فمنها حياة الكائنات الأخرى . ومنها الميكروبات والأسماك والطيور والحشرات والحيوان والانسان وكان من المدهش أنها كلها ترجع في أصل الخليفة الى وحدة متحدة دالة على وحدة البذلقة القادرة التي أبدعتها ألا وهي الخلية ، تلك الخلية التي ظهرت بمؤثرات وتفاعلات كيميائية وطبيعية جعلتها تتحرك وتعيش وتتضاعف وتتفرع وتتوارث وترقى على مرور الأجيال والأزمان وتتجنس وتنوع وتستقر في النهاية على ماهي عليه الآن جاهلين على كل حال ماذا تدخره لها المقادير في مستقبل الدهور والحدثان .. هنا نرى من المفيد أن يعلم الناس أن كل كائن حي يبتدىء عند خلقه بأن يكون خلية إشارة من الطبيعة الى أن ذلك الكائن الحي مهما تضاعف في تراكيبه وأعضائه يرجع في نشأته الى تلك الخلية الواحدة (أو بعبارة أخرى) إشارة الى الوحدة التي نشاهدها مسيطرة على هذا الوجود ، كذلك من المفيد أن يعلموا أن كل بيضة تتطور في نموها تطورا غريبا مدهشا حيث تظهر فيها لدى نموها كل التطورات والتغيرات التي طرأت على نوعها منذ الخليفة الى الآن . وبحق تعتبر هذه البيضة أنها خلاصة تاريخية للتطورات التي تطورها نوع ولبيدها بمرور كل هذه العصور التي قضاهها مستقلا في تطوراتها من حالات الى حالات . وعلى كل حال فإن الانسان لم يك في الواقع في مجموعه إلا خلايا لا تعد ولا تحصى مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا متينا متضامنة تضامنا قويا في الصحة والمرض على السواء وهي كلها وليدة الخلية الأولى ، فكل حي في الوجود نباتا أو حيوانا أو ميكروبا يتركب من خلية أو أكثر . ومن الأسرار المثيرة للعجب أن من المخلوقات المشاهدة حتى الآن كائنات حية لا تتركب إلا من خلية واحدة (انظر شكل ٣٩)



(شكل ٣٩ - صور للاميبا مأخوذة عن فلم سينماتوغرافي للاميبا وهي تتحرك ، أخذت بسرعة ٣٠ صورة في الثانية ، والصور السبع التي ترمي هنا منتخبة من حركة الاميبا في ثانية واحدة)

وقد تنقسم الى قسمين و يصيران خليتين ولكنهما لا يتصلان بل يعيشان ككائنين حين منفردين ،
وتوصل العلم الى معرفة مئات من هذه الأجناس (بروتوزوا) ذات الخلية الواحدة تعيش في المستنقعات والبرك
والبحار وهي أبسط كائن حي عرف حتى الآن ، واذا دقت النظر في محتوياتها لا تجد لها أكثر من غلاف داخله
مادة مخاطية لزجة تسمى (بالبروتوبلاسم) فاذا صادفت هذه الخلية ذرة من نبات تراها تندفع اليها وتحيط بها
بمهارة فلا تشعر الذرة إلا وترى نفسها داخله في ذلك الغلاف ومحاطة بأكلها بهذه المادة اللزجة مع قليل من
الماء فهضم بواسطة كيميائية قسرية وتصبح جزءاً من ذلك البروتوبلاسم وهذا كل ما فيها من وظيفة الهضم ،
وغريب أنك تجد خلايا لا تعيش إلا في سوائل الجسم (الدم والنف) تعيش عيشة مستقلة كما تعيش الكائنات
ذات الخلية الواحدة المسماة (بروتوزوا) في قاع المستنقعات والبحار كما قدمنا ، وأنت لو أخرجتها من تلك
السوائل ونظرت اليها (بالمكروسكوب) ومنجت معها قليلاً من النترات الملونة لرأيتها بعينيك تصنع ماصغته
الكائنات المذكورة في أساليب غذائها وهضمها على السواء . هذه الكائنات ذات الخلية الواحدة التي تعيش
في سوائل الجسم هي التي نطلق عليها اسم السكرات البيضاء وهي كانت معروفة قبل عصر باستور ، أما في عصر
باستور فقد ظهر بفضل فكره الواسع وعبقريته الممتازة مدهش له العالم طراً ، ذلك أن قد ظهر لنا عالم خفي
كنا نجهله هو عالم الميكروبات وبرهن لنا على أن هذا العالم الخفي علة جميع الحيات المعدية وأن عوارض هذه
الحيات لم تكن إلا نتيجة تسمم الجسم متى تسلمت هذه الميكروبات من الخارج الى داخل الجسم ، ثم أتى لنا
بعده ليسترد برهن على أن تقيح الجروح نتيجة تسلط هذه الميكروبات على الجروح ، وأن هذا التقيح هو
انحلال الخلايا الناتج عن فتك هذه الميكروبات بها (انظر شكل ٤٠ في الصفحة التالية)
ثم أتى بعدهما (كوين هايم) وبرهن على أن في كل موضع ملتهب من الجسم سواء كان نتيجة ميكروبات
أو صدمة فإن الورم الذي يطرأ عليه يكون عبارة عن تراكم السكرات البيضاء بكميات كثيرة نخترق الأوعية
الشعرية وتتصل الى ذلك الموضع الملتهب ومنه ينشأ الورم ، ثم أتى بعدهم (ميتشنيكوف) وأرانا بأعيننا أن
الغاية من تراكم السكرات البيضاء وخروجها من الأوعية الشعرية وذهابها الى المواضع الملتهبة هو الدفاع عن
الخلايا ومقاتلة الميكروبات الطارئة الضارة بها والتغلب عليها بأكلها وهضمها وأكل سموها وأكل الخلايا التي
فسدت بسبب فتك الميكروبات بها . كل ذلك رأيناه بأعيننا وتأكدنا من عمل هذه السكرات البيضاء
الضرورية للحياة ولذلك سميت بالخلايا الأكالة أي (الفاجوسيت)
هذه المدهشات عامة واكتشفت أسرارها وأسرار وظائفها وهي مع ذلك خلية واحدة للجسم الانساني ،
فكم لله في باقي صنعه من أسرار لازال امرها غائباً مجهولاً من الانسان

(أخذت هذه الكرات البيضاء وهي تزود الميكروبات)



(شكل ٤٠)

تتغذى الكرات البيضاء بكمزوب الانزيمات

- (أ) تتغذى الكرات البيضاء بكمزوب الدم
- (ب) تتغذى الكرات البيضاء بكمزوب السرة بكمزوب
- (ج) تتغذى الكرات البيضاء بكمزوب الحويصلات
- (د) تتغذى الكرات البيضاء بكمزوب الكوليستيرول

﴿ بهجة الجوهرة في هذه الآية - وهو الذي خلق من الماء بشرا - الخ وأن المصلي رجع في الركوع والسجود من الحق الى الخلق، والفيلسوف رجع من الخلق الى الحق ﴾
تباركت يا الله، جعلت الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا كما في آية (الحجرات) وجعلتهم - نسبا وصبرا - كما هنا فنرى قبائل ودولا في القارات الأرضية شرقا وغربا، وترى أسرات وجاعات بينهم علاقات واشتراك يسكنون قرية واحدة، ثم نرى جسم الانسان وحده فيه أنواع الحواس وهي خمس قد قسمت عليها العوالم التي تتركها فالعين المناظر وهي عشر وللأذن المسموعات وهكذا. وفيه أيضا أعضاء مختلفة لكل عضو منفعة خاصة كاختلاف منافع الحواس. كل هذا يذكره المصلون في صلواتهم وأكثرهم ساهون، فيقول الراكي ﴿ خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين ﴾ ويقول الساجد ﴿ سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشفق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين ﴾

فهاهنا ذا الراكع يذكر جماعات الحواس المتضامات من السمع والبصر ومثله الساجد ثم كل منهما يذكر جماعات الأعضاء المتضامات من العظم والعصب والمخ . فياسهات الله . جماعات في الأمم بجماعات المدن بجماعات الحواس في الجسم بجماعات أعضاء الجسم داخلا وخارجا وكلها راجعات لنظام وحدة كلية . فالأهم تكون أهل الأرض جميعا والأسرات تكون البلدة الواحدة والحواس والأعضاء تكون الجسم الواحد ؟ وم تكون هؤلاء كلهم ؟ تكونوا من الماء المذكور في هذه الآية والقاعدة في الجميع واحدة . فهل لك أن أسمعك الآن ماهو بعد مدى وأقرب هدى . انظر كيف كانت نفس أجسامنا مركبات من خلايا وهذه الخلايا جماعات بينها اشتراك كاشتراك الدول وأهل القرية والأسرة والحواس والأعضاء في الجسم الواحد . فهناك ما جاء في بعض المجلات العلمية

(حياة الخلية)

كان الفضل في اكتشاف الخلية أو وحدة تركيب الأنسجة في جسم كل كائن حتى لاخترع النظارات المكبرة وأذهان العلماء المشتغلين بها مثل (شوان) و (شليدن) و (فيرشو) وقد أوجد هذا الاكتشاف ما يسمى بنظرية الخلية وهي تلخص في أن كل كائن حتى بدأ حياته نخلية مفردة لأن قسما من الخلايا المفردة لم ينفع بحالته الوضيعة وصارت كل خلية تبني لنفسها جسما كبيرا باقتسام الخلايا التي تناسل منها واستمرت هذه الكائنات الكثيرة الخلايا في تقدمها حتى استطاعت لكثرة ما فيها من الخلايا أن تقسمها أقساما وتجعل لكل قسم عمله الخاص ومن هنا نشأت الأعضاء والأجهزة المختلفة التي نراها في جسم الحيوان أو في تركيب النبات

(الوجود التضامني)

ولما اجتمعت الخلايا وكونت جسما واحدا ووزعت الأعمال المختلفة على كل طائفة منها صارت حياة الكائن المشتمل هي عبارة عن مجموع قواها الحيوية ومع ذلك فلكل خلية حياتها الخاصة . ويقول العالم السرلانكستر (يمكن أن نعتبر الحيوانات والنباتات العديدة التي بنيت أجسامها من خلايا كثيرة كائنات حية مركبة وأن خلايا كل جسم حتى مثل السكان في مدينة لسكل جماعة عملها ولكل فرد كفايته . وأن الغاية من أعمال هذه الجماعات وتضامنها هو تحقيق غرضها المشترك وهو الحياة للحيوان أو النبات التي توجد فيه)

(أساس الحياة)

ويعد الهيبولي أو المادة الأولى (البروتوبلاسم) أساس الحياة الطبيعية وهي المادة التي تحيا بها أجسامنا والتي ترتكز عليها حياة الخلية فان أول شيء يتكون في أي حيوان هو الهيبولي ثم الخلية والخلية تتولد منها خلايا وهكذا الى أن تتكون جميع أعضاء الجسم ويتم بناء هذا الكائن الحي

(من أين تولد الخلية)

لاتولد الخلايا الحية إلا من خلايا حية سبقتها في الوجود وباتصال الذكور بالاماث . وقد حاول كثير من العلماء اثبات التولد الذاتي أو تكون الكائن الحي بنفسه فأخفقوا في إيجاد أقل الكائنات في التركيب انتهى هذا ثم انظر ماذا كره (السيرأوليفرلودج) وهناك ما ورد في نفس المجلة بنصه

(الجسم والروح)

يقول (السيرأوليفرلودج) رئيس المجمع العلمي البريطاني (انه لمن أغرب الامور أن تكون أجسامنا قادرة على تكوين أناس مماثلا كله من مواد الغذاء فان نفس هذه المواد الغذائية كان من الممكن أن تصير دجاجا أو كلابا ولم يفعل ما قامت به من المعجزات المدهشة إلا ما فيها من العوامل الحيوية ذات المزايا الخاصة التي حتمت أن يصير هذا انسانا ولم يجعله قردا مثلا بل جعلته انسانا بشكل خاص يتقيد فيه بعدة عوامل وراثية أو خلفها ترجع الى آبيه أو أمته أو أسلافه . أما الأجسام فبلى وترجع التراب الى التراب كما قالت الكتب المقدسة . أما

تلك العوامل التي قامت بالمعجزة فانها تبقى في كائن لطيف لم يدرك العلم حقيقته ولكنه لا يستطيع أن ينكر وجوده وأثره وهو الروح ﴿ انتهى

هذا كلام (السراويلفلودج) ولعمري ما هذا إلا معنى تسبيح المصلي في سجوده وركوعه وثنائه على ربه . يسبح المصلي في الركوع والسجود أى ينزه ربه عن الحوادث والأجسام ثم يذكر نعمة السمع والبصر وأعضاء الجسم وهذا معنى ﴿ سبحان الله وبحمده ﴾ فهنا تنزيه عن الحوادث مع خلقها منه والحد عليها منا نحن فالسراويلفلودج يقول إن هذه الروح هي التي دبرت هذا الجسم وخصصته بكونه انسانا مثلا فأرجع الأجسام والحواس الى الروح والروح ليس يقتدر العلم على معرفتها ولا على انكارها فهي إذن - من أمر ربى - فالعالم ﴿ قسمان ﴾ عالم الخلق وعالم الأمر والأول هو المذكور من أعضاء الجسم والثانى هو الروح والله خالق وهومنزّه عن الحوادث وعن ملاسة الأجسام . فالسر (أوليفرلودج) سار بكلامه من الخلق الى الحق بعقله هو لا بدينه أى ان الفلاسفة يشبهون بعد مشاهدة المادة الى خالقها . إن هذا هو الذى جرى عند أعظم حكماء هذه الذكرة الأرضية . واعلم رعاك الله أن فلاسفة اليونان ابتدؤا نظرهم على هذا النمط فقام (تاليس) قبل الميلاد بخمسمائة سنة فقال ﴿ إن هذا العالم أصله الماء ومنه اشتق ما هو أثقل منه وهو الأرض وما هو أخف منه وهو الهواء ﴾ ثم قام (أنكسيبانيس) بعده فقال ﴿ كلا بل الأصل هو الهواء ﴾ وفعل به ما فعل (تاليس) بالماء ثم قام بعدهما (ديموقراطيس) فقال ﴿ ويحك كيف حصرتما العالم فى عنصر واحد . كلا . بل الأصل هو الجزء الذى لا يتجزأ فاذا قام من قبلى واستغنى عن صانع العالم بعنصر فأنا استغنى عنه بهذه الأجزاء التى لا تتجزأ إذن العالم هو كئنا من الأزل الى الأبد ﴾

هناك حار اليونانيون وظهر فيهم (السوفسطائية) الذين ينكرون الحقائق وقام بعدهم (فيثاغورس) وهو يونانى فنظار فرأى هذا العالم فيه نظام وإبداع وحساب وحكمة فقال ﴿ كلا إن أصل العالم أرقى من المادة فليكن هو العدد لأن كل شئ له نظام محدود ﴾ ثم قام الفيلسوف (أينوقليدس) فقال ﴿ إن هناك محبة وعداوة فالأولى تجمع والثانية تفرق وما العالم إلا جمع وتفرق ﴾ فقام بعده فى القرن الرابع قبل الميلاد (أنكساغورس) وقال ﴿ كلا هذا لا يكفينى إن هذا العالم له عقل صنعه فهذا العقل فعل مع المادة ما صنعه الذى يدير الساعة فهو أولا نظمها فدارت ثم تركها فهي تجرى أبدا وأمدا لأن هذا النظام لا يكون بلا عقل ﴾ ثم قام بعده سقراط فقال ﴿ هذا رأى أبتره . إن الآلة لا تصنع من نفسها فلا بد لها من مدير يديرها ويلاحظها أبدا . إذن الذى صنع هذا العالم هو الذى يعلمه وهو معه دائما يديره ويحكم صنعه ولا يتركه والا لقد تم جاء أفلاطون وقرّر هذه النظرية بشكل أتم وأبهى وأبهر . ثم قام (أرسطاطاليس) فأبد الذين قبله والى هنا انتهى علم جميع الأمم شرقا وغربا

إذا عرفت هذا أيها الذكى فاعلم انك قد ظفرت بكى لم يحرزها سواك . ومتى عرفت هذا وحفظته وعقلته فاعرض على هذا الجدول عقول أجياء أمتك الذين تعيش معهم فستسمع أحدهم يقول انى لا أصدق إلا بالمحسوسات فاعلم أن هذا المسكين لم يزل طفلا أشبه بما قاله (تاليس) أو (ديموقراطيس) وإذا سمعته يقول إن أصله وهل الله محتاج الى صلاتى فاعلم أن هذا لا يصدق بأن الله محيط بالكائنات فهو أشبه أنكساغورس فقل لأبناء الشرق إن العلامة (السينسر) الفيلسوف الانجليزى ومثله (ستلانه التليانى) يقولان بأعلى صوتهما وعلى مسمع من أوروبا قاطبة اننا لم نصل فى هذا العالم (أى فيها هو المقصود من الفلسفة وهى هذه المباحث) الى (سقراط) و(أفلاطون) . كلا . ويقولان ان جميع فلاسفة أوروبا لم يزدوا على ما ذكر فيما كتبناه هنا وغاية الأمر ان أحدهم يخترق قول (تاليس) مثلا أو قول (ديموقراطيس) والفلسفة فى طفوليتها فيعلمه ثم يقوم آخر ويختار مذهب (سقراط) فيعلمه . إذن من درس هذه الفرائد التى ذكرتها هنا فقد حفظ أمهات المذاهب

التي اليها ترجع جميع أقوال علماء أوروبا في العصر الحاضر وأقوال المقلدين لهم من المتعلمين نصف تعليم في بلاد الشرق فهو لاء وهو لاء مقلدون ولكن المسلم في صلاته قد جمع خلاصة المذاهب واتباع أعلاها فقال ﴿ سبحان ربّي العظيم ﴾ وذكر الأعضاء والحواس وما تحتها من الخلایا التي دخلت ضمنها فهي كلها مجموعات مشتركات في حياة الفرد كله الذي جمعه الروح التي صارت أقرب الى ربها المنزه عن المادّة . وهذا آخر ما انتهت اليه الفلسفة وذلك بسقراط وأفلاطون الى آخره . فالفلاسفة ساروا من الخلق الى الحق والمصلّي المسلم سار من الحق الى الخلق في الركوع والسجود وهذا في الفائحة والشهادة إذ يحمّد الله ويقول إن التحيات له ثم هو بعد ذلك يطلب منه الهداية والاستعانة الخ ويطالب منه الصلاة والسلام على النفوس العالية والصالحين . وإذا قال المصلّي في سجوده تبارك الله أحسن الخالقين بعد ذكر أعضاء جسمه وحواسه فذلك مقابل لما في الآية هنا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - فهذا الفعل وتلك البركة كما اجتمعت فيها الشمس التي لا يعرف عددها فصارت عالما منتظما هكذا بها انتظمت أعضاء الانسان والخلایا التي لا يعرف عددها وهن مشتركات في نظام الجسم الانساني وحياته فكما أن الانسان حيوان صغير هكذا العالم كله حيوان كبير وهذا كله يشير له قول المصلّي في سجوده ﴿ سجد وجهي للخالق ﴾ وهذا العالم الصغير يجتدي حتى يرجع الى ربه فيصير روحا طاهرة وهذا سرّ قوله تعالى - واسجدوا اقرب -

هذا معنى كون الاسلام دين الفطرة ومعنى قوله تعالى - وأن الى ربك المنتهى - فاليه انتهى مباحث الفلاسفة وهناك وقف نظرهم وصار جميع الباحثين يأخذ كل منهم من سلسلة المباحث ما يوافق عقله بقدر طاقته وسأني ايضاح هذا المقام في (سورة النمل) في آخرها إن شاء الله تعالى والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس (٧) فبراير سنة ١٩٢٩

﴿ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا -

الى قوله - أو أراد شكورا - ﴾

تباركت بالله وتعاليت أبدعت نجوما وشموسا وتلايلات في سمائك وانتشرت في أقطارها جيلات منيرات مشرقات . أبدعتها بالحكمة وزينتها بالجمال وقلت لها امائي أقطار السموات وأفيضى نورا على المخالقات لتبهج بك القلوب ولتعشقك العقول ولتفرح بك النفوس . أيتها النجوم وأيتها الشمس أنتن بهجة عبادي مقسمات الزمن معطيات الضياء منميات الزرع مكثرات الضرع أنتن بأمرى مجريات الرياح الحاملات السحاب بضوئكن وحرارتكن نما النبات واتعش الحيوان وبكن غنت القمارى على أعوادها والفواخت في دوحاتها وراحت الحشرات المغنيات وغدت تجمع العسل وتلقح النبات كل صباح وكل مساء . وبنظام سيركن انتظم لعبادى علم الحساب بأنواعه فعرفوا السنين والشهور والدهور وبهجتكن انطلقت ألسنة الشعراء فتفننوا في وصفكن بأفانين القول وبدائع الحكم وروائع الفنون . ففیکن يقول الشاعر

كأن سبيلا في مطالع أفقه * مفارق إلف لم يجد بعده إلفا

كأن بنى نعش ونعشا مطافل * بوجرة قد أضلن في مهممة خسفا

كأن سهاها عاشق بين عود * فآونة يبدو وآونة يخفى

كأن قدامى النسر والنسر واقع * قصصن فلم تسم الخوافى له ضعفا

سقتها الذراع الضيغمية جهدها * فما أغفلت من بطنها قيدا صبع

بها ركز الرمح السماك وقطعت * عرى الفراغ في مبكى الثريا بأدمع

وبسبطا المريح وهو كأنه * الى القور نار القابس المتسرع

وتبسم الأشراف فجرا كأنها * ثلاث حمامات سدكن بموضع

وتعرض ذات العرش بأسطة لها * الى الغرب في تفويرها يد أقطع
(من سقط الزند للعمرى)

وكم تغزل فيك عبادى الشعراء ، فأنت نبراس الخيال لشعراء عبادى كما أنك نبراس العقول والحكم المستودعات فى قوى الحكماء والفلاسفة الفكرية إذ يحسبون سيرك ويعقلون بعض سيرك وهم بك فرحون إذن أنت مسرح القوتين الخيالية والفكرية ومناط العالمين عالم شعر الشعراء وعالم حكمة الحكماء . ولقد جعلتك زينة للناظرين وأغيت بمركب الصادرين والواردين ، ومنحتك الجلال بهجة للعالمين ، زينتك أعلى زينة وأبهج حلية وأعلى منار ولم يقتصر التفنن فى محاسنك على شعر الشعراء وحساب الحكماء بل تعدى ذلك الى غيرهم من سائر الخلق فقد أنزلوك منازل حيواناتهم التى ألفوها ودواجنهم التى ربوها ليقربوك من متناولهم حتى كأنك بين ظهرانيهم مألوفة لهم

(١) فهام أولاء عبادى الآريون سكان الهند صوّروا جميعك بصور حيوانات يعرفونها وذلك فى كرتهم المصوّرة قبل المسيح بنسمة قرون لجعلوك بجعة ووزين وشجرة كبيرة فيها كلب وصورة زنجى ضخم الجنة وامرأة مغطاة بوشاح

(٢) وهام أولاء عبادى العرب سموا بعضك باسم بنات نعش الصغرى والفرقدى والجدى وبنات نعش الكبرى والقائد والعناق والجون والسها والهلبة والحوض والظباء الخ

(٣) وهام أولاء الصينيون قد سموا أكثر من ثلثمائة اسم ذكروا فيها أسماء كثير من عظمائهم (٤) ولقد تمادى العرب عبادى فى الخيال وأخفوا يقولون أنك الراعى وكلب الراعى والشاة والأغنام والضباع والكف الخضيب وسنام الناقة والحباء والعز والجديان وممسك الاعنة والحية والدلو والحل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وسموا هذه الاثني عشر بروجا

(٥) وهام أولاء عبادى أهل (سكندنيا) قد سموك بالكلب والمركبة وبالمغزل (٦) وكذلك عبادى فى الأفطار الشمالية (الاسكيمو) سموك (صائد القط) والقط حيوان بحرى عندهم فهام أولاء عبادى اتفقوا فى مشارق الأرض ومغاربها على تسميتك أيتها النجوم بما لديهم من الصور المألوفة الحية وغير الحية ليستزلك من سمائك الى المعانى القريبة من متناولهم استئناسا بك وفرحا بمركبك وأنسا بمشاهدتك . أيتها النجوم وبأيتها الشمس أنتن جال وأى جبال . أنتن أنس وأى أنس . أنتن مثيرات العشق والغرام . أنتن المنعشات لحب العلوم . أنتن المضمرات نار الشوق للقائى ومثيرات نيران الحب لجمال أنتن عنوان جلالى وجمالى . أنتن حلية عوالمى . أنتن العرائس المصطفيات لأحبائى من عبادى وما العرائس المزينات المجلوات فى الأرض إلا نموذج لزينة كنى وجال كنى حتى اذا فرحوا بأقل الجبالين طمعوا فى أكلهما بهاء وأبهامهما حسنا ولألاء

(٧) ولقد تعلم عبادى الذين يطربون الناس بالنغمات دولابى الغناء والألحان من نظام مسيرك وهكذا الشعراء فهؤلاء وهؤلاء استمتموا الحساب ونظامه من حسابك فأصبحوا لا يفرقون بين حساب الأبيات الشعرية والأوزان الغنائية والحركات الفلكية (انظر هذا فى سورة يوسف عند قوله تعالى - وقطعن أيديهن - وفى مواضع أخرى من هذا التفسير مثل ما تقدم فى سورة الرعد عند قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار -)

أيتها النجوم . أيتها الشمس . أيتها الأقمار . أنت اللاتى هام بك القدماء والمحدثون من مخلوقاتى حتى دخلت فى العبادات وصوّرت على صناديق بعض الأموات وأزلتك فى القرآن فقلت - تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا - انتهى صباح يوم الاثنين ٢٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

هذه المقالة جاشت في صدرى في هذا التاريخ . ولقد تقدم في هذا التفسير أن قدماء المصريين أغرموا
بجمال الكواكب وهاموا بها هياما شديدا وأولعوا بها وأحبا الله حبا جادا وجعلوها رمزا للحكمة وصلة بينهم
وبينه ونحن معاشر المسلمين أمرنا بالنظر فيها لدعونا للشوق الى مبدعها الحكيم وخالقها العظيم ولكن قدماؤنا
المصريون جعلوها معبودهم وهذا المعبود يوصلهم لربهم لأن الرب أجل من أن يذكر على اللسان بل الذى
يذكر انما هم مخلوقاته ولذلك تنوعت الآلهة وكثرت الأصنام احتراماً لمقام الالهية . أما الاسلام فقد قوض
هذه الأركان وهدم الأوثان وقال أيها الناس اعبدوا ربكم فليس تعظيمه بالاشراك ولا تقديسه واحترامه بعبادة
الأوثان بل هو المعبود قولاً وفعلاً والمذكور سرا وعلا . ولقد ترى في تفسير (سورة يونس) صورة منطقة
البروج وحولها الكواكب المعروفة عند قدماء المصريين قد كشفوها مرسومة على صندوق أحد العظماء
فالكواكب معظمات عندهم في حياتهم وبعدهم . ومن ذلك ما ذكرته لك هناك من أن الهرم الذى تراه
مرسوماً هناك مشروحا مذكورا سببه قد بنى بحذاء كوكب الشعرى المعبود المعظم عند القوم وقد كانوا يجعلون
صورة الهرم مع الميث تيمنا بكوكب الشعرى الذى بنى الهرم بحذاءه . وإذا مات الميت وجهوا وجهه الى جهة
الهرم المرموق بنظر ذلك الكوكب . هذا ما عثر الباحثون والكاشفون عليه في خبايا الأرض وأحافيرها
وطواميرها ونواويسها بالبلاد المصرية في داخل الأجدات . ولقد عثروا على غرام الأحياء بالكواكب في
البلاد المصرية فوجدوا حبها متمكنا في القلوب بحيث امتزج بالدم والعمل والدين (انظر ما تقدم في سورة
يونس) فانك ترى في أولها هناك حساب الهرم وانه بنى على سير الشمس وعلى مقتضى دائرتها السنوية وأن
محيط الهرم منسوب لمحيط مدار الأرض حول الشمس وارتفاع الهرم منسوب لبعده الأرض عن الشمس حتى
إذا هدم الهرم أمكن أن تعرف مقاييسا من نفس مدار الشمس . وترى هناك مقاييس مصر كالذراع البلدى
ومكاييلها كالأردب وموازينها كالرطل كلها مستخرجات من مساحة الهرم المبينة على مدار الشمس وعلى بعدها
عن الأرض فارجع اليه إن شئت تجد الحب الجباب . وهما أزيدك تبيانا جيلا بما قرأته في كتاب مترجم
حديثا ترجمه أحد القائمين بالمتحف المصرى فاثرت نقل ما يناسب المقام منه لتعجب من جلال الله الذى أشرق على
الكواكب الراقصات في جوار السماء فأرقصت أهل الأرض وهاموا بالجلال والبهاء وجعلوه عبادة لله وإن كان
هذا لا يوافق ديننا لأنه أشرف الأديان ولأن الله يقول لنبينا - لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينافى ذلك في
الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم - فهناك ما نقلته من ذلك الكتاب تحت عنوان (الرقص
وأناؤه وأوصافه) نروىها للنفس وتنويعا للدروس وتشويقا للعلوم والحكمة وفهما لقوله تعالى - إنا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب - وقوله تعالى - وزيناها للنظرين - وهما هذا

الرقص وأناؤه وأوصافه

(عند قدماء المصريين)

قال مونسترية « كان قدماء المصريين يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيّلون
الهيكال كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلا لمنطقة البروج أى كاندور الكواكب والنجوم والسيارات
حول الشمس دورتها اليومية والسنوية » وقال لوسيان « كانت حركات الرقص عند قدماء المصريين تشبه
في السرعة اتحدار الماء وتماوج طيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود وترنح الغصون فهو
أبدع ما يكون »

قد دلت الآثار المصرية التى يرجع تاريخها الى (٥٠٠٠) سنة على أن المصريين هم أقدم الشعوب مدنية
وأوسعهم حضارة وقد توسعوا في المدينة وفنونها حتى أتقنوا فن الرقص وأحكموا قواعده . وما هو جدير

بالذكرانهم لم يتخذوا الرقص للخلاعة والملاهي كآزاه الآن بل كان عند خدمة للشعائر الدينية ونموذجاً للحركات الفلكية وتمثيلاً للأفهام الموسيقية . وكانوا يقصدون من الرقص جلة فوائد دينية ودينية . أما الدينية فهو ما كانوا يتقربون به حول الهياكل والمعابد فقد قال كسنيسل بلاذ **﴿ إن تمجيد الخالق عند قدماء المصريين أداهم إلى إنشاء الأناشيد المقدسة وأحداث الرقص أظهاراً لسرورهم وأفراحهم وقياماً بشكر النعم وتمثيلاً للعبودية والخضوع لمقام الربوبية حتى اعتبر قدماء الشعوب أن الرقص جزء جوهري من دياناتهم ولم يكن ذلك قاصراً على المؤمنين منهم بل الطبيعيون أنفسهم وهم الذين يعتقدون أن الألوهية منحصرة في نظام الطبيعة . كانوا يرون أن مجموعة الأناشيد وأنواع الرقص بمثابة لاعمال الكمال في ذلك النظام وكفيلة باحترام الطبيعة ومجدها ﴾** ومن الجيب أن قدماء المصريين بلغ احترامهم الرقص عندهم لدرجة أن اعتقدوا أنه من ضمن التعليم المنزلة فقد قال ديودور الصقلي المؤرخ اليوناني المولود في القرن الأول ق.م أن أسوريس (وهو المعبود العظيم) كان يحترم توت (هرمس) ويحمله نظير ماسرعه وبثه في الهيئة الاجتماعية من علوم الفلك والموسيقى والرقص والألعاب الرياضية وغيرها من الفنون التي بلغت عندهم درجة الكمال وسبقوا بها الأمم في مدارج الرفعة وسعادة الحياة **﴿ قال مونسترليه في كتابه الذي وضعه سنة ١٦٨٣ وسماه ﴿ الرقص القديم والحديث ﴾ مانصه**

« إن الرقص عند قدماء المصريين كان يمثل الحركات السماوية على نموذج الألحان الموسيقية وكانوا يرقصون حول الهياكل والمعابد على شكل دائرة ويتخيلون الهيكل كالشمس في كبد السماء فيدورون حوله تمثيلاً لمنطقة البروج أي كما تدور الكواكب والنجوم والسيارات حول الشمس دورتها اليومية والسبوعية » ولم نعتز في النصوص المصرية القديمة على تفصيلات هذا الرقص الديني القديم حول الهياكل وغاية ما قاله لوسيان المولود في القرن الثاني للمسيح في بلدة ساموزات التابعة لسوريا القديمة **« إن مجموعة الكواكب ودائرة النجوم والسيارات هي محور لهذا الرقص الفلكي »** والرسوم المنقوشة في المعابد والهياكل لم تدل على أي بيان لهذا الرقص الفلكي وقد كان له قوانين محترمة كغيره من الفنون . أما (أفلاطون) فقد وصفه وصفا مبهما حيث نقل عن قدماء المصريين أنه كان من واجب الشبيبة المصرية أن لا تخرن إلا على الرسوم والألحان البالغة حد الكمال لذلك كانوا يختارون نماذج مخصوصة للرقص ويحدثونها ويضعونها في الهياكل والمعابد وكان محذورا على النقاشين والرسامين الذين يحضرون هذه المشاهد أن ينقلوا شيئاً عنها أو يمثلوها في الخارج حذراً بأنهم يقتضي نصوص قوانين البلاد وقد قدسوا كل أنواع الرقص والأغاني

قال (مينار) في كتابه الذي سماه **﴿ تاريخ الشعوب الشرقية ﴾** إن المصريين القدماء كانوا أكثر الأمم تديناً وكانت أكبر اجتماعاتهم الدينية محافل طرب لميلاد إلههم وعودته أو مجامع طرب وبكاء لموته وكانت هذه الاحتفالات تشمل على أنواع من الأناشيد المقدسة وأشكال من الرقص الديني

ونقل أيضاً لوسيان أن الرقص والفناء كانا مقتسين عند قدماء المصريين ومن لوازم الاحتفالات الدينية وذكر (هيردوت) أن المصريين هم أول الشعوب الذين وضعوا الاحتفالات الدينية ومنهم أخذ اليونان جميع عاداتهم وتقاليدهم . وكان عند المصريين أعياد كثيرة في كل سنة لأنهم كانوا يجعلون لكل معبود عبداً خاصاً به . وكانوا عند ما ينهبون إلى مدينة (بوسط) للاحتفال بعيد المعبودة (ديان) يركبون السفن في النيل والنساء يلعبن فيها بالنساجات والرجال يضربون بالناي مدة السفر ويفنون ويصفقون وكلما رست السفينة على شاطئ يجتدون حفلة راقصة . وقد وصف (ابليه) الروائي الروماني المولود في القرن الثاني للميلاد حفلة عيد من أعياد المعبودة (اسبس) فقال **« كان النساء في ذلك اليوم يلبسن الثياب البيضاء ويضعن على رؤسهن أكاليل الزهور تلوح على وجوههن علامات البهجة والسرور ويفرشن الطرق التي يمر منها المحفل المقدس بأنواع الورد والرياحين وينشدن نغمات لذبة ويضربن بالناي ويلبهن كوكبة من أعظم المصريين لابسين الملابس**

البيضاء القيمة و يترغون بالأناشيد المقدسة ثم يأتي بعدهم جاعات من الرجال والنساء من كل الطبقات المتأهلة للأسرار الإلهية لابسين حللا باهرة من الكتان الأبيض وكان النساء يضعن على رؤسهن الأعطرة المنسوجات الشفافة وكانت رؤس الرجال محلوقة ويضربون على الأعواد التي يتخذونها من النحاس والفضة والذهب بتوقيعات مطربة منعنة . وكانت الأمة كلها تشارك في عيد الجبل (أييس) لإحياء مراسمه وأعظما له واجلالا لمقامه . ومن عجيب ما اتفق أن (كميز) ملك الجهم رجع منهزما من حربه مع إحدى الممالك فدخل مصر في عودته فصادف دخوله يوم احتفال المصريين بعيد ظهور الجبل (أييس) وهم لابسون الخمر الحلل وقائمون بمظاهر الأفراح لهذا العيد وكان كميز قد دخل مصر قبل هذه المرة فلم ير من المصريين مثل هذا الاحتفال فظن أنهم يشمتون فيه وأن هذه الولائم والمخاض أقاموها فرحاً بخذلانه وتشقيا في انهزامه في الحرب فاستعصر رؤساء مدينة (منفيس) وسألهم لماذا يقيم المصريون الآن معالم الأفراح والزينات عند ما فقدت جنودى في ساحة القتال ورجعت بالفشل ولم أر ذلك منهم يوم دخلت (منفيس) أول مرة منتصرا فأجابوه أن هذا اليوم صادف ظهور الجبل (أييس) معبودهم فأقاموا له الأفراح ومظاهر الأعياد فلم يصدقهم وأصر على اعتقاده أن ذلك شامة به وأعلن غضبه على المصريين وأذاقهم أنواع النكال والعذاب

قال (دى كاهوداك) في كتابه الذى وضعه سنة ١٧٥٤ وسماه (الرقص القديم والحديث) ما نصه « إن الرقص عند قدماء المصريين كان أمرا جوهريا في الدين وقد تفتنوا فيه حتى اخترعوا رقصا خاصا لعيد معبودهم الجبل (أييس) وذلك أنهم كانوا إذا مات الجبل أخذوا يبحثون عن عجل غيره مستوف للشروط والتعليمات الخاصة له حتى إذا وجدوه فرح به السكينة وخصصوا لخدمته جهورا من السيدات مدة أربعين يوما ثم يضعونه في قارب ويذهبون به إلى الهيكل بمدينة (منفيس) مصحوبا بالسكينة وسراة القوم وجواهر عظيمة من طبقات الشعب ويستعملون لهذا الاحتفال ألف آلة موسيقية يوقعون عليها بمختلفات الأنغام وبدائع الألحان ثم يختمون الاحتفال بأنواع الرقص المدهنة . وكان إذا مات (الجبل) أييس هذا ألقاه السكينة في النيل ثم أخرجه منه وحفظوه ودفنوه بكل الاجلال والاكرام ورقصوا الرقص الجنائزى على شواطئ النيل وفي المقابر والطرق وعم الأسف والحزن الشعب أجمعه ومتى ظهر لهم عجل آخر تبدلت الأتراح أفراحا وانقلبت المآتم مواسم وأقاموا الأعياد والولائم وأنواع الرقص مدة سبعة أيام . ثم توسعوا في حفلات الرقص حتى اتخذوها شعارا الجنائزهم فقدموا على رسم راقصات لابسات ثيابا صفراء ومنهن ثلاث واقفات يضربن الطبول وثلاث آخرى رنن الميت . ويوجد في مقابر (طبيه) منظر جميل يمثل حفلة مأتم الأمير (حور محب) وفيها امرأتان تقفان لليت أواني معدنية مملوءة زهورا وعطرا وثلاث نسوة آخرى رقصن ويضربن آلات موسيقية

ويوجد أيضا رسم لرميوس يمثل النساء راقصات ضاربات على الطبول حدادا على الميت بينما الرجال بأيديهم عصي من الخيزران يضربونها في الهواء جملة العيين واليسار ليتردوا الأرواح النجسة في زعمهم . واشتهر الرقص عندهم أيضا في الحروب ونقله الأثيوبيون وقد وصفه (لوسيان) فقال (كان الأثيوبيون إذا أرادوا الحرب يرقصون أولا في ميدان القتال ولا يصوبون رماحهم إلى الأعداء قبل أن يرقصوا ويظهروا حركات حامية يهتدون بها الأعداء . ثم ازدادوا توسعا في الموضوع فاخترعوا الرقص الحديث الذى عرف بالرقص العائلى الذى أخذ عنهم جميع الشعوب القديمة والحديثة) وقال ديودور الصقلى (أنه لما ذهب اسوريس إلى اثيوبيا كان يصحبه تسع بنات يعرفن كل الفنون وأنواع الغناء والرقص وهن اللاتي نشرن هناك هذه الفنون الجيلة

(صفة الرقص)

قال (بارون) في كتاب الرقص (إن الآثار المصرية القديمة تمثل أنواع الرقص العائلى . ولاحظ أخيرا روسيليني سنة ١٨٣٤ أن حركات الراقصات المصريات في الزمن القديم أكثر شبيها بحركات الرقص في عصره

وكان الرقص عندهم على (نوعين * النوع الأول) يكون بحركات القدمين والذراعين (والنوع الثاني) بحركات كل أعضاء الجسم * قال لوسيان (إن الرقص عند قدماء المصريين كانت حركاته تشبه في السرعة انحدار الماء وتماوج طيب النار في الهواء وخيلاء الاسود وغضب الفهود (١) وترنج الفصون فهو أبداع ما يكون) ويوجد بالمتحف المصري تحت نمرة ٢٣٣٣ بالدور الأسفل حجرا كتشف في أحد قبور الأسرة الخامسة يمثل حفلة راقصة وفي أسفله ترى امرأتين تصفقان وأمامهما الراقصات يتمايلن على إيقاع التصفيق وفي أعلاه ترى رجلا يضرب آلة شبيهة بالعود وآخرين ينفخون في البزاج المثقب (الناي) وبجانبيهم المغنون المطربون وقد وضع أحدهم يده على وجنته ليتمكن من ضبط صوته ورفع آخرون أيديهم ليحسنوا الإيقاع ويرشدوا الموقمين كما هي العادة المتبعة اليوم . وكانت الموسيقى تتبع دائما الرقص وأهم آلات الطرب عندهم الطبلية والقثارة والربابة والعود والصنج والناي والأجرسة وغيرها ومحفوظ منها نموذج بعرفة من الدور الأعلى بالمتحف المصري

وكانت أبواب الراقصات تصل إلى أقدامهن مع اتساع الأبدان وهي من الشفاف الذي تظهر منه هيئة الأعضاء وحركاتها . قال (لافاج) في كتابه الذي وضعه سنة ١٨٤٤ وسماه (الرقص القديم والحديث) « أن الرقص عند قدماء المصريين كان على (نوعين * النوع الأول) مجرد حركات بسيطة (والنوع الثاني) تمارين رياضية يتمايل الجسم فيها إلى كل جانب بينما تخطو القدمان بسرعة بعض خطوات قليلة مع مد اليدين وتحريكهما يمنة ويسرة ومن هذا أخذ المتأخرون الرقص الحديث وتفننوا فيه في كل زمان ومكان قد رأينا في قبر (تي) رسما يمثل امرأة ترقص على الطراز الحديث ونحذها الأيمن معتد على أطراف قدميها وذراعاها فوق رأسها وكانت حفلات الرقص تجعل عادة ختاما للولائم والأفراح والرسوم الموجودة في المتحف المصري ومقابر (سقارة) و (بنى حسن) و (طيبة) تبرهن على أن الرقص قديم جدا وأنه باق على حاله لم يتغير منه شيء منذ (٥٠٠٠) سنة وأنه كان معتبرا عندهم علما وفناله قواعد أساسية لا تتغير ولا تزال معالها محفوظة إلى اليوم عند جميع الشعوب الشرقية والغربية انتهى

وانما قلت لك هذا أيها الذكي لتتظن في أمر هذه النجوم وكيف هام بجمالها النوع الانساني كله وكيف هام الناس بربهم وتشوقوا اليه بما رأوا في مصنوعاته من الجمال . ولا تظن أن أم الاسلام غفلت عن هذه المباحث الدقيقة فانظر كتاب السماع في الإحياء للغزالي وكيف أباح السماع اذا لم يثر الشهوة البهيمية بشروط خمسة فاقراها هناك وانظر في كتاب الاشارات لابن سينا فقد قال ان العبادة مع الفكر موصلة لله وقال أيضا إن الصوت اللطيف بشروط خاصة موصل الى الله عز وجل . وأنا لست الآن في مقام الأخذ بقول من هذه الأقوال والسكتي أريد بذلك أن الأمم كلها اسلامية وغير اسلامية نظرت في الجمال المنظور والجمال المسموع فالمنظور من الجمال والمسموع من النعمات كلاهما بهياج النفوس الى معالي الامور . وتجد الامام الغزالي في الاحياء بفصل المغاني عند القوم وبين ما يوصل الى الحكمة وما يكون فاطعا للنفوس عن الوصول . فانظر كيف شغف قدماء المصريين بالكواكب في الموازين ونحوها وفي لهومهم وفرحهم وما تتمهم . وهكذا الأمم جميعها قديمها وحديثها تلعب (الغرد) وما الترد إلا مثال للنظام السماوي فالجبران اللذان يرميها اللاعبون كل واحد منهما له ستة أوجه عدد الجهات الست وفي كل وجهين متقابلين (٧) نقط فان كان في أحدهما (١) كان مقابله (٦) وان كان (٢) كان مقابله (٥) وان كان (٣) كان مقابله (٤) وهكذا فهذان الجبران يمثلان عالم الأفلاك الدائر في مداره والنقط السبع تمثل الكواكب السبعة المعروفة عندهم التي تأتي بالسعد والنحس في عرفهم وما يصيب اللاعب من خير وشر كالذي يصيب الحى من خير وشر بسبب استعمال ما تأتي به هذه الكواكب من سعد ونحس فالحي والللاعب كلاهما يأتيه ما كان مجهولا عنده وذلك بطريق المصادفة والمدار على حسن

استثمار ما جاء له وبضدها تميز الأشياء . فهذه دلائل على أن هذا الانسان كان مغرماً بالكواكب فرحاً بها متجهاً للعالم العلوي . ومن عجب اني رأيت اليوم رأياً للعالم المخترع الكبير الأمريكي (اديسون) في أصل الحياة يقول انها أتت لنا من عوالم أخرى مجهولة لنا فترجع بهذا الى ما كان عليه القدماء إذ كانوا مغرمين بالكواكب والعوالم العلوية وأن منها السعد ومنها النحس ولكن اديسون لا يعين ذلك العالم الذي أتت منه الحياة وإنما يقول هو عالم غير العالم الأرضي مستدلاً بأن الأرض كانت كرة غازية فلما ظهرت فيها الحويصلات الحيوية في البشر والبيض والحيوان والانسان احتلتها تلك الحياة ونظمت شؤونها وهي وان كانت طارئة على الأرض تميز بين بيضة الدجاجة واستعدادها وبيضة المرأة وتعطي كلا منهما حياة تناسبه وزاد على ذلك أن الخلية الواحدة من خلايا جسم الانسان تحتوى على ملايين الفترات التي أعطيت قوة العقل والتفكير والتدبر والعمل وهي طوائف كطوائف الناس فكل له عمل وهذا هو السبب في اننا نرى الجرح اذا سال دمه يلتئم وهذا الالتئام ناشئ بأعمال متقنة مبنية على علم بل يقول انها تعقل أكثر من الانسان . ويقول أيضاً هو محدثه كجاء في جرائدنا المصرية يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ انه لما أغلق أحد العمال عليه باب السيارة انطبق على أصبعه فطار منها الظفر فها هوذا أخذ يندمل ومن أين هذا الاندمال ؟ انما تصنعه تلك الخلايا اللاتي تعد بالملايين في أصبعي وهي تعقل ما تفعل ومنها المدبرات أمراً والعاملات والصانعات . أقول وكأنه نطق بقوله تعالى - ان كل نفس لما عليها حافظ - وبقوله - فالدبرات أمراً - وبقوله تعالى - بأيدي سفره * كرام بررة - وبقوله تعالى - وما لنا إلا له مقام معلوم - وبقوله تعالى - وان عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يصلون ما تفعلون - وهكذا من آيات أخرى . ويقول (اديسون) المخترع المشهور المذكور أيضاً (ان هذه الخلايا المتحدة ما هي إلا عمالك متحدة منظمة فإدام العمل بينها قائماً على السداد بقيت واذا حصل اضطراب غابرت تلك الحياة التي جاءت لها من عوالم أخرى وكأنه نطق بقوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما تعدون - وما قاله محدثه أيضاً ان أباه أخذ منه قوداً وسافر الى أوروبا وشاهد ما أراد من البلاد ورجع مسروراً وكانت سنة فوق الثمانين ولما بلغت سنة فوق (٩٣) سنة قال يابني اني اريد أن أموت فقال له ولماذا قال لأن كل ما كنت أريد الاطلاع عليه وعمله في هذه الأرض قد تم فلامعني لبقائي وانا متوجه الى أختك لأموت عندها فاولت منعه فلم أقدر فتوجه لها وهو صحيح الجسم قوى متين ومات بعد ثلاثة ايام . قال وانا مات لأنه أحس بأن تلك الخلايا في الجسم رات انه لا ملائمة بينها فستمت البقاء على الاجتماع فأفترته بلا حروف ولا صوت ففارق الحياة . أقول ومما قرأته في كتاب (الأسفار) للشيرازي ان سبب الموت الطبيعي ان الروح لا تزال تزداد حرارة والجسم يزداد برودة بتقدم السن حتى لا يقدر الجسم على حفظ الروح لشدة حرارة جها للعالم العلوي فتنتقل منه وهذا الرأي أيضاً خاص بصاحبه كما ان رأى (اديسون) المذكور (مخترع الفونوغراف وغيره) خاص به - وفوق كل ذي علم عليم -

وانت خير ايها الذكي انه لم يقل هذا على انه يقين عنده بل يقوله من باب الفرض لا غير ونحن نعتبره كذلك . ومن عجب ان يكون هذا الفرض هو الذي اتقاه بطريق اليقين عنده وفي نظره الشيخ الدباغ الذي نقلت عنه كثيراً في (سورة الكهف) وغيرها إذ يقول هو ويقول الشيخ الخواص (ان الجادات جميعها تعقل) وهذا الفرض الذي فرضه (أديسن) والقول الذي قاله الشيخ الخواص والدباغ ذكرته هنا ترويحاً لا تعليماً ودعاً الى ذكرها مسألة الكواكب وأن القدماء فرحوا بها وعشقوا ربهم بالتفكير فيها وخطوها بمجدهم وهزلهم بل قالوا انها سبب سعدهم ونحسهم فقلنا ان بعض أهل عصرنا يرجع الحياة في الأرض الى تلك العوالم هذا والقرآن لم يدع فرصة تمر إلا ذكر السموات والأرض وأمر بالتفكير فيهما وهذا معناه أن المسلم عايه ان يكون أحرص على جلال هذه العوالم من الأمم السابقة لأننا خيرامة أخرجت للناس وهل خير الأمم يجملون

مأمله من هم أقل منهم من جلال الله وكأله . أما أنا فأقول سيكون بعدنا أم إسلامية يكونون أرقى من الأمم السابقة واللاحقة وهذا التفسير بحمد الله من مقدمات تلك النهضة الجبيلة والحمد لله رب العالمين . انتهى مساء يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨

(بهجة السموات)

(كيف تعرف صور النجوم السماوية)

اعلم أن علم الفلك قد خطا فيه الأولون خطوات واسعة . ولقد كنا نتعلمه في (دارالعلوم) في أواخر القرن التاسع عشر وهذا صورة ما تلقينا نقلته من كتاب المرحوم استاذنا حسن حسني بك فلاذكري ما فيه هنا من صور النجوم ومن الآراء المعروفة إذ ذاك ولكن الذي عرف بعد ذلك أكثر مما يدلك أن العلم اليوم سريع الخطو حتى إن الأجرام السماوية التي عرفت للآن أبغدها يصل نوره لنا في مائة مليون سنة وهذا القدر عظيم جدا فهو فوق العقل البشري . وقد عدوا بنجوم المجرة (٢٠) مليونا وهي الآن تعد بمئات الملايين فهناك ما في الكتاب المذكور

(وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة)

(٢٥) الاحصائيات . الكرات والخرط السماوية

الفلكيون بمعرفتهم الطرق التي بها تعيين الأوضاع المضبوطة للنجوم على الكرة السماوية أمكنهم أن ينشؤا إحصائيات فيها النجوم مرتبة على حسب كبر مطالعها المستقيمة وأمام كل نجمة مطالعها المستقيم وميلها واستعملوا هذه الاحصائيات لوضع النجوم بأوضاعها النسبية على كرة صناعية وذلك بأن يرسم على سطح هذه الكرة الصناعية دائرة عظيمة من نقطة ما مثل (ق) نعتبرها القطب الشمالي مثلا وتكون هذه الدائرة العظيمة هي دائرة المعدل ثم ترسم جلة دوائر أخرى موازية لها وتكون هي الموازيات التي ترسمها النجوم تبعاً للحركة اليومية ثم ترسم جلة دوائر عظيمة تدل على دوائر الليل ثم تعلم على سطح هذه الكرة جلة نقط تعيين كل واحدة منها بالمطلع المستقيم والميل لنجمة مطابقة ويتحصل حينئذ على كرة سماوية كالكرات الصناعية الميئة لسطح الأرض . وكذلك تنشأ خرط سماوية بطرق المساقط

(٢٦) الصور السماوية . النجوم الأصلية - لأجل مساعدة الذاكرة في دراسة النجوم قسموها من القدم إلى مجموعات متميزة تسمى (الصور السماوية) وهي صور كائنات حية وغير حية تصورها رسمها على الكرة السماوية وليس كل هذه الصور مشابهة لسمياتها بل البعض فقط وذلك كالنجوم الأصلية من صورة الثور فإن لها وضعاً مثلثاً يشابه نوعاً للجزء العظمى من رأس هذا الحيوان وكذا العقرب والأكليل والحية والتنين . وبيان نجوم كل صورة تستعمل الحروف الهجائية فالحروف (أ) و(ب) و(ج) و(د) تدل على أربعة نجوم أصلية من كل صورة بحيث أنه بالمرور من صورة إلى أخرى تكون هذه الحروف ميئة لنجوم تختلف عن بعضها في الضوء

(٢٧) عدد الصور . قد عدت (بطليموس) ٤٨ صورة منها ٢١ في الشمال و١٥ في الجنوب و١٢ في الجزء المتوسط بالقرب من دائرة المعدل في المنطقة التي يظهر أن الشمس تقطعها في سيرها السنوي ويشتمل مجموع هذه الثمان والأربعين صورة على (١٠٢٩) نجمة منها (٣٩١) للصور الشمالية و(٣١٨) للصور الجنوبية و(٣٢٠) للصور المنطقية . والاثنتا عشرة صورة المنطقية اعتبرت المنازل المتتالية للشمس في مدة سنة وأسماؤها هي (حل) ثور . جوزاء . سرطان . أسد . سنبله . ميزان . عقرب . قوس أوراني . جدى . دلو . حوت) وهي مجموعة في قول بعضهم

حل الثور جوزاء السرطان * ورعى الليث سنبل الميزان

ورمى عقرب بقوس لجدى * نزع الدلو بركة الحينات

والاحدى والعشرون صورة الشمالية هي (الدب الأصغر أو بنات نعش الصغرى . الدب الأكبر أو بنات نعش الكبرى . التين أو الثعبان . الملتهب . العوا . الاكليل الشمالى . هر كول أو الجاني على ركبتيه . النسر الواقع أو السلحفاة . الدجاجة . ذات الكرسي . برشاوش . ماسك العنان . الحواء . الحية . السهم النسر الطائر . الدلفين . الفرس الأعظم ، الفرس الأصغر . المرأة المسلسلة . المثلث الشمالى أو الدلتا) والخمس عشرة صورة الجنوبية هي (قيطس . الجبار . نهر الأردن . الأرنب . السكاب الأصغر . السكاب الأكبر . السفينة . الشجاع . الكاس أو الباطية . الغراب . المحراب أو المجرمة . سنطورس . الذئب . الاكليل الجنوبي . الحوت الجنوبي)

(٢٨) والنجوم التى تتكوّن منها الصور المعروفة عند الأقدمين تنقسم الى أقدار فأضواها تسمى من القدر الأول ثم ما يليها فى الضوء يسمى من القدر الثانى وهكذا والقدر السادس يشتمل على النجوم التى هى آخر ما يمكن رؤيته بالعين وهذا الترتيب اعتبارى لأن آخر نجمة من القدر الثالث مثلا يمكن أن تكون هى أول نجوم القدر الرابع ولذا يوجد اختلاف بين الفلكيين فى هذا الاعتبار ، ولكن المتأخرين حافظوا على هذا التقسيم وعلى رأى الموسيو (أرجيلاندر) يحتوى نصف الكرة الشمالى على ٩ نجوم من القدر الأول و ٣٤ من القدر الثانى و ٩٦ من الثالث و ٢١٤ من الرابع و ٥٥٠ من الخامس و ١٤٣٩ من السادس . والمجموع هو ٢٣٤٢ وأما نصف الكرة الجنوبي فيحتوى على ٤٦٨٤ نجمة منها ١٨ من القدر الأول و ٦٨ من الثانى و ١٩٢ من الثالث و ٤٢٨ من الرابع و ١١٠٠ من الخامس و ٢٨٧٨ من السادس . وأشهر الخراط لا تعطى اليوم سوى ٢٠ نجمة من القدر الأول وهى مرتبة على حسب ضوئها

أسماء	أسماء	أسماء
(١٥) الطائر	(٨) الشعرى الشامية	(١) الشعرى البمانية
(١٦) السماك الأعزل (نير)	(٩) كتف الجبار	(٢) سويل التين
(السنبلة)	(١٠) آخر النهر	(٣) (١) من سنطورس
(١٧) فم الحوت	(١١) الدبران	(٤) السماك الزاح
(١٨) ب من الدجاجة	(١٢) ب من سنطورس	(٥) رجل الجبار
(١٩) رأس التوأم المؤخر	(١٣) (١) من الدجاجة	(٦) العبوق
(٢٠) قلب الأسد	(١٤) قلب العقرب	(٧) الواقع

(٢٩) عدد النجوم المنظورة - يظهر أن عدد النجوم التى ترى بالعين عظيم جدا . ولقد حصر الموسيو (أرجيلاندر) ٣٢٥٦ نجمة ترى بالعين وتمتد على القبة السماوية بين القطب الشمالى و ٥٥ من ٣٦ من الميل الجنوبي وهذه المنطقة تشتمل تقريبا على ٨ من ٩٠ السطح الكلى للكرة وهذه النسبة يكون للعشرين الآخر (٨٤٤) نجمة ويكون العدد الكلى للنجوم التى ترى بالعين (٤١٠٠) نجمة . وبعض الراصدين ذوى البصر الحاد أمكنهم رؤية بعض نجوم من القدر السابع حتى ان العدد السابق وصل الى ٦٠٠٠ نجمة تقريبا أو يزيد من ذلك . وإذا استعملت النظارات يزيد هذا العدد كثيرا ويصل الى (٢٠٤٠٠٠) نجمة تقريبا فى جميع السماء من ابتداء القدر الأول لغاية القدر الخامس عشر

(٣٠) وصف السماء - أسهل طريقة لمعرفة الصور السماوية هى مقارنة السماء بالخريطة السماوية المنشأة على

حسب القواعد . وإذا لم توجد خط وأريد ذلك في مساعدة بعض نقط تعتبر مبدأ يمكن إيجاد المجموعات النجمية الأصلية وفي قطونا (مصر) نجعل المبدأ صورة الدب الأكبر
 الدب الأكبر (شكل ٤١) - إذا وجه الإنسان نظره جهة الشمال فإنه يرى صورة الدب الأكبر وتحتوى على سبع نجوم أصلية وجميعها من القدر الثاني ماعدا النجمة (د) فهي من القدر الثالث والنجوم (هـ) و (و) و (ز) تكون ذنب الدب الأكبر (انظر شكل ٤١)

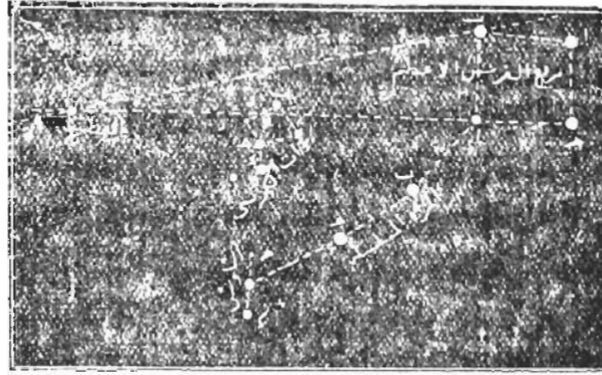


(شكل ٤١ - الدب الأكبر)

(النجمة القطبية) - إذا مد الخط (ب ا) من جهة (ا) يبعد يساوى (ا ز) فإنه يمرّ بالقرب من نجمة من القدر الثاني أو الثالث وهي النجمة القطبية التي تستعمل في إيجاد جميع الصور المهمة المنظورة في سماء مصر وهذه النجمة لا تبعد عن القطب إلا بقدر درجة ونصف وبواسطة النجمة القطبية يسهل معرفة الأربع نقط الأصلية فإنه بالنظر إليها يكون الشمال أمام الناظر والجنوب خلفه والشرق عن يمينه والغرب عن يساره ، والنجمة القطبية هي ثالث نجمة من ذنب صورة مشابهة للدب الأكبر إلا أنها أصغر منها وموضوعة بعكسها وتسمى الدب الأصغر (ذات الكرسي) - إذا وصل بين نقطة (د) من الدب الأكبر والنجمة القطبية بمستقيم ومد من جهة النجمة القطبية بكمية تساويه توجد ذات الكرسي وهي تشتمل على جلة نجوم من القدر الثالث وهذه الصورة هي في مقابلة الدب الأكبر دائماً بالنسبة للنجمة القطبية

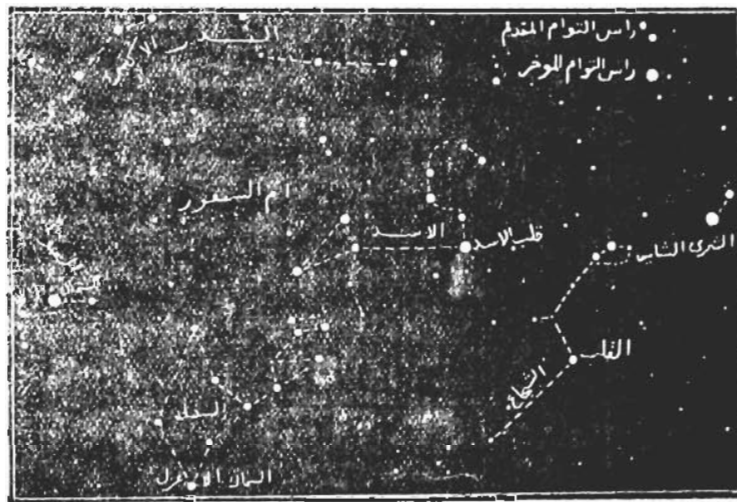
(الفرس الأعظم) - المرأة المسلسلة - (شكل ٤٢) - إذا مد الخط الذي عين النجمة القطبية من جهتها فإنه يقابل صورة الفرس الأعظم وبإضافة النجمة (ا) من المرأة المسلسلة إليه يتكوّن ما يسمى مربع الفرس الأعظم وزوايا هذا المربع تشغلها نجوم من القدر الأول فإذا وصل بين (ا) من الفرس الأعظم و (ا) من المرأة المسلسلة توجد النجمتان (ب) و (ج) من المرأة المسلسلة اللتان تأخذان في الاقتراب من النجمة القطبية (برشاوش) - إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة يمرّ بالنجمة (ا) من برشاوش ، ومربع الفرس الأعظم والخط (ب ج) من المرأة المسلسلة والنجمة (ا) من برشاوش تكون جلة شكلها يشابه الدب الأكبر إلا أنه ذو امتداد أعظم منه

(الغول) - النجمة (ا) من برشاوش توجد أيضاً على امتداد الخط (ا ج) من مستطيل الدب الأكبر وإذا مد هذا الاتجاه الأخير قليلاً من جهة (ا) يقابل (ب) من برشاوش وتسمى الغول وهي نجمة شهيرة جداً يتغير ضوءها تغيراً عظيماً ، والغول هي أضواء نجمة من رأس الغول موضوعة في يد برشاوش (انظر شكل ٤٣ في الصفحة التالية)



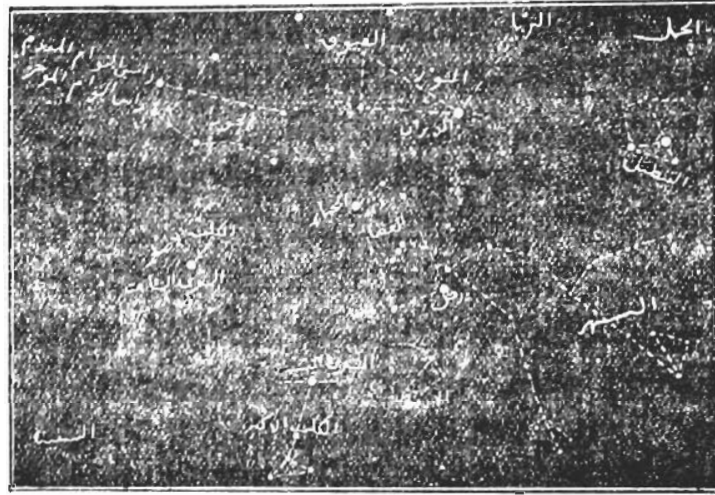
(شكل ٤٢)

(السنبلة) - (السماك الأعزل) - (شكل ٤٣) نحو الجهة المقابلة لنصف الكرة وتقريبا على امتداد قطر مستطيل الدب الأكبر توجد صورة السنبلة وتحتوى على نجمة من القدر الأول تسمى السمك الأعزل (انظر شكل ٤٣)



(شكل ٤٣)

(الأسد) - (قلب الأسد) - إذا مد الخط (أ ب) من الدب الأكبر في الجهة المضادة للنجمة القطبية فإنه يمر بصورة الأسد ، والنجمة (أ) من هذه الصورة هي من القدر الأول وتسمى قلب الأسد (الجوزاء) - رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر (شكل ٤٤) . القطر الثاني (ب د) من مستطيل الدب الأكبر ممتدا من جهة (ب) يقابل جلة نجوم شهيرة منها (أ) و (ب) أو رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر من صورة الجوزاء (انظر شكل ٤٤ في الصفحة التالية)



(شكل ٤٤)

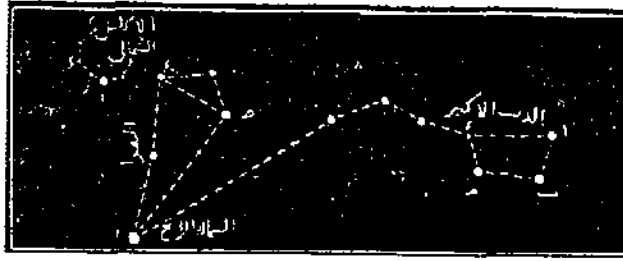
(الكلب الأصغر) - (الشعري الشامية) - النجمة (ا) وهي الشعري الشامية من الكلب الأصغر توجد على امتداد الخط الواصل بين النجمة القطبية ورأس التوأم المقدم من جهة هذه الأخيرة وإذا مد الخط (د ب) من جهة الشعري الشامية فإنه يقابل النجمة (ا) أو الشعري الجمانية من الكلب الأعظم وهي أضواء نجوم السماء (ذوالعنان) - (العويق) - (شكل ٤٤) إذا مد الخط (ب ج) من المرأة المسلسلة من جهة (ا) من برشاوش توجد نجمة من القدر الأول وهي (ا) من ذى العنان أو العويق (النور) - (الدبران) - (شكل ٤٥) إذا مد الاتجاه (د ا) من الدب الأكبر من جهة ذى العنان فإنه يمر بصورة الثور ويمر بالقرب من الدبران أو عين الثور وهي نجمة من القدر الأول وفي صورة الثور توجد الثريا وأرجل التوامين (انظر شكل ٤٥)



(شكل ٤٥)

(الجبار) - (الكلب الأعظم) - (الشعري الجمانية) إذا مد الخط الواصل بين النجمة القطبية والعويق من جهة العويق فإنه يقابل الجبار وهو أجل صورة في السماء (شكل ٤٤) ويحتوى على سبع نجوم أصلية أربع منها موضوعة على شكل شبه منحرف وفي مركزه توجد الثلاث الأخر التي هي أقل ضوء من الأربع وتوجد هذه النجوم الثلاث على خط مستقيم وتكون ما يسمى منطقة الجبار أو العصا ورأسان من رؤس شبه المنحرف هما نجمتان من القدر الأول (ا) أو كنف الجبار و (ب) أو رجل وإذا مد خط العصا يقابل الشعري الجمانية من الكلب الأعظم التي علمت بتخطيط آخر

(العواء) - (السمك الراح) - (شكل ٤٦) - إذا مد ذنب الدب الأكبر فإنه يمر بالقرب من نجمة من القدر الأول منسوبة إلى صورة العواء هي السمك الراح وهي أضواء نجوم السماء بعد الشعري الجمانية (انظر



(شكل ٤٦)

(النسر الواقع) - (الواقع) - الخط الواصل بين السماء الأعزل من السنبلة والسمك الراح من العواء يمر بصورة النسر الواقع بالقرب من نجمة من القدر الأول هي (ا) من النسر الواقع ونسعى الواقع (الدجاجة) - بجانب النسر الواقع توجد صورة الدجاجة المركبة من خمس نجوم مكوّنة صليبا والنجمة (ا) من هذه الصورة من القدر الأول

(الاعتدال الربيعي) - على امتداد المستقيم المار بنقطة (د) من الدب الأكبر و (ا) من الدب الأصغر و (ا) من المرأة المسلسلة توجد نقطة الاعتدال الربيعي على دائرة المعدل . والدبران وقلب العقرب وقلب الأسد وفم الحوت من الحوت الشمال تقسم السماء الى أربعة أجزاء متساوية وهذه النجوم الأربع الملقبة بالنجوم المالوكية كانت هي أربع حراس سماء النجوم بنحو (٣٠٠٠) سنة قبل الميلاد وكان الدبران في الاعتدال الربيعي هو حارس الشرق ، وقلب العقرب في الاعتدال الخريفي وهو حارس الغرب ، وقلب الأسد قريب من المنقلب الصيفي وفم الحوت على بعد صغير من المنقلب الشتوي ولكن هذه النقاط تغيرت اليوم . انتهى

هذا هو الذي كنا قرأناه منذ نحو أربعين سنة وكان هذا نهاية العلم في ذلك العصر ، فلأذكر لك هنا أنها الذكر غاية ما وصل اليه علم الفلك في زماننا هذا حتى اذا فارقنا هذه الدنيا كان يحل ما عند الناس في زماننا من علم الفلك حاصل أمام المسلمين كي يجدوا باعثا من نفوسهم وداعيا من عقولهم يدعوهم الى مشاركة الأمم في بحثها والمشاركة الى تحصيل علومها ثم الزيادة بما يؤتيهم الله من فضله لأن كتابنا يأمرنا بالبحث والنظر ولأن المحروم من هذه المباحث وأمثالها محروم من السعادة ومن الحكمة ومن النعيم السرمدي الذي يحسن به المفكرون العالمون في هذا العالم قبل انصرام آجالهم وفوات أعمالهم فهم مع الناس في أهوال هذه الحياة وقلوبهم في نفس تلك الحال في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمفكرين في الدنيا والآخرة والناس حولهم يجهلون وهم بما في نفوسهم فرحون . هذا وإن مدة الأربعين سنة التي مرت بين أيام تعلمنا وبين تأليف هذا التفسير اليوم قد خطا فيها العلم بالفلك خطوات تعد بالقرون بل بالآلاف السنين فكيف اذا مرت أربعون أخرى ؟ كيف يكون علم الفلك إذ ذاك ؟ وكيف يكون المسلمون وكيف تكون حالهم ؟ أيتكونون عائلة على الأمم ؟ أم يكون فيهم حكماء وعلماء بكل علم ومنها الفلك ونكون المراد في نفس بلادهم . سيقرا هذا من بعدنا وسيقرؤه أناس بعد مرور أربعين سنة وسيقولون ليظرب المؤلف ليفرح في برزخه فهانحن أولاء قد علمنا أكثر مما علمت الأمم حولنا وهانحن أولاء شاركنا الأمم في علومها وضرربنا في علومها بسهم وأخذنا قسطا من الحكمة والعلم ولم نعد مغرورين كأولئك الذين كانوا عن العلم معرضين وبالحكمة جاهلين والحمد لله رب العالمين . كتب يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

وهناك ما جاء في (مجلة المقتطف) في شهر يوليو سنة ١٩٢٨

﴿ ما وراء المجرة ﴾

(العوالم الجزرية وعظمة الكون . أحدث المباحث الفلكية)

علم الفلك أو علم الهيئة من أسس العلوم وأعلىها بالنفس ، وإذا أريد التدقيق فيه فهو من أعوص العلوم لأنه مبني على أدق القوانين الرياضية والطبيعية ، وهو كذلك أول علم استقرى الإنسان شيئا من قواعده وأدق علم وصلت اليه معارف البشر وأسعى علم يتفرغ له كبار العلماء ، وفيما يلي نبذة من أحدث المباحث الفلكية في موضوع يفتن كل لب وهو سعة هذا الكون وعظمة مبدعه ، فقد أثبت علماء الفلك حديثا أن في الفضاء أكوانا عديدة كل كون منها مثل المجرة التي منها نظامنا الشمسي سعة وعظمة حتى إذا صغرت أرضنا وصار حجمها حجم الجواهر الفرد بلغ حجم الكون الذي يرى بالتلسكوب حجم الأرض ، وبلغ حجم الكون كله على ما يقضي به مذهب (اينشتاين) ألف مليون أرض منتشرة حولها في الفضاء ، فما أصغر أرضنا إزاء هذا الكون العظيم ، وما أحقر أمورنا ومنازلنا إزاء القوى التي تديره وتحركه

أدرك القدماء أن في القبة الفلكية أجراما غير الشمس والقمر والنجوم لأن الذين راقبوا السماء منهم في ليال صافية شاهدوا قرب كوكبة الجبار وكوكبة المرأة المسلسلة تلك الغيوم المنيرة التي ندعوها بالسدم الآن . وقد أشار إليها أبو الحسن الصوفي أكبر علماء الفلك عند العرب فقال أنه رأى سديم المرأة المسلسلة وسماه (لطخة سحابة) وأشار إليه وإلى غيره مما يماثلها بكلمة اللطخة أو السحابة ، على أن هذه الأجرام بقيت أسراراً مغلفة على الفهم البشري حتى كشف التلسكوب فأزاح اللثام عن حقيقتها ، فلما استنبط (غليليو) تلسكوبه الكاسر وجهه إلى أنحاء المجرة التي تظهر فيها السدم أو اللطخ السحابية فثبت له أنها في الحقيقة مجاميع من النجوم تظهر قريبة بعضها من بعض لبعدها فتعذر رؤيتها نجما نجما . وفي آخر القرن السابع عشر استنبط (السر اسحق نيوتن) التلسكوب العاكس وعكف العلماء على اتقائه ، فلما انقضت مائة وخمسون سنة على استنباطه صنعت تلسكوبات كبيرة واستعمل اللورد (رس) أحدها في البحث عن حقيقة السدم فوجد أن السديم الذي في كوكبة السلاقيين يظهر لدى رؤيته بتلسكوب قوى مجموعة من الكواكب منتظمة في شكل حلزوني ومن ثم صار البحث عن السدم الجديدة والانقطاع لدرس أشكالها وبنائها من أكبر أعمال الفلكيين شأنا وأعلىها بألباهم وقد كشفت حتى الآن مئات من السدم اللولبية وغيرها ، وما كاد العلماء يكشفون هذا القمر منها حتى أخذوا يتكهنون في حقيقتها وذهبوا في ذلك مذاهب شتى . هل هي مجاميع من النجوم تظهر لطخا سحابة لبعدها وإنما إذا نظر إليها بتلسكوب قوى حللها إلى أجزائها؟ أم هي غيوم منيرة بنور النجوم القريبة منها . أم هي غاز ملتهب منتشر في الفضاء ؟

في الجواب عن هذه الأسئلة أثبت (السر ولیم هجنس) أن من السدم ما هو مجموع نجوم ترى نجوما لبعدها الشاسع ، ومنها ما هو في الحقيقة لطخ سحابة من الغاز الملهب لأن خطوطها الطيفية تماثل خطوط غاز بلغ من القوة درجة أخذ يبعث عندها بمقادير القوة التي يتميز بها عن غيره من الغازات . ومن هذا القبيل سديم الجبار الكبير وغيره من السدم المنتشرة في الفضاء ، فإذا بلغت الغازات التي تتألف منها هذه السدم درجة كبيرة من الجوّ أطلقت تلك الأشعة التي لا تشعها الجواهر إلا حين انحلالها ، وقد أثبت علماء الحلّ الطيفي أن في هذه السدم عناصر الهيدروجين والهيليوم وأحيانا النيتروجين والكربون وأن فيها عناصر لم يجدوا له مثيلا في عناصر الأرض فأطلقوا عليه اسم (نيوبيوم) أي السديمي . وليست كل السدم على درجة من الحرارة تجعلها على إرسال أشعتها إلى الفضاء فبعضها مضى بالنور المنعكس عنه الصادر من الكواكب المجاورة له في الفضاء ، وبعضها بارد يمتص نور الكواكب التي يصل إليه فتراه لطخا مظلمة في صدر الكون . ومن هذا النوع سديم

مظلم في جهة الصليب الجنوبي يدعى باللغة الانكليزية غير العلمية (كبس الفحم) وقد وقف الاستاذ (برنار) الأميري حياته على درس هذا النوع من السدم فذكر (١٨٠) سديما منها تباين من اللطخ الصغيرة الواضحة الحدود الى الغيوم السديمة التي تشاهد قرب كوكبة الحواء ، فالأجرام السماوية التي تعرف بالسدم تقسم الى (قسمين) أولها (غيوم من الغاز الملتهب) (والثاني) السدم اللولبية وما إليها وهي في الغالب مجاميع من النجوم تظهر لطخا بعدها . وكان الرأي أولا أن هذه السدم اللولبية مجاميع صغيرة من النجوم تحيط بشمسنا من كل الجهات ولكن لما أتقنت آلات الرصد والتصوير والحل الطيفي ثبت للعلماء انها لا تقاس بنظامنا الشمسي لسعتها بل كل منها كون مستقل كالمجرة التي تحيط بنا ، وثبت أيضا أن في الفضاء ألوف من السدم اللولبية كل منها سعة سعة مجرتنا ، ولا يعقل أن تكون ضمنها لذلك قيل ان كلا منها كون مستقل بنفسه خارج مجرتنا وأطلق عليها علماء الفلك من الأميركيين اسم (الأكوان الجزرية) ولما كانت لفظة (كون) تطلق عادة على كل ما أبدعه مبدع السموات والأرض فاستعملها في الانكليزية والعربية يخرج بذهن القراء عن منطوقها الأصلي ولكن اصطلح عليها علماء الافرنج بخارجينهم في ذلك ، فالسدم من هذه الجهة تقسم الى (قسمين) أيضا (الأول) السدم التي داخل مجرتنا (والثاني) السدم التي خارجها

لا يخفى أن مجرتنا مجموعة عظيمة من النجوم والسدم الغازية وهي تشمل على كل الكواكب التي ترى بالعين المجردة وألوف من الكواكب التي ترى بالتلسكوب وملايين أخرى لا ترى إلا بالآلة الفوتوغرافية فانها بعدها لا تترك أثرا في الالواح الفوتوغرافية الحساس إلا بعد ما يتعرض لنورها الضئيل القادم من أطراف الفضاء ساعات متوالية . والثابت من رصد المجرة بكل وسائل الرصد المعروفة انها قرص عدسي الشكل طول قطره نحو مائة ألف سنة نورية وسمكه (٢٠) ألف سنة نورية وأن نظامنا الشمسي في وسطها تقريبا وفي هذا القرص نحو ٣٠ ألف مليون نجمة منتشرة في فضاءه على أبعاد كبيرة ، ولما كانت هذه النجوم لا يبعد أحدها عن الآخر بعدا واحدا فان بعضها يرى مجتمعا كتلا كتلا في أنحاء مختلفة وهذه بعدها تظهر كاللطخ السحابية كما ترى في كوكبتى الراى وهرقل ، وفي المجرة أيضا سدم غازية بعضها منبرو بعضها مظلم على ماسر

نعود الآن الى السدم التي خارج المجرة وهي تلك الغيوم الغازية المنتشرة في الفضاء خارج المجرة كانتشار الجزائر في بحر متراعى الأطراف ، وأشهر العلماء الذين عنوا بدراسة هذه السدم هو الاستاذ (هبل) من علماء مرصد (جبل ولسن) الأميركي فقد أشار له في رسالة حديثة له نشرها في (مجلة الاستروفيزكس) (علم الفلك الطبيعي) الى نتيجة بحثه في أربعمائة سديم منها فقال ان منها سديما غير منتظمة الشكل أى ليس لها شكل قياسى خاص وأشهرها ما يعرف بغيوم مجلان ترى من نصف الكرة الجنوبي ويحسبها رائبها جزأ من درب التبان ولكنها في الواقع بعيدة عنه بعدا شاسعا ولكن السدم التي لها شكل خاص أكثر من السدم غير المنتظمة الشكل وأكثرها اما اهليلجى الشكل أولوليه ، ونور السدم الاهليلجية الذي حلل بالسبكتروسكوب يثبت انها تماثل مجرتنا الى حد بعيد مما لا يترك مجالاً للشك في انها مجموعة نجوم كمجرتنا ويتعذر تصوير هذه النجوم واحدة واحدة بعدها التاسع ، والمحتمل أن نجومها في طور التكوّن من الغاز الحامى الى حد الاضاءة وأن الغاز الذي لا يدخل في تكوينها يغشاها كبرقع الحساء ، وبعض السدم في دور الانتقال من الشكل الاهليلجى الى الشكل اللولبي والبعض الآخر لولبي لا غش فيه تظهر فيه الأذرع المعكوفة التي تظهر عادة في السدم اللولبية كما ترى في الصفحة المقابلة في سديم السلاق . وقد قيست أبعاد هذه السدم فثبت أن السديم الكبير في كوكبة المرأة المسلسلة يبعد عنا نحو ٩٠ ألف سنة نورية وأن السديم اللولبي الذي في كوكبة المثلث يبعد البعد نفسه تقريبا ، ويظن أن ألوف من السدم اللولبية الضئيلة تبعد عنا أضعاف ذلك ، وقد وجد الاستاذان (هبل) و (شپلى) أن في جهة كوكبتى شعر برنيكى والسنبلة سديما لا يقل بعدها عن مائة مليون من سننى النور

وقد استعمل السبكتروكوب لمعرفة سرعة حركة هذه السدم في الفضاء فظهر أن سديم المرأة المسلسلة سائر نحو مجرتنا بسرعة (٣٠٠) كيلومتر في الثانية ، ولكن أكثر السدم اللولبية تتبعد عنا بسرعة (٦٠٠) كيلومترا في الساعة . والطرق التي ابتكرها الباحثون لمعرفة جرم سديم من هذه السدم يتعذر بسطها هنا لصعوبتها ولكن يؤخذ من تطبيقها أن جرم السديم في كوكبة المرأة المسلسلة يساوي جرم شمسنا ألفي مليون ضعف وأن هذا السديم يستغرق (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة مع أن أرضنا تدور على نفسها مرة كل ٢٤ ساعة . مهما أمعنا ببصرنا وآلاتنا في الفضاء فالتا لا نؤمل أن نصل الى نهايته لا في الزمان ولا في المكان وهذه الملايين التي تشع في الفضاء تدهش العقل وتحير القلب ، على أننا نشعر بطمأنينة حين ننظر الى ما كشفه العلماء عنها فنقول مع بسكال (أنا صغار ، بل من أصغر الكائنات وأضعفها ولكننا نعرف أننا صغار وفي ذلك سر عظيمنا) انتهى يوم الخميس ٢٤ يناير سنة ١٩٢٩

(تذكرة)

قد اطلع بعض العلماء على الصور السهلوية الست المتقدمة وهي الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي وأمثالها فقال انك قد كتبت هذه المقالة من كتاب أستاذك بدار العلوم منذ (٤٠) سنة . فقلت نعم . فقال إذن أنت تكتب لنفسك وكأنك نسيت انك تكتب في تفسير القرآن والتفسير لمجموع الأمة لا للعلماء . فقلت كيف ذلك . فقال اني لم أفهم حرفا واحدا من هذه المقالة المنقولة وخبرك أن تسير على طريقتك فتكتب بهيئة تلخيص ، فهذا وحده يفهم أكثر الناس ، أما هذا فلن يفهمه إلا قليل . فقلت له اني قد لاحظت في هذا انه مسائل علمية والعلوم لابد من المحافظة على أوضاعها ، ثم ان الأمر سهل جدا . فقال وكيف ذلك . قلت له ألم تطلع في (سورة النور) على رسم القارات مع حيواناتها . قال بلى . قلت فهل فهمته . قال نعم وهو جميل . قلت فهنا كذلك ، فهذه الصور الست التي رأيتها ما هي إلا أماكن من السماء فيها صور النجوم قد رسمت ليطلع عليها الناس (وبعبارة أخرى) يقف الانسان ليلا في الخلاء وفي الصحارى القفار أو الحقول فيرى نفس هذه الصور بعينها بل هي أسهل من القارات الأرضية المتقدمة في (سورة النور) لأن القارة لا يراها الانسان كلها مرة واحدة بعينه في الطبيعة بخلاف هذه الصور فانك تراها جيلة واحدة . فقال زدني زدني . فقلت أنا ولدت في بلاد الشرقية من البلاد المصرية وعشت في أول حياتي مع الفلاحين وكنت أسمهم يقولون يافلان انظر (وند النجم) أي النجمة القطبية . ان وقد النجم لا يتحرك والنجوم كلها تتحرك حوله وكنت أسمهم يقولون (بنات نعش) يريدون بذلك الدب الأكبر المرسوم في الصور الست المتقدمة يريدون بذلك ان النجوم المرموز لها بحرف (ا ب ج د) هي هيئة النعش والنجوم المرموز لها بحروف (ه و ز) هي هيئة بنات نعش . فمجموعة السماء بنات نعش هي نفسها الدب الأكبر فالنجوم الأربعة هي الدب والثلاث التي سميها بنات هي ذنبه ، فتأمل الشكل وقل لي هل فهمت ؟ قال نعم فهمت ولكني لا أعرفه في نفس الطبيعة . فقلت قف ليلا في العراء كما قلت لك في ليلة حالكة السواد وارفع بصرك الى الجهة الشمالية وتأمل فانك تجد الدب الأكبر المرسوم هنا أمامك في السماء مرتفعا فوق الأفق نحو ٣٠ درجة سماوية . فقال وما معنى هذا . قلت معناه انه يبعد عن الأفق ثلث المسافة التي بينه وبين كبد السماء ، ذلك لأن المسافة ما بين القطب الشمالي والقطب الجنوبي يجماعونها (١٨٠) جزأ كل جزء درجة ، ومن الأفق الى كبد السماء في سمت الرأس (٩٠) درجة ، فاذن هذه الصورة في (٣٠) درجة أي ثلث المسافة بين الأفق وسمت الرأس . قال فهمت الآن ثم ماذا فقلت فهذا الدب ذو النجوم السبعة لا ييب أبدا فهو يدور كل أربع وعشرين ساعة دورة حول نجمة القطب التي تراها عندك في الدب الأصغر أي الذي هو بعكس الدب الأكبر في نفس الصورة المتقدمة . قال أنا الآن فهمت وسأنظرها الليلة في السماء ، ثم جاء في اليوم الثاني وقال لقد نظرت في السماء فوق نظري على

هذه الصورة ففهمتها حالا بدون نصب بل وجدت الفلاحين يقولون لي هذا وتد النجم وأشاروا اليه اذا هو نفس النجمة القطبية التي في الدب الأصغر ورأيت الدب الأكبر يدور حولها وهي لا تتحرك . فقلت هذا هو السبب الذي جعلني أرسم هذه النجوم هنا ، ذلك لعلني أن مبادئ هذه الصور معروفة عند الفلاحين وأهل القرى ، ومتى كان القطب معروفا سهلت معرفة بقية الصور لمن أراد . ألا ترى أن ذات الكرسي تبعد عن النجمة القطبية بمسافة تساوي المسافة التي بين النجمة القطبية وبين الدب الأكبر . قال بلى وربى وأنا شاهدتها في السماء كذلك فكما أن الدب الأكبر على شمال نجمة القطب هكذا ذات الكرسي على يمينه في هذا الوضع والمسافة متساوية والنظر للسماء ليلا يعرف هذا بنظره بدون آلة ولا معلم ثم قال أما أنا الآن فقد فهمت هذه الثلاثة في نفسي وفي التفسير وفي نفس السماء . فقلت له إن بعض العلماء في عصرنا يقولون ان هذه النجمة القطبية تبعد عنا (٥٠) ألف سنة نورية وذلك أيام تعلمنا فلا ندري هذه المسافة عظمت وزادت بزيادة الكشف في عصرنا ام لا ؟ فالنظر في هذه الصور نظر في عظمة الله عز وجل وهذا هو المقصود من هذا كله لأنه اذا كان القرآن لا يفهم سره إلا بعد فهم لفظه فهكذا هذه النجوم لانعرف مجازيها إلا بعد معرفة مواقعها وأسماؤها . فقال صدقت والله . فقلت له إذن أنت عرفت ثلاث صور من الصور السماوية في السماء . قال نعم عرفتها . فقلت الأمر في البقية سهل لأن هذه جعلت مبدأ منه يمكن معرفة الباقي ، ألا ترى أن الشكل الذي بعد الشكل الأول من الأشكال الست وهو (شكل ٤٢) قد عرفنا فيه الفرس الأعظم وهو أربع نجوم كهية الأربعة التي في الدب الأكبر ووراءها ثلاث متصلات بها تشبه الثلاث التي في الدب الأكبر ، إذن هذه السبع كالذئب الأكبر وقد عرفناه بأمر سهل بسيط وهو أن الخط الذي امتد من الدب الأكبر إلى ذات الكرسي زدناه مدا فوصل إلى الفرس الأعظم والذي معه هو المرأة المسلسلة وبرشاوش ، فهنا تبين لنا صور الدب الأكبر والأصغر والنجمة القطبية وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة ونجمة القوس . فهذه صور عرفناها الآن واضحة في نفس السماء وفي (شكل ٤١ و ٤٢) أفلا يكفيك هذا الايضاح ؟ قال كفاي ولكن لا يفهمه غيري إلا اذا نظر نفس السماء وصبر على الفهم . فقلت وهل الفهم إلا بالصبر ، وهل السماء ليس لها حراس ، إن الله متكبر ومتعال وهو الذي جعل السماء سقفا محفوظا ومن حفظ هذا السقف أن لا يعقله إلا الذي نأهل له ، هذه سعادة وملاك عظيم وهل الملك العظيم يعطي مجانا والله يقول - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتنا معرضون - فالاعراض عن الآيات السماوية يمنع فهمها والاقبال عليها مفتاح فهمها والله عز وجل رحيم بخلقه ولكنه حكيم والحكيم لا يعطى إلا المستحق . فقال الحمد لله قد فهمت هذا المقال حق فهمه . فقلت الحمد لله قرب العالمين ثم جاء صاحبي بعدها بأيام فقال لقد شغلتني هذه الصور وقد ففقتها جيدا وأريد اليوم أن تبين كيف نعرف الجوزاء والأسد والسنبلة المشروحات في الرسم . أريد منك بيانا مختصرا بحيث أحفظه نهارا وأطبقه ليلا ومتى عرفت ذلك هان علي معرفة البقية . فقلت احفظ هذه الحروف الأربعة

ج د
من مربع الدب الأكبر الذي أمامك قل حفظتها . قلت الأمر سهل فابتدي بالقطر .
(د ب) من جهة (ب) وسر في خط مستقيم فانك تقابل الجوزاء . فقال نعم . قلت

ب ا
والجوزاء واضحة في الرسم أمامك فانظرها ففيها نجوم واضحة رسمت شكلا وهي (٦) منها رأس التوأم المقدم ورأس التوأم المؤخر . قال نعم . قلت ثم مد الخط (ا ب) من جهة (ب) أي من جهة تقابل جهة القطب وسر في السماء ببصرك فانك تقابل صورة الأسد وهي امامك في الرسم وفيها كوكب قلب الأسد وترى فيها ما يشبه المثلث وما يشبه خطا مستقيما أسفله منحنيا أعلاه وبينهما خط وهمي . قال نعم قد فهمت ذلك . قلت فلم يبق إلا أن توهم امتداد القطر (ا ج) من جهة (ج) أي من الجهة المقابلة لنصف الكرة تقريبا فانك تقابل السنبلة فانظرها هنا في الشكل ثم انظرها ليلا في السماء ففيها مستطيل من أعلاها بقرب الأسد وتحت

مثلث بجانبه شكل شبه منحرف يحيط به ست نجومات . فهذه الأشكال الثلاثة هي السنبلة . إذن الجوزاء والأسد والسنبلة التي هي ثلاث بروج من اثني عشر برجاً قد عرفناها بامتداد القطر (د ب) وبامتداد الخط (اب) وبامتداد القطر (ا ج) وهي كلها أمامك في هذا الشكل وبهذا عرفت إحدى عشرة صورة من الصور السماوية وهي الدب الأكبر والدب الأصغر والنجمة القطبية فيه وذات الكرسي والفرس الأعظم والمرأة المسلسلة وبرشاوش والغول والجوزاء والأسد والسنبلة ومن الجوزاء نجمان أيضاً فتكون عرفنا (١٣) صورة . وإذا لاحظنا أن الحمل والثور المرسومين في الصور الأخرى هما يتقدمان الجوزاء ظهر لنا اتنا عرفنا مواضع الحمل والثور والجوزاء والأسد والسنبلة . ولا شك أن السرطان بعد الجوزاء إذن نكون عرفنا (٦) بروج اه

(بهجة العلم)

سيأتى ان شاء الله تعالى في (سورة ياسين) عند قوله تعالى - وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون - عجائب تدهش العقول فوق ما ذكرناه فان بعض العلماء يتوقع أنهم سيرون نجوما تبعد عنا (١٠٠) ألف مليون سنة ، ويقولون أنهم شاهدوا نورا وصل الى الأرض دطم على أن هناك شمساً أضواؤها لاجل حرارة فيها بخلاف شمسنا ونارنا فحرارتها متصدة بضوئها كما ان قوانا الفضبية متصدة بأنوار عقولنا تشغلها عن كمال صفاتها كما ان الحرارة المصاحبة لأضواء الكواكب لولاهما لكانت أضواء تلك الكواكب أضغافاً مضاعفة ، وقالوا أيضاً ان هناك شمساً لو وضع منها مقدار حجم الحصة على بعد ألف ميل من جسم انسان شوته وأحرقت . فهذه العجائب المدهشة في زماننا سيرتقي بها أناس ويسعدون بأدراكها ويجوبون والمحب أول منازل المعرفة والحمد لله رب العالمين

(إيضاح مسألة النور والحرارة)

عجبت لأمر هذه العوالم التي نعيش فيها . أرى الموت والحياة معا في الماء وفي الهواء وفي الحرارة . أقف على شاطئ البحر فأشرب منه فأحيا ولكني أرى الموت قاب قوسين مني اذا أنا دنوت منه ففرقت فالما موت وحياة هكذا الهواء فهو حياة وموت ، حياة باستنشاقه صافيا ، وموت باستنشاقه بما خالطه من الذرات الحبوية القاتلة ، والحرارة بها حياة كل مخلوق وبها اذا اشتدت الموت . ومن العجب أن الانسان يعيش ويموت وهو في أضواء من الكواكب السماوية والنيران الأرضية وهو لا يكاد يفرق بين الحرارة والضوء لانهما متلازمان ، نو قد الفعهم فتحس بحرارة ولكن لا ترى الضوء إلا بعد اشتدادها ، ونرى ضوء الشمس يأتي إلينا مصحوبا بحرارة فلاندرى أهم أمران متلازمان الى الأبد ؟ أم هما يفترقان ، ولكن انظر الى العقول الانسانية اليوم واعجب من هذا العقل الانساني الذي يريد أن يهجر بالانسان الى عالم أرقى من عالمنا وذلك العروج لا يكون إلا بنوره ، ذلك النور الذي هو أرقى من الأنوار الحسية وهو الذي سنخلص بمساعدته من هذه العوالم التي جمعت بين الموت والحياة معا في موادها ، لم يفرق الماء ولا الهواء ولا الحرارة بين الموت والحياة بل تراها جميعها مجهزة للأمرين معدة للحالين ولكن العقل بنوره يهدينا الله للخروج من مأزق هذه العوالم المنحطة الى عالم يكون أرقى منها فيه البوام والخلود وهو العالم الذي يتعالى عن المادة ، فهذا العقل العام هو الذي أملى على امرئيك أمورا ينتظر تحقيقها في المستقبل فقال « ومن المستنبطات المنتظر تحقيقها قريبا النور البارد » وأبان أن السلك المعدني اذا أحمى بالكهرباء في المصباح الكهربائي حتى أضاء فان الضوء لا يبلغ فوق (٤) في المائة من القوة الكهربائية التي يبذلها الناس في هذا المصباح ، وأما الباقي وهو (٩٦) في المائة من تلك القوة الكهربائية فإنه يصير حرارة . ويقول انه اذا تمكن أحد من تحويل الحرارة الى نور أي (نور بارد) فان النور إذ ذاك يكون أرقى من هذا النور المستعمل الآن عشرين ضعفا وذلك بالاكتفاء بأربعة في المائة من الحرارة والباقي وهو (٩٦) في المائة يصير نورا (وعبارة ٢٠ من المقتطف ولعلها ٢٤)

هذا ما يقوله ذلك العالم الأمريكي . أقول وبيننا هذا العالم يقول ذلك اذا بعلماء الفلك يقولون ﴿ يا أيها الطبيعي ان ما فكرت فيه قد فعله الله قبل خلق الأرض فانه خلق الشمس الباردة فضوؤها لحرارة معه وخلق الشمس الجهنمية ﴾ اللهم ان العلم أرقى ما في هذا الوجود والمجد لله رب العالمين . انتهى صباح يوم الاثنين ١٨ فبراير سنة ١٩٢٩

(لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا -)

(عجائب التقويم)

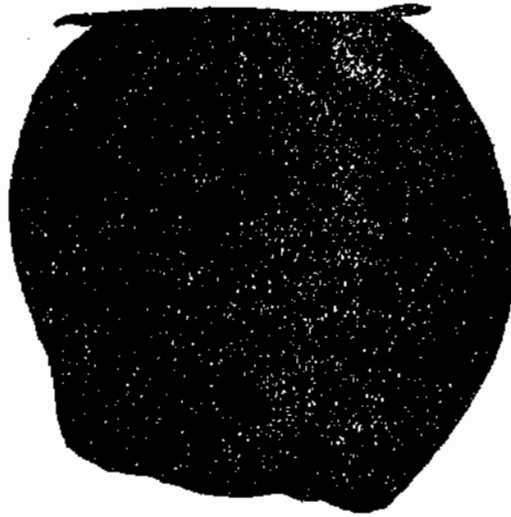
اعلم أن الله ذكر الكواكب والبروج والشمس والقمر في القرآن لأمر عظيم جدا . إن الله خلقنا من طين لازب أى لاصق ومن كان من الطين ان لم يجهن بما يرفعه الى العلا فانه لا يفارق الطين . جعل الله أضواء الشمس والكواكب سببا لحياتنا فلو لا الحرارة ماسر سحاب ولا ارتفع بخار من البحار فالحرارة رافعة له والرياح الجارية بالسحاب ما أثارها إلا الحرارة . إذن الحرارة أصل حياتنا وهكذا الضوء فلو لا الضوء لم نعرف الطرق ولا الأعمال ولا الأيام والشهور والسنين ، وبالضوء ظهرت خضرة النبات ونما ، ولو لا ضوء الشمس والكواكب لم تكن حياة على الأرض ولم يكن نظام لها فالحياة والهداية في المعاش كسبر السفن في البحار والقطرات في اليابسة . كل ذلك مبنى على سير الكواكب في السماء فالحرارة بها الحياة والضوء به الهداية وانتظام الحركات به الحساب الذي به تمام النظام . أليس هذا عجيبا ؟ نعيش في الأرض وأصول الحياة من السماء والناس غافلون . واقد شاهدنا هذه العوالم المنبثة فوق الأرض منتظمة ولم نرايد التي نظمت ، أحسنا بالحرارة وشاهدنا الأضواء ولكن جهلنا تلك النظم التي شاهدناها في الحيوان والنبات . فاذا رأينا الحرارة والضوء من عالم السموات فهكذا لتكن تلك المنظمات نفوسا ليست من عالم الأرض ، فالضوء والحرارة اللذان بهما الحياة من هناك وهما محسوسان فبالأولى والأولى أن تكون النفوس التي صورت تلك الصور الملازمة للنمو سماوية وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون -

يا الله ، أنت حكمت علينا بالحس في هذه الأرض مدة فتحن هنا يارب مسجونون ومن عادة المسجون أن يؤتى له بالرزق داخل السجن ويوعد بأنه عند تمام مدته يخرج الى أهله هكذا نحن الآن في الأرض سجننا وحكمت علينا أن لا ننال مطعمنا وملبسنا إلا بالعمل داخل سجننا ولكنك أرسلت لنا ضوؤا من المشرقات وجعلت نظامنا متوقفا عليها . تقلبنا في الأرض لطلب المعاش وهذا الطلب لا تخام له ولا نظام إلا بحساب سير الكواكب والشمس فالمشرقات فضل الحياة وفضل النظام ، ولقد سخرت منا جاعة يحسبون سير تلك الكواكب لأجل النظام عندنا فالأفراد يهتدون في الطرقات بالأضواء والأمم تعين جاعة لحساب سير تلك الكواكب . كل ذلك فعلته لتضطرنا الى البحث والنظر فنولى وجهنا جهة السماء ونسمع الأنبياء والحكماء يقولون ان هناك علما آخر تتوجه اليه اذا متنا وما هذا العالم إلا ما هو فوق أرضنا ، فعل الله ذلك ليشوقنا الى عوالم الجنات في السموات ، واذا كانت العوالم العلوية قد سببت حياتنا ونحن مجنونون من التراب لاصقون بالأرض فكيف تكون حالنا اذا توجهنا بأرواحنا من الأرض الى السموات ولم يبق هناك مانع يمنعنا من الرحة مبشرة فهناك يكون ملاعين رأيت ولا أذن سمعت

هذا ولقد ذكرت حساب السنين القمرية والشمسية في (سورة الكهف) وآخر (آل عمران) وأز يد على ذلك بيانا يشرح الصدر فأقول

إن المصريين كانوا أمة زراعية فكان تقويمها تابعا للشمس ، أما اليهود والأمة العربية الذين لم يكن جلى اعتمادهم على الزراعة فانهم قد اكتفوا بالأشهر القمرية . ولما جاء (بوليوس قيصر) الى مصر ووجد تقويمها مرتبكا أمر الفلكي المصري (سوسيجنس) فوضع تقويما قدر فيه السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم

وجعل الأشهر ١٢ مختلفات بين ثلاثين و ٣١ يوما إلا فبراير فإنه (٢٨) ثلاث سنوات و ٢٩ في السنة الرابعة وسارت أوروبا وبلاد الشرق الأدنى على ذلك حتى سنة ١٥٨٢ ذلك أن البابا (غريغورس) الثالث عشر رأى أن حساب (سوسيجنس) جعل السنة أطول من حقيقةها (١١) دقيقة و (١٤) ثانية وعلى ذلك أمر بأن ينقص من كل (٤٠٠) سنة ثلاثة أيام وجرى على هذا التقويم الغربيون ، أما القبط في مصر الذين ينبعون الكنيسة الشرقية فانهم لا يزالون يجعلون عيد الميلاد (٧) يناير والكنائس الغربية تجعله (٢٥) ديسمبر ذلك لأن الغربيين عرفوا الخطأ فأصلحوه . أوليس من العجب أن المكسيكيين القدماء كانوا يضمّدون على الزراعة وتقويمهم يشبه التقويم الحديث وهذا صورته (شكل ٤٧)



(شكل ٤٧ - تقويم أمريكي وجد في مكسيكا)

وانما ذكرت لك هذا هنا لأريك جلال الله الذي ظهر في هذه الأرض ، فانظر هذا الرسم من مكسيكا وانظر ما تقدم في (سورة يونس) من صور البروج المرسومة في (دندره) والأخرى المرسومة على صندوق (حز) ذلك (أولا) لأروى طمعي للعلم وطمأك لأنني كنت أحب أن أطلع على آثار الأمم القديمة في هذه العلوم (وثانيا) لتعلم معي عناية الله بالأمم واتصالهم جميعا الى عوالم السموات كأنه يقول لهم ارفعوا وجوهكم الى السماء فاقروها الآن لأنكم ستسافرون اليها بعد الموت - وما كنا عن الخلق غافلين - وفي السماء رزقكم وما تعدون - (وثالثا) ليكون هذا التفسير معرضا علميا تعرض فيه بهجة علوم الشرق والغرب فيستوق الناس للعلم والحكمة أو كسوق الصور الذي يلبس كل من الناس ماشاء من الصور العلمية فيه فيرقى عقله وترقى أمته ، فهذا قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقرا منيرا * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا - فهذا تذكر ومبدأ شكر لأنه لا شكر إلا اذا علم الشاكر بالمشكور عليه فأول الشكر العلم بنعمة المشكور وقد علمت معي أيها الذكي كيف قوم الله السنين وعلمها لأهل الأرض قاطبة وشوقهم الى الرقي الى عالم أعلى والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . انتهى الكلام على المقصد الثاني من السورة

(المقصد الثالث)

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا *
وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ

عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا * وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا * وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخْرُؤْا عَلَيْهَا سُومًا وَمُمِيكًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَّةً أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا فِتْنَةً مِنَ الْأَعْمَالِ * أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا * خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * قُلْ مَا يَعْبُودُوا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا *

بعد ما ذكر الله عز وجل حسن صنعه وجمال ابداعه بالماء المبارك النازل من السماء وايداعه في البحر الملح والنهر الحلو ، وكيف يكونان متجاورين ولا يطنى أحدهما على الآخر ، وكيف تكون منه الماء والنبات والانسان والحيوان وكان منه النبات والبنون ، وكيف أبدع في نظام كواكبه وشمسه وقمره ، وكيف نظم طرقها وأبدع منازلها ، بعد ما ذكر ذلك كله أخذ سبحانه يصف عباده الذين هم أهل للقرب من مبدع هذه الهجائب ليسين العباد بعد العلماء وليظهر مقام العبادة بعد مقام الحكمة وأن الأولى تابعة للثانية والثانية مقدمة على الأولى وليفيد المسلمين أن العلم مقدم على العمل فذكر صفات عباد الرحمن ، انهم في النهار يتصفون بوصفين وهما

- (١) انهم يشنون بسكينة وقار على الأرض
- (٢) ويفضون عن السفهاء فلا يقابلونهم ببيع الكلام ويتاركونهم ، وهم في الليل يحيون بالعبادة ساجدين قائمين في الصلاة
- (٣) ويدعون ربهم أن يصرف عنهم عذاب جهنم
- (٤) ويكونون كرماء لامقترين ولا مسرفين
- (٥) ويوحدون الله
- (٦) ولا يقتلون النفس إلا بالحق
- (٧) ولا يزنون
- (٨) وينفرون من مجالس الكذابين ومحاضر الخاطئين نزهة عن مخالطة الأشرار
- (٩) واذا مروا بأهل اللغو والمستغلين به كرموا أنفسهم عن التلوث به أي اذا سمعوا اللغو عرضوا عنه
- (١٠) واذا وعظوا بالقرآن أودعوا بهجائب الله كانوا مقبلين عليها وخروا سجدا وبكيا لانهم يكونون صامد عمية لا اعراضهم

(١١) وهم يدعون الله أن يرهم زوجاتهم وأبناءهم مطيعين لله ليكونوا معهم في الجنة
 (١٢) ويكون من دعائهم أن يقولوا ربنا اجعلنا متبوعين في الدين أئمة يقتدى المتقون بنا في الخير
 فهؤلاء المؤمنون المتصفون بهذه الصفات الاثني عشرة (١) يحزون الغرفات وهي العلالى في الجنة بسبب
 صبرهم (٢) ويدعى لهم بالتعير وهي التحية (٣) ويدعى لهم بالسلمة ، فالتحية للبقاء والسلام للملائكة .
 (٤) ويخلدون فيها . هذا هو جزاؤهم . غرفات عالية وتعير وأمان ودوام والبشارة بذلك من الملائكة .
 ولما بين العلم والعمل ختم السورة بأن الله لا يعتد بهذا الانسان ولا يعابأ به لولا عبادته إذ لا شرف له ولا كرامة
 إلا بالمعرفة والعبادة والأخلاق والأفلا فارق بينه وبين الحيوان ، وأذ أنزلت عليكم القرآن فكذبتم وخالفتم
 وقصرتم في العبادة والعلم فسوف يكون جزاء التكذيب لازما وقد تم ذلك بخذلان كفار مكة في يوم بدر وفي
 غيره . هذا هو ملخص المقصد الثالث من السورة

{ إيضاح لبعض الكلمات }

قوله (هونا) هينين أو مشيا هينا وهو مصدر وصف به أى انهم يمشون في سكينه وتواضع (قالوا سلاما)
 أى تسليما منكم ومشاركة لكم لآخر بيننا وبينكم ولاشرا أو قالوا سلاما من القول يسلمون فيه من الايذاء والإثم
 (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) لأن العبادة بالليل أجع للفكر وأبعد من الرياء أى يبيتون في الليل
 بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم ، وقوله (إن عذابها كان غراما) لازما ومنه الغريم ملازمته
 فهم مع حسن مخالطتهم مع الخلق واجتهادهم في العبادة وجلون من العذاب مبتهلون الى الله في صرفه عنهم
 (انها ساءت مستقرا ومقاما) أى بئست وفاعلها ضمير مبهم يفسره المميز (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
 يقتروا) وهذا هو ضد الكرم عند الحكماء (قواما) وسطا وعدلا (حرم الله) أى حرم قتلها (يلق أناما)
 أى جزاء الإثم وقوله (يضاعف له العذاب) بدل من ياق (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) بأن يمحو
 سابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم وهكذا يبدل ملكة المعصية بملكة الطاعة (ومن تاب
 وعمل صالحا فإنه يتوب الى الله متابا) أى ومن تاب عن المعاصي بالترك والندم ودخل في الطاعة فإنه يرجع
 الى الله متابا مرضيا عند الله يمحو العقاب محصلا للثواب أو مرجعا حسنا وقوله (والذين لا يشهدون الزور)
 لا يقيمون الشهادة الباطلة أولاي يحضرون محاضرات الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه (واذا مروا باللغو)
 أى ما يجب أن يلغى ويطرح (مروا كراما) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه (لم يخرؤا عليها
 صما وعميانا) لم يقيموا عليها غير داعين لها ولا متبصرين بما فيها (الغرفة) أعلى موضع الجنة وهي اسم جنس
 أريد به الجمع أى الغرفات (بما صبروا) أى بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات
 وتحمل المجاهدات (ويلقون فيها تحية وسلاما) أى تحييم الملائكة ويسلمون عليهم ، أوليقلون بتيقن دائمة
 وسلامة من كل آفة (ما يعبوا بكم ربى) ما يصنع بكم من عبادات الجيش اذا هيأته أولا يعتد بكم (لولا دعاؤكم)
 لولا عبادتكم والعبادة يتقدمها العلم . انتهى تفسير بعض ألفاظ المقصد الثالث من السورة

{ جوهرة في جلال القرآن في قوله تعالى - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخرؤا عليها صما وعميانا - }
 الحمد لله على نعمة الحكمة والعلم والشكر له على جلال النور والفهم ، سبحانه اللهم أعنت على هذا
 التفسير وأحسنن بالالهام والتيسير وجعلت أساوبه سهلا يتناول أكثره المتوسطون وبعضه لا يعقله إلا العالمون
 جعلته شارحا لآياتك سهلا لفهم كتابك مذكرا لأنعمك ناظما لجواهرها في عقده فذكر به اللهم قلوبا
 واشرح به صدورا ويسر به أمورا واستخرج به رجالا يقولون آياتك . اللهم انك أنت فسرته هذه الآية في
 نفس القرآن وذكرت معانيها في حكمك البهجات . أنت قلت - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم
 بشر تنشقرون - وعظمت على ذلك ذكر خلق الأزواج لنسكن اليها الخ وخلق السموات والأرض واختلاف

الألسن والألوان ومنامنا بالليل والنهار وابتغاء الرزق وهكذا كون السموات والأرض قائمات بأمرك وقيامنا بعد موتنا وهكذا وذلك في (سورة الروم) وأنت الذي جعلت الليل والنهار آيتين في (سورة الاسراء) والقاتل أيضا - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - الخ وقد أوضحت سبحانه في سورة البقرة هذا فجعلت من الآيات خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والسفن في البحر والتجارة والنبات والمطر وخلق النبات والحيوان وهكذا في آخر (آل عمران)

فيا الله انك لم تدع في كتابك أسلوبا إلا أنزلته حتى جعلت الآيات تشمل جميع العلوم العلوية والسفلية ولم تقصر ذلك على انها آيات بل أقسمت بها فأقسمت بالشمس والقمر والليل والنهار والتين والزيتون والطور والحيل فكما جعلت كل خلقك آيات أقسمت بجميع خلقك حتى قلت - فلا أقسم بمائة مصرون ومائة نبصرون - ولا جرم أن مانصر ومالانصر يشمل كل علم وكل صناعة . هذه هي آياتك التي ذكرت بها عبادك وجعلت هذا التفسير إيضا لها وشارحا لها ومبين . واني يا الله أكتب هذا وأمضي الى عالم أردته لي بعد هذه الحياة وأترك هذا التفسير بين يدي المسلمين حجة على من قرأه فهو مسؤول بين يديك مسؤول عن نشر كل ما يعلم من هذا الكتاب ومن كل علم من علوم أوروبا وأمريكا واليابان . اللهم إن ذلك كله آياتك التي أقسمت بها اعظاما لها واجلالا حتى اذا قرأناها عرفنا انها هي التي شرفها الله بالقسم فهي آيات وهي ذات الشرف العظيم بأن الله أقسم بها . اللهم إن المسلمين في القرون الأخيرة قد عموا وضموا عن آياتك واذا ذكروا بآيات ربهم خروا عليها صما وعميانا فيقول الغافل من المتعلمين هذه العلوم كفر أو يقول هو كلام النصارى أو يقول هو لامتعة فيه (انظر ماجاء في سورة الأنعام عند قوله تعالى - نجعلوه قراطيس تسدونها وتحفون كثيرا -) لتعلم ماذا حل بالاسلام بعد القرون الأولى من الجهل الواضح والذل الفاضح وانتكاس العقول ومخالفة المعقول والمنقول . فالحمد لله قد ظهر في هذا التفسير أن ما كان يسمى كفرا هو نفس الشكر وهو نفس القرى الى الله وهو السعادة في الدنيا وهو باب الجنة وهو الروح والريحان وهو مقدمات الظنولوجة الله الكريم وهو مفتاح السعادة ومنهاج السيادة فأصبح الكفر شكرا والذي زعموا انه كلام النصارى وغيرهم هو كلام الله تعالى وهو المشرف بقسمه وهو الذي به النظر لجمال وجهه وهو النافع في الدنيا والآخرة . اللهم اني قد أدت ما على المسلمين . اللهم أخرجهم من ظلمة الجهالة واجعل هذا التفسير سببا في اتحاد جميع العقول من المذاهب المتشاكسة والطوائف المختلفة من شيعة وسنة وزيدية وامامية وشافعية وحنفية وحنبلية . اللهم يا مقلب القلوب والأبصار كما قلبت أفئدة المتأخرين من الأمم الاسلامية فرأت العلوم التي أمرت بها في كتابك كفرا لانفع فيها نفروا صما وعميانا اذا سمعوها فاشرح الصدر لفهمها وأزل الغشاوة عن الأعين والحجاب عن القلوب وارفع الوراق عن الآذان وأثر البصائر . اللهم إن المسلمين متقاطعون متباعدون لحصر عقولهم في الفقه وفي الجدل المسمى علم التوحيد . اللهم إن سر دينك هي نظافة الباطن وجمال النفوس بالأخلاق الفاضلة وهكذا استكمال النفوس بالعلوم اني ترى في السموات وفي الأرض فاجعل هذا التفسير من مشارق الأنوار وسواطع البرهان . انتهى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٢٥ هـ

(فصوص الحكم في هذه الآيات)

ما أجل العلم والحكمة وما أبهى الفهم وأبهجه والنظر في هذه الآيات وتأملها . هذه الآيات كأنها ملخص السورة كلها والسورة سميت فرقانا وهو الفرق بين الحق والباطل ونتيجة هذه كلها النظر في آيات الله تعالى في السموات والأرض في قوله - لم يختروا عليها صما وعميانا -

في الآية آداب النفس مع الخلق ومع الخلق كالسكينة في المشي وحسن المخاطبة مع الجاهلين وقيام الليل والدعاء والاقتصاد والتبرى من الشرك ومن الزنا واللغو والكذب . هذه عشر خصال فمن كان متصفا بها استعد

لفيض العلم والحكمة . ملخص هذه الأوصاف سيكون النفس وتوجهها لله . فسرعة المضي نهوش على العقل وتذهب الطيبة وهكذا اللجاج مع السفهاء فترك هذين وترك الاسراف والشره الخ كل ذلك يجعل في النفس اطمئنانا وسكونا والدعاء وقيام الليل تذكري بالله تعالى . ههنا ﴿عنان خصال﴾ ترجع اسكون النفس وهديتها فلا اضطراب في الحركات ولا الخطاب ولا الانفاق وهكذا . وخصلتان ترجع لان الذكيرة بالله القيام بالليل والدعاء وهذه المقدمات العشر للفتح والعلم والعرفان . إن النفس لا يتم لها توجه في الصلاة والدعاء اذا تقسمت الامور عليها . فأما اذا اطمأنت اعتقادا وعملا بالخصال الثمانية فانها يصدق توجهها لله تعالى والصلاة والدعاء معراجا للعلم . ومعنى هذا أن النفس بتعود التوجه لله يفتح لها باب العلم والعلم هو المقصود من هذه الدنيا ومن وجودنا ومن هذه الخصال المذكورة . فلأجل العلم خلقنا وبه سعدتنا في دنيانا ويوم القيامة بل هو اللذة القصوى التي تتضاد دونها الجنات المسية بحورها وقصورها ولذاتها . إذن نتيجة الصفات العشر المذكورة ما بعدها وهو أن لا يكون الانسان أعمى أصم عن آيات الله أي أن يفكر في هذا الوجود ﴿وبعبارة أوضح﴾ أن يكون حكما عالما أو محبا أو متعلما أي أن تكون له درجة من درجات العلم حبا واستماعا أو كلالا فيه . إذن نتيجة هذه السورة حوز العلوم والحكمة وارتقاء النفس بذلك وهذا غاية الدين والدنيا . وهناك ﴿خصلتان﴾ بعدها وهما أن هذا العبد يجتهد في اكمل أهل منزله من زوجة وولد اكمل المتقين فيكون قدوة لأهله ولأئمة أي يكون نورا للناس وفارقا بين الحق والباطل الذي هو معنى الفرق . إذن هذه السورة لتخرج قواد يكونون أنوارا مشرقة للناس بمنعوتهم من الضلال . هذا هو نتيجة سورة الفرقان

وههنا عجب عجيب . ذلك ان الناس عادة يقرؤون هذه الآيات ويمرّون على الخصلة السادسة وهي عدم الاشراك بالله وعلى الخصلة الحادية عشرة وهي انهم اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشعوا عليها صما وعميانا فيخيل للقارئ أنهما يرجعان لمعنى واحد وهذا يكون كالتكرار ولكن هذا التكرار فيه سر قد كشفه الزمان وأظهره ما أحاط بنا من الحدثنان بل ان سر هذا المقام قد ظهر في انحطاط أكثر أئمة الاسلام واستبان أيعا تبين . ولما وصلت الى هذا المقام حضر الصلاة الذي اعتاد أن يحاورني في الامور العلمية في هذا التفسير واطاع على هذا الموضوع فقال مالي أراك تكثر ذكر السر في القرآن كأن مثل هذا لم يعرفه الناس قبلك . يا عجب لك أين السر هنا . ﴿جلتان﴾ جاءنا في هذه الآيات جلة تفيد عدم الاشراك بالله وجلة تفيد عدم الغفلة عن آياته عند التذكير بها وبينهما فرق في المعنى . قلت له ولكن لم قدم عدم الاشراك بالله الذي لا يتم الا اذا لم يعرض الانسان عن آيات ربه وكيف تقدم النتيجة على المقدمة . هنا نظر في آيات وتوحيد لله وثانيهما نتيجة لأولها فلم قدم عليه ؟ فقال إذن ما نقول في الجواب . قلت إذن أجيبك . اعلم أن الأمم الاسلامية بعد القرون الأولى في أكثر الأحوال وأعمها اكتفوا من دين الاسلام بأمثال الخصال العشر المتقدمة على قوله - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم - ومنها عدم الاشراك بالله . فاذا رأى المسلم انه آمن بالله ولم يشرك فانه قد ينسلي بذلك ويقول كفى كفى . فاذا ضم الى الايمان الأخلاق الفاضلة كالكسبية والتباعد عن الكذب وشهادة الزور والقتل الخ فانه يعد صالحا . هذا هو الذي سار عليه المسلمون في أقطار الاسلام . فأهم أمور الدين التوحيد والأعمال الصالحة ووقف أكثرهم عند هذا الحد وأخذوا يرددون كلتي الايمان والصالح وفرحوا بما عندهم من العلم - وحق بهم ما كانوا به يستهزئون - . فقال وما لذي به يستهزئون . قلت هي الخصلة الحادية عشرة وهي - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشعوا عليها صما وعميانا - . فقال والله إن هذا العجب أنا لم أسمع من مؤمن بالله يعرض عن آياته أو يكون كالأصم أو كالأعمى وانما ذلك في الكفار . فقلت اذا كان كذلك فتكون هذه الجملة ملغاة لا عمل لها . قل فأين الصمم والعمى عن آيات الله . قلت جمل في أقطار الاسلام وخابط كثيرا من العلماء والجهلاء وقل لهم ماذا تعلمون في علم الفلك والطبيعة والنبات والحيوان والانسان

والتشريح وجميع العلوم الكونية فانك لا تسمع منهم إلا ان هذه العلوم فروض كفايات ويستكون عن ذلك وعند الوعظ والارشاد والخطب على المنابر والتعليم لا يقرؤون هذه الجباب ولا يشقون الناس لهم ولا يفرحونهم به وليس من المعقول أن يحب الانسان صانعا ويعرف حكمته إلا بفهم صغته . قال إنك تقول هذا القول في قوم ماتوا قبل هذا العصر أما أهل هذا العصر فقد عرفوا كل شيء . قلت له أكثر أهل الدين لا يزالون غافلين فهم اذا سمعوا عجائب التشريح والفلك صموا آذانهم وأغمضوا أعينهم لا بغضا في آيات الله ولكن اعراضا عن الآيات لأنها ظنا منهم انها لا تفيد قربا لله إما لأنها كفر وإما لأنها لا فائدة منها وسبب ذلك الاقتداء بمن علموهم من علماء الدين الذين قبلهم . فهذه الجلبة جاءت لترفع الغشاوة عن أعيننا في هذا الزمان وقد ظهر أثرها في هذا التفسير الآن . فلتوجه أيها الذكي نظرا أهل زمانك إلى أن هذه الجلبة مذكرة لنا بجميع العلوم وأن الايمان والتوحيد لا يكفيان لرفق المؤمن وسعادة أمته

تقدم أن هذه الآيات كأنها ملخص المقصود من السورة والسورة مبتدأة بأن الله تعالى تكاثر خيره وتزايد على كل شيء وتعالى عنه في الصفات وأنه له ملك السموات والأرض وأنه خلق كل شيء وقدره تقديرا بحساب متقن منظم . ولا جرم أن كل شيء أعم من السموات والأرض والعالم المخلوق هو الخير الكثير الذي يفيد معنى - تبارك - ثم انه أعاد هذه الجلبة هنا قبيل هذه الآيات فقال - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والبروج هي الاثنا عشر المعالمة أو هي نفس الكواكب العظام وهي بعض ما خلق الله وقدره تقديرا . ولما شرح بعض خلق الله الذي من خيره الكثير أردفه بذكر عباد الرحمن وصفاتهم وجعل نتيجة الصفات كلها العلم والحكمة والعلم والحكمة يرجعان الى هذا العالم الذي نعيش فيه الذي ذكر في قوله تعالى - الذي جعل في السماء بروجا - الخ فانظر كيف أعاد الجلبة التي في أول السورة هنا ليعقبها بصفات المؤمن الذي يفهم هذا الخير الكثير الذي تضمنه - تبارك الذي نزل الفرقان - . فملخص السورة اخراج علماء في الاسلام يقرؤون نظام السموات والأرض ويكونون حكماء هادين لذرياتهم وزوجاتهم وأمتهم . فلولا ذكر التوحيد قبل التذكير بآيات الله وعدم الاعراض عنها ما تيسر لنا فهم هذه المعاني . إن هذه المعاني استخرجت من تأخير وتقديم وكأن هذا كهرباء ومغناطيس بهما أشرق النور وبهر الفرقان . فالتة يذكر في أول السورة ملكه وخلقته وتقديره للعوالم كلها ثم يعيد ذلك بهيئة جيلة في ذكر البروج والكواكب وذلك كله داخل في آيات الله التي اذا عرض عنها المسلمون أعرضت عنهم الدنيا والآخرة كما هو حاصل الآن في أكثر بلاد الاسلام . فباطوني لمن ذكر بآيات ربه . وباطوني لمن تذكر وتدبر وقرأ

يا الله إني أحمدك . ها أنا ذا قد ذكرت بآياتك بارشادك والهلامك مع اني أقر وأعترف بالضعف والعجز حقا وصدقا . فاجعل اللهم هذا التفسير ذكرى وألمم الأمم الاسلامية أن ينسجوا على منواله ولا يبحروا عن الآيات صبا وعميانا

فقال صاحبي هذا حسن ولكن يظهر لي أن المقام مقام تصييد للمعاني بحيث تأخذ ما يلائم وتذر الذي لا يلائم قصدك ويكون هناك ترجيح بلامرجح وهذا معيب يجعل القارئ في حيرة ويشكك في قولك ويقول إن القرآن لم تقصد منه هذه المعاني ولوانها كانت مقصودة لكانت على وتيرة واحدة . فقلت ماذا تقصد ؟ قال ان قوله تعالى - تبارك الذي - قد ذكر (ثلاث مرات) فذكرت أنت اثنتين منها . أما الثالثة فقوله تعالى خطابا للنبيه ﷺ - تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا - وهي واقعة في غضون السورة بين الآيتين فهل لهذه حكمة . قلت نعم وأي حكمة أجل منها . فقال وما هي . قلت ان النظر للسموات والأرض الذي جاء ذكره في المقامين الأول والثالث هو هو عينه المذكور في الخصلة الحادية عشر من خصال عباد الرحمن وهو عينه الذي في قوله تعالى - ويجعل لك قصورا -

الآثرى رعاك الله أن الجنة على ﴿قسمين﴾ جنة حسية وجنة معنوية وهي العلم والمعرفة والعلم والمعرفة مقدماتان للنظر إلى وجه الله فأنكشاف الحقائق غذاء للنفس وسعادتها للحكام في الدنيا والآخرة . وإذا كان الحكماء بهذه المثابة فما بالك بالأنبياء والصديقين فهل تظن أن رسول الله ﷺ في الآخرة بقعه الخور والولدان ويستغنى عن النظر لوجه الله الذي لا يكون إلا بعد تمام العلم والحكمة كما لا يجالس الملوك والأمراء إلا أهل الحجا والعقول . فإذا كان الله وعده بجنات تجري من تحتها الأنهار وعده بقصور فليس معنى ذلك أنه قاصر على ذلك بل هو رمز إلى انكشاف الحقائق ومعرفة العلوم . ومن عكف في قصره على المحسوسات فهو قاصر جهول (اقرأ هذا المقام في سورة البقرة عند قوله تعالى - وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات - الخ) فستجد هناك العبارة المنقولة من كلام السلف الصالح ﴿أن الجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء أفلا ترى سيد الرسل في أعلى جنة العلماء﴾ فرجعت هذه الآية إلى أختيها وظهر أن الدنيا لا يرقى فيها الناس إلا بالعلم والآخرة لا يسعدون فيها إلا بالعلم وأن قوله - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخجلوا عليها صما وعميانا - هي نهاية العلم والحكمة وفيها ملخص علوم هذه الدنيا ومقاصد هذه السورة وانها الحصلة التي بها تكون الجنة والحكمة ويكون صاحبها قطبا تدور عليه رجي الأمة وبه يقتدون وعليه يقولون

﴿بلاغة القرآن﴾

فانظر إلى أمر التقديم والتأخير في جملتين كيف أثرا موضوعا يتعلق بحياة أمتنا الاسلامية وبين عيوبها وعغازيها ويفضح سر تأخرها وينير السبل لتقدمها وارتقاها . إن هذا المقام هو الذي ألف له الامام الغزالي كتاب الإحياء فقد قال فيه ﴿إن هذا الكتاب قد صنفته لإحياء ما اندرس من علوم الاسلام﴾ وبين ذلك بأنه ايضاح صفات القلوب والعلوم الأخلاقية والاخلاص ثم المعارف العامة في السموات والأرض ثم إن هذا التفسير قد جاء لمثل ما جاء له الإحياء . كل ذلك أثاره في هذا المقام تقديم وتأخير . يمثل هذا تعرف بلاغة القرآن لا البلاغة اللفظية التي يفرح بها صغار العلماء ويقولون نحن نقرأ المفتاح للسكاك وكتاب سعد الدين الغفازاني وكتاب عبد القاهر الجرجاني وغيرها لنعرف بلاغة القرآن فقول لهم وهل عند هذا تقفون أو تنكصون على الأعقاب . إن الذي تبحثون عنه انما هو أن القرآن مجز وتبيح ذلك أن يكون المرء به مؤمنا وقدئنا أن خصلة الإيمان وحدها لا ترقى المسلم بل رقيه انما يكون بمعرفة هذه الكائنات فلم يخرج البلاء في أمة الاسلام عن كونهم أشبه بالبدوي القح في البادية وعن أنهم اذا وقفوا على ذلك قد دخلوا في حوز الموحدين المذكورين في الحصلة السادسة في هذه الآيات وهم عن آيات ربهم خرواصا وعميانا ، انهم ان أمة الاسلام طال عليها الأمد وقست القلوب وكثير منهم فاسقون . لقد اعترى العمى والصمم كثيرا من أهل العلم في أقطار الاسلام جهالة وغرورا وقد آن اقتشاع هذه الفشاوة والجد لله رب العالمين . كتب هذا المقال بعد عصر يوم الجمعة أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٤٥ هجرية

﴿ياقونة في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخجلوا - الخ﴾ بعد أن كتبت ما تقدم أردت أن أبين بعض أنواع التذكير التي ذكرنا الله بها معاشر المسلمين ليكون ذلك تكملة للجوهر السابقة وتبصيرا للأذكياء . التذكير إما بالقول أو بالفعل . أما بالقول

(١) فهناك هذا القرآن يدرس صباحا ومساء وصيفا وشتاء ليلا ونهارا يدرسه المسلمون ويقرؤ قراؤهم وفيه سور كثيرة ليس فيها حكم شرعي وانما هي ذكرى الأمم السالفة وذكرى آيات الله في السموات والأرض وهذه الأخيرة كما تقدم مرارا (٧٥٠) آية كما ان نظيرها في العدد أيضا تقريرا جاء في اصلاح الأخلاق

(٢) وهناك العبادات كما تقدم في (سورة البقرة) في تفسير آية السكرى فقد ذكرت هناك أن هناك آيات قد جعلها العباد والصالحون بذورا لبذرهم تربية يكونون بها صالحين فهو لاء زاهم اختاروا

الآيات الدالة على أفعال الله العجيبة كآية الكرسي ونحو - الم * الله لا إله إلا هو الحي القيوم - الخ وعو - شهد الله أنه لا إله إلا هو - الخ وأول سورة الحديد وهكذا . فهذه الآيات هي روضات الجنات تمتع الصالحون بالفاظها فست قلوبهم فذكروا ربهم وهي مسعدة للفكرين والحكماء والصدّيقين ليدرسوا نظام ربهم ويقتعوا بكواكبه وبشجره وببحاره وبنظمه العجيبة التي ذكر منها في هذه السورة أي سورة الفرقان التي نحن بصدد الكلام عليها

(١) نظام الظلال

(٢) ونظام الليل والنهار ، فالأول لباس يستر الناس وفيه النوم للراحة ، والثاني ينشر الناس فيه لطلب المعاش

(٣) ونظام السحب والأمطار والماء الطهور

(٤) ونظام سقي الناس والأنعام وحياة كل حي - فبق الأرض

(٥) ونظام البحرين العذب والملح

(٦) ونظام الكواكب والبروج وعجائبها

(٧) ونظام الشمس

(٨) ونظام القمر ، وأن كلا من الليل والنهار يخلف الآخر

هذه مجاميع ما ذكر الله به في هذه السورة فضلا عن بقية سور القرآن وختم ذلك بقوله - لمن أراد أن

يذكر أو أراد شكورا - فهذه الجوانب جميعها وأمثالها تكون ذكرى للذاكرين وشكرا للشاكرين

فانظر كيف يقول - اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخفوا عليها صما وعميانا - بعد أن ذكر هذه الآيات في

نفس السورة وجعلها ذكرى وشكرا للفرّيقين المذكورين فإذا ذكر الله بالقرآن كله وذكرنا بالآيات التي اختارها

العباد والآيات التي في هذه السورة فان الاعراض عن التفكير في معناها ودراسة علومها لكل قادر من

المسلمين يعتبر كفرا بالنعمة وكأن الانسان أصم أعمى . لقد تكرّر الذكر والتذكير في القرآن . ناهيك

ما ترى في سورة - اقتربت الساعة وانشق القمر - فهناك - ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر -

وقد كررها مرارا بعد كل حادثه وقصة ، هكذا في آيات كثيرة كقوله - وذكرهم بأيام الله - الخ وقوله

- إن في ذلك لآيات لقوم يذكرون - وقوله - تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - وقوله - أفلم يدبروا

القول الخ - وآيات كثيرة . هذا هو التذكير القوي . أما التذكير القوي فهو ما أحاط بالأمم الإسلامية اليوم من

القوى القائمة والأمم القوية الظالمة وفتكهم بهم فهذا تذكير لانوع الانساني فعلى . فإذا نام المسلمون عن هذا

التذكير بنوعيه فلا يلومون إلا أنفسهم والعقاب الأكبر على كل مفكر عرف أمثال ما كتبناه في هذا التفسير

ثم ترك النشر والتعليم . انتهى تفسير (سورة الفرقان) يوم الاثنين التاسع من شهر فبراير سنة ١٩٢٥ م

والحمد لله رب العالمين

(تذكرة)

قد يستعين الناظر للصور السماوية السابقة المذكورة قريبا بمسطرة طولها ثلاثة أمتار يضعها على النجوم

المعلومة لتوصل الى النجوم المجهولة على مقتضى التعليمات المتقدمة . انتهى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء الثاني عشر من كتاب « الجواهر » في تفسير القرآن الكريم)

وبليه الجزء الثالث عشر * وأوله تفسير سورة الشعراء)

(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارىء بلاتنبية وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	صحيحة	سطر	صواب	خطأ	صحيحة	سطر
وقتل منهم كثير	وقتلوا منهم كثيرا	١٧٥	٣	باباحة	باباحة	١٤	٢
فقتل	فقتل	١٧٥	١٠	المتزوجين	المتزوجين	١٤	٢٠
فلاح له	فلاح له	١٧٥	١٠	متقاربان فلذلك	متقاربان	١٥	٣
يقولون	يقولون	١٧٦	٥	عدا في الاجال	عدا في الاجال		
السما والجهنم	السما والعالم	١٧٦	٢٦	وجها واحدا	وجها واحدا		
الحمة	الحمة	١٧٧	٢	وانظر	وانظر	٢٣	٢٥
قد جاء	قد جاء	١٧٧	٦	الواقية	الواقية	٣٣	٣٢
ولبنان	ولبنان	١٩٦	١٦	صورتها	صورتهما	٤٠	١٨
فلاهما	فلاهما	٢٠١	٢١	ظهر	ظهر	٤٣	١٤
فاذا	فاذا	٢٠٥	١٣	معدنيا	معدني	٦٩	٤
الادروجين	الادروجين	٢٠٧	٣	الحيوان	والحيوان	٧٣	٦
والانجيل	والانجيل	٢٠٧	٢١	الثلاث	الثلاثة	٧٥	٣٢
رغير	رغير	٢٠٧	٣٣	أن يزول	أن يزول	٩٢	١٣
فان عدد (٢٢٠)	فان عدد (٢٢٠)	٢١٠	٣٢	هود	يونس	٩٢	٢٢
وكذلك (٢٢٠)	وكذلك (٢٨٤)	٢١٠	٣٣	محرفة	محرفة	٩٤	٣٠
يساوى مضارب	يساوى مضارب			كتبوه هم	كتبوه	٩٧	٩
(٢٨٤)	(٢٢٠)			يرقون	يرقون	٩٧	١٢
من المرجان	من المرجان	٢١٦	٣	أقر	أقره	١١٠	١٨
وأعدتها صور	وأعدتها صور	٢٢١	١٢	ينظر	ينظر	١٢٢	٢٦
مختلفة وأشكال	مختلفة وأشكال			وانقذت	وانقذت	١٢٣	١٩
وأوضاع	وأوضاع			البر	البرية	١٢٦	٢٧
أبنوقليس	أبنوقليس	٢٢٥	١٩	سدوم	سدوم	١٣٤	٥
ألفوها	ألفوها	٢٢٧	٨	لا تعمل	لا تكون	١٣٦	٨
بل كان عندهم	بل كان عند	٢٢٩	١	ترك	ترك	١٤٤	٣٣
٣٦ درجة	٣٦ من	٢٣٤	٢٧	واد	واد	١٤٥	٤
العباد (بتشديد)	العباد	٢٤٦	١٥	واد	واد	١٤٥	٤
الباء				الغار	الغار	١٤٥	١٨
				فتعرفوا	فتعرفون	١٦٩	٤
				المسرات	العترات	١٧٣	٩

فهرست

الجزء الثاني عشر

من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ تقسيم سورة النور الى (ثلاثة أقسام) وكتابة القسم الأول منها بالحروف الكبيرة مشكاة
- ٤ التفسير اللفظي لهذا القسم . حكم الزنا . فصل في حكم القذف وفي حكم قذف الرجل زوجته وفي الملاعنة
- ٥ فصل في قصة الإفك ومحصل القصة
- ٧ (أربع لطائف « اللطيفة الأولى » - ولانقلبوا لهم شهادة أبدا - الى قوله - فان الله غفور رحيم - لانقبل شهادة القاذف أبدا عند شريح . متى حذرت شهادته عند أصحاب الرأي . لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقذوف فيسقط عند قوم الخ
- ٨ (اللطيفة الثانية) - فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله - الى آخر الآيات
- (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحته ما زكا منكم من أحد أبدا -
- (اللطيفة الرابعة) في قوله تعالى - الخيئات للخيئين - الخ
- ٩ حكاية العابد والفارة المسوفة الى أن الأشكال تحن الى أشكالها بمناسبة الآية
- (القسم الثاني) أوله - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم - الى قوله تعالى - ومرعظة
- للتقين - مكتوبا بالحرف الكبير مشكلا
- ١٠ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١١ بعض أحكام التكاح من التذب والجواز وهكذا . فصل في المسكبة ووجوبها وندها
- ١٣ فصل في عدم إكراه الإمام على الزنا (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
- بيوتا غير بيوتكم - الخ وبيان أن الاستئذان ثلاث وأنه ثلاثة أمور
- ١٤ (اللطيفة الثانية) وفيها قوله ﷺ « تزوجوا الولود الودود الخ »
- ١٥ عنابة أمة الألمان باكثر النسل وتصوير المصورين حال ذوي النرية والذين لا ذرية لهم وتأثير ذلك في الشعب
- (القسم الثالث) - الله نور السموات والأرض - الى آخر السورة قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
- ١٧ التفسير اللفظي لهذا القسم
- ١٩ تفسير - ألم تر أن الله يري سحابا - والآيات قبلها وبعدها
- ٢٠ فصل في علم الحيوان وذكر ما يناسل منه بالانقسام وما يناسل بالبيض وما يناسل (بالتبرعم) وبيان
- الحيوانات الفقرية وانها خمسة أقسام والحيوانات الحلقية وانها خمسة أيضا والحيوانات القشرية وانها ليس
- لها عظام ولادم ولا حلقا والحيوانات الشعاعية . كل ذلك تفسير لقوله تعالى - والله خلق كل دابة من
- ماء فمنهم من يمشي على بطنه - الخ

٢١ بيان أن الخنافس وحدها (٨٠.٠٠٠) صنف والخشرات المعروفة (٢٠٠.٠٠٠) صنف ويتوقعون أن تكون مليوناً

٢٢ ﴿أربع لطائف في اللطيفة الأولى﴾ في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض مثل نوره - الخ وبيان أن قوله تعالى - مثل نوره - راجع لنبينا ﷺ أولسيدنا إبراهيم عليه السلام أولكل انسان الخ ثم تبيان الحق من هذه الأقوال وأن هذا التمثيل مثل نظيره العلماء جسم الانسان بسفينة أودار أولوح الخ ثم بيان الوجوه السبعة السابقة

٢٤ عجائب القرآن في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض -

٢٥ إيضاح الكلام على القنديل والمشكاة في المسجد وبيان العقل بالقوة والعقل بالفعل والعقل المستفاد والعقل الفعال وضرب مثل لدرجات العقل المذكورة بدرجات الغنى وبدرجات الملك لشاين أحدهما تاجر والآخر ابن ملك وقياس درجات العقل على درجتهما في الغنى والملك بالقوة وبالفعل وبلاستفادة وهكذا وبيان أن العقل الفعال نسبته الى عقولنا كنسبة الشمس الى أبصارنا فهي تضيء لأعيننا وهو يضيء على عقولنا الصورة والمادة والمعاني والعقول وأن عقولنا تعقل أنفسها فهي عاقل ومعقول وهذه العقول أنفسها على منوال العقل الفعال فهو الذي طبعت الصور القائمة به في المادة فحدثت الأكوان ، فما نراه نحن الآن من الصور هو الذي كان مرسوماً في ذلك العقل العام فلما رأيناه فيها فرحنا به ورسمناه في عقولنا كما كان في ذلك العقل قبل وجود الصور في المادة . قطرة ماء في تفسير قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - وبيان أن العلامة (هنشو) الأصبكي يقول : ان قطرة الماء اذا كبرت حتى صارت أكبر من فلك الأرض حول الشمس فان الاكسوجين والادروجين وهما العنصران اللذان ركب منهما الماء يرجعان الى نقطة ضوئية ترسم خطوطاً نورية وهمية بحيث تدور نقطة ضوء كهربائي سالب حول نقطة ضوء كهربائي موجب ستة آلاف مليون مليون دورة في الثانية وهذه النقاط الضوئية باختلافها كما وكيف تختلف العناصر التي ليست شياً سوى هذه النقاط ومع ذلك هذه القطرة المائية لو جمعت الجواهر المائية التي فيها لم تملأ إلا جزءاً من (مائة ألف ألف ألف ألف) جزء من النقطة المائية ، فالمسافات بين الجواهر المائية فيها كالمسافات بين الكواكب والشمس الخ وعدد الجواهر الفردة المائية فيها (٥) على يمينها (٢٠) صفراً ، وهنا بيان المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة المباركة من نفس القطرة المائية

٣٠ النور قديماً وحديثاً في أرضنا كالشاعل ومصاييح الزيت الخ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ - والطير صافات - **﴿الجوهرة الأولى﴾** في تسبيح الطير ، هل الجباد يعقل والأشجار تتعاشق ؟ هكذا يقول بعض الصوفية ولكن عقولنا لم تعرف إلا الثاني أما الأول فلا . **﴿الجوهرة الثانية﴾** في الطيور الرحالة (مترجم عن الانجليزية) وأن الخطاف يصرف زمن الشتاء عند بحيرة (نسادو) في أواسط افريقيا ويربى أولاده في بلاد الانجليز زمن الربيع . وبيان سبب تلك الرحلة . صورتان مرسومتان للخطاف الوارد بعد المهاجرة بيان أسرع التحولات الحية وهي حشرة تجرى (١٤) ميلاً في الدقيقة وجناحها يدوران بضعة آلاف مرة في الثانية ، وأسرع طيارة لا يدور دولاها الأمامي أكثر من (٢٠٠٠) مرة في الدقيقة

٣٣ مقاييس السرعة مثل أعظم سرعة للانسان الراكض وأعظم سرعة للطيارة ، أسرع طيارة في العالم لاجناح لها ولاصراوح **﴿الفائدة الثانية﴾** جاء في الأنباء البرقية أن طياراً حاول الوصول الى القارة المجهولة في الأقطار القطبية التي تنهاجر الطيور اليها ولم يصل لها الانسان ولكنه لم يتمكن

٣٤ ﴿اللطيفة الرابعة﴾ في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال - الخ وبيان أقوال علماء الاسلام في

القرون المتأخرة في معنى هذه الآية

٣٥ نص السؤال المرفوع الى الشيخ ابن المبارك تلميذ الشيخ عبدالعزيز الدباغ في الثلج والبرد والبرق وهكذا من الحوادث الجوية المسماة قديما بعلم الآثار العلوية وبيان انه قرأ كتب علماء الاسلام جميعها فلم يجدهم موافقين الموضوع حقه فرجع الى شيخه الدباغ فشرح له الثلج كما في العلم الحديث وهكذا البرد وأوضح المقام حق الايضاح وذكر الصاعقة وأبان أن السماء ليس فيها جبال من برد بل فيها جبال الثلج التي يخلق فيها بعض البرد ، وهذا الذي قاله ذلك الشيخ منذ مائتي سنة قد رسم في صفحة (٣٧) بالطيارة وهذه معجزة قرآنية دلتنا على أن القرآن خير مفسر له العلم الحديث

٣٨ (شكل ٤) صورة هضبة (موت بلانك) من جبال الالب وما اتصل بها والثلج الدائم المغطى لها

موازنة كلام الشيخ الدباغ المذكور بمذاهب الفرنجة الآن في البرد وكيفية ظهوره

٣٩ (شكل ٥) صورة الطرف الأدنى من الجرف الثلجي في (الرون) بجاني فركا

٤٠ (شكل ٦ و ٧) صورتان للبرد الجبلي البوري الشفاف الذي سقط على الأرض في ٩ يوليو سنة ١٨٦٩ م وهما هندسيتان جيلتان سداسيتان مشتملتان على أشكال كثيرة هندسية

٤١ (شكل ٨) و (شكل ٩) أولهما صورة الرسم الهندسي الذي أبان قطعة من البرد الصخري الذي سقط في بلاد فرنسا سنة ١٨١٩ م (وثانيهما) صورة البرد الصخري ذي الطبقات المتحدات المركز المركبات من جليد أزرق صاف وأبيض غير شفاف . بهجة العلم في البرد الصخري تفسير آية - ألم تر أن الله يرزق سحابا - بالرسم (شكل ١٠) صورة السحاب المتجمع (شكل ١١) صورة السحاب المركوم (شكل ١٢) صورة السحاب الذي يخرج الودق من خلاله (الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - وينزل من السماء من جبال فيها من برد - (الجوهرة الثانية) فيها تعجب من هذه الدنيا ونظامها في الماء وبخاره وبرده وتلجده الخ

٤٢ اتسام الجبال في هذا المقال وذكر كيفية تكون الشوامي الشمالية القصوى من آسيا وأوروبا وأمريكا وأنها تاج حول القطب الشمالي ، وذكر الذين حاولوا كشفه مثل (دانيس) ومن بعده الى الدكتور (هيس) الذي مات درجعا أعمى وبيان أن الثلج هناك قد يكون جبالا بمقاديرها ومضايقتها الخ أو سهولا واسعة وأنه قد يرتفع مائة متر وأن المختفي في الماء قد يكون ثلاثة أمثال ما فوقه ، وبيان أن حاسني السمع والهمس هناك تلتفتان وتظهر هناك هالات وشموس وأقمار كاذبات وشفق شمالي ، وأن الانسان يسمع سقوط الحجر كصوت المدفع وأن صوت الانسان يسمع على مسافة ألف متر وأن الشمس تدور حول الأفق ولا تغيب ونور القمر يظهر الاشخاص على مسافة كيلومتر وأهل تلك الأقطار يحتفلون بظهور الشمس ويقسمون الأعياد ، وبيان رحلات القطب الجنوبي كرحلات ثلاثة فرنسيين وكوك ، وبيان أنهم كشفوا هناك أرضين وأنهم وصلوا الى (٧٨) درجة ، ويقولون إن هناك جبالا وبراكين وقارة جنوبية ومناجم للنفط الخ

٤٣ بهجة العلم وظهور سر من أسرار القرآن في قوله تعالى - ألم تر أن الله يرزق سحابا - الخ واجتماع ٢٥٠ عالما أوروبيا من علماء الجمعية الجغرافية وقرارهم بأن هذه الآية منطبقة على نهر النيل وأن الخريطة التي صنعها بمصر بحسبة مصطفى بك منير مقدسة وأنهم وضعوها بحيث تضيء عليها الشمس ، وذكر مساحة بحيرة (فكتوريا نيارا) وهكذا الجبال وارتفاعها ونحو ذلك

٤٨ رسم الخريطة المقدسة وهي خريطة للنيل

٤٩ مقال عام في هذه الآية - الله نور السموات والأرض - الى قوله تعالى - يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير - . وبيان أن هذه الآية هي ملخص ديانات الأمم القديمة لاسيما دين قدماء المصريين ، وذكر أن الهند الجرمانية عندهم الله هو النور أو الشمس والنور عندهم (ديف) ومنها اشتق نحو (١٣) لفظا بمعنى الله وكلها راجعات للنور مثل (ديفاس) في لغة السنسكريت و (ذبوس) عند اليونان وهكذا والسبب في ذلك انه لولا الشمس ما ظهر حي على الأرض فعشقها الناس وذكروا الله بها أو عبدوها والى النور ترجع عبادة الصابئين وقد اختلط الحق القديم بوحداية الله في دياناتهم بالباطل وهو عبادة الشمس ونحوها فجاء النبي العربي وقال ، يا أيها الناس الشمس والنور من صنع الله فلا تعبدوا إلا إياه

الكلام على دين قدماء المصريين وظهور أسرار هذه الآية فيه وأن الأرض راقصة بحركتها اليومية حول الشمس عليها حلها وحلاها في مشهد عرس وحولها ثريات النجوم مشرقت عليها ، ومن حلاها قوس قزح والثلوج في القطبين وفوق جبالها وهكذا الأزهار في الرياض الخ وتبيان أن دين قدماء المصريين كان التوحيد المطلق وتوت أي الشمس يرجع الى خالق العالم في الحقيقة لانفس الشمس وهم وان عتدوا الآلهة فقد وحدوا فعلا أيام الملك (ميناء) بحيث يكون (اتوم) في مدينة (عين شمس) هو نفسه (فتاح) في مدينة (منفيس) وهكذا لتكون السياسة واحدة كالدين ، وذكر أنشودنين من أنشيد قدماء المصريين مترجتين من كتب الألمان ، وبيان أن حكماء الأمم مع الناس بأجسامهم وهم الآن في جنة العرفان

٥٢ بهجة العلم في قوله تعالى - الله نور السموات والأرض - . الجبال (نوعان) جبال ظاهري وجبال باطني وقدام المصريين ذكروا الجبالين معا الظاهر والباطن وتمجيد الله آدابهم الى انشاء الأنشيد المتقدمة والى الرقص ، وبيان عشق الله عند الأمم الاسلامية في (كتاب الاشارات) للرئيس ابن سينا ومعنى العشق العفيف

٥٣ بيان السماع الجائز والمحرم ملخصا من الإحياء في كتاب السماع ، وذكر حكي بن يقظان تأليف ابن الطفيل
٥٤ الأنوار الظاهرة والأنوار الباطنة التي ازدادت بها أرضنا ومنها (شكل ١٤) صورة مناطق النبات حول الأرض و (شكل ١٥) صورة المناطق الخس وحيواناتها و (شكل ١٦) نبات افريقيا و (شكل ١٧) حيوان افريقيا

٥٨ تفصيل الكلام على المناطق التي فيها اسماء النبات حول الأرض ، وبيان ان الحيوان كتاب مفتوح للناس قاطبة

٥٩ تفصيل الكلام على الأقسام الثلاثة الماشي على بطنه وعلى رجلين وعلى أربع وأن هذا الشرح ليس خارجا عن التفسير وقد أكثر المسلمون في الصلاة والزكاة ونحوهما تأليفا ولم يعد ذلك خروجا عن المقصود وهذه العلوم تزيد الناس مالا وعقلا وحبا لله تعالى . وهذه العلوم منفعتها أعم من منفعة الصلاة والزكاة . أقسام الحيوان خمسة من مبدا الفقرية الى النباتية (شكل ١٨) نبات أوروبا

٦٢ (شكل ١٩) حيوان أوروبا

٦٣ الحيوانات الفقرية التي فيها الأقسام الثلاثة في الآية وهذا القسم فيه (١٢) نوعا من الحيوان ذى اليدين وهو الانسان وذى الأربعة الأيدي وهي القرودة والثالث وهو آلات اللحوم والرابع وهو الحيوانات الثديية البحرية الى الحادى عشر وهو الحيوانات القيطسية ، والثاني عشر وهو الحيوانات ذوات الرجين في بلاد (هولانده الجديدة) . الكلام على القسم الثاني من الحيوانات ذوات الفقرات وهي الطيور وهي ستة أنواع كالديجاجة مثل الدجاج والطاووس وكذوات الأرجل الكفية مثل البط والشاطئية مثل أبي قردان

وإني مغازل وكالدودية مثل الببلل والعندليب وكالتسلقة وكالجارحة . الكلام على القسم الثالث من ذوات الفقرات وهي الزواحف مثل السلاحف وسورل والثعابين . الكلام على القسم الرابع من ذوات الفقرات وهي الضفادع . والقسم الخامس السمك وهنا (شكل ٢٠) نبات آسيا و(شكل ٢١) حيوان آسيا و(شكل ٢٢) نبات أمريكا الشمالية و(شكل ٢٣) حيوان أمريكا الشمالية و(شكل ٢٤) نبات أمريكا الجنوبية و(شكل ٢٥) حيوان أمريكا الجنوبية

٧٢ شكل نبات وحيوان أفريقيا ، وبيان الكلام على أن من الحشرات ما لا جناح له ومنها مستقيم الجناح كالصرصار أو نصفه كالنحل أو غشائه كالنحل أو غمدية كخنفس الفول وذو الجناحين كالبرغوث

القسم الرابع الحيوانات الرخوة مثل المحار والصدف

٧٣ القسم الخامس الحيوانات النباتية أو الشعاعية . محادثة مع أربعة فضلاء من رجال المعارف مفقش وناظر مدرسة ومدرسين واعتراضهم على الاطلاعة في أمثال هذه الآيات ورسم خرائط القارات وما فيها من النبات والحيوان والاجابة على ذلك بأن القرآن هو الذي قسم الذي يمشى من الحيوان الى ثلاثة أقسام من المشى على رجلين وأربع وهكذا ففيه فتح باب للتقسيم . ولا جرم أن المنطق تحليل وتعريف وتقسيم وقياس ولكل من هذه حظ من العلم ولا علم في الدنيا بخارج عن هذه الأربع ، وإذا كان الله يقول انه هو بث الدواب في الأرض فلا بيان لها إلا برسم نفس الدواب في كل قارة ، ولما منع من تصوير تلك الحيوانات وجعلها في الصور المتحركة

٧٥ هذا التفسير وأمثاله يرجع المسلمين الى العصور الأولى وبيان أوصاف الأسد والثعلب والذئب والجل ونحوها
٧٦ بهجة العلم في صور هذه الحيوانات وما أعد لها من النبات في هذه القارات وغرائرها وفي عادات الانسان التي جعلته في سجين . بيان أن احاطة الآيات القرآنية بالحيوان والنبات مجيزة أماطت اللثام عن الحقيقة وأخرجت الانسانية كلها من الخيرة إذ يقولون العلم شيء والدين شيء آخر فالسعادة للناس أن يكون دينهم هو عين فطرتهم وهذا هو القرآن وتنبأ المؤلف أن الناس سيكتبون هذه الآيات على أسوار حدائقهم في المستقبل

٧٧ جهل أكثر هذا النوع الانساني وغفلته بالتقليد الأعمى وهو لا يحب التعب والنصب بل يسير على سبيل الآباء طلبا لراحة نفسه والحيوان يسير على مقتضى الغريزة والغريزة لا خطأ فيها ولكن الخطأ في تقليد الانسان وغفلته وقد ذمه الله على ذلك وسيبتر المتبعون من التابعين . الحيوان من نوع واحد وعاداته متشابهة أما الانسان فعاداته كثيرة الاختلاف فمن متزوج أمه وأخته ومن محرم ذلك ومن أكل لحم الانسان ومن عرم لحم كل حيوان . إن الانسان ضل عن فطرته والحيوان لم يضل عن غريزته ، لذلك كان تقليد الانسان للانسان جهلا ميئسا يحط الانسان عن مرتبة الحيوان . وبيان أن التقليد هو الذي يمنع منكر الدين الاسلامي أن يكتب ويقرأ هذه الآيات التي توافي كل الأمم لأنها ترجح الفطرة إذن التقليد يحط بالفطرة الانسانية وينزلها الى أسفل سافلين ، وترى الشعراء والفلاسفة في كل جيل وأي أمة محرمون بخلاف آيات الدين الموافقة للفطرة فهناك من يمنعها وهم رجال الأديان الأخرى حرصا على المكاسب الأرض أشبه براقصة ترقص حول الشمس ، وفيه ذكر نظم أوله

* الأرض ترقص حول الشمس من فرح * الخ

٧٨ اللذات وتقسيمها (ثلاثة أقسام) عليا ووسطى وسفلى (العلم . السلطة . شهوة البهائم)
الحيوان مقسم على حواس الانسان وحاجاته فالسمك من حيوان للشم واللبن من حيوان للذوق وهكذا

٨٠ الحيوان كتاب مفتوح فنه الخرز كالآساد والمستعبد كالغنم . هكذا الانسان اذا أهمل صار كالثاني او نشط كان كالأول والقرآن أشار لذلك بذبح البقرة والوحى للنحل ، وأيضا قد أسمعت النملة نيا وهذا شرف لها لم تنله البقرة ونحوها . حفظ القوة الشهوية في الانسان حسن كما حفظها الحيوان

٨٢ يحمد المؤلف ربه على نعمة العلم وانه في كبر سنه اليوم أقرب الى الصحة منه أيام الشباب ، ويقول المؤلف ان جهله بعلم الصحة في شبابه قرّبه من المرض وعلمه بالصحة وعمله اليوم أكسبه بعناية الله الصحة وأن الناس بجهلهم شقوا ومن الجهل العام في الانسان اذاعة القول في الجرائد أن الكبراء وعظماء الأمم قد شربوا في محافلهم العاتية المرطبات ، ومعلوم أن ذلك لم يكن لداعية العطش فهو غير صحيح لم تقدم عليه الأنعام التي هي خير من الانسان في ذلك ، وقد شاعت عادة التدخين والمخدرات وكل ذلك مما دخل في قوله تعالى - وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم -

٨٣ نداء الى أمم الاسلام بذكر خطبة الاستاذ (فيشر) الأمريكي الذي يقول ان الجيل (٢١) سيكون متوسط أعمارهم (١٠٠) سنة لأنهم لا يدخنون ولا يشربون الخمر الخ والناس اليوم يقصرون أعمارهم بأمثال هذا ، ويتعجب المؤلف من أن هذه الخطبة نشرت عند كتابة موضوع الحيوان هنا الذي ليس مفرطا في طعامه وشرابه ونحوهما ، ويقول المؤلف ان المسلمين قرؤا آية الخمر وكان شعراؤهم يتباهون بها أمام ملوكهم جهلا . ذكر الدود والجراد والنمل والنحل والحمام والغربان والآساد والبقيلة . فالجرادة والذبابة والناموسة لا يرين ذريتهن والنمل والنحل يعطف الفرد على المجموع والدبابة والحمامة لا تعرف نظام المجتمع . والغربان لها حكومة منظمة والبقرة والشاة لا يعرفن إلا أنفسهن وذريتهن . والبقيلة والذباب والفرد تعرف نظام المجموع وسيقول أبنائنا في المستقبل ان الطفل والهرم كاللدود والاقوياء يلدون الفرية وتكون لهم جاعات فاليابان والألمان ونحوهم وصلوا الى درجة الغربان والذباب في علم الاجتماع والناس الآن في الشرق والغرب لم يزدوا عن الغربان . هذه الأمم كلها فعلت فعل الحيوان فاما بعض المسلمين كأبناء العرب في شمال افريقيا وسوريا والعراق فانهم لم يصلوا الى درجة أعلى الحيوان كأهل الصين واليابان وممالك أوروبا . وسيقول فلاسفة المسلمين في المستقبل (يجب على كل أمة شرقية بجمعها دين أو وطن أولفة أن تحافظ على مجموعها ثم يجب على هذه الأمم كلها في الشرق أن يتحدوا كما اتحدت الممالك المتحدة ليكونوا أرق من الحيوان ومن الأمم الحالية شرقا وغربا . ثم يقولون نحافظ على أخلاق آبائنا ولكن لانقف عندها وأن ماخافه نبينا ﷺ علينا من فتوح البلدان قد تم ووقعنا في ما زق الحياة مع الأمم فيجب علينا الآن أن نسعى في اتحاد الأمم جميعها شرقيا وغربيا لأن الجمعية كلها كانت أكبر كانت منافعتها أوفر) وهذه المسائل نطقت بها الاشتراكية والبلشفية ولكن هذه المحاولات الى الآن لم تند وقراءة علوم الحيوان وغيره مثل ما هنا تعين على هذه الفكرة وهكذا الوحى الذي أمر بذكر الله أكثر من ذكر الآباء في الحج وأمر بان يؤذن بلال وهو غير عربي في الكعبة وهناك يعممون تعليم كل ذكر وكل أنثى وينظمون المجموع الانساني كما تقدم ويشير لذلك حديث الصدقة إذ لا يجحد المنتصق من يأخذ صدقته ذلك لأن الأمم كلها عاملة وكل فرد نافع للمجموع فيكون مجزة

٨٧ ذكر انتشار الاسلام في بلاد (البرازيل) وأمريكا وقول المستر (ولز) (كل دين لا يسير مع المدنية لا ينفع والاسلام هو الدين الحق الخ) فانتشار الاسلام في الشرق والغرب الآن ومعه امثال هذا التفسير ربما يساعد على اتحاد أمم الشرق والغرب ويتم إذ ذاك حديث الصدقة وعدم اخذها

الانوار على (قسمين) نور ظاهر وهو نور الشمس والاقار والكواكب ونور باطن وهو قوى النفس وما فيها من الصور والانسان لجهله يحقر الأمرين معا الشمس والكواكب وقواه الباطنة لأنه لم يتعبد في

تحصيلها . اما الصور الشمسية (الفتوغرافيا) مثلاً فانه يفرح بها لأنها جاءت له بعد التعب فهو جهول والعوالم ألواح نفوسنا وكل انوار في الأرض انما جاءت من السماء ويقاس عليها أنوار عقولنا فهي من السماء لامن الأرض . فإذن نفسى لاحد لها فلا تدرسها ولا أقلد بعض الشيوخ الجاهلين الذين قالوا ﴿ إن الأعمال الدنيوية لا تقرب العبد من ربه ﴾ وهناك طوائف يقتصرون على الذكر وحده ولا بد من قراءة كل علم في الدنيا لأن نفوسنا لاحد لها ، ولكن هذه القراءة توزع على جميع الأفراد وهم متعاونون تعاون قوى الدماغ سواء بسواء ، هنالك يتم سعادة هذه الأرواح المرسله من السماء بالاتحاد العام وترتقي ارتقاء لاحد له والله لا يعطى هذا الانسان إلا على قدر تعاونه العام

٨٩ (القرآن والعالم المادى) المادة لم نرمها منفعة إلا على مقدار ما استخرجناه منها كالمعادن ونحوها من الأرض ، هكذا القرآن لا ينتفع منه إلا على مقدار ما نستخرج من علومه ، فهذه القصص فيه قد ترك الناس مغزاها . عرف سليمان قيمة نعمة العلم بكلام النملة فشكر النعمة وهكذا في مسألة العرش واستقراره عنده وشكر النعمة بقبولها والعمل لها . مسألة الهدد فوز سياسى ومسألة النملة فوز علمى فوجب عليه شكر النعمتين ومن لم يشكر النعمة سلبها ولا شكر إلا بعلم . سبأ كان لهم سد العرم والجنان فكفروا النعمة فرالت الشياطين يعملون لسليمان محاريب وتمائيل ، فهنا علم وملك وصناعة وزراعة فالأول بالنملة والثاني بذكر الهدد والثالث بعمل الجن الصناعات لسليمان والرابع بجنتى أهل سبأ وكلها قد ذكر معها الشكر أوضده . إذن هذه القصص جاءت لا يقاط المسلمين لأمثال هذه الأعمال ولا نذارهم بأعمالها . هذا بعض سر آية - وقليل من عبادى الشكور - وكل ذلك مناسب لهذه الآيات لأن أرواحنا نور من الله وللمناسبة الهدد والنملة التى ذكرت في مساق الدواب والطيور هنا

٩٢ تفصيل الكلام على الشكر وقول المصلى ﴿ ولك الشكر الخ ﴾ ولا شكر لأثم الاسلام اذا لم يحافظوا على عروشهم وعلى بلادهم ولم يتركوا الترف والتعم . والمالك اختبار للانسان لتخليد وسليمان يقول فيه - ليلبنى أشكر أم أكفر - فكيف بالمسلم الذى لم يعده الله بالمك كما وعد سليمان عليه السلام . وبيان أن السلام في بلاد الاسلام لا يتم إلا بتعميم التعليم وجميع أقوال الصلاة تشهد لهذا المقام

٩٤ ذكر أن أمان الله خان قد عممت الثورة أنحاء بلاده كما كنت أتوقعه في نفس هذا التفسير في (سورة الحجر) وأن هذا التفسير جاء لمساعدة الملوك والأمراء المصلحين فهو خير من الضغط الذى يورث الانفجار

٩٥ ونظير هذا ما حصل أيام المغفور له محمد على باشا إذ اعترض العلماء جهلاء على الأطباء لاختناهم الحجر الصحى (الذى هو شرعى) حقاً وهم نسوه وردّه عليهم فسكتوا . كل ذلك وهذا للجهالة بهذا الدين بيان أن ما نقوله في هذا التفسير قد ابتداء العلماء قبلنا كالامام الغزالي فقد ذكر أصناف الحيوان وانقسامه وعجائب البقة والنملة والنحلة والعنكبوت وهندستها وأن الناس لما ألفوا ذلك سقط وقع من قلوبهم ولا ينجبون إلا من الأمر الغريب مع ان العجائب كثيرة أمامهم في الأنعام ومنافعها وقوائدها وقطعها للبوايد وهكذا جاء في كتاب التفكير أحاديث وآيات للحث على التفكير . ولقد سلت الله على المسلمين صفار العلماء الصوفية من الداخل والتار من الخارج بعد العصور الأولى ، فهذا الذى كتبناه في التفسير اليوم تتم به ما كانوا ابتدؤوه قبل (٩٠٠) سنة ونسير معهم لأمع المتأخرين النائمين

٩٧ بيان ان علماء أوروبا في القرن العشرين ينظرون لعلمائهم في القرن التاسع عشر نظراً الى الأطفال كما تقم في (سورة المؤمنون) صفار المتعلمين من المسلمين الآن عرفوا آراء القرن التاسع عشر والى الآن لم يعرفوا آراء علماء القرن العشرين فضلوا وجهلوا

٩٨ يقول الامام الغزالي « أعظم علوم القرآن أسماء الله وصفاته ، فعلى المسلم أن يفهم صفات الله من ذكر أفعاله كالسماوات والأرض بحيث يرى الله في كل شيء وكل شيء هالك إلا وجهه وأول علم المكاشفة أن وجود كل شيء تابع لله فليست أفعال المسلم أعضاء الانسان ومحائبه الظاهرة والباطنة وتلك تذكير بصفات الله » ويناسب هذا قطرة الماء المتقدمة وانها ترجع هي وجميع المادّة لأتوار ، وهنا ذكر الغزالي رحمه الله انصراف الناس عن فهم القرآن بتبقيهم لخارج الحروف أو للجمود على مذهب أو لاتباع الهوى أو لتفسير لفظي جدوا عليه

٩٩ بيان ماهو التفسير بالرأى المذموم كأن يفسر القرآن مبتدع ويلبس على خصمه كأن يجعل حديث « تسحروا » للمستغفرين بالأسحار وكأن يفسر بظاهر العربية وقد جهل الحذف والاختصار الخ وذم التفسير بالرأى لابناني ماقاله على وأبو الدرداء من أن للقرآن وجوها والاقتصار على المنقول عن الصحابة جهل ورسول الله ﷺ لم يبق بتفسير القرآن كله . إذن القرآن فيه معان تفتح لكل جيل فافقها جهل الجوهرة الأولى في آية - لقد أنزلنا آيات مبينات - الى قوله - وما على الرسول إلا البلاغ المبين - وهو التفسير اللفظي لهذه الآيات

١٠١ هنا « موضوعان » الموضوع الأول « محاضرة في القرآن الكريم وأثره في اللغة والعلم والاجتماع والأخلاق ألقاها في مؤتمر المستشرقين الاستاذ محمد أحمد بك جاد المولى المفتش بوزارة المعارف وقد سمعها (٧٠٠) عالم منهم (٧٠) عالما من الألمان في مدينة (أكسفورد) وأقرتوا هذه الخطبة التي اشتملت على أن النبي ﷺ أعظم مصلح قام في الأرض وفيها وصف القرآن ومحتوياته وآثاره في اللغة العربية وأثره في الأحوال الاجتماعية والخلقية والعلمية ، وفيها ذكر العقائد والفرائض الدينية والأوامر والنواهي والانهذار والتبشير والجدل والتحتي والقصص والتشريع الاجتماعي والجنائي والمدني والحربي والوعظ والارشاد ، كل ذلك مبين بالآيات

١٠٦ بيان أن سيدنا محمدا ﷺ أعظم مصلح ظهر

١٠٧ أثر القرآن في الأحوال الخلقية وأثره في الحال العلمية

١١٠ ومن التبيين الذي وصف به القرآن ما جاء به تقرير كتاب « نظام العالم والأهم » في الجمعية الاسيوية انفرنسية على يد عشرة علماء وفلاسفتهم إذ جاء فيها أن هذا الكتاب اثبت أن الاسلام دين الفطرة بعد أن اخلصوا ما في الكتاب من المباحث التسعة وأن مباحث « نظام العالم والأهم » التي طبقها المؤلف على القرآن جاءت بطريقة سهلة لم يسبق المؤلف بها احد من أمم الاسلام الذين جدوا على الألفاظ جودا معيبا أدى الى انحطاط أمم الاسلام

١١٣ أنواع تبين القرآن في الارشاد خاصة وهي « ثلاثة أنواع » الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ووضع كل منها في موضعه ، ومن ذلك آية الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك فلم يكلمه إلا بمسألة الشمس ومشرقها ومغربها لأن الغرود من عبادها . فهذه مجادلة ولذلك لم يقل فيها - وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه - الخ وما قل هذا إلا عند آية الحكمة وهي التي في الأنعام حين ذكر الشمس والقمر والنجم ، فهذه حجة وإيقان . فأما الموعظة الحسنة فتل آية الكرسي ونحوها فهذا من تبين القرآن ، ومن الحكمة المخبوءة في القرآن قوله تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا - وهذا عند التكلم في الاتفاق والمناسبة النامة لاتعرف إلا بأن يعرف الناس انهم جميعا اذا تعاونوا شرقا وغربا سعدوا السعادة النامة لأنها ترجع الى كل فرد على قدر كثرة الاتحاد العام ، ولقد

جاء في كتاب أصول القوانين أن المدار على اسعاد المجموع وكذلك مسألة الخضر وموسى فقتل الغلام
لاصلاح الأسرة كلها ، فالمصيبة الخاصة للاصلاح العام لا ضرر فيها بل قتل الكفار يوم بدر لمنفعة أعم
وهو اسلام أبائهم وهم أم كثيرة

١١٥ ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم - الى قوله - ومأواهم النار وابئس
المصير - وتفسير الآيات اللفظي

١١٦ ﴿ أربع اطائف ﴾ اللطيفة الأولى ﴿ في قوله تعالى - وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات -
واخبار النبي ﷺ لعدى أن الامن يم البلاد حتى ان الطعنة لثأتى من الحيرة وتطوف بالكعبة فلا تخاف
وهذا مجيزة ، ثم اللطيفة الثانية ﴾ في قتل عثمان وفي أن الاسلام دين علم وعمل

١١٧ فصل في وعد الله للمسلمين بالتمكين في الأرض والاستخلاف فيها . فصل في أن المسلمين ينقصهم
أمران الاتحاد والعلم . ضرب مثل لحال المسلمين مع غيرهم . معنى الجهاد وانه ليس خاصا بضرب
العدو بالسلاح بل هو يشمل كل ما يقوى الأمة من زراعة وتجارة وصناعة جميع الصناعات فروض
كفايات جهاد

١٢٠ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ - يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم - الى - لعلمكم تعقلون -
وتفسيرها اللفظي

١٢٢ ﴿ الجوهرة الرابعة ﴾ - انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله - الى آخر السورة وتفسيرها اللفظي
١٢٣ خاتمة وفيها ملخص السورة

١٢٤ الجلال والنور في سورة النور وفيها ذكر تناسب السور الثلاث (الحج والمؤمنون والنور) في ذكر خلق
الانسان وانه من نقطة مخضفة الخ في سورة الحج وفي سورة المؤمنون ، فأما في سورة النور فقد جاء
ما يحفظ حواسه ، في الأوليين جعل هيكلا للانسان مستمدا من الأرض والهواء والماء والضياء أى من
كل ما حوله ولذلك قيل - فتبارك الله أحسن الخالقين - الذى جعل له منافذ تطل على العوالم المحيطة
به فيستفيد الانسان بها ، ومن عجب أن اللسان يعبر عن كل ما احس به بحواسه الخمس من هذه العوالم
وأىضا حاسة البصر تشاهد صور كل ما عرفته الحواس الأخرى من المعوسات والمشومات الخ وتعرف
نعمة الحواس بموازنة الانسان بالدود الذى فقد أكثرها ، وأكثر الذنوب ذنوب اللسان ويعين عليه
طموح العين لمحاسن النساء . إذن اللسان خلق لمنفعة هامة فوضعه في غير موضعه ظلم . خاطب الله
عباده بهذه الحواس والجوارح فهو يقول الناس ﴿ فريقان ﴾ أصفاء وأغبياء ، فالأغبياء ينظرون
جمالى في النجوم والتمار والأزهار فلا يعقلون إلا ما يشتهونه كالحيوان ، ومنى سفت لهم ساحة نحو العلا
سلطت عليهم زبانية الشهوات تضربهم بمقامع من حديد فتردهم الى أسفل شهواتهم وألسنتهم عاكفة
على الأذى لقومهم كأصحاب الإفك . إن تكلمت لستم بالتسبيح والتحميد لتذكروا نعمي المحيطة بكم
فليس الجمال في الانسان وغير الانسان لمجرد التناسل . ألم تفكروا في فتوركم بعد فراغكم من تلك
اللذة . تنادىكم الشمس والقمر والنجوم والأنهار والطير المفردات أن هلموا الى العلا . ان لم تصنوا
اللسان عن تضيقه لأوقاتكم والفرج عن الفاحشة والعين عن المحرم فكيف ترون انى نور السموات
والأرض ؟ انكم تحجبون عنه . الحيوان لا يسرف في لذة الوقاع فالكم تسرفون

١٢٧ آراء الانسان الخزونة في عقله أجنحة يطير بها الى العلا . السمع والبصر والفؤاد انتم عنها مسؤولون .
هذه الجمل ملخص سورة النور

١٢٨ (سورة الفرقان) هي « ثلاث مقاصد » المقصد الأول ، من أول السورة الى قوله - بل هم أضل - سبيلا - قد كتب مشكلا بالحرف الكبير

١٣٠ التفسير اللفظي

١٣٣ تفسير لفظي - لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني - الى قوله - وأصحاب الرّس -

١٣٤ تفسير لفظي لقوله تعالى - وقرونا بين ذلك كثيرا - الى آخر هذا المقصد . وهنا (١٥) لطيفة

١٣٥ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - تبارك الذي نزل الفرقان - الى قوله - نذيرا - كلها اختل - النظام كان الملك أسرع انحلالا ، وكلما كان العدل أتم كان الملك أدام ، وبيان الهدية التي يقال ان أرسطاطاليس أهداها الى تلميذه الاسكندر وهي دائرة ذات ثمان كلمات وكل منها تصلح مبدءا ونهاية اشارة الى أن الأمة متضامنة وفي هذه الكلمات علم السياسة كلها

١٣٧ اعتراض على المؤلف بأنه لا يفرق عن ذكر الحيوان والكواكب في كل مناسبة ؟ فنحن في صفات الله فلماذا نتعداها ؟ وجوابه اننا لانعرف دوام الملك بقولنا إلا بالموازنة فلماذا دام ملك الله ولم يهدم مملك بني آدم عرفنا أن ذلك من التقدير في قوله تعالى - فقدره تقديرا -

١٣٨ بيان الدائرة الكبرى العائمة . بخاريها لو فيكون مطر بتحرك الشمس له أولا وللهماء ثانيا وهي تلح على الحب المبذور فينمو ويتبادل الحيوان والنبات التنفس فبايخرجه الحيوان بالزفير ينفع النبات والعكس وغذاء الحيوان متوقف على السماد الذي منه ما يكون من فضلات الحيوان ، والانسان متوقف على النبات والحيوان والجميع على ضوء الشمس والهواء . هذا نظام عام . فأما الخاص فكجانب النحل والنمل وقد كتب منه كثير في هذا التفسير ، ومن نظام جسم الانسان تعاون الدائرة التنفسية مع الدائرة الدموية وهكذا بقية الدوائر الثمان المتقدمة في سورة المؤمنون . فهذه دوائر متعاونات تعد بالعشرات أوسع من دائرة (أرسطاطاليس) التي هي في سياسة الأمة وحدها وهذه في نظام العالم العام فتعجب وافرح بالحكمة . وهنا ذكر اللطيفة الثانية وفيها ذكر حكم (توت) وهو (هرمس) وأعداد المتواليات العديدة عند قدماء المصريين وذكر الياقوتات الثلاث في ترتيب الآيات . وبيان أن الانسان جنين في الأرض (٣٠٠) ألف سنة وهو اليوم طفل والحقائق تظهر الآن وانتشار الاسلام في افريقيا وتربيتهم ونشره في الصين ليرجعوا له بعد احتقار الأصنام التي شرعوا في تحقيرها الآن بالعلم وبيان أن مسلمي الصين الآن علمهم قليل

١٤٣ ملخص هذا المقال أن الأمم كلها أطفال وأن رحمة الله تشمل الأمم كالأفراد وأن دين الاسلام مهد لهم ليهتدوا به ، وان التقديم والتأخير حصلا في قوله - نزل الفرقان - وقوله - الذي له ملك السموات والأرض - فانزال القرآن بجملة فعلية وملك السموات والأرض بجملة اسمية والأولى للحدوث والثانية للدوام . قدم الله ذكر نزول القرآن بجملة تقتضي الحدوث وآخر ذكر ملك السموات والأرض وهذه هي حال المسلمين الآن لم يعرفوا إلا ألفاظ القرآن كالصبي يرضع لبن أمه ولم يفقهوا ملك السموات والأرض مع أن هذا الملك ترتيبه الوجودي قبل نزول القرآن وهو دائم فالتأخرون من المسلمين كالأطفال الرضع وسيمزجون العلم بملك السموات والأرض بالقرآن ليكونوا رجالا كما يفعل الشاب بعد زمن الصبا ، وبيان أن ما فعله مصطفي كمال باشا من عدم مزج العلم بالدين (طرفة) لا تؤمن عواقبها كما حصل بعد كتابة هذا الموضوع للأمر أمان الله خان الذي قلده مصطفي كمال باشا في تلك المجازفة وهذا كالأدوية المسهلة تنفع مؤقتا ولكنها تترك في الجسم داء ، وذكر أقوال الأطباء مثل (غرايشتاين) الألماني القائل (إن

الضعف ناتج من استعمال الأدوية ولو كان المستعمل لها طبيبا ماهرا ﴿ ومثل الدكتور (كيسر) القائل ﴿ إن السواء والطبيب كلاهما شر من المرض في أغلب الأحوال ﴾ وهنا (٨٠) عالما قرروا أن الاقتصار على الطبيعة كالهواء والغذاء الجيد خير من الأدوية ، فهذا تمثيل لأمر السياسة فعزلها عن الدين أشبه بهذه الأدوية ولا فرق بين جسم الأمة وجسم الانسان والطبيب السياسي والطبيب لجسم الانسان . وبيان أن هذا التفسير روح بها الله في الاسلام لترجيح الملوك والمصلحين من العناء وإن كانت آثاره يتأخر زمان ظهورها ولكنها تدوم

١٤٦ وبيان أن ذلك نظير شيخ طريقة كان مجاورا لى فى طولون ، وكان يظهر بعض الكرامات الصناعية فيها به الرىدون فى الصعيد بمصر وهذه حال لا تقيد لأنها وقتية كالأدوية التى دّمها الأطباء

﴿ الباقوة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . نظرة المؤلف للعنكبوت اتخذت لها بيوتا وضربت خيامها فى آلاف الأفدنة بجوار (بلدة المرج) قرب القاهرة وانها نساجة غارلة صائدة مفترسة للذباب وهى أشبه بالأم الصانعة التى تفتك بالأمم الزارعة لأنها أرقى منها وقد عرف هذه الفكرة السلطان سليم فانه لما فتح مصر أخذ جميع صناعاتها فبقيت البلد زراعية ليمكن استعبادها ، وهنا بيان مافى جسم العنكبوت من المصنعين مصنع الغزل ومصنع السم جلب المنفعة ودفع المضرة ، ومثلها فى ذلك النحل لها ﴿ مصنعان ﴾ مصنع لصناعة العسل ومصنع لاحداث السم ، فاذن جميع ما فى الأرض من مصانع الذخيرة ماهى إلا تكرار لمصانع فى الحيوانات كهذين المصنعين فى العنكبوت والنحل ، وهكذا مصانع الغزل والنسج والسكر تكرار لذلك فى العنكبوت والنحل ، وبيان أن العنكبوت ليست من الحشرات كالذباب والنحل فى عدد أرجلها فهى ذات ٨ أرجل والحشرات (٦) أرجل ، ومثل العنكبوت العقرب فى عدد الأرجل وكذلك أبو شيت وأكثر الحشرات غير سامة وأقلها كالنحل والزنبور سام بخلاف العناكب والعقارب وأبى شيت . هذه حكم المصانع من مغازل ومناسج وذخيرة للاهلاك ملأت بيوتنا وحقولنا فى الأماكن التى تركها الانسان لتكون عبءا لعقلاء الأمم المفكرة (شكل ٢٧) فيه رسم جهاز الغزل فى جسم العنكبوت مكبرا (شكل ٢٨) رسم ابرة النحل مكبرة جدا (شكل ٢٩)

رسم العنكبوت وله إرتان فى طرف رأسه يلسع بهما وتحت إبرة مكبرة والى يمينها الفدة التى تفرز السم (الحكمة العملية) وهى ان الأم الصانعة تستعبد الأمم غير الصانعة لأن الأولى تخلقت ببعض أخلاق الله ، انظر الى الألمان الذين صنعوا حريرا من خشب القطن وخشب التوت وهو أرخص من حرير الدودة وإذا دام هذا تنقرض الدودة . فى الهند يزرع نبات نيلة الصباغة فى مليون فدان فاستخرج الألمان مادة الصباغة من الفحم فبارت تلك الأطنان . إذن هذا الانسان خلق فى الأرض ليصنع كل شئ بنفسه فلا يتسكل على حيوان ولا نبات وهذه حال أشرف للانسانية العامة ويكون الانسان أقرب الى ربه

١٤٩ بماذا يشير الله للناس إذ أراهم صنع أمثال العنكبوت والنحل وتقديرهما الذباب نعمة لأنه يحيل الرطوبات الى جسمه ولكن هو نفسه ينقل العدوى لأمراض كثيرة ، لذلك خلق له العنكبوت يسلط عليه . إن الامم الموفرة الرزق ذليلة والأمم التى تعبت فى التحصيل عزيزة الجانب . فالأولى كالذباب الذى يجد الرزق فى كل مكان والثانية كالعنكبوت الذى يحتاج الى شبكات يصطاد بها . هذا كله من معنى - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - . لذلك كله ضرب الله الأمثال وأنزلها فى القرآن إذ علم أن المسلمين سينامون أمدا طويلا فقال - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - (بكسر اللام) ثم إن هذا التقدير ليس خاصا بما فوق الأرض بل يشمل ما فى البحر من السمك ومن الحيوان صاحب السفينة

١٥٢ فهنا سمك كهربائي (شكل ٣٠) و (٣١) يكون بالبرازيل وغينا ويقتل السمك بالكهرباء المتولدة من صفائح منشورية الشكل أشبه بخلايا النحل كالمساطر المسدسة الأضلاع . فهذه جعلت اصيده في البحر كشبكة العنكبوت في البر وهكذا (شكل ٣٢) صورة حيوان (الوتيلوس) أو صاحب السفينة بهجة العلوم المسطورة في لوح الطبيعة وهي (ثلاثة فصول)

١٥٥ (الفصل الأول) في خطاب الله للأئمة ، وفيه بيان أن منازل بني آدم تكون ظواهرها حيطانا متينة ولكن الحيوان منه ما جعل كذلك كصاحب السفينة وأمثاله من كل ما جعلت له صدقات تحيط بحجمه ومنه ما لاصلاية في جسمه لا داخلا ولا خارجا كالخشرات ، ومنه ما جعلت صلابته في الداخل لا في الخارج كالإنسان وذوات الأربع والطيور أي جميع الحيوانات الفقرية فهي تخالف بناء منازلنا ، صلبها داخل ولطيفها خارج كجلد الإنسان والحيوان بالنسبة للعظام

١٥٦ (الفصل الثاني) في خطاب الله للمسلمين بنفس هذه الحيوانات ، يقول هذه سنتي وهذه أفعالي فسنتي ابراز جميع الصناعات كما أرى يتكلم في جسم الحجل والعنكبوت والسمك وصاحب السفينة (الفصل الثالث) في خطاب الله للأئمة الإسلامية المنحبرين في خوارق العادات فلا يفرقون بين الأولياء والسكان ، وفيه بيان أن الشيوخ الذين ظهر صلاحهم وأخبروا بالغيب فرضا لا بدل ذلك على رفعة قدرهم فإن اتنويم المغناطيسي قد حدث بذلك صدقا نارة وكذبا أخرى ، وهل زاد الصادق من هؤلاء الشيوخ عن الهدد إذ أخبر سليمان بما لا يعلمه ، فهل الهدد بهذا الاخبار صار أفضل من سليمان ؟ وهل خرق بعض العادات من غير الأنبياء إن صح أيها المسلمون يزيد عما صنعه العنكبوت من المراكب الهوائية التي طارت بها في الجو ، فهل اتخذت الحيوانات البرية العنكبوت أئمة لها لما فعلت ذلك ؟ أم اتخذت حيوانات البحر السمك الطيارات أئمة لها بسبب الطيران غير المعتاد عندها . أيها المسلمون والله مادمتم جهالا فاني أرسل اليكم هؤلاء الجهال ليصوموا دماءكم هم والمستعمرون من الأمم القوية جزاء ما كنتم تجهلون ألساء مثلا القوم الجاهلون

١٥٧ ذكر ما قاله الشيخ الدباغ من أن من فتح الله عليه بسبب العبادة ونصب نفسه لقيادة الناس وجعل ذلك بابا للرزق فهو خاسر ، وبيان قول الفيلسوف (سينسر) ان الناس قرؤا قبل أن يكتبوا فعلمنا أن نبتدي بالكلام قبل الكتابة مشاككة لتاريخ ذلك والله خالق العالم قبل خلق الإنسان . فليدرس المسلمون الحيوان والنبات وظواهر العلوم قبل درس تشريح الإنسان ، إن النبات والحيوان مخلوقان قبل الإنسان فليدرسوا قبل دراسة جسمه ليكون ذلك أسهل لهم جسم الإنسان فهذا صراط الله ونحن نقول - اهدنا الصراط المستقيم - وهذا المعروف يرجع الى المنكر

١٥٨ بيان أن الطوفان والجراد والقمل والضفادع المذكورات في القرآن انها آيات مفصلات من الأمثال التي ضربها الله للناس وما يعقلها إلا العالمون . إذن هذه آيات مفصلات وآيات القرآن آيات مفصلات ولا تفصيل لآيات هذه الحشرات والحيوانات والطوفان إلا بعلم يشمل نوع الإنسان . وليس يعقل تلك الآيات إلا علماء بنص القرآن . فالمسلم الجاهل يحقر الضفدعة والقملة والجراد والدم ويقول هذه أشياء معروفة أنا أعرفها ولا تحتاج الى علم ولا فهم ولكن الله يقول كلامي لا يعقلها إلا العلماء اختصوا بها والجاهل يعلم كل شيء والعالم يتوقف حتى يعلم . فالطوفان يهلك البلدان اذا لم يحترس الناس من غوائل الأنهار كالنيل ولم يبنوا القناطر والجسور . وترى بلاد اليمن زراعية كان بها سد العرم قديما فانتفعوا به واليوم لاعلم في البلاد كالذي كان في الجاهلية أيام ممالك سبا فأفقرت الجنتان . وهل يرجع المجد

للقوم إلا بالتحرر في علوم الهندسة وأعمالها كالألم حولنا اليوم ؟ وهل يعرف المسلمون ما عرفه الناس في أيامنا من أن البراغيث تستعمل الفيران كما تستعمل نحن الخيل فتترك منها ونهجم على الناس فتقع على الأجسام حاملات جراثيم مرض البرقان والنزيف ومرض الدودة الحيطية والديدان المعوية والطاعون وأن نفس الفيران مدمرات لما نخزنه وأن الاحتراس منها ومن البراغيث يستحيل أن يكون إلا بعد العلم بذلك الخطر ومن لم يعلم لم يعمل . هذا معنى كونها آيات مفصلات . نعم البرغوث ليس مذكورا في الآية ولا الفيران ولكن البرغوث من الحشرات كالقمل فالمدكور في القرآن يراد به فتح باب البحث إذن هذه آيات مفصلات وليس بفصلها إلا العلم بها والمسلمون أكثرهم اليوم جاهلون بها . إذن على المسلمين جميعا أن يدرسوا هذه العلوم من باب فرض الكفاية وهي طاعة واجبة . وهذا زمان ظهور سر بعض أسرار القرآن . كل ذلك من قوله تعالى - وقدره تقديرا - لأن هذا من التقدير والنظام وهو لا يعرف إلا بالعلم

١٦١ ومن هذه الآيات المفصلات (الناموس) الذي يسبب مرض (الذنج) الذي يسمى بمصر (أبالركب) ويسمى (حى البلع) فلهذا المرض جراثيم لم يمكن رؤيتها لدقتها وتنتشر بالناموس والناموس يتغذى من دم الانسان ، وهنا كيفية أعراضها وكيفية منع انتشارها وطرق الوقاية منها في بلاغ الحكومة المصرية إذ أمرت أن يعدم الناموس وأن تغطي الأسرة وأن لا تترك الماء راكدا لأن الناموس يعيش فيه وليعزل المريض عن الأصحاء . كل هذا ذكرته ليبيان قول الله تعالى في سورة أخرى في هذه الحيوانات وأمثالها أنها آيات مفصلات فهذا نوع من تفصيلها بالعلم والمسلمون إذا لم يعلموا هذا فالتة لهم بالمصداق في الدنيا بالذل وفي الآخرة بجحيم

١٦٤ (اللطيفة الثالثة) - ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا - ويبان أن هذه (سبع صفات) لا بد منها للالوهية وبيت القصيد منها قوله - ولا نشورا - لأن الإله الذي يخلق الخلق ثم لا يعيده قد فعل فعلا عبثا فالإله كامل والسكامل لا يفعل العبث بخلق أرواح في الأرض ثم اهلاكا بلا فائدة تترتب عليها . وانظر إلى عدد (١٩) الذي مر في اللطيفة السابقة فقد جعله قدماء المصريين رمزا للبعث

١٦٥ (اللطيفة الرابعة) - وقالوا مال هذا الرسول - الخ - الناس لا يعظمون إلا من كثرت ماله وحشمه والنزف عندهم علامة الشرف فكيف يأكل الرسول الطعام الخ وهذه الفكرة الجاهلية هي هي نفسها اليوم تملك قلوب كثير من أمم الاسلام إذ يقولون لو كان ديننا حقا مادخل الفرنجة بلادنا

١٦٦ (اللطيفة الخامسة) - ولكن متعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا - يقول المعبودون جوابا على سؤال الله لهم عن العابدين ان هؤلاء تنعموا فاتبعوا أهواءهم فهلكوا ، وعليه يكون الأنبياء المذكورون في الآيات لو أنهم لم يمشوا في الأسواق وكانت لهم كنوز يأكلون منها لكانوا منعمين والمنعم ضال غالبا . إذن التمتع ليس نتيجة النبوة بل نتيجة الضلال ، فالأنبياء إذن ليس من شرط نبوتهم الغنى . إن الملائكة والأرواح العالية لا تسكلم إلا نفوسا ترفعت عن المادية ، فأما الشهوانية فقد احتال الناس في زماننا على محادثة منها أرواح بالمائدة وبالفتجال وغيرها مما هو مشروح في كتابي (الأرواح) وأكثر الأرواح التي يكلمها الناس بالصناعات المتقدمة أرواح كاذبة ساقطة تصدق وتكذب

(اللطيفة السادسة والسابعة) النعمة معها قيمة والمضار فيها منافع . ان في أجسامنا الحيوانات البيضاء تساعد الجراء في الدم وتحارب الثورات لتفتك بأجسامنا وفي أثناء القتال نحصل الحرارة فنسميها حى والتلقيح المعتاد يراد به ادخال حيوانات مهلكة تمرث الكرات البيضاء على الحرب فتكون ذريتها معدة لاهلاك حيوان كل طاعون أو مرض مهلك في الجسم . هذا كله سر قوله تعالى - وجعلنا بعضهم

لبعض فتنة - ومن هذا مذافع الأعداء ومنه قول الشاعر * عدائي لهم فضل على ومنة *
 (اللطيفة الثامنة) - وقد منّا الى ماعملوا من عمل - الخ نيات الانسان وآراؤه اذا تركت مبعثرة كانت
 أشبه بذرات الضوء في طبقات الجو لا ظهور لها ولكنها تجتمع على وجه الأرض فيظهر ضوءها هكذا
 الأفكار إن لم تجتمع في نقطة في العقل ذهبت شعاعا بلا فائدة
 جوهرة في قوله تعالى - أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا - الخ سؤال طالب من دارالعلوم يقول كيف
 تصور وجود الله وعقولنا لاتعقل كيف كان هذا الوجود ، ثم كيف يعذبنا وهو المقدر لكل شئ فأجابه
 المؤلف على السؤال الأول

(١) بأن المثلث والمربع وقضايا الحساب وغيره ثابتة في نفسها كالأعداد مثلا ، فهذه القضايا الثابتة
 بنفسها تقرب لنا وجود الله بدون خالق وأيضا مالنا ولهذا أرضنا صغيرة فهي صغيرة بالنسبة للعوالم كلها بحيث
 اذا كانت الأرض جوهر افردا كانت العوالم على نسبتها ألف مليون أرض فكيف نطمع أن نعقل خالق العالم
 (٢) وأيضا نحن لانعرف العدم ، فالمت أجزاءه باقية بعده وكانت موجودة قبله بل المادة قيل اليوم
 انها تنعدم وترجع الى أثر ولكن الأثر موجود - إذن لاعدم والوجود هو الأصل ، إذن وجود الله
 أصل لا يحتاج الى تعليل وليس فيه غرابة اي فلا نقول من خلق الله ، والاجابة على مسألة القدر وهي
 الثانية بأن ندرس أجسامنا والعوالم كلها لنعرف الرجة ، فلننظر طبقات العين مثلا وقد أعدت لتنظر
 الأنوار الآتية الينا بعد سيرها (١٠٠) ألف ألف سنة ، فالرجة لاحد لها قد مكنت العين من رؤية
 أجرام بعيدة جدا ، ومن الرجة اذلال العناصر للانسان بحيث أمكنه بالكهرباء أن يوسع درجات الحرارة
 بحيث صارت (١٤) ألف درجة فوق الصفر و (٤٤٩) درجة تحت الصفر بسبب الفرن الكهربائي
 فتصرف في المادة وحول الهواء (الاوزوت الذي فيه) مع الاودروجين الى نواشيد وهذا دخل في سجاد
 الزرع وفي الأعمال الحربية ، فنحن في يد الله يصرفنا تصرفا لا عناصر بالحرارة وهذا جعل لرقينا
 فكل ألم انما هو لمنفعتنا ، وأيضا السنة أمرت بترك الكلام في الفناء والتسدر . ومن أراد الكلام
 فليفكر في أن لكل امرئ جنة ونارا في نفسه فالخوف من التعير بالتأخر عن نظرائه وهكذا لحوق
 العار بنحو القسوق . كل هذا يعذب به الانسان ولا يقيد ان يقول هو قضاء وقدر ، فالتاس بحسون
 بالآلام الضمير وقد انطبق عليهم قوله تعالى - بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره -
 وهكذا نرى المجتدين منشرحى الصدور بنجاحهم في النهاية . فلكل امرئ عذاب ونعيم لا حقان به في
 الحياة الدنيا ولكن هذا يصير مجسما بعد الموت . ومن ذلك الخياط (شوارد) الانجليزى الذى قتل
 زوجته ثم ندم وقدم نفسه للحكمة فقتلوه وذلك لشدة ضغط ضميره عليه . إذن لم يكن ضميره بالقضاء
 والقدر . إذن العذاب يكون في الدنيا وفي البرزخ ويوم القيامة وذلك ظاهر في جميع قصص القرآن وفي
 حديث قليب بدر ومناذاة النبي ﷺ للقتلى في القلب . ثم بيان أن عذاب الخزي هو أشد أنواع العذاب
 بيان ما يناسب هذا المقام من كلام علماء الأرواح وضرب مثل لذلك أولا . ذلك اننا في الأرض اتخذنا
 من الجبال حجارة فبنيناها ووضعنا معها ما يناسبها . واتخذنا ما في باطن الجبال وقرار البحار من الأحجار
 الكريمة والجواهر لعلنا نزينها للحسان ونحوهن ونرى رجال السياسة بناء الأمم يكتبون من الشعوب
 بطواهر التآلف ومثلهم رجال الدين . أما الحكماء فيقولون . كلا . فالعقول الصافية العالمة هي القصودة
 في عوالم الجنة وهي أشبه بالجواهر تنعش بها الحسان والله لا يصطنع عنده إلا هؤلاء المخلصين فهم كالجواهر
 أما الباقون فهم كحجر البناء وحجر البناء لا يصلح للزينة لعدم المناسبة وهذا معنى الحديث : أنا أحكم

بالظاهر والله يتولى السرائر . هذا هو المثل الذي ضربناه . ويقول الاستاذ عثمان نويل) الذي تقدم ذكره في التفسير وهو من علماء الأرواح (إن الذين في العلوم وامتزجت نفوسهم وأحسوها هم الذين ترتفع منازلهم بعد الموت ، أما العلوم التي حفظت بدون تعلفها في النفس فلا ترتقي الروح بعد الموت فالعلم بهذه الدنيا ونظامها على هذا الشرط يجعل النفس مع الأرواح العالية (ويقول المؤلف (إن آراء هذا العالم الروحاني تشابه آراء الغزالي في كتاب الإحياء) ثم يبين أن آيات القرآن تساعد على ذلك ، ألم تر أنه يقول تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض - الخ فلماذا جعل رزقنا من السماء بالمطر مثلاً وأخبرنا به وجعل لنا عيوناً ونحوها (الأرض) التي لا تحتاج إلى ماء المطر وهي عماية ، ماذا لك إلا ليذكرنا بأن ندرس هذا الوجود ، وأيضاً هو أوقف حياة الفرد على حياة المجموع لتعارف وتحدد ونستخرج منافع الأرض معاً . ويبين أن أخلاق الإنسان وأعماله براها بالفتشون من الملائكة مسطرة على دماغه وجسده كله ويقذف في النار بعد الموت أوفى الجنة أوفى مدة إلى أن تظهر خباياه ثم يرسل إلى جنة أو نار وهذا كله موافق الآيات القرآنية . الكلام على المقال الذي أقيته لذلك الطالب بعد ذلك في وجود الله تعالى لما سبق ، وأن هذه العوالم ترجع إلى ذرات ضوئية كهربائية وما هي إلا حركات ناشئة من عالم لا ندركه والعالم الذي لا ندركه وراءه موجود - قبيح هو الأصل عرفناه بوجود نفوسنا التي لا نراها وإذا كان الوجود المجازي أو الظاهري الذي سميناه مادة رأينا لا يندم إذ المادة ترجع إلى الأثير الخ فكيف إذن يكون الموجود الحقيقي الذي هو الأصل . إذن الوجود هو الأصل لا العدم وعلى هذا لا يرد السؤال بقولنا من الذي خلق الله الذي يبنى على أن الأصل هو العدم . ويبين عجز المؤلف وعجز العلماء قبله عن إدراك حقيقة عالم الأثير كما عجزوا عن إدراك ذات الله والاكتفاء بضرب مثل لله في خالقنا وذلك بعالم الخيال عندنا فنسب ضعف خيالنا إلى عظمة هذا العالم المشاهد كنسبة ضعف نفوسنا إلى عظمة خالق العالم وخيالنا لبقاء له إلا بنفوسنا وإذا غفلنا عنه لحظة عدم هذا الخيال هكذا هذا العالم لو أغفله الله لحظة عدم فلا وجود له ، وهذا يفهمنا - لا تأخذه سنة ولا نوم - ويفهمنا - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - وعليه لاجابة في خالق العالم إلى مادة سابقة وإمكان ولا في عدمه إلى شيء غير الإرادة وبه نفهم معنى - كن فيكون - وهذا أصل عجيب فتح أبواباً كانت مقفلة على أكثر نوع الإنسان والعلم الحديث هو الذي سهل فهمه لأنه أرانا أن المادة حركات لا غير فهي معدومة ، ثم يبين أن هذا المقال سيتم في آخر سورة النمل وهناك نذكر موازنات بين علماء اليونان وتفصيل العلوم المعروفة في القرون الوسطى التي استمدت منها علوم الأمم الحاضرة

١٨٢ (اللطيفة التاسعة) في قوله تعالى - وبوم تشقق السماء بالغمام - وبيان الكشف الحديث أن ستين ألف كوكب ظهرت الآن وانها في حال التكوين كأنها غمام وأن الشمس وأمثالها ترجع إلى تلك الحال بعد خراب هذا العالم

(اللطيفة العاشرة) - وبوم بعض الظالم على يديه - وفيها ذكر أنواع الصداقة وانها (أربعة أقسام) تأتي سريعاً وتذهب سريعاً أو بالعكس الخ . ضعف السياسة في الأمم الإسلامية اليوم . وبيان أن الأمم الأوروبية قد نبغت في صناعة السلاح وصناعة الحيل والمكر حتى أنهم يرسلون للأمير ولقائد الجيش في أمم الإسلام رسولين وكل منهما يحرك صاحبه إلى مناوأة الآخر وهناك تكون لهم هم الفائدة المرجوة وهذا يناسب الآية - وبوم بعض الظالم على يديه - الخ

١٨٤ (اللطيفة الحادية عشرة) - وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً - وبيان أن

المسلمين جهلوا الحكمة في أن أول سورة نزلت جاء فيها الأمر بالقراءة ووصف الله بأنه كريم خلقه الانسان وأكرم لأنه علمه بالقلم فرضوا بالاغتراف من نعمة الكرم ولكنهم لم يرضوا بقبول نعمة الأكرم التي هي نعمة العلم خاف العذاب بنا في الدنيا قبل الآخرة

١٨٦ القرآن وتقصير المسلمين ، وكيف نسوا سرّ تقديم كون - الحمد لله - على كونه - رب العالمين - كما قدم - اقرأ باسم ربك - الخ على ذكر الصلاة . إذن العلم أفضل من العبادة ولكن المسلمون اكتفوا بالعبادة ونسوا العلم . إذن هناك اتفاق بين الفاتحة وبين سورة العلق

١٨٧ القرآن كالبحر الملح ، أخذنا منه علم الفقه الذي يشبه السمك في البحر وتركنا الجواهر والمرجان فأخذتها أم غيرنا وهي غلوم هذه الكائنات

(الطيفة الثانية عشرة) - الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم - الخ وفيها أن النبات رأسه أسفل والانسان بعكسه والحيوان وسط بينهما ، فالانسان نبات مقلوب ، وعلى قدر انفصال الرأس من الأرض يكون حظها من العقل فادراك النبات أضعف ويليهِ الحيوان فالانسان . إذن النفوس المنحطة تحشر على وجوهها لعدم عقلها - وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل - الخ فعلى مقدار الجهد في العلم والعمل وارتقاء الغرائز تكون السعادة والكمال

١٨٨ جوهرة في قوله تعالى - وكلا ضربنا له الأمثال - الخ وشرح معنى المثل وأمثال (كيلة ودمنة) وقصص (ألف ليلة وليلة) وأمثال اليهود وأهل بابل والهند وقدماء المصريين وهكذا وأن الأمثال إنما ألهما الله لعباده لأن فهم المعاني منها أبقى لها عند النفوس الانسانية لأنها لا تعظم إلا ما تعبت في تحصيله كما ترغب في جبال النجوم وبهجة الأشجار كرجبتها في الناس والجواهر لأنها عزيزة عندها لتباعدها عنها وغلو عنها ، هكذا الأمثال فهي تحتاج إلى أعمال الفكر . ونظير ذلك ما شاهدته المؤلف في دار الآثار العربية من سجادة عالية الثمن وانه من عقيق أثمانها مائة مائة جدا وهكذا قيص ابن هرون الرشيد . فهذه كلها لتندرتها جذبت قلوب الناس لمشاهدتها ولو كانت مبدولة لتركوها

١٩١ وههنا أن أن أذكر قصة العابد المقتون وهي الرواية الهندية . ذلك أن العابد (كندو) حسده ملائكة السماء (في زعمهم) فأرسلوا له (براموتشا) وهي حورية من الجنة فأضلته بجملها وأنست العبادة أياما كثيرة ففرح بذلك حساده من الملائكة ولما استيقظ لنفسه عرف المكيدة . فهذا مثل لعقطة الانسان عند تلك الأمم . وتليها قصة (نال ودامان) الهندية من كتاب (مهابارته) كتاب هندي . وذلك أن (نال) ملك مملكة (نيساوا) الهندية أخبرته (أوزة) لما اصطادها بجمل الفتاة الفتنة (دامان) ففتن بها وأخبرت الأوزة لما أطلقها (دامان) بحب (نال) فهامت (دامان) به فأخبرت أباه (فيم) ملك مملكة (فيدونه) وانتهى الأمر بزواجه لها . ثم أن إليه الشر (في زعمهم) أوحى إلى (يوسكار) الذي هو أخو (نال) أن يلاعبه الميسر وهو بشره يساعده عليه ففسر (نال) كل مملكته وعاش هو وزوجته في الفل والفقر ثم رجع معها إلى مملكة أبيها وأخذ جيشا وقصد أخاه فسلم له بلا حرب ولا ضرب فأصدم (نال) أمرا بتحريم لعب الفرد على مال لأنه مضيع للمال . وبلى ذلك قصة هاروت وماروت التي ضرب بها الأمم السالفة مثلا لاضلال الانسان بالشهوات فيسقط من عزه إلى أسفل سافلين . وبيان أن تلك الخرافات المنقولة عن بني اسرائيل جاء في حديث (حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج) جوازها باعتبار انها ضرب أمثال لاحقائق ولكن حقائقها لا قيمة لها وديننا لا يبيح انشاء روايات على هذا النمط لأن الامثال لا يعقلها إلا العلماء بها والقرآن نزل لأمة أمية فهو لا يجاهل والعالم فلذلك منع العلماء مثل هذا لأنه يوهم

أنه حقيقة . وهذه الروايات نقلها المفسرون باعتبار أنها أمثال وإلا لم يجز فلا اعتراض عليهم في ذلك لا محل له بعد ورود الحديث المتقدم . ولقد اعتنى أهل أوروبا بالروايات ورواها بها أهمهم كرواية (وردة) عن قدماء المصريين باللغة الألمانية فقد رقت الشعب والله مدح الحكمة من أى قائل كان . الانسان في هذه الأرض كتاب لا يدرسه ويعقله إلا المفكرون . طعامه يكون دما وبقية فضلة غليظة وهذه ترجع فتصير زراعا فندما . فهذه كتمليذ سقط في سنته فأعيد ثانيا وهكذا . وهذا السم يمد الجسم ويكون منه ولد لحفظ النوع كما يفعل النهر من سقى الأرض وإيجاد أرض جديدة في البحر . الذكورة والانوثة ليست شرطا في النسل فان المحار لا يحتاج الى ذلك . إذن الذكورة والانوثة سلم جعلت لارتقاء العقول بالعلوم والأخلاق والصبر والنسك وما أشبه ذلك (وبعارة أخرى) انها تمرين على الفضائل وعلى حب الله والملا الأعلى لأن الحب (ثلاث درجات) حب الذكر والأنثى وحب العلم وحب الله وكل حب مقدمة لما بعده . والناس لما عشقوا وكرهوا وتقاتلوا أنزلوا الله في منزلهم فاخترعوا آلهة يحاربون ويعشقون وجعلوا الله على حسب عقولهم فجاء القرآن وقال . كلا . الله لا كفؤ له حتى يحاربه ولا ولد له ولا زوجة

١٩٦ ومن أمثال القدماء نصائح (بتاح حنب) وقصة (البحرى الفريق) عند المصريين الذى ركب سفينة وكسرت وغرقت السفينة فلجأ الى جزيرة وقابلته حبة وأكرمته ورجع الى بلده . ومثلها السندباد البحرى وقصة حى بن يقظان ورو بنسون كروزو وألف ليلة وقوانين (جورجى) سنة ٢١٠٠ ق م (اللطيفة الرابعة عشرة) - أفرأيت من اتخذ إلهه هواه - الخ . الناس قد حسبوا السنين والشهور والأفلاك والكواكب والكهرباء والبخار والماء وكالوا كل مكيل ووزنوا كل موزون حتى الكهرباء والضوء وكل شئ ولكنهم الى الآن جهلوا أمر نفوسهم فلوانهم حفظوا قواها ووزنوها لنفعتهم كانتفعوا بحفظ الضوء ووزنه والكهرباء وهكذا

١٩٨ الانسان اليوم أكثره في جهالة (انظر هذا في كتابي أين الانسان)
١٩٩ (المقصد الثانى) - ألم ترى الى ربك - الى - أو أراد شكورا - قد كتب بالحرف الكبير مشكلا
٢٠٠ تفسير هذه الآيات تفسيراً لفظياً -

٢٠٣ هنا (أربع لطائف * اللطيفة الأولى) - ألم ترى الى ربك كيف مدّ الظل - وتقسيم الأجسام الى معتمة وشفافة ومضيئة كالأرض والهواء والشمس ومعنى الظلام والظل وما سببهما وأن الظل والظلام في العالم يقلان جدا وأن الكسوف والخسوف بسبب الظل القمرى والأرضى

٢٠٤ (اللطيفة الثانية) - وأنزلنا من السماء ماء طهورا - ويان أن الماء تظهر فيه الأجرام الفلكية وليس يفنى اذا امتصه النبات أو شربه الحيوان بل هو باق ويرجع ثانيا وهكذا والنفوس الانسانية أولى بالطهارة والصفاء حتى تقبل رسوم المعقولات للطاقاتها وأحقّ بالبقاء لشدة لطاقاتها وصفاتها . ثم ان الماء كثير التصرف فهو في الأقطار الاستوائية تظهر فيه شهب وذوات أذنان وأقواس قزح وفي القطبين تظهر فيه عجائب وألوان وبدائع تقدم ذكرها وهكذا القرآن قد صرفه الله تصريف الماء من تفتن في الحكم والمواعظ والأخبار الخ . هكذا الانسان فهو يتخيل ويفكر ويحفظ وينظر ويسمع ويمضغ ويهضم ويطيخ السم وهكذا وكل عمل من هذه بعضو خاص . فالنفس واحدة ولكن بالتصرف فيها كثرت أعمالها . هذه هي النفس وهذا هو القرآن وهذا هو الماء المذكور في هذه الآيات

٢٠٧ (اللطيفة الثالثة) في قوله تعالى - الذى خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام - الخ وبيان

الحكمة في اختيار عدد (٦) مع ان العالم خلق في ملايين السنين فأى عدد ينطبق عليه . وبيان أن العدد (فسمان) زوج وفرد والأفراد إما أولية وإما مركبة من ضرب أعداد فردية مثل (٥) ومثل (١٥) والأزواج كلها من ضرب عدد (٢) في كل عدد بعده مثل (٣) و (٤) و (٥) و (٦) وهكذا ثم العدد إما زائد وإما ناقص وإما كامل فالزائد مثل (١٢) لأن مضاربه تزيد عليه والناقص مثل (٨) لأن مضاربه تنقص عنه والكامل مثل (٦) ومثل (٢٨) لأن مضاربهما تساويهما . وبيان الجدول الذي استخرجه العلماء وفيه ظهر ان (٣٣) مليوناً ليس فيها إلا سبعة أعداد فقط كوامل والبقية إما زائدة أو ناقصة ، فاذن عدد (٦) اختير للإشارة الى أن العالم وضع على أكمل نظام لأن الكمال قليل في العدد

٢٠٩ أقسم الله بالعدد وهو الشفع والوتر والشمس والقمر الخ ولم نره أقسم بغسل الميت وتكفينه ولا بالحوض والبيوع والذي أقسم به الله شريف . إذن فلهذا لا يبحث المسلمون عنه وينصرفون الى غيره وهذا عجب فقد ألفوا في غسل الميت وتكفينه وأوسعوا . أما هذا فلا حكاية الشعبي لما أوفده عبد الملك بن مروان الى ملك الروم وسؤال الملك له عن نعم الجنة كيف لا ينفد وعن الله كيف لا يكون قبله شيء وهكذا

رؤيا منامية للمؤلف إذ رأى أقواماً يسألونه في عدد (١) زيد عليه (٢) ثم (٢) وهكذا وهو لا يزال واحداً واجابة المؤلف في النوم بأن العدد الذي لانهية له ليس له اسم فهو عدد واحد بخلاف غيره كالمائة والألف وبيان أن الشيخ حسن الطويل قال ان هذا الجواب قريب ثم تبيان أن علم ما وراء الطبيعة يفيد أن هذا الجواب في المنام صحيح لأن الوحدة مساوية للوجود فكل موجود كثيراً أو قليلاً يقال له واحد . وبيان أن المؤلف قبيل تفسير هذه الآية كانت تخطر له خواطر في الأعداد الأولية والفردية والزوجية وانه لما وصل الى تفسيرها عرف أن المقصود هو المبحث العددي في قوله - ستة أيام -

٢١١ (الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - وهو الذي مرج البحرين - الخ . وبيان قول الله تعالى - يا حسرة على العباد - وذلك لأعراضهم عن آياته واستهزأهم بها مثل ما هنا من آيات البحار كالمرجان واللؤلؤ وهكذا

٢١٢ تعجب المؤلف من أمة الاسلام كيف يقوم (الورد أفبري) الانجليز فيصف جبال الله في هذه الطبيعة والمسلمون نائمون فأين حب الله إذن ؟ وذكر الشعر الذي في كتاب الورد المذكور خطاباً للبحر مثل * إن في صدرك الزحبيب رجلاً * الحيوانات في البحار مثل الكاشولات ومثل الروركال و يبلغ طول هذا (١٢٠) قدماً وذكر قريص البحر الذي يغطي أميالاً من سطح البحر

٢١٣ الحشرات وبعض ذوات الثدي ثم الحيتان العظيمة . وطائر صوته كصوت الجار . وبيان أن جبال البر قصر على السطح . أما جبال البحر فهو في سطح الماء وفي وسطه وفي القاع وهناك سمك يعيش على عمق (٢٧٥٠) قامة وضوء الشمس لا يصل لأبعد من (٢٠٠) قامة

٢١٤ ومن السرطان ما يعيش قرب سطح الماء فتكون له عيون فاذا عاش في عمق (١٠٠) قامة الى (٧٠٠) قامة فقد العيون . وكلما كان السمك أبعد عمقا كان أجمل لونا وذلك اللون والنور يكون تحت سلطانه فاذا رأى فريسة أضاء بنوره ليراهها أو عدواً مفاجئاً أطفأ نوره وقديوقد مصباحه ليرسل الضوء الى عدوه فيكاد سنا نوره يذهب ببصره فيفتر منه فهو يفعل فعل الظربان باطلاق رائحته على عدوه . وغفريت البحر له خيوط تضرب الى الحجرة يستعملها حبات للصيد فتقوم مقام نسيج العنكبوت في البر فما عليه

إلا أن يطلقها في الماء فتغتربها السمكات المسكينات فتظنها حشائش فتقترب منها فينقض ذلك العفريت عليها فيقتصمها ، هذا اذا كان العفريت قريبا من السطح ، فأما في الاعماق فان تلك الحيوط تكون لماعة وبهذه الصفة تفترس السمكات

النباتات البحرية لاتعيش على أعماق من مائة قامة وقعر المحيط الاطلاقى يصل من (٤٠٠) الى (٢٠٠٠) قامة وهو مؤلف من مادة طباشيرية وأعظمها أصداف مهشمة وتحتها الصلصال والطين المائل الى الحمرة ثم البركانية . كرتنا يسقط عليها كل عام مائة ألف ألف شهاب . أقصى عمق البحار يشابه أعلى الجبال والبحر عمقه (٣٩٠٠) قامة ولم يصلوا للعمق الحقيقي وبعض البحار وصل عمقها (٥٢٧٠) قامة الجزائر (ثلاثة أقسام) قسم يفصله عن البر قليل من الماء كجزيرة سيلان ، وقسم هو جزائر بركانية وقسم هو جزائر مرجانية ، وهذه الأخيرة كثيرة جدا وأكثرها في المحيط الباسفيكي والهندي وهي تكون إما مستديرة بشكل الخاتم أو الحلقة وقد يكون في وسطها حوض ضارب ماؤه الى الصفرة والخضرة معا بخلاف الماء المحيط به فهو مائل الى السواد لقرط العمق . والسواحل رملية بيضاء غالبا وعليها نخيل (الشكولاته) وهناك جزائر (١٠٠٠٠٠) جزيرة وجزائر ألف جزيرة

٢١٥ رسم المرجان بهيئة شجر ورسمه بصورة أخرى شكلا ٣٣ و ٣٤

٢١٦ ثم شكل ٣٥ فيه ثغور بسامة وما هي إلا تلك الحيوانات المرجانية . ثم (شكل ٣٦) وهو رسم جزيرة بركانية حلقية . ورسم ٣٧ جزء من جزيرة بركانية . ورسم (٣٨) جزيرة مرجانية

٢١٧ يزعم بنو آدم أنهم أحسن عملا من كل حيوان وفاتهم ان المرجان يصنع جزائر تعد بالآلاف سكن فيها الحيوان وعاش فيها النبات وهم لم بقدروا . البحر الملح وحكمة ما فيه من ذلك الملح التي لولاها لآتين ماؤه بما فيه من الرم وجثث الحيوانات المائية . ولقد جعل الله من هذا الماء الملح ماء عذبا استخرجه شعاع الشمس فعلا في الجوّ وحلا ثم نزل فصار أنهارا وجرى تحت الأرض ينابيع بعضها يكون تحت الماء الملح ويفصله طبقة من القاع . وهكذا تجد ما يشبه ذلك وهو أن الهواء تكون فيه أصوات الناس والحيوان والنبات ولا اختلاط لها كما لا اختلاط للروائح الساريات في الهواء ولا لصور الأشباح الساريات في الجوّ بمعونة ضوء الشمس . وليس يلتقطها إلا آلة التصوير بعدسيتها فتسهم على اللوحة وراها في خزانها المظلمة عند المصور الشمسي فهذا كله يشبه قوله تعالى - وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا - لطيفة في قوله تعالى - وهو الذي خلق من الماء بشرا - وقوله - ولقد صرفناه بينهم - وقوله - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - والكلام على منظر رآه المؤلف من نور الشمس المشرق على سحاب ممتد من الغرب الى الشرق وقت الغروب كأنه جبال بينها يشبه الأودية الزرقاء (١٥) من شهر نوفمبر سنة ١٩٢٨ والناس لا يعقلون هذا المنظر . هكذا الحيوان فكأن تلك المناظر جنود مصطفة ملك عظيم الشأن وقد حيل بين الناس وبين أمثال هذا الجبال وما مناظر الليل والنهار إلا صور متحركة تمثل الجبال بأنواع من الحركات والجهور عجمي عن هذه المناظر الجميلة فلذلك عوضهم الله عن هذا الجبال الذي حرموا من منظره وهو أمامهم بالأعياد والمواسم التي يفرحون بها لقربها من عقولهم . أما أولوا الألباب فنماظر هذه الدنيا هي الأعياد الدائمة لهم لقربهم من ربهم ومعرفتهم بحمال صناعه . يرون الشمس تكسو الأرض جلبابا ذهبيا وتبرقع المزارع والهواء والجبل والماء والسحاب ببراقع خضراء وزرقاء وصفراء وأوجراء وهذان وحدهما في الزهر . وترى أمواج البحر في خط الاستواء تنبعث منها هيئة قوس قزح والبرر اللامعات والناس والزبرجد الأخضر واللآلئ فاذا غربت الشمس تبدت تلك الحسان في جوّ

السماء باسمات النجوم ويسدل الستار على الأرض وما عليها من جبل وزرع وبحر وتتنج العيون الى تلك المناظر البهجة والنجوم الساحرة الطرف البديعة والنقوش الغريبة والعرائس السافرات الضاحكات المستبشرات . فهذه روايات يمثلها الليل والنهار وأكث الناس عنها محجوبون لهذا عوّضهم الله بأعيادهم كما قدمنا وبالصورة المتحركة التي اخترعها الناس في عصرنا لقصور عقولهم .

٢٢٠ هذه صور السماء التي يراها الحكماء فإذا رجعوا الى أنفسهم وجدوها أبدع من تلك المناظر السماوية والأرضية فإذا رأوا ابداع النقوش الأرضية والمناظر السحرية السماوية فانهم يرون ماهو ابداع في أجسامهم من أنواع الحواس التي قسمت هذه المناظر المذكورات عليها ليلا ونهارا ومن الأعضاء المختلفة في ظاهر الجسم وباطنه . ومن تلك الخلايا المتكاثرة التي كانت خلية واحدة فانقسمت اثنتين فأربعاً الخ وهكذا حتى صارت جماعات متجاورات مقسمات الى أقسام كل قسم له عمل خاص وبهذه الأعمال المختلفة يتم نظام مجموع الجسم الانساني (وبعبارة أخرى) اننى أنا قد وجدت في جسمي أعما من الأحياء تعد بالآلاف المؤلفة وكلها مدججات بالسلاح وهي الكرات البيضاء التي تحارب الجنود الهاجة على جسمي لتهلكه ثم ان جنودى أنا تنقض على تلك الهاجة فهلكها وتزداد بذلك قوة ومنى حصل في جسمي جرح بدخول الأجانب أسرع جنودى فتراكت فيه لاهلاكهم فيكون هناك الورم فهذا الورم ماهو إلا القلعة الحصينة التي تحصن فيها جنودى فأكلت الأعداء وجندتهم كما أكلت تلك الخلايا الفاسدة التي أفستها تلك الجنود المحاربة . أفليست هذه المناظر عجيبة ليس يعقلها الانسان لولائها أصبحت منظورة رأى العين . أفليست تلك الروايات المشخصات في جسمى أعجب من الروايات المشخصات بالليل والنهار بواسطة غروب الشمس وشروقها والليل والنهار . هكذا جسمك وأجسام جميع الناس والحيوان

٢٢١ منظر الخلية في ثانية واحدة اذ تطورت سبع مناظر (شكل ٣٩)

٢٢٢ وهذه الخلية التي تعيش في البرك مشابهة للخلية التي تعيش في دمناء وكلاهما لها حياة مستقلة . لجميع جنود أجسامنا مستقلة أفرادها استقلال هذه الخلية في البرك وهي أب كل كائن حي وقد وجدوها أنوعا شتى وهذه الخلية أو (البروتوبلازم) متى صادفت ذرة من النبات أكلتها وهضمتها فلا فرق بينها وبين الحيوان المعروف أكلها وهضمها وحركة وهكذا . ثم إن الكرات البيضاء المشابهة لهذه العائشة في أجسامنا كانت معروفة قبل أيام (باستور) فلما ظهر هو كشف لنا (عالم المكروب) وما هو إلا كرات مثل هذه تكون أسباب الحمى والجدرى وغيرها ومنها ينشأ الورم الخ (شكل ٤٠) صورة ظهرت فيها الكرات البيضاء في أجسامنا وهي تنغذى بمكروب (الدفتريا) ومكروب (الستر بتوكوك) ومكروب الحمى الراجعة ومكروب (الكوليباسيل) ومكروب (الانتراكس)

٢٢٣ جوهره في قوله تعالى - وهو الذى خلق من الماء بشرا - وأن المصلى في ركوعه وسجوده إذ يقول (خضع لك سمعى وبصرى) وأذ يقول (سجد وجهى للذى خلقه وصوره) انتقل من الحق الى الخلق إذ يسبح أولا ثم يفصل أعضائه المشتملة على هذه الجماعات من الحويصلات والجماعات من الجنود الحاميات لها . فأما الفيلسوف فانه ينتقل من الخلق الى الحق

٢٢٤ يذكر الراى جماعات الحواس وهكذا الساجد ثم جماعات الأعضاء المتضامنة ويمثل الأولين جماعات الحكام فى الأمم وتمثل الأخرى جماعات الأمم المحكومة . الكلام على حياة الخلية الواحدة وعلى الوجود التضامنى وعلى أساس الحياة ؟ من أين تولد الخلية . الجسم والروح من كلام السير (أوليفر لودج) وأن كل روح أوتيت قوة إلهية بها كان جسمها انسانا أو قردا الى آخره وهذا عجيب

٢٢٥ ان ماذ كره اللورد (أوليفر لودج) من حيث تصرف الروح في الجسم وانها لم تتصرف فيه إلا بحكمة فلم تضع صورة حيوان موضع صورة الانسان مثلاً سير من الخلق الى الحق والمصلى في سجوده وركوعه إذ يذكر نعمة السمع والبصر بعد التسبيح يرجع من الحق الى الخلق وما فعله اللورد (أفيري) هو ما فعله حكماء اليونان فان (ثاليس) اليوناني و (أنكسيما نيس) و (ديموقراطيس) والسوفسطائية (وفيثاغورس) و (أنبذوقلس) و (أنكساغورس) و (سقراط) و (أفلاطون) و (أرسطو) ساروا في مباحثهم هكذا أصل العالم (الماء . الهواء . الجزء الذي لا يتجزأ . ليس هناك حقيقة ولا علم . أصل العالم العدد . أصل العالم المحبة والعداوة . للعالم إله ولكنه حركة وتركه . للعالم إله وهو القائم بصغيره وكبيره وهو منظمه) فهذه آراؤهم على الترتيب من أدنى الى أعلى والرأى الأخير اشترك فيه الثلاثة المتأخرون ، وهذه الآراء لم يخرج عن واحد منها ملحد ولا موحد في أوروبا والشرق الآن والمصلى في الفاتحة والشهد سار على عكس سير الفلاسفة

٢٢٨ لطيفة في قوله تعالى - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وشعر المعري * كأن سهيلاً الخ * وشعره أيضاً * سقتها الرياح الخ * خطاب الله للنجوم الجيلات وتسمية الأمم لها بأسماء تناسب عقولهم مثل أهل الهند والصين والعرب وأهل اسكندرية نافيا والاسكيو ، والكلام على غرام قدماء المصريين بجمال النجوم حتى جعلوا الهرم بناء على مقتضى كوكب الشعرى ، وانهم لتعظيمهم لله ظنوا أن الرقص حول الهياكل كسير الكواكب حول الشمس وأن رقصهم لم يكن للخلاعة واللهو بل كان تدبناً وهم يكتمونونه عن غيرهم وفيه احتفالهم بعيد المعبودة (ديان) بمدينة بويست ، ومقال بطريق الاستطراد في الرقص عندهم في أفراسهم وأعيادهم ، وأن الفرد عند لاعبيه جاء على مقتضى الكواكب السبعة المعروفة عند الأمم قديماً وهي المرموز لها بالنقط السبعة في الوجهين المتقابلين لجري الفرد المسمين بالزهر

٢٣٢ آراء (أديسن) في جسم الانسان وانه مركب من خلايا تعقل وتدبر أكثر من الانسان وأن الحياة أنت من عالم غير عالمنا وأن والده سم الحياة لا لمرض ثم مات بعد ثلاثة أيام

٢٣٣ (بهجة السموات) كيف تعرف صور النجوم السماوية . وصف السماء . الصور السماوية . النجوم المشهورة . الاحصائيات . الكرات السماوية . كيف تصنع الكرات والخرط السماوية بحيث تجعل نجمة القطب مبدأ وترسم دائرة المعدل والدوائر الموازية لها ثم دوائر تدل على دوائر الميل . عد بطليموس (٤٨) صورة ٢١ في الشمال و (١٥) في الجنوب و (١٢) في الوسط

الكلام على النجوم المنظورة وعدد ما يرى بالعين وانه (٤١٠٠) وقد وصل العدد الى (٦٠٠٠) نجمة وبالنظارات نيف و (٢٠) مليون نجمة . وبيان أن أضواء النجوم (٢٠) نجمة . وبيان أقدارها الست بالعين والخمسة عشر بالنظارات (شكل ٤١) الدب الأكبر والدب الأصغر وذات الكرسي

٢٣٦ (شكل ٤٢) مربع الفرس الأعظم . المرأة المسلسلة . برشاوش الغول (شكل ٤٣) الشعرى الشامية القلب . الشجاع . السماك الأعزل . السماك الراجح . العواء . أم الشعور . قلب الأسد . رأس الثور الخ (شكل ٤٤) (الحل . الثور . الجوزاء . الجبار . رجل الجبار . العضا) وهكذا (شكل ٤٥) الكلب الأصغر الخ

٢٣٨ (شكل ٤٦) السماك الراجح . العواء . الاكليل الشمالي . هذا هو الذي تعلمناه قبل (٤٠) سنة ولكن علم الفلك في هذه المدة زاد أضعافاً كثيرة جداً فلذلك نذكر ما جاء في عصرنا وهو ما وراء المجرة . العوام

الجزرية ، وذكر أن أرضنا إذا كانت جوهرًا فردًا يكون العالم ألف مليون أرض . إن من السدم ما يبعد عنا مائة مليون من سنى النور وهناك سدم تعد بالآلاف . ومن السدم ما يستغرق في سيره (١٧) مليون سنة للدوران على نفسه مرة واحدة

(تذكرة) في تسهيل معرفة الأشكال السابقة . وبيان أن بنات نعش معروفة عند العامة . ومنها يعرف القطب وما بعده من الصور

٢٤٣ (هجة العلم . إيضاح مسألة النور) وأن الناس اليوم يريدون تحويل الحرارة إلى النور وأن الله فعل ذلك في شموسه التي كشفت حديثًا

٢٤٤ لطيفة في قوله تعالى أيضا - تبارك الذي جعل في السماء بروجا - الخ وبيان أن أصول الحياة من الشمس والناس غافلون . وذكر أن المصريين أمة زراعية حسبوا سير الشمس واليهود والعرب اكتشفوا بالأشهر القمرية لعدم اعتمادهم على الزرع . والكلام على يوليوس قيصر لما عدل بأمره الفلكي (سوجنس) وهذا التعديل المصري قد أصلحه بعد ذلك البابا (غريغورس) إذ رأى أن (سوجنس) جعلها أطول من حقيقتها (١١) يوما ودقائق فعدل وجرى عليه قوم وخالفه القطب بمصر ذكر تقويم المكسيكيين

٢٤٥ (المقصد الثالث) - وعباد الرحمن - قد كتب مشكلا إلى آخر السورة وتفسيره اللفظي

٢٤٧ جوهرة في جمال القرآن في قوله تعالى - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم - الخ ومناجاة المؤلف لله وتجيبه من أنه أقسم بمخلوقاته من شمس وقر الخ والقسم تشريف لحث العباد على معرفة المقسم به فعموا ووصموا وقد اختص المسلمون وتشعبت مذاهبهم وفرحوا بقليل من العلم وجهلوا نعمه

٢٤٨ فصوص الحكم في هذه الآيات

٢٤٩ في هذه الآيات (ثمان خصال) ترجع لسكون النفس وهدوئها (وخصلتان) ترجعان للتذكير بالله فهذه مقتضات عشرة للعلم والعرفان . إن هنا سرا قد ظهر في هذا الزمان وهو تقديم آية عدم الاشتراك بالله على آية - وإذا ذكروا بآيات ربهم - الخ مع أن الظاهر كان يقتضي العكس وذلك أن المسلم إذا لم يشرك بالله وفعل الصالحات يظن أنه أرضى ربه فقال الله له لا يا عبدي أنا لا أرضى عنك إذا سمعت آياتي وكنت عنها أصم وآيات الله هي العلوم كلها فجرد الإيمان لا يغني عن ذلك وهذا شأن المسلمين الآن يغفرون التوحيد ويقولون كفافا وما يكفي بل لابد من العلوم . ملخص السورة كلها هذه الآيات هنا . وملخص هذه السورة اظهار علماء في بلاد الاسلام يقرؤون العلوم كلها

٢٥١ الجنة (قسمان) أعلى وأدنى . فالجنة الحسية للجهلاء وجنة العلم للحكماء وهذا تقدم في سورة البقرة عن الامام الغزالي (بلاغه القرآن) . (ياقوتة) في معنى قوله تعالى في هذه الآيات - والذين إذا ذكروا بآيات ربهم - الخ وبيان أن في القرآن (٧٥٠) آية للتذكير بآيات الله في السموات والأرض ومثلها عددا في علم الأخلاق ولكن آيات العبادة أقل

٢٥٢ بيان أن الآيات التي اختارها الصالحون للقراءة كآية الكرسي وما أشبهها روضات الجنات فهي سعادة لفظية للصالحين وهي سعادة للمفكرين ومنها هنا (ثمان خصال) نظام الظلال ونظام الليل والنهار ونظام السحب والأمطار والماء الطهور ثم نظام الشمس ونظام القمر الخ . هذا تذكير لفظي وهناك تذكير فعلي بإزالة المنذرات لهم على يد الحوادث الزمنية والله الأمر من قبل ومن بعد والمجد لله رب العالمين

صحيح البخاري

قد اتفق علماء أهل السنة في مشارق الأرض ومغاربها على أن كتاب صحيح الإمام البخاري أصح كتب الحديث الشريف ولما كانت نسخه المتعددة الطباعات قد تآكلت وأصبحت نادرة الوجود قد استخرنا الله سبحانه وتعالى وطبعناه طبعة متقنة بشكل لم يسبق له مثيل على ورق جيد وحرف جلي واضح مضبوط بالشكل الكامل لسهولة القراءة فيه

وقد صحح بنائة الاعتناء بمعرفة لجنة من العلماء معتمدين على النسخة « اليونانية » التي انتقاها المغفور له « السلطان عبد الحميد خان » وأجمع على صحتها كبار علماء الأزهر الشريف . وقسمناها إلى تسعة أجزاء لسهولة التلاوة فيه فجدير بكل مسلم اقتناء هذا الأثر النبوي الشريف

ويطلب من مكتبتنا ومن جميع المكاتب الشهيرة